

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الثالث عشر



بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٤٢ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-١١-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٠٧-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٣)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

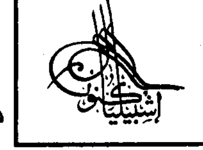
رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-١١-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٠٧-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٣)

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨- ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com



رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الثالث عشر



بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٤٢ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-١١-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٠٧-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٣)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

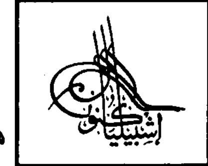
رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-١١-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٠٧-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٣)

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

١٨١- باب الأمر بتعهد القرآن والتحذير عن تعريضه للنسيان

الحديث رقم (١٠٠٣)

١٠٠٣- عن أَبي موسى رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((تعاهدوا هَذَا القُرآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإبلِ فِي عُقُلِهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

تعاهدوا: أي حافظوا على قراءته وواظبوا على تلاوته[2].

تفلتًا: التفلت: التخلص من الشيء فجأة من غير تَمكّث[3].

عُقُلها: جمع عقال: الحبل[4].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب إنشائي، وهو الأمر (تعاهدوا هَذَا القُرآنَ) وهو أمر توجيه، وإرشاد، والتعبير بالتعاهد فيه تذكير بأن هناك عهداً، وميثاقاً لا يجب أن يترك بين طرفين هما المسلم الحافظ للقرآن، وبين القرآن يقضي بعدم ترك أحدهما للآخر بحيث لا يترك الطرف الأول، وهو القارىء الطرف الثاني القرآن في الدنيا، وألا يترك الطرف الثاني، وهو القرآن الطرف الأول في الآخرة، وقد دل كثير من الأحاديث على أن القرآن ينفع صاحبه في كل مواقف الآخرة، وقسم الرسول ﷺ (فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١/٢٣١). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٤٢). تنبيه: الحديث عزاه المنذري إلى مسلم فقط، واستدرك عليه النووي.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٠١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ل ت).

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٧٠١/٨.

بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الإبلِ فِي عُقُلِهَا) يشير إلى أن الأجر العظيم يستحق مزيد عناء، ومتابعة، وعناية؛ لأنه أشد تفلتا من الإبل في عقلها، وقوله: (لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الإبلِ فِي عُقُلِهَا) كناية عن سرعة نسيانه، وكثرة المؤكدات في العبارة النبوية بداية بالقسم بهذه الصيغة الخاصة التي لها مزيد ترهيب في النفس، واللام المتصلة بالضمير (لهو) مع اسمية الجملة، واستخدامه لأفعل التفضيل التي تدل على ارتقائه على غيره في سرعة التفلت الأمر الذي يوجب مزيد العناية به، وتخصيص وقت يومي للمراجعة يكون بؤرة النور في عمل العبد يوم القيامة لكل يوم سيحاسب عنه.

فقه الحديث

الحض على المحافظة على القرآن:

قال ابن حجر: (في الحديثين الحض على المحافظة على القرآن[1] بدوام دراسته وتكرار تلاوته)[2].

وأفرد النووي فصلاً في كتاب تلاوة القرآن من كتاب الأذكار: أفرد فصلاً بعنوان: في الأمر بتعهد القرآن والتحذير من نيسانه، ساق تحته حديثي الباب وغيرهما[3].

المضامين الدعوية[4]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: القسم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: ضرب المثل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ لأمته بتعاهد القرآن وعدم هجره

---

(١) في المطبوع: الحض على محافظة القرآن، وما كتبناه أوضح. والله أعلم.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٩/٣٨ .

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٣١ - ١٣٢.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٠٠٣ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠٠٤).

خامسًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من نسيان القرآن وعدم تعاهده

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في قوله ﷺ: (تعاهدوا القرآن)، حيث أمر النبي ﷺ بملازمة قراءة القرآن، وتجديد العهد بتلاوته والمداومة على ذلك، تأكيدًا على حفظه وخشية من نسيان القرآن وتفلته، وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من بيان أوجه الخير للمدعوين وتوجيههم إليها وحملهم على الإتيان بها، وأسلوب الأمر من الأساليب الأكثر ورودًا في القرآن والسنة وذلك من قوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: القسم:

ورد أسلوب القسم في الحديث في قوله ﷺ: (فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عقلها)، حيث أكد النبي ﷺ شدة تفلت القرآن ممن لم يداوم على قراءته وتعهده بالقسم، إذ أن المراد من القسم توكيد المقسم عليه وتحقيقه[2]، وقد استخدم القرآن الكريم القسم في كثير من تأكيد الأحكام وتقرير القضايا ودليلاً من دلائل الإثبات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[3]، فأقسم سبحانه أعظم قسم بأعظم مقسم به على أجلّ مقسم عليه، وأكد الإخبار بهذا القسم ثم أكد تشبيهه بالأمر المحقق الذي لا يشك فيه ذو حاسة سليمة، فقال: (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون)، فشبه سبحانه تحقيق ما أخبر به بتحقيق نطق الآدمي ووجوده، والواحد منا يعرف أنه ناطق ضرورة، ولا يحتاج نطقه إلى استدلال على وجوده، ولا يخالجه شك في أنه ناطق، فكذلك ما

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٢) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم ص ١٥.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

أخبر الله عنه من أمر التوحيد، والنبوة، والمعاد، وأسمائه وصفاته حق ثابت في نفس الأمر، يشبه بثبوت نطقكم ووجوده، وهذا باب يعرفه الناس في كلامهم، يقول أحدهم: هذا حق مثل الشمس، وأفصح الشاعر عن هذا بقوله:

وليْسَ يَصِحُّ في الأذْهانِ شَيْءٌ إذا احْتاجَ النَّهارُ إلَى دَلِيلِ[١]

وأسلوب القسم من الأساليب الدعوية إفادة وملائمة للنفس البشرية، لما فيه من تأكيد لخبر أو تعظيم لشيء أو جمع للانتباه حول غاية وقد أحس العرب بأهدافه ومراميه فاستعملوه منذ القدم في كلامهم وجعلوه دليلاً على إثبات الحق، قال زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء[٢]

ثالثًا - من أساليب الدعوة: ضرب المثل:

استخدم النبي ﷺ في الحديثين ضرب المثل حيث شبّه سرعة نسيان القرآن ممن لا يتعاهده بالإبل في شدة تفلتها من عقالها، فقال ﷺ: (تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عُقُلها)، وقال: (إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المُعقّلة إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت)، قال ابن حجر: (شبه درس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه الشراد، فما زال التعاهد موجودا فالحفظ موجود، كما أن البعير ما دام مشدودا بالعقال فهو محفوظ، وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفورا، وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة)[٣].

وأسلوب ضرب الأمثال من أشد الأساليب الدعوية تأثيرًا لأنها تثير الانفعال وتخاطب الوجدان وتنقل المعقول والمحسوس وتغري على الخير وتبعد عن الشر[٤]. "كما أن

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم ص ٣٥٩.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، أصولها وسائلها، د. أحمد غلوش ص ٣٢٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٨/٦٩٨.

(٤) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد غلوش ص ٣٧٠.

الأمثال تقرب المعنى إلى الأذهان، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبية بما قد ألفوه وعرفوه حيث يتم تقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس أو تصوير المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس ومن ثمّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجليّ والغائب بالشاهد"[١]، وضرب المثل من أعلى درجات البلاغة، قال إبراهيم النظّام: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام، إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة، فهو نهاية البلاغة"[٢].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: حثُّ النبي ﷺ لأمته بتعاهد القرآن وعدم هجره:

حثّ النبي ﷺ أمته على تعاهد القرآن فقال: (تعاهدوا هذا القرآن)، وقال: (إنما مثل صاحب القرآن)، أي: مع القرآن والمراد بالصاحب الذي ألفه، فإن الذي يداوم على قراءة القرآن يذل له لسانه ويسهل عليه قراءته فإذا هجره ثقلت عليه القراءة وشقت عليه كمثل صاحب (الإبل المعقلة)، أي: المشدودة بالعقال وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير[٣].

وقال الطيبي: (قوله تعالى: "تعاهدوا القرآن"، تعاهد الشيء وتعهده محافظته وتجديد العهد به، أي: واظبوا على تلاوته، وداوموا على تكراره ودرسه كيلا يُنسى... وقد شبه القرآن وكونه محفوظًا على ظهر القلب بالإبل الآبدة النافرة، وقد عقل عليها، وشد بذراعيها الحبلُ المتين، وذلك أن القرآن ليس من كلام البشر بل هو كلام خالق القوى والقدر، وليس بينه وبين البشر مناسبة قريبة، لأنه حادث وهو قديم، والله سبحانه بلطفه العميم، وكرمه القديم منّ عليهم ومنحهم هذه النعمة العظيمة فينبغي له أن يُتعاهد بالحفظ والمواظبة عليه ما أمكنه)[٤].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٢/١٣١.

(٢) الأمثال في القرآن الكريم، ابن القيم ص ٣٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٨/٦٩٧.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٤/٢٧١.

قال ابن كثير : "ومضمون ذلك الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده لئلا يعرضه للنسيان، فإن ذلك خطأ كبير نسأل الله العافية منه"[١].

وإنّ من الأمور الواجبة على الداعية أن يحذر مدعويه من هجر القرآن وترك تعاهده اقتداء برسول الله ﷺ، وكما جاء في الحديثين من الحث بتعاهد القرآن فقال ﷺ : (تعاهدوا القرآن)، وقوله ﷺ : "إنما صاحب القرآن كصاحب الإبل... إلخ الحديث" وروى البخاري عن أبي وائل عن عبدالله قال: قال النبي ﷺ : ((بِئسَ ما لأحَدِهم أن يقول: نسيت آية كَيْتَ وكيْتَ بل نُسيَ، واستَذكِرُوا القرآنَ فإنهُ أشدُّ تَفصيًا من صُدور الرِّجال منَ النَّعَم))[٢].

قال ابن حجر: (وإن سبب الذم ما فيه من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن، إذ لا يقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة، فلو تعاهده بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكره، فإذا قال الإنسان: نسيت الآية الفلانية فكأنما شهد على نفسه بالتفريط، فيكون متعلق الذم تركَ الاستذكار والتعاهد؛ لأنه الذي يورث النسيان.

وقوله: "واستذكروا القرآن" أي: واظبوا على تلاوته واطلبوا من أنفسكم المذاكرة به... وفي هذه الأحاديث الحض على محافظة القرآن بدوام دراسته وتكرار تلاوته)[٣].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من نسيان القرآن وعدم تعاهده:

إن الإنسان إن لم يداوم على تلاوة القرآن واستذكاره والتأكد من حفظه نسيه وتفلت منه، فالقرآن وديعة استودعها الله العبد إن لم يحافظ عليها طولب بها ومن أين يأتي بها؟[٤] لذا ورد في الحديثين الأمر بتعاهد القرآن والتحذير من نسيانه، فإن صاحب القرآن إذا لم يقم بتذكره وتلاوته نسيه وهذا أمر خطير.

---

(١) فضائل القرآن، ابن كثير ص ١٣٥.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٣٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٦٩٩ -٧٠١.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤١.

قال ابن كثير: "فإن نسيان القرآن من أعظم المصائب، وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[1]. "وهذا الذي قاله هذا وإن لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه، فإن الإعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد - نعوذ بالله منه -"[2].

ومن الآيات المنفرة من هجر القرآن وعدم تعاهده قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[3]، قال القاسمي : والآية وإن كانت في المشركين وإعراضهم هو عدم إيمانهم، إلا أن نظمها الكريم مما يرهب عموم المعرضين عن العمل به والأخذ بآدابه، الذي هو حقيقة الهجر لأن الناس إنما تعبدوا منه بذلك إذ لا تؤثر تلاوته إلا لمن تدبرها ولا يتدبرها إلا من يقوم بها ويتمسك بأحكامها"[4]، وقال ابن عاشور: "واسم الإشارة في (هذا القرآن) لتعظيمه وأن مثله لا يتخذ مهجورًا بل هو جدير بالإقبال عليه والانتفاع به، والمهجور: المتروك والمفارق، والمراد هنا ترك الاعتناء به وسماعه"[5].

---

(١) سورة طه، الآيات: ١٢٤ - ١٢٦.

(٢) فضائل القرآن، ابن كثير ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٣٠.

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٥٩/١٢/٧.

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٧/١٩/٨.

الحديث رقم (١٠٠٤)

١٠٠٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرآنِ كَمَثَلِ الإبِلِ المُعَقَّلَةِ: إنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا امْسَكَهَا، وَإنْ اطْلَقَهَا ذَهَبَتْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

المُعَقَّلة: المشدودة بالعقال وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير[2].

عاهد عليها: استمر إمساكه لها[3].

الشرح الأدبي

البداية بإنما حصر لمعنى في معنى أي: حصر حال صاحب القرآن في حال صاحب الإبل دون غيره، كما أن استخدام طريق إنما دون غيره من طرق القصر يشير إلى أن المعنى الوارد في ركاب إنما مما هو معلوم، ولا ينبغي أن يجهل فضلا عن أن ينكر ففيه تعريض بالمخاطبين لعدم علمهم، أو لعدم عملهم بموجب هذا العلم، وتعهدهم للقرآن كما يتعهد أحدهم إبله فلا يترك منها شاردة، وتشبيه صاحب القرآن بصاحب الإبل في حالتي إمساكها، وإفلاتها يشير إلى ضرورة الحرص عليها، ومداومة إحصائها، وحصرها حتى يتسنى رد شاردها قبل أن يبتعد، كما يشير من طرف خفي إلى علو قيمتها، وإمكان سرقتها؛ لأن الأبل أفضل أموال العرب، وأبقاها عندهم، وأنسبها لبيئتهم، وفي جانب المشبه (صاحب القرآن) يشير إلى عظمة الأجر التي أشارت إليه

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣١)، ومسلم (٧٨٩/٢٢٦) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢١٤٠).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٩٧/٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٦٩٨/٨.

الأحاديث السابقة في الباب، وهو ما يجعل لص الحسنات (الشيطان) في قمة الحرص على حرمانه منها ليفوِّت عليه الأجر العظيم.

المضامين الدعوية [1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- تنبيه الناشئة إلى تعاهد العلم النافع والاستمرار على ذلك:

إن على المربي أن ينبه الناشئة إلى أن يتعاهدوا العلم النافع والمداومة على هذا التعاهد، والمحافظة على ذلك، وهو في هذا يقتدي بالنبي ﷺ في قوله لأصحابه: «تَعَاهَدُوا هذَا الْقُرْآنَ. فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا».

"فمن القضايا الهامة التي يجب بحثها في هذا المجال، قضية حفظ القرآن، فمن المعروف في العلم التربوي أن الحفظ والاستظهار آفة ينبغي أن تحارب، وعادة ينبغي أن تستأصل، لكن هل هذا صحيح بصفة مطلقة؟ كلاّ، فهو صحيح في أحوال ولكنه غير صحيح في أحوال أخرى، ومن الأحوال التي يصحّ فيها: القوانين والنظريات والقواعد العلمية، فهذه لابد من حفظها، وحتى يكون الحفظ مجديًا يشترط أن يصحبه الفهم، كذلك بالنسبة للشِعْر، يستحسن فيه أيضًا الحفظ. أما بالنسبة للقرآن، فالأمر هنا أهم وأخطر، والسّر في ذلك أن الله كلّف الأمة الإسلامية بحفظ القرآن، ولم يكلف الأمم السابقة بحفظ كتبها وصحفها، إن هذه الكتب لم تكن معجزة بألفاظها، ولم يشأ الله ذلك لحكمة يعلمها، بخلاف القرآن الكريم، فقد شاء الله أن يكون معجزًا بلفظه فضلاً عن معانيه، فكان من الضروري المحافظة على النص بالطريق المفيد للقطع واليقين، وليس ذلك إلا بأن يحفظه العدد الكثير، في كل جيل وعصر، الذين لا يجوز عليهم الكذب، ولا الغلط ولا السهو، وهو ما أسميناه بالتواتر"[1].

ولذا جاء الحديثان الشريفان يحثّان على تعاهد القرآن الكريم، وذلك لأنه أجلّ العلوم وأشرفها، وأثمن المعارف وأقيمها، وعلى ذلك ينبغي تربية الناشئة كما ينبغي أن يربوا على تعاهد كل علم نافع.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل علي ص ٥٣، ٥٤، ومرجعه.

فالعلم الإسلامي: "غذاء العقول، وهو ليس علم الدين وحده فحسب، إنما هو علم الدين والدنيا على السواء، وهو واسطة لمعرفة الخالق، كما أنه واسطة لمعرفة الأشياء والقوى الطبيعية واستخدامها في مصلحة الإنسان، كما أن العلم والحكمة في الإسلام لا يقصد بهما علم الدين وحده رغم شرفه، ووجوبه على كل مسلم ومسلمة، وإنما هو يتعداه إلى علم الدنيا أيضًا، لأن المسلم بهذا العلم يستطيع أن يقوم برسالته الحضارية، والإسلام لا يقيد العلم إلا بأن يكون في اتجاه رباني.

وقد اتسم العلم منذ اللحظات الأولى في الإسلام بالخير واستهدف الخير، ولم يستهدف في يوم من الأيام التنكيل بالإنسانية أو الاستعلاء أو التسابق من أجل إيجاد وسائل التدمير والتخريب.

لذا كان العلم الإسلامي ضرورة وليس ترفًا، فالعلم الإسلامي ضرورة لنفع الإنسان والمجتمع الإنساني، ودور المربي المسلم هنا هو مساعدة الإنسان إلى الاهتداء إلى العلم الصحيح تحقيقًا للخير وسعادة الإنسان"[١].

ثانيًا: من أساليب التربية: التربية بالأمثال والأشباه:

في الحديثين ضرب النبي ﷺ المثل على سرعة نسيان القرآن إذا لم يتعاهده حافظه، ضرب المثل بالإبل المشهورة بشدة تفلتها وتخلصها من عقالها وما رُبطت به، فإن تعاهد صاحب الإبل إبله وأحكم عقالها أمسكها وحافظ عليها، وإن أهمل ربطها وغفل عن تعاهدها ذهبت وانطلقت وضاعت منه. والملاحظ على ضرب المثل والتشبيه بالإبل ما يلي:

أ- الإبل أجسامها قوية وخلقتها عظيمة فتحتاج إلى مزيد عناية وتعاهد عن غيرها من الحيوانات الأخرى، كالغنم والماعز ونحو ذلك، وهذا يدفع المتربي أن يزيد عنايته وتعاهده بما أمر به النبي ﷺ وهو القرآن الكريم.

---

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٢٠١-٢٠٤، ومراجعه ومصادره.

ب- الإبل يعايشها العربي في بيئته صباح مساء ليل نهار فهو أعرف بها وبخصالها وصفاتها، فضرب المثل بها يجعل الأمر واضحًا جدًا ليس فيه أدنى لبس ولا غموض، وهذا يسهل على المتربي فهم الرسالة التربوية فهمًا ممتازًا، ومن ثم يقع العمل كما يريد المربي.

لذا فإن على المربين إن ضربوا الأمثال واستخدموا التشبيه، عليهم أن يجعلوها أوضح ما يكون لمن يخاطبونهم؛ حتى تؤتى بثمارها المرجوة.

وذلك لأن للأمثال أهدافًا تربوية، منها:

أ-الأمثال تبرز الصورة المعقولة المجردة في صورة محسوسة واضحة يتقبلها العقل لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة للفهم، فالمخاطب يكون جاهلاً بحقيقة الشيء أو يكون الشيء غامضًا بالنسبة لعقل الفرد فيأتي المثل ليزيل هذه الجهالة، وهذا الغموض.

ب- إنها وسيلة للإقناع الذي قد لا يحتاج إلى إقامة الدليل والبرهان، حيث إن المثل يقتصر على لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صور مشابهة ولو لم يشتمل على أية حجة.

ج- ترغيب الإنسان في شيء يجب اتباعه والتمسك به وترهيبه من شيء يجب على الإنسان تجنبه.

وبهذا تتضح أهمية الأمثال، أسلوبًا من أساليب التربية الإسلامية، فهي تعرض في أسلوب دقيق جذّاب يؤثر في النفوس فينفذ إلى أعماق الإنسان لتحرك عواطفه، ليتجه نحو عمل الخير، وتحقق في النهاية أهداف هذه التربية[1].

ثالثًا: من أدب المربي: إظهار الخضوع والخشوع لله رب العالمين.

لما أراد النبي ﷺ أن يُقسِم قال: «فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا».

---

(١) انظر: التربية الإسلامية "مصادرها وتطبيقاتها"، د. عماد محمد عطية ص ١٣٥، ١٣٦، ومراجعه ومصادره. وانظر: كذلك فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٤٢، ٣٤٤.

فأكد أمر شدة تفلت القرآن، وفي الوقت نفسه أظهر خضوعه لله رب العالمين، بأن أخبر أنه نفسه بيده سبحانه، يفعل بها ما يشاء، فالله عز وجل فعّال لما يريد، وجملة: "فوالذي نفسي محمد بيده..." تفيد عدة معانٍ من الناحية التربوية منها:

١-إظهار المربي خضوعه لله رب العالمين: وفي هذا تربية لمن يقوم بتربيته، أن ينشأ على هذا الخضوع الذي يحقق العبودية لله رب العالمين.

٢-تنشئته على التسليم بقضاء الله وقدره، وعلى الرضا بذلك، فالعبد نفسه بيد الله تعالى، يفعل بها ما يشاء سبحانه، وعلى ذلك فإن وقع الخير شكر العبد، وقام بواجب الشكر، وإن وقع الشر صبر ورضي ولم يسخط ولم يحزن.

٣-تنشئته على استمداد العون من الله دائمًا، فهو سبحانه كل شيء بيده، يقول للشيء "كن فيكون"، وهو الرءوف الرحيم، يرحم عباده ويعفو عنهم ويسترهم. فعندما يقسم المربِّي بالله الذي نفس المربِّي بيده، فكأنه يستمد منه سبحانه عونه وعفوه ورحمته، وفي ذلك تربية لمن يقوم بتربيته، أن يفعل ذلك ويستمر عليه.



١٨٢- باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها

الحديث رقم (١٠٠٥)

١٠٠٥ - وعن أَبي هريرة ﵁، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((مَا أذِنَ اللهُ لِشَيءٍ مَا أذِنَ لِنَبيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بالقُرآنِ يَجْهَرُ بِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أذن الله: أي استمع، وهو إشارة إلى الرضا والقبول[2].

يتغنى بالقرآن: يحسن صوته بالقرآن[3].

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (مَا أذِنَ اللهُ لِشَيءٍ مَا أذِنَ لِنَبيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ) كناية عن رضاه، وقبوله، وتقريبه، وأمور أخرى يعلمها الله، وتنكير كلمة (شيء) يفيد العموم لأن الله تعالى يسمع كل الكائنات بكيفية يعلمها تعالى، ويخلقها فيها، وقوله (يتغنى) يوحي بتجميل الصوت، وعذوبة الكلمات، وقوله (يجهر به) تفسير للتغني، فهو جهر بصوت جميل بأجمل كلمات هي كلمات القرآن، وهو ترغيب في تحسين الصوت بالقرآن، وسماعه من حسن الصوت لأنه يساعد على الخشوع، ويعين على طول الاستماع.

فقه الحديث

استحباب تحسين الصوت بالقرآن:

قال النووي: (قال القاضي عياض: أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٤٤)، ومسلم (٧٩٢/٢٣٣) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢١٤٣).

(٢) رياض الصالحين ٣٨٩.

(٣) رياض الصالحين ٣٨٩.

بالقراءة وترتيلها. قال أبو عبيد: والأحاديث الواردة في ذلك محمولة على التحزين والتشويق، قال: واختلفوا في القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عمّا جاء القرآن له من الخشوع والتفهم، وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث، ولأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه[١]. قلت [القائل النووي]: قال الشافعي في موضع: أكره القراءة بالألحان. وقال في موضع: لا أكرهها. قال أصحابنا: ليس له فيها خلاف. وإنما هو اختلاف حالين: فحيث كرهها أراد إذا مطط وأخرج الكلام عن موضعه بزيادة أو نقصٍ مدّ غير ممدود وإدغام ما لا يجوز إدغامه ونحو ذلك، وحيث أباحها أراد إذا لم يكن فيها تغير لموضوع الكلام، والله أعلم)[٢].

وقال النووي في الأذكار: (يستحب تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط، فإن أفرط حتى زاد حرفًا أو أخفى حرفًا فهو حرام، وإلا فلا. والأحاديث بما ذكرناه من في تحسين لصوت كثيرة مشهورة في الصحيح وغيره) [٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل تحسين الصوت والتغني بالقرآن والجهر به.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على تحسين الصوت بالقرآن.

أولاً- أساليب الدعوة: الإخبار:

يعد الإخبار من أهم أساليب الدعوة، لأنه هو الأسلوب الذي يتم به نقل الدعوة وتبليغها إلى المدعوين، حتى يعلموا دين ربهم وسنة نبيهم ﷺ، وقد ورد الإخبار في هذا الحديث في قوله ﷺ: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به" حيث أخبر رسول الله ﷺ عن حب الله واستماعه لصوت النبي الحسن الذي يتغنى

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٦٠/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧١/٦/٣، وانظر فتح الباري، ابن حجر ٦٨/٩ - ٧٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥٦/١٣.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٣٤.

بالقرآن الكريم، وأفاد هذا الإخبار أهمية تحسين الصوت بالقرآن الكريم لحب الله له.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل تحسين الصوت والتغني بالقرآن والجهر به:

إن تحسين الصوت بالقرآن وتجويده في حدود قواعد القراءة الصحيحة يزيده حلاوة وطلاوة ووصولاً إلى القلوب وتأثيرًا فيها، لذا جاءت النصوص حاضّة على تحسين القراءة بالقرآن وتجويدها، ومنها ما جاء من الحديث "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به".

قال ابن عثيمين: ("أذن" قال العلماء: استمع، يعني ما استمع الله لشيء من الأشياء التي يسمعها - جل وعلا - مثل استماعه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به، يعني: نبي والأنبياء هم أفضل طبقات الخلق "يتغنى بالقرآن" يعني: يقرأه بصوت حسن "يجهر به" يعني: يرفع صوته به، فهذا الذي يأذن الله له؛ أي: يستمع له - جل وعلا - لأنه يحب الصوت الحسن بالقرآن والأداء الحسن)[١].

وتتجلى أهمية وفضل تحسين الصوت بالقرآن في إقبال القلوب وميل النفس إلى القرآن والاستماع إليه، قال ابن حجر: (ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم، لأن للتطريب تأثيرًا في رقة القلب وإجراء الدمع، وكان بين السلف اختلاف في جواز القرآن بالألحان، أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك[٢]، وإنما استحب تحسين الصوت بقراءة القرآن لأن ذلك أوقع في القلوب، وأنفع للسامع وأنجع)[٣].

فطوبى لمن صاحب القرآن، ورافقه وأحبه وتلاه وتدبره وأنس به، واسترشد بوعظه، واهتدى بهداه، وعكف عليه، وتغنى به، وأحيا به ليله، وأجرى به دمعه، وأذهب به همه، وأزال به غمه، وطرد به حزنه وكفر به ذنبه، وأبرد به لهيب روحه، وسكن به خوفه، فهذا هو السعيد الناجي، والفائز الظافر، والولي الصادق، فهذا القرآن هو

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٢٤٧/٢.

(٢) فتح الباري، ٦٩٠/٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٢.

مأدبة الله وضيافته ومائدته، فمن قبل الضيافة نال التكريم وحظى بالزلفى وحصل على الفوز وأدرك الفلاح[١].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحث على تحسين الصوت بالقرآن:

إن من أهداف الدعوة الرئيسة الحفاظ على تحسين الصوت القرآن الكريم، كما جاء في الحديث: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به". قال الإمام أحمد في شرحه: "يحسن القارئ صوته بالقرآن ويقرؤه بحزن وتدبر"، وقال القاضي عياض: " هو على هذه الرواية بمعنى الحث على ذلك والأمر به[٢]. وإن ذلك يعتبر ضربًا من ضروب إجلال القرآن وتوقيره.

وقال القرطبي: (وفائدة هذا الخبر حث القارئ على إعطاء القراءة حقها من ترتيلها وتحسينها وتطييبها بالصوت الحسن ما أمكن)[٣].

ولقد كان ﷺ دأبه في قراءة القرآن التحسين والتجويد ومما يدل على ذلك ما ورد عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: ((سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأُ: "والتينِ والزيتونِ" في العِشاءِ، ومَا سمعتُ أحدًا أحسنَ صوتًا منه أو قراءةً))[٤]. فالقرآن الكريم إذا قرئ وتلي حق التلاوة فإن ذلك يكون له أكبر الأثر في أن تتفتح له القلوب وتهتز له وترجف من مواعظه وآياته الأفئدة[٥]، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[٦]، وقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[٧].

---

(١) مقامات القرني، د. عائض القرني ص ٩٨.
(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢/٢٩٧.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٤٢٢.
(٤) أخرجه البخاري، ٧٦٩.
(٥) موسوعة فقه القلوب ٢/١٥٥٠.
(٦) سورة الحشر، الآية: ٢١.
(٧) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

الحديث رقم (١٠٠٦)

١٠٠٦ - وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ لَهُ: (([١]) **لَقدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

وفي رواية لمسلم[٣]: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ لَهُ: ((**لَوْ رَأيْتَنِي وَأنَا أسْتَمِعُ لِقِراءتِكَ البَارِحَةَ**)).

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

مزامير آل داود: المراد بالمزمار: الصوت الحسن، وأصله الآلة، أطلق اسمه على الصوت للمشابهة. وآل داود: المراد داود نفسه[٤].

البارحة: أقرب ليلة مضت[٥].

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ لأبي موسى رضي الله عنه (لَقدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ) كناية عن جمال صوته، وحسن أدائه، وسلامة مخارجه، وإتقانه للتلاوة، لأنها كلها أمور تتضمنها تلاوة آل نبي حسن الصوت، والتعبير بالمبني لما لم يسم فاعله (أوتيت) لتمام العلم بالفاعل، وهو الله، كما أن فيه تركيز على الغرض المنصب عليه الكلام، وهو الإشادة بجمال الصوت، وروعة الأداء، وتنكير مزمار للتعظيم أي أوتيت مزمارا

---

(١) عند البخاري زيادة: (يا أبا موسى) وعند مسلم ذكر أبي موسى ونسبه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٤٨) واللفظ له، ومسلم (٧٩٣/٢٣٥).

(٣) برقم (٧٩٣/٢٣٦).

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٨١١/٨ - ٨١٢.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ر ح).

عظيماً، و (من) للتبعيض، وإضافة المزامير لآل داود بيان، وتشريف، والحديث من خلال القصة يندب كل قارئ إلى تحسين صوته بالقرآن قدر المستطاع لأن فيه نوعا من الترغيب في الاستماع للقرآن الذي هو أعظم الذكر.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: مكانة أبي موسى الأشعري، وحسن صوته ومدح النبي ﷺ له.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله داود عليه السلام.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من آداب الداعية: مدح وتشجيع المواهب الحسنة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: مكانة أبي موسى الأشعري، وحسن صوته ومدح النبي ﷺ له:

كان من فضل الله على أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن حباه بحسن الصوت وحلاوة التلاوة للقرآن الكريم، فالصوت الجميل نعمة من نعم الله تعالى على الإنسان، وقد استخدمه أبو موسى في خدمة القرآن الكريم، وقد وردت في الحديث الإشارة إلى مكانة أبي موسى الأشعري وما حباه الله من صوت حسن واستماع النبي ﷺ له وثناؤه عليه فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: "لقد أوتيت اليوم مزمارًا من مزامير آل داود"، وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال له: "لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة" أى لو أبصرتني لسرك ذلك[1]. وإن ذلك ليعد من فضائل أبي موسى الأشعري، أن رسول الله ﷺ استمع إلى قراءته وأعجبته[2] وشبهه بداود عليه السلام بحسن صوته وعذوبة قراءته، كما حبا الله أبا موسى الأشعري مع حسن صوته بما اشتهر

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/ ١٢٤٦.

به من كونه علاّمة نسَّابة، كما كان خطيبًا لرسول الله ﷺ[١].

لقد كان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه من أشهر علماء الصحابة الحفّاظ للقرآن الكريم في العهد النبوي، فقد استظهره، ونهل من ينبوع العلم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فكان من نجباء الصحابة، ومن الصحابة النبهاء، وكان من أندى الناس صوتًا، فقد حباه الله عز وجل حنجرة تتفتق عنها أجمل الأصوات وأحلى النبرات التي تدخل القلوب، وتؤثر في النفوس، وتجتذبها إلى ساحة الصفاء الإلهي.

وفي رحاب القرآن الكريم كانت حياة أبي موسى رغيدة هنيّة هيِّنة، فهو يتلوه آناء الليل، وأطراف النهار، ويقرأ ويفسر، ويفهم، ويسمع، ويعلم، ويعمل لكل ما يعمر القلوب بذكر الله عز وجل، ولقد أجاد الذهبي في حديثه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عندما صنفه في "تذكرة الحفاظ" وجعله في الطبقة الأولى من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم[٢]، فقال: "كان عالمًا، عاملاً، صالحًا، تاليًا لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، روى علمًا طيبًا مباركًا، أقرأ أهلِ البصرة وأفقههم"[٣].

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله داود عليه السلام:

وردت في الحديث الإشارة إلى ذكر فضل نبي الله داود عليه السلام وما أكرمه الله به من جمال في الصوت ورخامة في الأداء، لدرجة أن يضرب به المثل في هذا المجال، فقال ﷺ لأبي موسى الأشعري : "لقد أوتيت اليوم مزمارًا من مزامير داود" ، فداود عليه السلام كان لديه صوت حسن جميل رفيع[٤]، ولتأثير صوته فيمن حوله حتى في غير الإنسان يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾[٥]، قال ابن كثير في

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٨٥١.

(٢) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٦٠٣، ٦٠٤.

(٣) انظر: تذكرة الحفاظ ٢٣/١.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٢٤٧/٢.

(٥) سورة سبأ، الآية: ١٠.

تفسيره لهذه الآية يخبر الله تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود صلوات الله وسلامه عليه، مما آتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن، والجنود ذوي العَدَد والعُدَد، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم، الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات، الصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات، فمعنى قوله أوبي معه أى سبحي، فإن التأويب في اللغة هو الترجيع، فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها"[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب ضمنيًا في الحديث، وذلك في ثناء النبي ﷺ على قراءة أبي موسى الأشعري واستماعه لها، وإعجابه بها، وذلك في قوله: "لقد أوتيت اليوم مزمارًا من مزامير آل داود"، وفي ذلك ترغيب في تحسين الصوت والاهتمام به، إذ أن تحسين الصوت بالقرآن الكريم يزيد القرآن جمالاً وحلاوة وطلاوة، ويجعله أسرع ما يكون إلى القلب نفوذًا وتأثيرًا. وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المؤثرة، إذ أن غريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير سواء ما كان من عاجل أو آجل، ومن هنا تحرص النفوس الموفقة على وعى هدْيِ القرآن وهَدْيِ الرسول ﷺ[٢].

رابعًا- من آداب الداعية: مدح وتشجيع المواهب الحسنة:

إن الداعية محب لمدعويه متابع لأحوالهم ملاحظ لما يطرأ عليهم من تغييرات وما يظهر فيهم من نوابغ وأصحاب مواهب وملكات، فمثل هؤلاء ينبغي على الداعية مدحهم وتشجيعهم واستثمارهم لمصلحة الدعوة إلى الله تعالى، وفي هذا الحديث ثناء من الرسول ﷺ على أبي موسى الأشعري، "لقد أوتيت اليوم مزمارًا من مزامير آل داود" فإن ثناء أهل الفضل وأولي النهى في المجتمع كالدعاة والعلماء والفضلاء وأهل الخبرة على أصحاب المواهب تشجيع للمدعوين للسعي باتجاه الخبرات الجديدة وتطوير

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٩٧/٦.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ٣٠٨ - ٣٠٩.

المهارات[١].

لأن تشجيع أصحاب المواهب - سواء كان تشجيعًا حسيًا أو معنويًا - له دور كبير في تقدم حركتهم الإيجابية البناءة وفي كشف طاقاتهم الحيوية، وأنواع هواياتهم، كما أنه يزيد في استمرارية العمل ودفعه قُدُمًا نحو الأمام بمردود جميل[٢].

---

(١) انظر: علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ١٢٣.

(٢) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص ١١٣.

الحديث رقم (١٠٠٧)

١٠٠٧ - وعن البَراءِ بنِ عازِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ قَرأَ فِي الْعِشَاءِ بالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، فَمَا سَمِعْتُ أحَدًا أحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يرويه البراء رضي الله عنه بالسماع عن الرسول ﷺ، والسماع من وسائل توكيد الخبر؛ لأنه يرجع إلى المتكلم نفسه لا من غيره، وقوله (قرأ) في صيغة الماضي يدل على زيادة تحقيق للفعل، وقوله (في العشاء) فيه إيجاز بالحذف أي في صلاة العشاء، وقوله (فَمَا سَمِعْتُ أحَداً أحْسَنَ صَوْتاً مِنْهُ) أسلوب نفي لسماع من هو أحسن صوتا من الرسول ﷺ، وكلمة (أحد ا) نكرة في سياق النفي، وتفيد التعميم، وأفعل التفضيل (أحسن) تقرر تقدمه الجميع في هذه الصفة، وهو تفضيل لصوته ﷺ على جميع الأصوات في قراءة القرآن، وهو من جملة محاسنه ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حسن صوت النبي ﷺ وتلاوته.

ثانيًا: من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ في حسن الصوت بالقرآن.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حسن صوت النبي ﷺ وتلاوته:

لقد منح الله سبحانه نبينا محمدًا ﷺ من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره ممن قبله أو بعده، ومن صفات الكمال التي أوتيها ﷺ كَمَالُ الخَلْقَةِ وجمال

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٤٦)، ومسلم (٤٦٤/١٧٧) ولفظهما سواء.

الصورة وعذوبة الصوت[1]. وقد صرح بذلك البراء بن عازب في الحديث فقال: "سمعت النبي ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون، فما رأيت أو سمعت أحدًا أحسن صوتًا منه".

قال ابن عثيمين: (قوله: "فما سمعت قراءة أحسن من قراءته" - أو قال: "صوتًا أحسن بالقرآن من صوته" - وكلاهما صحيح؛ فالنبي ﷺ أحسن الناس صوتًا بالقرآن وهو أول - وأولى - من يدخل في قوله فيما سبق من حديث: ((مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ، مَا أَذِنَ لِنَبِيَ حَسَنِ الصَّوْتِ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ)) [2]، فرسول الله ﷺ أحسن الناس صوتًا بالقرآن، وأحسن الناس أداءً في القراءة؛ لأن القرآن عليه أنزل، والقرآن خُلُقه ﷺ) [3].

ومما لاشك فيه أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يمثلون الكمال الإنساني في أرقى صوره، فهم في غاية الكمال في خَلْقهم وخُلُقهم، فلم يكن بدعًا من الأنبياء أن يكون كل ما عليه نبينا محمد ﷺ من الخلق والتكوين مسترعيًا للأنظار، فكما هو قمة الكمال والجمال في خُلُقه كذلك هو قمة الجمال والكمال في خَلْقِه، ولا شك أن ذلك التناسق والجمال، وحسن الصوت وعذوبته له أثره الكبير في الدعوة والاستجابة لها[4].

ثانيًا - من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ في حسن الصوت بالقرآن:

إن من المُسَلَّم به أن الداعية مطالب بالاقتداء برسول الله ﷺ وذلك امتثالاً لمثل قول الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[5]، إذ أن الداعية إذا تأسى بالرسول ﷺ انطلقت دعوته بإخلاص فانفتحت لها القلوب ووعتها الآذان الصاغية

---

(١) انظر: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضري ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٢) أخرجه البخاري ٧٥٤٤، ومسلم ٧٩٢ واللفظ له.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٤٨.

(٤) خاتم النبيين، الشيخ محمد أبو زهرة، القسم الأول (العهد المكي)، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

(٥) سورة الأحزاب، الآية : ٢١.

وقبلتها النفوس الطيبة[1]، ولا يقتصر التأسي على الصفات الخلقية فحسب، بل يمتد ليشمل كل شيء في الداعية حتى في عذوبة الصوت وتحسينه، إذ أن حسن الصوت وتزيينه سبب للرقة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه[2]، فإن حسن الصوت وتزيينه من الصفات الضرورية في الداعية حتى يتمكن من الاستيلاء على نفوس المدعوين وجلب إصغائهم إليه[3].

فإنه مما لاشك فيه أن النفوس تميل إلى سماع القرآن بالترنم أكثر من مليها لمن لا يترنم لأن للتطريب تأثيرًا في رقة القلب وإجراء الدمع، تحسين الصوت وتقديم أحسن الصوت على غيره، لا نزاع في ذلك ولا خلاف مطلقًا[4].

(وأجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت في القرآن ما لم يخرج عن القراءة بالتمطيط، فإن خرج حتى زاد حرفًا أو أخفاه حرم.

والذي يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب، فإن يكن حسنًا فليحسنه ما استطاع، ومن جملة تحسينه أن يراعى فيه قوانين النغم، فإن الحسن الصوت يزداد حسنًا بذلك، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه، وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء)[5].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد هذا الأسلوب في الحديث ضمنيًا في نقل البراء بن عازب لمدى حسن صوت النبي ﷺ بقراءة القرآن، فقال: سمعت النبي ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون، فما سمعت

---

(١) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد بن محمد هادي مدخلي ص ١٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٣٤.

(٣) انظر: خصائص الخطبة والخطيب، نذير محمد مكتبي ص ١١٢.

(٤) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة، ٥٩١.

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٦٨٩/٨.

أحدًا أحسن صوتًا منه"، فتحسين النبي ﷺ صوته وأمر الله بالتأسي به: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1] ، يرغبان في تحسين الصوت تأسيًا برسول الله ﷺ وإعظامًا للقرآن الكريم، لأن تحسين الصوت بالقرآن يأسر الألباب ويسحر العقول ويؤثر في النفوس.

(وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية استعمالاً وأشدها تأثيرًا في نفوس السامعين لما فيه من تشويق المدعوين إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه)[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية : ٢١.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٠٠٨)

١٠٠٨ - وعن أَبي لُبَابَةَ بشير بن عبد المنذر ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((**مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ فَلَيْسَ مِنَّا**)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ جيدٍ.

معنى (يَتَغَنَّى): يُحَسِّنُ صَوْتَهُ بِالقُرآنِ.

ترجمة الراوي:

أبو لبابة الأنصاري: هو أبو لبابة بن عبدالمنذر الأنصاري اسمه بشير. وقيل غير ذلك.

كان من أوائل الأنصار إسلامًا، فقد كان أحد النقباء ليلة العقبة، وكان من الذين جاهدوا مع رسول الله ﷺ حق الجهاد، فقد شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد والمغازي وكانت معه راية بني عمرو بن عوف يوم فتح مكة. وأما بدر فقيل إنه شهدها وقيل: إن النبي ﷺ أمّره على المدينة وضرب له بسهمه وأجره. واستخلفه النبي ﷺ على المدينة حين خرج إلى غزوة السَّويق.

ولما وقع منه بعض العمل غير المرضي سَارع إلى الله وأناب إليه وتاب توبة نصوحًا وأعلن توبته أمام المسلمين، وكفر ما استطاع التكفير. فسارع إلى ربط نفسه في سارية من المسجد وقال: والله لا أحل نفسي منها ولا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى يتوب الله عليّ أو أموت. فمكث أيامًا حتى أصابه الإعياء الشديد، وكانت ابنته تحلّ وثاقه للصلاة ولحاجة الإنسان. فقيل له: قد تاب الله عليك. فقال: والله لا أحلّ نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني. فجاء رسول الله ﷺ فحلّه بيده ثم قال: يا رسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من جميع مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال: يجزئك يا أبا لبابة الثلث. فلم يُر منه في الإسلام بعد ذلك إلا خيرٌ حتى فارق الدنيا[2].

---

(١) برقم (١٤٧١) ولفظه: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)، والمثبت لفظ أبي يعلى في المسند (٤٧٥٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٤٨) بلفظ أبي داود، وزاد: وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة، يشير إلى الحديث الذي تقدم برقم (١٠٠٥).

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/٢٧٠ - ٢٧١) عن سعيد بن المسيب مرسلًا. وينظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي (٧/٥٠٧).

وقد اختلف في الذنب الذي أذنبه، فقيل هو إخباره بني قريظة -بالإشارة إلى حلقه - أن جزاءهم الذبح[١]. وقيل: تخلفه عن غزوة تبوك[٢].

وقد اختلف في وقت موته فقيل: مات في خلافة عليٍّ وقيل غير ذلك[٣].

غريب الألفاظ:

يتغنَّى بالقرآن: يحسن صوته بالقرآن[٤].

الشرح الأدبي

الحديث لافتة قصيرة تعجل بالحكم، وهي تبدأ بالاسم الموصول (من) الذي يؤذن بخطاب العقلاء تحذيراً من عدم التغني بالقرآن، والذي يعنى الغلظة، والجفوة التي تمنع الخشوع، وتحدث النفرة، ولذلك جاء قوله (فليس منا) ترهيباً، وتنفيراً من ترك التغني به، وصياغة الفعل (يتغنى) في المضارع الدال على التجدد ينادي بكثرة ترديد القرآن في مختلف الأحوال بين القيام، والمشي، والجلوس، ومختلف الأوضاع التي يجوز فيها القراءة بحيث يكون القرآن نشيد المؤمن في كل وقت، وشعار الأمة المسلمة في كل حين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل تحسين الصوت بالقرآن والتغني به.

---

(١) ينظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي (٧/٩٠).

(٢) ينظر السابق (٧/٥٠٦).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣/٤٥٧) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٤٨، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ١٥٤٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٨/٤١٢)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤/٥٧٨). وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٣/٢٠٨٥).

(٤) رياض الصالحين ٣٨٩.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي:

ورد أسلوب النفي في الحديث حيث بين النبي ﷺ أن من لم يتغن بالقرآن يتلذذ بقراءته ويتمتع بما فيه من روائع الحكم والمواعظ ويعطيه حقه من إشباع الحروف والحركات ونحوهما فليس من أهل الهدي المحمدي والطريق الإسلامي[١]، وليس من أهل الإيمان الكامل فقال ﷺ "من لم يتغن بالقرآن فليس منا" وأسلوب النفي من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من إيقاف المدعوين على الحقائق ونتائج الأعمال السلبية والابتعاد عن الأعمال الإيجابية من فوات الثواب والوقوع في المحذور.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد الترهيب في الحديث من عدم الاهتمام بالقرآن الكريم حال قراءته، وقراءته على النحو الذي يليق بعظمة القرآن ومكانته، فقال ﷺ "من لم يتغن بالقرآن فليس منا" وفي ذلك ترهيب أيما ترهيب من الإهمال في تحسين قراءة القرآن وتجويده، والترهيب من الأساليب الدعوية المؤثرة في النفس البشرية وهذه النفس تعيش بين شد ولين وقبض وبسط، والترغيب والترهيب من أقوى المؤثرات في هذا المخلوق العجيب، فالترغيب والترهيب والوعد والوعيد عاملان حاسمان في استقامة البشر وتقويم سلوكهم[٢]، وتظهر أهمية ومكانة الترهيب من أمر الله تعالى الصريح بتطبيقه واستعماله في حقه جل ثناؤه، قال تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠﴾[٣]، وقوله ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾[٤].

وقد بين الحق تبارك وتعالى أن الترهيب سبب مشيئته تعالى للوصول إلى أرقى درجات الإحسان، فمثلاً صاحب القلب الخائف هو الذي يقيم الصلاة على أكمل وجه

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هشام ص ٥٤٣.

(٢) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٠.

(٤) سورة المائدة، آية: ٤٤.

وهو الذي يؤدي الزكاة بنفس طيبة وهو الذي يخشى الله في السر والعلانية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾[1]، ولهذا كان جزاؤه الفوز والفلاح وميراث جنة الفردوس بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾[2][3]، وقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[4].

قال ابن القيم: الخوف ركن ركين من أركان الإحسان، وهي الخوف والرجاء والمحبة[5].

إن أسلوب الترهيب من أبرز الأساليب الدعوية فهو يغوص في النفس الإنسانية ويخاطب فيها العاطفة والوجدان، ويهيج فيها عنصر الخوف، ومتى وجد الخوف في القلوب والنفوس قطع فيها دابر الشهوات واللذات حتى تصير المعاصي والآثام المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروهًا عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سمًا، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة[6]؛ فالترهيب خاتمة الأساليب لكثير من الأمراض والجرائم الاجتماعية حيث يصح أن نطلق عليه "أسلوب آخر الدواء الكي" بمعنى أن من لم يرتدع بالترغيب والإرشاد والجدل واللين[7] ارتدع بالترهيب والتخويف.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل تحسين الصوت بالقرآن الكريم والتغني به:

لقد جعل الله بفضل القرآن هدى للناس عمومًا وللمتقين خصوصًا وأنزله شفاءً

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٨.

(٢) سورة النور، آية: ٥٢.

(٣) انظر: معالم غائبة عن حياة المسلمين، ربيع بن محمد السعودي ص ١٠٣.

(٤) سورة الرحمن، آية: ٤٦.

(٥) انظر: طريق الهجرتين، ابن القيم ص ٢٦٢.

(٦) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٥٦/٤.

(٧) انظر: الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز ص ٧٠ - ٧٤.

للصدور من أمراض الشبهات والشهوات ويحصل به اليقين والعلم في المطالب العاليات وشفاء للأبدان من أمراضها وعللها وأسقامها[١]، ولكي يستفيد المسلم بثمار القرآن الدانية أمر الله بتعاهده بالتلاوة والترتيل، قال تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ تلاوة وترتيلاً يليق بجلال وجمال القرآن وعظمته[٢]، ومن ذلك تحسين القراءة والترتيل والتغني به وكما جاء في الحديث "من لم يتغن بالقرآن فليس منا".

قال ابن عثيمين: (قوله: "من لم يتغن بالقرآن فليس منا" قال العلماء: هذه الكلمة لها معنيان:

الأول: "من لم يتغن" أي: من لم يستغن به عن غيره بحيث يطلب الهدي من سواه ليس منا - فهذا ولا شك - أن من طلب الهدى من غير القرآن أضله والعياذ بالله.

والمعني الثاني: "من لم يتغن" أي: لم يحسن صوته بالقرآن فليس منا؛ فيدل على أنه ينبغي للإنسان أن يحسن صوته بالقرآن وأن يستغني به عن غيره)[٣].

ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم؛ لأن للتطريب تأثيرًا في رقة القلب وإجراء الدمع، وأوقع في النفوس وأدعى للاستماع والإصغاء، وهي كالحلاوة التي تجعل في الدواء لتنفيذه إلى أمكنة الداء وكالأفاوية التي يطيب بها الطعام ليكون الطبع أدعى قبولاً له لكن شرطه أن أن لا يغير اللفظ ولا يخل بالنظم ولا يخفى حرفًا ولا يزيد حرفًا وإلا حرم إجماعًا.

فالواجب على القارئ تحسين صوته بالقرآن، فإن لم يكن حسن الصوت حسّنه ما استطاع[٤].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، الشيخ السعدي ص ٥١٦.

(٢) انظر: العلاقة بين حفظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، د. سعيد بن فالح المغامس، بحث منشور في مجلة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الحادي عشر، محرم ١٤١٥هـ، يونيو ١٩٩٤م ص ١٠٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٢٤٨/٢ - ١٢٤٩، وقد نقل ابن حجر مجموعة من أقوال العلماء في معنى الحديث وشرحه، انظر: فتح الباري، ابن حجر ٦٨٦/٨ - ٦٩٠.

(٤) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٣٨٧/٥، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٤.

وقد اعترض التوربشتي على المعنى الثاني للكلمة بعدما رجح الاستغناء، فقال: (قوله: "من لم يتغن بالقرآن فليس منا"، المعنى: ليس من أهل سنتنا، أو ممن تبعنا في أمرنا وهو وعيد لا خلاف بين الأمة أن قارئ القرآن مثاب في غير تحسين صوته فكيف يجعل مستحقًا للوعيد وهو مأجور؟ قال الطيبي: ويمكن حمله على معنى التغني أي ليس من معشر الأنبياء من لم يحسن صوته بالقرآن، ويستمع الله منه بل يكون من جملة من هو نازل عن مرتبتهم، فيثاب على قراءته كسائر المسلمين لا على تحسين صوته كالأنبياء ومن تبعهم فيه) [١].

وقد وردت النصوص الكثيرة الحاضة على تحسين الصوت بالقرآن منها قوله ﷺ: ((لَم يأذَنِ الله لشيء ما أَذنَ للنبيٍّ أنَّ يتغنى بالقرآن))[٢]، قال ابن كثير: ومعناه أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية وذلك هو الغاية في ذلك، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم [٣] والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتخشع به[٤] ولما استمع النبي ﷺ إلى قراءة أبي موسى الأشعري قال له ((لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ))[٥]، ولا يعني تحسين القراءة إخراج القراءة عن حدها المشروع من تمطيط الكلام وعدم إقامته والمبالغة فيه حتى ينقلب لحنًا، فهذا ليس بمشروع البتة[٦] وإنما المراد بالتغني وتحسين الصوت بالقرآن: تحسين الصوت بالقراءة مع الجهر بها سجية دون صناعة وذلك واجب ديني، فلقد كان رسول الله ﷺ يحسن قراءة القرآن

---

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٣٨٧/٥.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٢٣، ومسلم ٧٩٢.

(٣) فضائل القرآن، ابن كثير، تحقيق أبي إسحاق الحويني، مكتبة ابن تيمية، ط١ ص ٢١٢.

(٤) المرجع السابق ص ١٩٠.

(٥) أخرجه البخاري ٥٠٤٨، ومسلم ٧٩٣.

(٦) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ٢٥، ٢٦.

مع حسن الصوت والخشوع والتدبر وقد نقل إلينا القرآن على الصفة المتلقاة بالمشافهة عن رسول الله ﷺ ووصلت إلينا بالتواتر فدل ذلك على وجوب التجويد وحسن الأداء[١].

قال ابن الأعرابي: (كانت العرب إذا ركبت الإبل أو جلست في أفنيتها تغني فلما نزل القرآن أحب النبي ﷺ أن يكون القرآن مكان التغني)[٢].

---

(١) فن الترتيل وعلومه، الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد عبدالله الطويل، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٢١٤/١، ٢١٥.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٥٨/٩.

الحديث رقم (١٠٠٩)

١٠٠٩ - وعن ابن مسعودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبيُّ ﷺ: ((اقْرَأْ عَلَيَّ القُرآنَ))، فقلتُ: يَا رسولَ الله، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: ((إنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِنْ غَيرِي)) فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى جِئْتُ إِلَى هذِهِ الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قَالَ: ((حَسْبُكَ الآنَ)) فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

حسْبك: اكتف بهذا[2].

تذرفان: يسيل دمعُهما[3].

الشرح الأدبي

قول الراوي قال (لي النبي ﷺ) له خصوصية من وجهين: الأول أنه اختصاص لنفسه ونفي عن غيره؛ لأنه قدم الجار والمجرور على الفاعل فأفاد الاختصاص، وتركيب عبارته يوحي باعتزازه بقول النبي ﷺ له هذا القول، ثانياً: أنه سمع بنفسه، وهو الذي نقل الحديث، وأحد طرفي الحوار مما يزيد الخبر الذي يرويه تأكيداً، ومقول القول هو أمر النبي له في قوله (اقْرَأْ عليَّ القُرآنَ) وتقديم حرف الجر المتصل بياء المتكلم على المفعول به للاختصاص أي عليَّ أنا لا غيري، وهذا الاختصاص لاعتقاد

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٨٠٠/٢٤٧)، والسياق للحميدي في جمعه (٢٢٤/١، رقم ٢٦٢)، وتقدم برقم (٤٤٦).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح س ب).

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (ذ ر ف).

المخاطب أنه يريد أن يقرأ على غيره، ولذلك جاء نداؤه بـ (يا) التي ينادى بها البعيد مع قربه إشارة إلى بعد مكانته، ثم ناداه بلقبه، وأضافه لربه، وكأنه يذكره بمنزلته (رسول الله) ثم تلاه استفهام التعجب (يَا رسول اللهِ، أقرأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟!) وقدم الجار والمجرور على الفعل أي نزل عليك لا على غيرك، وقد جاء رد النبي ﷺ معللاً للأمر، وقد أكد الخبر لينزع من نفسه تلك الحالة من التعجب (إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيرِي) فقرأ ابن مسعود، واستمع الرسول ﷺ حتى قال له (حَسْبُكَ الآنَ)، وقوله (فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فإذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ) والفعل التفت فيه مفاجأة قررتها (إذا) قال ابن القيم: وأما بكاؤه ﷺ فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملا، ويسمع لصدره أزيز، وكان بكاؤه تارة رحمة للميت، وتارة خوفاً على أمته، وشفقة عليها، وتارة من خشية الله، وتارة عند سماع القرآن، وهو بكاء اشتياق، ومحبة، وإجلال مصاحب للخوف، والخشية.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤٤٦).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أساليب التربية: الترغيب والترهيب:

لقد رغب النبي ﷺ في تحسين الصوت بالقرآن، فقال ﷺ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ، مَا أَذِنَ لِنَبِيَ حَسَنِ الصَّوْتِ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ».

قال المنذري: "أذن بكسر الذال، أي ما استمع لشيء من كلام الناس، كما استمع الله إلى من يتغنى بالقرآن، أي يحسن به صوته"[1].

وقال النووي: "وهو إشارة إلى الرضى والقبول"[2]، كما رهّب النبي ﷺ من عدم تحسين الصوت بالقرآن، فقال: "من لم يتغن بالقرآن فليس منّا"[3].

وأسلوب الترغيب والترهيب له أهمية تربوية فعّالة، فإن "الإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه، من خلال الترغيب والترهيب. والقرآن الكريم والسنة النبوية يؤكدان على أهمية هذا الجانب بما تضمنا من ترغيب وترهيب يستجيش قلب الإنسان نحو الخير ويوجهه لذلك، ويخوفه من الانحراف ويحذره من ذلك.

وتأتي أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في العملية التربوية من عدة اعتبارات، من أهمها:

أ - الإنسان مفطور على حب الخير لنفسه وكره الشر والشقاء، وهذا يدفع الإنسان للاستجابة للمؤثرات الترغيبية والترهيبية بشكل قوي، وذلك لأن الترغيب والترهيب أمران يقومان على الخوف والرجاء، وهما مركوزان في النفس البشرية.

---

(١) الترغيب والترهيب ص ٢٣١، بعد الحديث ٢٢٥١ الدولية.

(٢) رياض الصالحين، ٣٨٩.

(٣) ساق المنذري هذين الحديثين وغيرهما في الترغيب والترهيب، تحت باب الترغيب في تعاهد القرآن، وتحسين الصوت به ص ٢٣١، ٢٣٢، الأحاديث: ٢٢٤٩ - ٢٢٥٧.

ب - أن الترغيب والترهيب أسلوب تربوي وقائي، لأنه يقوم على جانب التحذير من المخالفة مما يجعل له أهمية كبيرة في العملية التربوية"[(١)].

ثانيًا: من أنواع التربية: التربية الجمالية:

لقد رغّب الرسول ﷺ في تحسين الصوت بالقرآن، وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها ،ولا شك أن هذا يندرج تحت ما يعرف في التربية بالتربية الجمالية التي تلبِّي حاجة من حاجات الناشئة وتشبع بعض نوازعهم، فقد "خلق الله الإنسان، وجعل بينه وبين الكون وكل ما فيه ترابطًا بالإحساس والإدراك، فالإنسان من هذا الجانب ميّال إلى الجمال: الرائحة العطرة في الكون تجذب إدراكه الحسي، والرائحة الكريهة تنفر الإنسان منها، والأفعال الحسنة التي تصدر عن الإنسان تجذب أحاسيس ومشاعر كل إنسان يرى هذه الأفعال، والمناظرة البديعة في الكون، والتناسق في مكوناته يثير إحساس الإنسان بالجمال، والإسلام يحوي منهجًا تربويًا متكاملاً يتضمن جوانب الجمال، ويربي الإنسان على هذا المنهج الجمالي، والقرآن الكريم والحديث الشريف يوجهان الإنسان، ويربيانه على حبّ الخير وعلى الإحساس والتذوق الجمالي، ثم الإبداع - إن كانت هناك قدرات طبيعية لدى الإنسان المبدع - وهكذا تشبع حاجات الإنسان كلها، فتتوازن القوى التي تبني الشخصية الإسلامية، وهكذا يتوجه الإنسان إلى قوى الإبداع في الكون وإلى الجمال الخلقي والجمال الاجتماعي وكمال الإسلام، وتناسق مبادئه، فتسمو حياته، وتهذب مشاعره، وتتحقق فيه مبادئ فلسفة التربية الإسلامية التي يريدها الإسلام.

والأشياء الجمالية هي كل ما يسر العين ويُسرى في النفس إحساسًا بالراحة والمتعة سواء كان في الشكل أو اللون أو السلوك أو الحقائق أو الأصوات، ولذا كان الهدف الأول للتربية هو تكوين الشخصية المتكاملة بجوانبها المختلفة، فإن الجانب الجمالي يعتبر في نظر المربين لا يقلّ أهمية في تكوين الشخصية عن أي جانب آخر كالعقلي أو الجسمي أو الاجتماعي أو الروحي.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٢٩٢ - ٢٩٥ بتصرف.

والتربية الجمالية ترمي إلى إنماء عاطفة الجمال الكامنة في النفس ويحدث ذلك عن طريقين:

أ - تقديرنا للجمال.

ب - إنتاجنا لهذا الجمال : أي الابتكار.

والتربية الجمالية في الإسلام لها أهداف منها:

أ - تربية الإنسان على التعلق بالخير والنفور من الشر.

ب - تربية أحاسيس الإنسان بالوحدة الفردية، وكمالها بكمال الوحدة الكلية الإنسانية في المجتمع.

ج - تربية الإنسان على الإحساس بجمال صوتيات ومرئيات كل مخلوقات الكون التي تستمد جمالها وكمالها من خالق هذا الكون.

د - تربية الإنسان على الاستمتاع بحياته، والترويح في ضوء مبادئ الإسلام.

هـ - تربية المسلم على جمال مظهره [(١)].

ثالثا: من مهام المربي: تشجيع الموهوبين:

مَنّ الله عز وجل على الصحابي أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بحسن تلاوة القرآن الكريم، وقد سمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتلو القرآن فقال له: «لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ».

وفي رواية: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ».

فكان هذا من النبي صلى الله عليه وسلم ثناءً على أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، ولاشك أن هذا يؤتي بالأثر المحمود والنتيجة الطيبة على المثنى عليه والممدوح. ومن هذا المنطلق، فإن على المربين أن يشجعوا الناشئة وخاصة الموهوبين منهم، فإن "التشجيع الحسي أو المعنوي خير كله، وعنصر ضروري من عناصر التربية، لا غنى عنه، ولكن بدون إفراط. وللتشجيع دور كبير في نفس الطفل، وفي تقدم حركته الإيجابية البناءة. وفي

---

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبد الجواد سيد بكر ص ٢٤٢ - ٢٦٢، وانظر: كذلك مراجعه ومصادره.

كشف طاقاته الحيوية ،وأنواع هواياته، كما أنه يزيد في استمرارية العمل، ودفعه قدمًا نحو الأمام بمردود جيد، فليكن شعار الوالدين والمربين في تشجيع الأطفال: قل يا بني ولا تحقر نفسك. ومن التشجيع الحسن تشجيع الأطفال على الأمور الحسنة، ومن بينها شراء الكتب النافعة ليصبح للطفل مكتبة علمية تنمو مع نموه" [١].

وقال النووي عن آداب المعلم: " وينبغي أن يحرضهم - أي: تلاميذه - على الاشتغال (بالعلم) في كل وقت، ويطالبهم في أوقات بإعادة محفوظاتهم ويسألهم عما ذكره لهم من المهمات، فمن وجده حافظًا مراعيًا له أكرمه وأثنى عليه، وأشاع ذلك، ما لم يخف فساد حاله بإعجاب ونحوه، ومن وجده مقصرًا عنّفه إلا أن يخاف تنفيره، ويعيده له حتى يحفظه حفظًا راسخًا، وينصفهم في البحث، فيعترف بفائدة يقولها بعضهم، وإن كان صغيرًا، ولا يحسد أحدًا لكثرة تحصيله، فالحسد حرام للأجانب وهنا أشد، فإنه بمنزلة الوالد، وفضيلته يعود إلى معلمه منها نصيب وافر، فإنه مربيه، وله في تعليمه وتخريجه في الآخرة الثواب الجزيل، وفي الدنيا الدعاء المستمر والثناء الجميل" [٢].

رابعًا: من آداب المربي: التزام ما يربى عليه الناشئة: "التربية بواسطة العمل":

لقد رغب النبي ﷺ في تحسين الصوت بالقرآن فقال: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ، مَا أَذِنَ لِنَبِيٍ حَسَنِ الصَّوْتِ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ». هذا ترغيب بالقول، وقد رغّب ﷺ في ذلك أيضًا بالفعل فقد قال البراء بن عازب رضي الله عنهما: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ فِي الْعِشَاءِ بِـ"التِّينِ وَالزَّيْتُونِ". فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ». وهذا يوضح خصيصة التربية الإسلامية، وهي أنها "تربية عملية تتحول بها الكلمة إلى عمل بناء أو إلى خلق فاضل أو إلى تعديل في السلوك على النحو الذي يحقق وجود ذلك الإنسان كما يصوره الإسلام، والرسول المربي يبين لنا منهاجًا تربويًا أساسيًا وهو أن يتمثل المعلم دائمًا ما يقول ويعلّم وإلا فلا أثر لذلك، إن الذي يقف في حجرة الدراسة عشرات الساعات يشرح أهمية الشورى وضرورة الحوار دون أن يمارس ذلك بالفعل مع طلابه ومع زملائه، قليلاً ما ينتج

---

(١) المنهج النبوي في تربية الطفل ص ١١٣، ١١٤ ومرجعه.

(٢) مقدمة المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، ٧٨/١.

ونادرًا ما يفيد، وقد كان الرسول المربي يثبت بالبراهين العملية والتجارب الفعلية أن ما يدعو إليه هو أمر ممكن التنفيذ، آية ذلك أنه مشخص في سلوكه ... فالتعلم بالعمل والممارسة مبدأ تربوي هام في التربية الإسلامية"[(١)].

"لقد حكي عن بعض السلف أن العلم ينقص أو ينسى بترك العمل به أو الدعوة إليه أو نشره، ويزداد متانة بالعمل به والدعوة إليه وتعليم الناس، وهذه حقيقة من حقائق التربية وعلم النفس التي أثبتتها تجربة هذه العلوم، وقد سبق إليها الإسلام بقرون عديدة.

فمن البديهي أن التعليم بالأسلوب العملي أو بقصد التطبيق أوقع في النفس وأدعى إلى إثبات العلم واستقراره في القلب والذاكرة.

إن التعليم بقصد التطبيق شرط من شروط صحة العلم وقبوله عند الله، وهذا القصد يجعل تصور الطالب للأمور التي يتعلمها أوسع تفصيلاً وأعمق أثرًا في نفسه، وأقرب إلى الفائدة في الحياة"[(٢)].

خامسًا: مشاركة المتعلم في العملية التعليمية:

لقد طلب النبي ﷺ من ابن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه القرآن، فقال ابن مسعود مستفهمًا: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ فأجابه النبي ﷺ قائلاً: إني أحب أن أسمعه من غيري...."، ففي هذا الحديث يمكن أن يستدل به على إشراك المتعلم فيما يتعلم، ولا يكون دوره هو التلقي والاستماع فقط، فإن التربية الحديثة "تنادي بضرورة اشتراك الطلبة في الدرس وعدم احتكار المعلم الدرس، واستئثاره لنفسه دون الطلبة، فالتربية الحديثة تنادي بفعالية الطالب ومشاركته في الدرس ليكون عضوًا فعالاً يشارك ويشرح ويستفهم ويستنبط. وبذلك تكون المعلومات جزءًا من خبرته، فيسهل فهمه من جهة، وتطول مدة بقائها في ذهنه من جهة أخرى... إن القاعدة التربوية تقول: إن كل ما يمكن استنتاجه من التلاميذ يحرم إلقاؤه عليهم، لذا فإنه يجب على المعلم إشغال

---

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، ٢٣٦،٢٣٧ ومراجعه.

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢١٢ بتصرف.

الطلبة في أمر حيوي طوال الدرس وعدم إهمال أي أحد منهم، فطبيعة الطفل ميله للحركة والفعالية، والطفل إن لم تَشْغَله شَغَلَك، وفيما يلي بعض المقترحات التي تعين المعلم على مراعاة اشتراك الطلبة في الدرس بالشكل الذي يتلاءم مع متطلبات الموقف التعليمي:

١ - يجب على المعلم ألا يتكفل بسرد الدرس وإلقائه لوحده، وإنما يقوم بإشراك الطلبة في استنتاج معلومات الدرس والتوصل إليها بأنفسهم حتى لا يكونوا مستمعين فقط.

٢ - يجب على المعلم إشراك الطلبة في الإجابة على الأسئلة التي يطرحها أثناء الشرح ويجعلهم يتوصلون إلى القاعدة بأنفسهم.

٣ - يجب على المعلم إثارة روح التنافس الجمعي الشريف بين الطلبة بأن يقسّم الصف إلى مجموعات، ويدفع هذه المجموعات للتنافس فيما بينها..."[(١)].



---

(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان المكي الهاشمي ص ٢٥١ - ٢٥٥، ومصادره ومراجعه.

١٨٣- باب الحث على سور وآيات مخصوصة

الحديث رقم (١٠١٠)

١٠١٠- عن أَبي سَعِيدٍ رَافِعِ بن الْمُعَلَّى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لي رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ في القُرآن قَبْلَ أنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ؟)) فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إنَّكَ قُلْتَ: لأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ في القُرآنِ؟ قَالَ: ((الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ)) رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

رافع بن المُعلَّى: هو أبو سعيد بن المعلَّى الأنصاري، من عداد أهل الحجاز. يقال له: الحارث بن أوس بن المعلى، ويقال: رافع بن أوس بن المعلى. له صُحبة ورواية عن النبي صلى الله عليه وسلم. ولا يعرف في الصحابة إلا بحديثين، أحدهما: عن أفضل سورة في القرآن، والثاني عن تغيير القبلة.

وقد روى عنه حفص بن عاصم، وعبيد بن حنين.

وتوفي سنة ٧٣هـ وهو ابن ٦٤ سنة، وقيل تُوفي سنة ٧٤هـ[٢].

غريب الألفاظ:

المثاني اختلف في تسمية الفاتحة المثاني فقيل: لأنها تثني في كل ركعة أي تعاد، وقيل: لأنها يثنى بها على الله تعالى، وقيل: لأنها استثنيت لهذه الأمة لم تنزل على من قبلها[٣].

---

(١) برقم (٥٠٠٦). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٤٩).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي (١٤٨٤)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٨١٥)، الطبقات الكبرى، ابن سعد (٦٠٠/٣)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٣٩/٦-١٤٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢١٨/٨-٢١٩)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٢٧/٤).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٨/٨.

الشرح الأدبي

الحديث في فضل سورة الفاتحة بدأ بأسلوب إنشائي وهو الاستفهام في قوله (أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ في القُرْآن قَبْلَ أنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ؟) وهو استفهام عرض، وتشويق دلت على العرض الأداة (ألا) بينما أخذ التشويق من أفعل التفضيل (أعظم) المضافة للسورة، والجار والمجرور في قوله (في القرآن) وقد زاده تشويقا، وترقباً بالظرف (قبل) المتعلق بالخروج من المسجد، فأدرك أنه ينظر خيراً عظيماً قريباً، وقوله (فأخذ بيدي)، وإن كان هذا الفعل يبدو عفوياً، ولكنه يعد كناية عن المودة، والتقريب مع ما فيه من التنبيه إلى المعنى، وتثبيته في عقله لارتباطه باللمسة الحنونة من رسول الله ﷺ، وقوله للرسول ﷺ (إنَّكَ قُلْتَ: لأُعَلِّمَنَّكَ أعْظَمَ سُورَةٍ في القُرْآنِ؟) استفهام تقرير، وتذكير يعكس ترقبه، وشوقه إلى معرفة هذه السورة وقول الرسول ﷺ (الحمد لله رب العالمين) فيه إيجاز بالحذف أي هي التي تبدأ بالحمد لله رب العالمين، يعني فاتحة الكتاب، والتعريف بالضمير (هي) للمدح، والتعظيم، والحديث يبين فضل سورة الفاتحة، ويرغب في كثرة تلاوتها، وتدبر معانيها.

فقه الحديث

قال القاضي عياض[1]: فيه حجة للقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض، وتفضيله على سائر كتب الله تعالى، قال: وفيه خلاف للعلماء، فمنع منه أبو الحسن الأشعري وأبو بكر الباقلاني وجماعة من الفقهاء والعلماء، لأن تفضيل بعضه يقتضي نقص المفضول، وليس في كلام الله نقص به، وتأول هؤلاء ما ورد من إطلاق أعظم وأفضل في بعض الآيات والسور، بمعنى عظيم وفاضل. وأجاز ذلك إسحاق بن راهويه وغيره من العلماء والمتكلمين قالوا: وهو راجع إلى عظم أجر قارئ ذلك وجزيل ثوابه. والمختار جواز قول هذه الآية أو السورة أعظم أو أفضل، بمعنى أن الثواب المتعلق بها أكثر وهو معنى الحديث، والله أعلم)[2].

---

(١) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/١٧٧-١٧٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٦/٨١ .

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل وعظم سورة الفاتحة.

رابعًا: من مهام الداعية: البيان والإرشاد.

أولاً - من أساليب الدعوة: الاستفهام:

ورد أسلوب الاستفهام في الحديث في قوله ﷺ "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن"، وهذا استفهام من النبي ﷺ لأبي سعيد رافع بن المعلى شحذًا لذهنه وجلبًا لتطلعه إلى الجواب، ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الاستفهام بكثرة في تربية المخاطبين وتوجيههم وإعدادهم إعدادًا تربويًا صحيحًا، وهذا الأسلوب يدفع بالمدعوين إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركونه من حقائق[1]، واستخدام أسلوب الاستفهام يحمل المدعوين إلى توجيه كل اهتماماتهم لما يلقى إليهم، ليتمكنوا من فهمه ثم الإجابة عليه[2]، والأمثلة على استخدام النبي ﷺ أسلوب الاستفهام تبلغ حدًا من الكثرة، منها ما استخدمه النبي ﷺ كوسيلة من وسائل الإيضاح للعقيدة الإسلامية بعرضها عرضًا بسيطًا وسهلاً خاليًا من التعقيد والتكلف، فروى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنْت رَديفُ النبيِّ ﷺ ليس بيني وبينَه إلا آخِرَة الرَّحْل فقال: يا معاذ، قلت: لبَّيكَ رسولَ اللّه وسَعدَيك. ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذُ، قلت: لبَّيكَ رسولَ اللّه وسعدَيك. ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذ، قلت لبَّيك رسولَ اللّه وسعدَيك. قال: هل تَدري ما حقُّ اللّهِ على عبادِهِ؟ قلت: اللّهُ ورسوله أعلم. قال: حق اللّه على عباده أَن يَعبُدوهُ ولا يُشركوا به شيئًا. ثم سار ساعةً ثم قال: يا مُعاذَ بن جَبَل. قلت: لبَّيك رسولَ اللّه وسَعدَيك. فقال: هل تَدري ما حقُّ العبادِ على اللّه إذا فعلوه؟ قلتُ: اللّهُ

---

(١) انظر: فلسفة التربية في الحديث النبوي، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٢٣.

(٢) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية، د. عبدالغني محمد سعيد بركة، ١٧٢.

ورسولهُ أعلم. قال: حقُّ العبادِ على اللّه أن لا يُعذِّبهم»[١].

لذا يعد أسلوب الاستفهام من أبلغ الأساليب الدعوية تأثيرًا لما فيه من تأثير في شد انتباه المدعوين ولفت أنظارهم.

ثانيًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

وردت الإشارة إلى هذه الوسيلة في الحديث في تعليم النبي ﷺ لأبي سعيد رافع بن المعلي، أعظم سور في القرآن، قائلاً له "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد" والتعليم من أهم الوسائل الدعوية، ولأهمية التعليم وطلب العلم والاستزادة منه نجد أن الرسول ﷺ أوجد في مجتمع العرب الأميين نهضة فكرية وتعليمية شاملة، ونفخ في الأمة روحًا في الإقبال على العلم والتعليم[٢]، الذي يسعى إلى إنارة العقل بالحق، وتوضيح الخطوط الشرعية والاعتقادية لصحة سير الشخصية الإسلامية إذ لا عمل بدون علم، فبدون العلم تبقى الشخصية معرضة للانحراف أو الخطأ والزلل الفكري والنظري والعملي[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل وعظم سورة الفاتحة:

جاء في صريح الحديث أن الفاتحة هى أعظم سورة في القرآن، حيث قال رسول الله ﷺ لأبي سعيد رافع بن المُعَلَّى: "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن" وفي نهاية الحديث قال ﷺ: "الحمد لله رب العالمين هى السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته" واختلف في تسمية الفاتحة بالمثاني، فقيل لأنها تثنى في كل ركعة أى تعاد، وقيل لأنها يثنى بها على الله تعالى، وقيل لأنها استثنيت لهذه الأمة لم تنزل على من قبلها[٤]، وإنما كانت سورة الفاتحة أعظم سورة؛ لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن، ولذا سميت بأم القرآن[٥]، قال

---

(١) أخرجه البخاري، ٧٣٧٣.

(٢) ركائز دعوية من هدى النبي ﷺ في العلاقات الاجتماعية، د. عبدالمجيد البيانوني ص ١٤٧.

(٣) الأهداف الرئيسة للدعاة إلى الله، إصدار لجنة البحوث في مكتبة الدعوة، بإشراف: أحمد بن عبدالعزيز القطان اسم بن محمد بن مهلهل ص ١٠٥-١٠٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٨/٨.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٦.

أبو عبدالله القرطبي: وفي الفاتحة من الصفات ما ليس لغيرها، حتى قيل. إن جميع القرآن فيها، وهى خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم القرآن، ومن شرفها أن الله سبحانه قسمها بينه وبين عبده،ولا تصح القربة إلا بها، ولا يلحق عمل بثوابها، وبهذا المعنى صارت أم القرآن العظيم[١].

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أَنْزَلَ الله في التَّوْرَاةِ وَالإنْجِيلِ، مِثْلَ أُمِّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ المَثَاني، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي ما سَأَلَ»[٢]. قال أبو عبدالله القرطبي: (قال البُستيُّ: ومعنى هذه اللفظة: "ما في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن" أن الله تعالى لا يعطي لقارئ التوراة والإنجيل مثل ما يعطي لقارئ أم القرآن، إذ الله بفضله فضّل هذه الأمة على غيرها من الأمم وأعطاها من الفضل على قراءة القرآن كلامه أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه وهو فضل منه لهذه الأمة)[٣].

والفاتحة إنما سميت أم القرآن لأنها جمعت واحتوت مجمل ما جاء في القرآن، قال الطاهر بن عاشور: (فالفاتحة تضمنت مناجاة للخالق جامعة التنزه عن التعطيل والإلحاد والدهرية بما تضمنه قوله "مالك يوم الدين" وعن الإشراك بما تضمنه "إياك نعبد وإياك نستعين" وعن المكابرة والعناد بما تضمنه "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم" فإن طلب الهداية اعترف بالاحتياج إلى العلم ووصف الصراط بالمستقيم اعتراف بأن من العلم ما هو حق، ومنه ما هو مشوب بشُبَه وغلط، ومن اعترف بهذين الأمرين فقد أعد نفسه لاتباع أحسنهما والبعد عن الضلالات التي تعترى العلوم الصحيحة والشرائع الحقة فتذهب بفائدتها وتنزل صاحبها إلى دركة أقل مما وقف عنده الجاهل البسيط، وذلك بما تضمنه قوله: "غير المغضوب عليهم ولا الضالين"، ولأجل هذا سميت هذه السورة أم القرآن)[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١/١/ ١١٠.

(٢) أخرجه الترمذي، ٣٣٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٤٩٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١/١/١٠٩.

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١/١/ ١٥٣، ١٥٤.

وقال ابن عثيمين: (سورة الفاتحة أعظم سورة في كتاب الله، ولهذا تسمى أم القرآن، والأم: هو الذي يرجع إليه الشيء، فسورة الفاتحة ترجع إليها معاني القرآن كلها، ولذلك أوجب الله قراءتها في كل ركعة من الصلوات، فقال النبي ﷺ: "لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن"، وفي رواية: "بفاتحة الكتاب" [١]، وهذه السورة لها خصائص منها: أن الإنسان إذا قرأها على مريض فإنه يشفى بإذن الله، لكن بشرط أن يقرأها بإيمان - يعني وهو مؤمن أنها رقية نافعة.

والشرط الثاني: أن يقرأها على مريض مؤمن أيضًا مصدق بأنها رقية ونافعة، ويدل على هذا أن النبي ﷺ بعث سرية، فنزلوا على قوم فاستضافوهم ولكن القوم لم يضيفوهم، فسلط الله على سيدهم - أي: سيد القوم - أن لدغته عقرب، وتأذى منها أذى شديدًا، فقال بعضهم: اذهبوا إلى هذا الرهط لعل فيهم قارئًا يقرأ، فجاءوا إلى السرية، وقالوا: إن سيدهم لدغته عقرب فهل منكم أحد يقرأ؟ قالوا: نعم، ولكن ما نقرأ عليكم إلا إذا أعطيتمونا مكافأة غنمًا، فقالوا: نعطيكم، فتقدم أحد القوم من الصحابة، فجعل يقرأ عليه سورة الفاتحة -وهو أشد ما يكون من الألم - فقرأ عليه، فقام الرجل المريض كأنما نشط من عُقال، يعني: كأنه بعير فُكَّ عقاله، ليس فيه داء، فأعطوهم الغنم، ثم قال بعضهم لبعض: نخشى أن تكون الغنم حرامًا، لا نأكل منها حتى نصل إلى النبي ﷺ، فلما وصلوا المدينة وأخبروا النبي ﷺ قال لهم: "خذوها واضربوا لي معكم بسهم" [٢]، يعني اجعلوا لي سهمًا منها، وإنما قال ذلك تطييبًا لقلوبهم، وإلا فهو ﷺ في غنًى عن هذا، لكن تطييبًا وبيانًا لحلّ هذا الشيء، ثم قال للذي قرأها: وما يدريك أنها رقية؟ فإذا قرأ الإنسان على مريض وهو مؤمن أنها رقية والمريض مؤمن كذلك بأنها نافعة بإذن الله؛ فإن الله تعالى ينفع بها نفعًا عجيبًا، هذا من فضائل سورة الفاتحة، وهي أعظم سورة في كتاب الله كما في الحديث) [٣].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٥٦، ومسلم ٣٩٤ واللفظ له.

(٢) انظر: ما أخرجه البخاري ٢٢٧٦، ٥٠٠٧، ومسلم ٢٢٠١.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٥٠ - ١٢٥١.

رابعًا - من مهام الداعية: البيان والإرشاد:

إن المهمة الرئيسة للأنبياء وأتباعهم من الدعاة أن يوضحوا الحق للناس ويبينوه(١)، قال تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾(٢)، أي لتظهرن جميع ما فيه من الأحكام والأخبار حتى يعرفه الناس على وجهه الصحيح، وهذه الآية وإن حكت ما فعله أهل الكتاب فقد تضمنت في نفس الوقت أن يحذوا حذوهم ويسلكوا سننهم.

فيا أيها المسلمون إياكم وهذا العمل الشنيع الذي يقوم به أهل الكتاب، ولا تحزنوا ولا تضعفوا واصبروا واتقوا الله وبينوا الكتاب ولا تشتروا به ثمنًا قليلاً وعرضًا زائلاً ولا تفرحوا بما تفعلون(٣).

وهذه الآية بينت ما يجب على الدعاة من الدعوة إلى الله وما ينوط بهم من التبيين والتوضيح والإرشاد، إذ أن مدار وظيفة الدعاة على البيان والتبيين والإفهام والتفهيم(٤)، وفي الحديث يعطينا النبي ﷺ المثل الحى والأنموذج التطبيقي لما ينبغي أن يكون عليه الدعاة، وذلك في تبيينه ﷺ لأعظم سورة في القرآن، وذلك دلالة للمدعوين على مواطن الخير وفضائل الأعمال، فقال ﷺ لأبي سعيد رافع بن المُعَلَّى: "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد"، وإنما قال له ذلك ولم يعلمه بها ابتداء ليكون أدعى إلى تفريغ ذهنه لتلقيها وإقباله عليها بكليته(٥)، وأجابه بقوله "الحمد لله رب العالمين هى السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته".

---

(١) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية : ١٨٧.

(٣) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ١/٤/٥٩.

(٤) انظر هداية المرشدين، الشيخ على محفوظ ص ٢٠٧.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٥.

الحديث رقم (١٠١١)

١٠١١- وعن أَبي سعيد الخدري ﵁: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ في: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ)) [١].

وفي روايةٍ: أن رسول الله ﷺ، قَالَ لأَصْحَابِهِ: ((أَيَعْجِزُ أحَدُكُمْ أنْ يَقْرَأَ بِثُلُثِ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ)) فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رسولَ الله؟ فَقَالَ: ((﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: ثُلُثُ الْقُرْآنِ)) رواه البخاري [٢].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

تعدل: تماثل وتُناظر [٣].

شقَّ عليهم: ثقُل عليهم [٤].

الشرح الأدبي

الحديث في فضل سورة الإخلاص وهي سورة يبدو فضلها من اسمها، ومسماها حيث اشتملت على أعظم المعاني، وهو توحيد الله تعالى، ولذلك جاء حديث الرسول ﷺ في بيان فضلها يتصدره القسم وهو من وسائل التشويق والتنبيه على عظم ما يتلوه، وطبيعة القسم بقوله، (والذي نفسي بيده) توحي بالرهبة التي تقرر أن الكذب على هذه الحال من أبعد المستحيلات ثم إنه أكد الخبر بإن بعد القسم والضمير العائد عليها، ثم للام الداخلة على جملة الخبر لينفي عن الخبر وهم المبالغة في عدل هذه السورة القصيرة

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٣).

(٢) برقم (٥٠١٥).

(٣) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي في (ع د ل).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ق ق).

لثلث القرآن؛ لأن أجر ثلث القرآن عظيم، والقول بأن سورة قصيرة تعدله يحتاج إلى تمهيد النفس لاستقباله حتى يدخل عليها دخول الخبر المأنوس، وهو نوع من تمهيد النفوس لاستقبال الأخبار العظيمة، فأي عاقل يسمع هذا الحديث ثم لا يحرص على تحصيل أجر قراءة القرآن بقراءتها ثلاث مرات، وأي وقت سيضيع فيها؟؛ ولذلك جاء في الرواية الثانية أسلوب الاستفهام التشويقي حول هذا المعنى حيث إن النبي ﷺ (قَالَ لأَصْحَابِهِ: ((أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ بِثُلُثِ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟) وهذا أمر خارج على الطوق فجاء استفهامهم (أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رسولَ اللهِ؟) استبعادا لأن يستطيع إنسان قراءة ثلث القرآن في ليلة فجاءهم رده يحمل العبأ عنهم، ويحقق الأجر لهم بفضل هذه السورة العظيمة (فَقَالَ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ﴾: ثُلُثُ القُرْآنِ).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القسم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل سورة الإخلاص.

ثالثًا: من أصول الدعوة: توحيد الله وتنزيهه سبحانه وتعالى.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

خامسًا: من مهام الداعية: شحذ همم المدعوين وحثهم على فضائل الأعمال.

أولاً - من أساليب الدعوة: القسم:

من أساليب توكيد الأمر وتحقيقه "القسم"[1]، وقد ورد أسلوب القسم في الحديثين الأول والثاني في قوله ﷺ في (قل هو الله أحد)، "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن"، وأسلوب القسم من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من تأكيد الأخبار وجمع لانتباه ما، ويعتبر أسلوب القسم وسيلة هامة من وسائل وأساليب إبلاغ الدعوة بسبب خصائصه ومميزاته[2].

---

(١) التبيان في اقسام القرآن، ابن القيم ص ١٥.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، د. احمد احمد غلوش ص ٣٢٧ ص ٣٣٥.

إذ أنه من أقوى أساليب التوكيد المتعارف عليها في جميع العصور، ويأتي القسم إما لحمل المخاطب على الثقة بكلام الحالف، وأنه لا يكذب فيه إن كان خبرًا ولا يخلفه إن كان وعدًا أو وعيدًا أو نحوهما، وإما لتقوية عزم الحالف نفسه على فعل شيء يخشى إحجامها عنه أو ترك شيء يخشى إقدامها عليه وإما لتقوية الطلب من المخاطب أو غيره وحثه على فعل شيء أو منعه.

فالغاية العامة لليمين قصد توكيد الخبر ثبوتًا أو نفيًا[١]، وقد ورد أسلوب القسم كثيرًا في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢]، وقد جمع كثير من العلماء أقسام القرآن وأفردوها بالشرح والتأويل، ومن أبرز الكتب في ذلك كتاب "التبيان في أقسام القرآن"، للإمام ابن القيم.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل سورة الإخلاص:

جاء في الأحاديث الثلاثة بيان رسول الله ﷺ لفضل سورة الإخلاص مبينًا أنها تعدل ثلث القرآن قائلاً في حديثي أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن"، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قوله ﷺ: "إنها تعدل ثلث القرآن" وإنما عدلت ثلث القرآن باعتبار معاني القرآن، لأنه أحكام وأخبار وتوحيد، وقد اشتملت هى على القسم الثالث فكانت ثلثًا بهذا الاعتبار، وقال القرطبي: اشتملت هذه السورة على اسمين من أسماء الله تعالى يتضمنان جميع أصناف الكمال، لم يوجدا في غيرها من السور وهما الأحد والصمد، لأنهما يدلان على أحدية الذات المقدسة الموصوفة بجميع أوصاف الكمال، وبيان ذلك أن الأحد يشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره، والصمد يشعر بجميع أوصاف الكمال؛ لأنه الذي انتهى إليه سؤدده فكان مرجع الطلب منه وإليه، ولا يتم ذلك على وجه التحقيق إلا لمن حاز خصال الكمال، وذلك لا يصح إلا لله تعالى، فلما اشتملت هذه السورة على معرفة الذات المقدسة كانت

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢٤٥/٧.

(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٩٢، ٩٣.

بالنسبة إلى تمام المعرفة بصفات الذات وصفات العقل ثلثًا[١]، وسميت بسورة الإخلاص لأن فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله تعالى أى سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله غيره في الإلهية، وسميت بسورة التوحيد لأنها تشتمل على إثبات أنه تعالى واحد، وفي الإتقان أنها تسمى سور الأساس لاشتمالها على توحيد الله، وهو أساس الإسلام[٢].

فسورة الإخلاص متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة، وما يجب إثباته للرب تعالى من الأحدية المنافية لمطلق الشركة بوجه من الوجوه. والصمديَّة المثبتة له جميعَ صفات الكمال التي لا يلحقه نقصٌ بوجه من الوجوه، ونفي الولد والوالد الذي هو من لوزام الصمدية، وغناه وأَحَديَّته ونفي الكفء المتضمِّن لنفي التشبيه والتمثيل والتنظير، فتضمنت هذه السورةُ إثباتَ كل كمال له، ونفي كل نقص عنه، ونفيَ إثبات شبيه أو مثيل له في كماله، ونفي مطلق الشريك عنه، وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي الذي يُباين صاحبُه جميعَ فرق الضلال والشرك، ولذلك كانت تَعْدِل ثلثَ القرآن، فإن القرآن مدارُه على الخبر والإنشاء، والإنشاء ثلاثة: أمر، ونهي، وإباحة. والخبر نوعان: خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه، وخبر عن خلقه. فأخلصت سورة الإخلاص الخبرَ عنه، وعن أسمائه، وصفاته، فعدلت ثلثَ القرآن. وخلصت قارئها المؤمن من الشرك العلمي. كما خلصت سورة "قل يا أيها الكافرون" من الشرك العملي الإرادي "القصدي". ولما كان العلم قبل العمل وهو إمامه وقائده وسائقه والحاكم عليه ومنزله منازله، كانت سورة "قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن[٣].

وقد نصّ كثير من العلماء على أن ثواب قراءة سورة الإخلاص يعدل ثواب قراءة ثلث القرآن، قال النووي: (وقيل: معناه - أي قوله أنها تعدل ثلث القرآن - إن ثواب قراءتها يضاعف بقدر ثلث القرآن بغير تضعيف)[٤].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر ،٦٧٨/٨.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور ٣٠/١٢ /٦١١-٦١٢.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٣٥/١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٤٠.

وقال د. محمد محمود حجازي: (ولا حرج على فضل الله الذي يهب لمن يقرؤها بتدبر وتفهم مثل ما يهبه لقارئ ثلث القرآن) [١]، وكل ذلك يدل على فضل سورة الإخلاص، فينبغي على المسلم أن يحرص على قراءتها، لنيل الثواب، ورضى رب العباد.

ثالثًا - من أصول الدعوة: توحيد الله وتنزيهه سبحانه وتعالى:

إن الأصل في الإسلام هو توحيد الله تبارك وتعالى وتنزيهه سبحانه وتعالى وتلك هي ركائز الإيمان، فالإيمان بالله يتضمن توحيده في ثلاثة (في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته[٢]، ومعنى توحيده في هذه الأمور اعتقاد تفرده سبحانه بالربوبية والألوهية وصفات الكمال وأسماء الجلال، فلا يكون العبد مؤمنًا بالله حتى يعتقد أن الله رب كل شيء ولا رب غيره، وإله كل شيء ولا إله غيره وأنه الكامل في صفاته وأسمائه، ولا كامل غيره فهو سبحانه[٣] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٤]، وهذه المعاني جمعتها سورة الإخلاص التي طوت في كلماتها التوحيد الخالص لله تعالى، فعدلت ثلث القرآن كما جاء في الأحاديث الثلاثة: "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن"، وأنها تعدل ثلث القرآن.

قال المناوي: (و"قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن لأن معاني القرآن آيلة إلى ثلاثة علوم: علم التوحيد، وعلم الشرائع، وعلم تهذيب الأخلاق وتزكية النفس، والإخلاص تشمل على القسم الأشرف منها الذي هو كالأصل للأخيرين، وهو علم التوحيد وإثبات إلهية المعبود وتقديسه، ونفي ما سواه وقد صرحت الإخلاص بالإثبات والتقديس ولوحت إلى نفس عبادة غيره)[٥].

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٣/٣٠/٩٠.

(٢) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٣٩.

(٣) الإيمان وأركانه، حقيقته، نواقضه، د. محمد نعيم ياسين ص ٦.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ١/٣٦٧.

فالمقصد الأعظم من سورة الإخلاص تصحيح العقيدة والدعوة إلى التوحيد وتلك هي القضية الكبرى التي من أجلها نزل القرآن لتصحيحها ووضعها في نصابها الصحيح فالقرآن العظيم من أوله إلى آخره دعوة إلى التوحيد وإنكار للشرك وبيان لحسن عاقبة الموحدين في الدنيا والآخرة وسوء عاقبة المشركين في الدارين.

والدعوة إلى التوحيد هى المبدأ الأول المشترك بين رسالات النبيين جميعًا فكل نبي نادى قومه أن ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[٢]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[٣]، واعتبر القرآن الشرك بالله أعظم جريمة يقترفها مخلوق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٤].

وإن حقيقة الشرك انحطاط بالإنسان من مرتبة السيادة على الكون -كما أراد الله له- إلى مرتبة العبودية والخضوع للمخلوقات سواء كانت جمادًا أو نباتًا أو حيوانًا أو إنسانًا إلى غير ذلك[٥]، قال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٦].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٥) انظر: عظمة القرآن الكريم، محمد بن أحمد الدوسري ص ٢٣٥.

(٦) سورة الحج، الآيتان: ٣٠، ٣١.

رابعًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديثين، الأول في قوله ﷺ لأصحابه: "أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة، فشق ذلك عليهم، وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟، فقال: "قل هو الله أحد ، الله الصمد ثلث القرآن"، والثاني في سؤال الرجل سمع رجلاً يقرأ: "قل هو الله أحد" ويردد النبي ﷺ عن ذلك، فأجابه ﷺ بقوله: "والذي نفسي بيده أنها لتعدل ثلث القرآن، وأسلوب السؤال والجواب له قيمة تأثيرية عظيمة لدى المدعوين، يجعلهم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة الإجابة على الأسئلة المطروحة، لذا ينبغي على الداعية وعلى من يتصدى للنصح والإرشاد أن يستثمر هذا الأسلوب المؤثر النافع للقيام ببعض واجبات وظيفته التي يضطلع بأعبائها وعليه أن يكون حكيمًا، كثير العلم بما يتصدر للإجابة عليه، حاضر الذهن يقظًا، حسن التصرف، واسع الصدر حليمًا، وعليه أن يكون قادرًا على البيان المفهم بأسلوب حسن[1].

خامسًا - من مهام الداعية: شحذ همم المدعوين وحثهم على فضائل الأعمال:

إن في بيان النبي ﷺ في الأحاديث الثلاثة لفضل "قل هو الله أحد" وأنها تعدل ثلث القرآن بيان لما ينبغي أن يكون على الداعي من آداب وصفات يجعلها نصب عينيه، والتي منها شحذ همم المدعوين وحثهم على فضائل الأعمال، فينبغي على الداعية أن يهتم بتحبيب فضائل الأعمال إلى المدعوين بترغيبهم في قيام الليل وتلاوة القرآن وطلب العلم النافع وغير ذلك، فالنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، فاللسان إذا لم يتحرك بذكر الله تعالى تحرك بالغيبة والنميمة والبذاءة واللغو وغير ذلك وإذا لم تشغل الجوارح والأوقات بالطاعات شغلت بالمعاصي والعثرات، فلاشك في أن شجرة الإيمان في قلب العبد تروي بالصيام والقيام وتلاوة القرآن، وتتفرع فروعها في أرجاء قلبه، وتثمر الثمرات اليانعة الطيبة فيجد العبد حلاوة الإيمان ومحبة الرحمن[2].

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٢/٥٨-٦١.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ١٥٦ ، ١٥٧.

الحديث رقم (١٠١٢)

١٠١٢- وعنه: أنَّ رَجُلاً سَمِعَ رَجُلاً يَقْرأُ: ((قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)) يُرَدِّدُهَا فَلَمَّا أصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

يتَقَالُّها: أي يعتقد أنها قليلة والمراد: استقلال العمل لا التنقيص[2].

لتعدل: تماثل وتُناظر[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه غير أنه يتخذ القصة أسلوباً لعرض المعنى الذي يقرر في نهايته عظمة السورة الكريمة التي تساوي ثلث القرآن، وقول الراوي (أن رجلا سمع رجلا يقرأ: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)) يشير إلى بداية القصة مع رجلين أحدهما مدرك، أو مستشعر لعظمة السورة فرددها كثيرا، ورجل لم يدر ما فضلها، ونظر إلى قصرها بالنسبة لغيرها من سور القرآن، والذي صوَّره الراوي بقوله (وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُّهَا) فجاء رد الرسول ﷺ مؤكدا، ومقررا لفعل القاريء الذي كررها مبينا فضل هذه السورة في جملة من المؤكدات تزلزل الشك حتى تهدمه في قلب هذا المتقال المتقاصر لهذه السورة العظيمة (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ).

المضامين الدعوية[4]

(١) برقم (٥٠١٢، و٦٦٤٣، و٧٣٧٤) وانظر: الحديث السابق. أورده المنذري في ترغيبه (٢١٨٩).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٨/٦٧٧.

(٣) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي في (ع د ل).

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٠١٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠١٣، ١٠١٤)

الحديث رقم (١٠١٣)

١٠١٣- وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ في: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ((إنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تعدل: تماثل وتُناظر[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث هو الثالث في فضل (قل هو الله أحد) وكثرة الأحاديث تشير إلى أهمية السورة، وعظمة فضلها الذي دعا الرسول ﷺ إلى التأكيد عليه مرارا، وتكرارا، ثم إن كثرة الروايات للحديث الواحد تدل على تلقف الصحابة له لعظمة ما يحويه رغبة في الأجر، ونشر الخير الذي لا يحمل كلفة مما يجعل الجميع في القدرة على إتيانه سواء بعكس غيره من الأعمال التي يستطيعها البعض دون البعض كالإنفاق، والجهاد، وغيرهما، وتعبير الراوي بقوله (قال فيها) دون قوله (قال عنها) أن (في) الظرفية تدل على التمكن أكثر في خصوصية الوصف بها من (عن)، وقد انفردت هذه السورة بجمع أصول العقيدة الإسلامية التي لم يجمعه غيرها، وقوله (قل هو الله أحد) افتتاحها بـ﴿قلْ﴾ للاهتمام بما بعد القول بأنه كلام يراد إبلاغه إلى الناس بوجه خاص منصوص فيه على أنه مرسل بقول يبلغه وإلا فإن القرآن كله مأمور بإبلاغه، ولهذه الآية نظائر في القرآن مفتتحة بالأمر بالقول في غير جوابٍ عن سؤال منها: ﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء للّه﴾ في سورة الجمعة (٦).

---

(١) برقم (٨١٢/٢٦١). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٨٦).

(٢) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي في (ع د ل).

والسور المفتتحة بالأمر بالقول خمس سور: ﴿قل أوحي﴾[الجن: ١]، وسورة الكافرون، وسورة الإخلاص، والمعوّذتان، فالثلاث الأول لقول يبلّغه، والمعوّذتان لقول يقوله لتعويذ نفسه، ولذلك الأمر في هذه السورة فائدة أخرى، وهي أنها نزلت على سبب قول المشركين: انْسُبْ لنا ربك، فكانت جواباً عن سؤالهم فلذلك قيل له: ﴿قل﴾ كما قال تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾[الإسراء: ٨٥] فكان للأمر بفعل ﴿قل﴾ فائدتان، وضمير ﴿هو﴾ ضمير الشأن لإفادة الاهتمام بالجملة التي بعده، إذا سمعه الذين سألوا تطلعوا إلى ما بعده، ويجوز أن يكون ﴿هو﴾ أيضاً عائداً إلى الرب في سؤال المشركين حين قالوا: انسب لنا ربك[١].

المضامين الدعوية[٢]

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور لهذه السورة.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠١٤)

١٠١٤- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إني أُحِبُّ هذهِ السُّورَةَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قَالَ: ((إنَّ حُبَّهَا أدْخَلَكَ الجَنَّةَ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن). ورواه البخاريُّ[2] في صَحِيحِهِ تعليقًا.

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

سبقت الأحاديث التي تبين فضل سورة الإخلاص، ومبلغ الأجر الذي تصل إليه، وهذا الحديث يشير من جانب آخر إلى زاوية أخرى من زوايا فضل هذه السورة، وقد جاء المعنى في صورة حوار بين الرجل، وبين الرسول ﷺ حين قال له (إني أُحِبُّ هذهِ السُّورَةَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾) وقد أكده بأكثر من مؤكد لأن المحبة أمر قلبي لا تبدو شواهده بمجرد الإخبار عنه، والتعريف بالإشارة في قوله (هذه السورة) للتعظيم، وقول الرسول ﷺ (إنَّ حُبَّهَا أدْخَلَكَ الجَنَّةَ) خبر أريد به فائدة مضمون الخبر مع الإشادة، والتعظيم لهذه السورة، والخبر مؤكد بعدة مؤكدات تمهيداً لنفسه لتقبل خبر يستبعده عنها لعظمته، أو لشدة تعلق نفسه به منها حرف التوكيد، واسمية الجملة، بالإضافة إلى أن صياغة الفعل في صورة الماضي دل على تحققه - رغم أن الرجل ما زال في الدنيا - على اعتبار ما سيكون أو على اعتبار أنه حكم له بأن يكون من أهل الجنة بمحبة تلك السورة.

---

(١) برقم (٢٩٠١) عن البخاري، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ. وقال الحافظ ابن حجر في التغليق (٣١٦/٢): والذي اتفق في حديث عبيد الله بن عمر من تخريجنا له من طريق البخاري المعلّق له، حسنٌ جدا. وصحّحه أيضًا ابن خزيمة (٥٣٧)، وابن حبان (الإحسان ٧٩٤)، وقال الحاكم (٢٤١/١): هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢١٩٣).

(٢) برقم (٧٧٤م).

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل حب سورة الإخلاص.

ثانيًا: من آداب الداعية: تبشير أهل الفضل بالثواب العظيم من الله تعالى.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل حب سورة الإخلاص:

لقد تضافرت الأحاديث النبوية في بيان فضل سورة الإخلاص، وفي الحديث بيان لجانب من جوانب هذا الفضل، فعن أنس ﷺ أن رجلاً قال يارسول الله إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) ، قال ابن علان أى لاشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتقديسه، وذلك يحمل كل ذي إيمان كامل على أن يستمد بقراءتها ما يكمل به إيمانه ويزيد إيقانه[٢]، "قال: إن حبها أدخلك الجنة"، وذلك تبشير من النبي ﷺ له بالجنة[٣]، وقد وردت أحاديث بقصص مشابهة كما ورد في هذا الحديث، ومن ذلك ما رواه البخاري عن عائشة ﷺ أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ (قل هو الله أحد) فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال سلوه لأى شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ أخبروه أن الله يحبه"[٤]، قال ابن دقيق العيد، يحتمل أن يكون سبب محبة الله له محبته لهذه السورة، ويحتمل أن يكون لما دل عليه كلامه لأن محبته لذكر صفات الرب دالة على صحة اعتقاده[٥].

---

(١) هذه المضامين الدعوية خاصة بهذا الحديث -١٠١٤- وبالحديثين السابقين (١٠١٢، ١٠١٣).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٨.

(٣) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢١٥٢/٢.

(٤) أخرجه البخاري، ٧٣٧٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ٣٧٠/١٣.

ثانيًا - من آداب الداعية: تبشير أهل الفضل بالثواب العظيم من الله تعالى:

إن التبشير بالخير من الأمور المروحة للنفوس، المزيلة للهموم، فتشحذ منهم العزائم وتعلو منهم الهمم فيقبلون على الأعمال الطيبة وكان من أهم المرتكزات التي ترتكز عليها دعوة النبي ﷺ التبشير[١]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٢]، وأمر به النبي ﷺ، كما جاء في قوله ﷺ لأبي موسى الأشعري ومعاذ ابن جبل لما بعثهما على اليمن "يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا"[٣] ولذا وجدنا في الحديث البشارة التي ساقها النبي ﷺ في الحديث للرجل الذي يحب سورة الإخلاص، قائلاً: "إن حبها أدخلك الجنة"، وفي ذلك تبشير من النبي ﷺ لهذا الصحابي الذي تمثل سورة الإخلاص فأحبها، فبين له النبي ﷺ أن هذا الحب وما أثر به من تدعيم إيمانه وتحسين عمله قد تسبب له في دخوله الجنة[٤] واستحقاقه لها.

لذا ينبغي على الداعية أن يفيد من التبشير في الدعوة إلى الله تعالى. فالتبشير منهج أصيل في الدعوة إلى الله تعالى، وقد انتهجه الله في كتابه في كثير من آياته، فقد وصف الله تعالى القرآن بأنه بشيرٌ، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٥]، فهذا وصف للقرآن العظيم أنه يبشر من آمن بالجنة وينذر من كفر بالنار[٦]، يبشر الطيعين بالثواب وينذر المجرمين بالعقاب[٧].

وبهاتين الصفتين وقعت المشاركة بين القرآن الكريم وبين الأنبياء، قال تعالى في

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٠٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

(٣) أخرجه البخاري، ٦١٢٤.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٥.

(٥) سورة فصلت، الآيتان: ٣، ٤.

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ٤/٥.

(٧) التفسير الكبير، الإمام الرازي، محمد بن عمر الرازي ٨٢/٢٧.

صفة الرسل: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[١]، وقال في صفة إمام المرسلين والدعاة ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٢]، فالموفق من الدعاة من ينتهج نهج القرآن في دعوته من تبشير وإنذار وغيرها كما أن المُوَّفق من المدعوين والدعاة أيضًا من يستحضر كلا الأمرين -التبشير والإنذار- ليفيد من الإنذار فيبتعد عن المهالك والمعاطب وليُسرَّ ويستبشر بالبشارة فيزداد في فعل الخير[٣].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد في الحديث أسلوب الترغيب، وذلك في بيان النبي ﷺ إن حب الإنسان وتعلقه بالقرآن الكريم سبب لدخول الجنة فأجاب الرجل الذي قال: "إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) قائلاً : إن حبها أدخلك الجنة" وأسلوب الترغيب من أعظم الأساليب الدعوية شأنًا وأشدها تأثيرًا فهو من أقوى المحفزات للإنسان على العمل الصالح، كما جاء في الحديث الترغيب بالجنة، "إن حبها أدخلك الجنة" والترغيب والتحفيز بالجنة باب واسع كبير يجد فيه الداعية مجالاً ثريًا، وميدانًا غزيرًا ليحث المدعوين على العمل والتحصيل والاستقامة، وليعزز سلوكهم فيما اتجهوا إليه من خير وبر، ويردعهم عن سلوكيات الإثم والشر[٤].

إن أسلوب الترغيب والترهيب أوفق الأساليب الدعوية الموافقة لطبيعة الإنسان وفطرته فإن "طبيعة الحياة أن يكون فيها الخير والشر وطبيعة البشر أن يكون منهم الأخيار والأشرار وإذا اصطرع الخير والشر امتلأت الحياة بالحركة والنشاط والعمل والأمل والسعادة والشقوة والتسابق والتنافس، وصراع الحياة واختلاف الطباع يوجب أن يكون للخير ثواب وللشر عقاب ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٨.

(٣) انظر: يعلمهم الكتاب، محمد خير الشعال ص ٢٠.

(٤) انظر: علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ١٦٣، ١٦٤.

ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[1]، وهذا عدل الله ولا يظلم ربك أحدًا والقرآن الكريم يوضح الطريق ويحكم العقل ويبرز النتيجة حتى إذا أقدم الإنسان على عمل كان أعلم بعاقبته وقد أعذر من أنذر وسبحان مَنْ يقول وقوله الحق ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[2]، [3].

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٣) التربية الإسلامية، دراسة مقارنة، محمد أحمد جاد صبح ١/١٥٣، ١٥٤.

الحديث رقم (١٠١٥)

١٠١٥- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((الَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: هو عقبة بن عامر بن عَبْس بن عمرو الجُهَني الصحابي المشهور، هاجر إلى المدينة، وبايع رسول الله ﷺ، وأقام بالمدينة.

كان ممن جمع بين جمع القرآن وحسن تلاوته، فقد كان من أحسن الناس صوتًا، قال له عمر بن الخطاب أعرض عليّ. فقرأ، فبكى عمر.

وبالإضافة إلى ذلك جمع بين آداب اللغة والعلم في الشريعة والتفقه فيها، فقد كان عالمًا بالفرائض والفقه فصيح اللسان شاعرًا كاتبًا.

كما أضاف إلى ذلك القوة الحربية، فقد كان من الرماة المشهورين.

وقد حصّل كل هذا وهو فقير، فقد كان يعيش مع أهل الصُّفَّة الفقراء لذا قال عنه قيس بن أبي حازم - أحد كبار التابعين-: كان من رفعاء أصحاب محمد ﷺ[2].

فلما كان عهد الراشدين شارك في الفتوحات، فشارك في فتوح الشام ومصر، وهو الذي أرسله المسلمون بالشام إلى عمر بن الخطاب بالمدينة ليبشره بفتح دمشق.

ولما وقعت الفتنة قاتل مع معاوية بن أبي سفيان، وشهد معه صفين، وولاه معاوية على مصر سنة ٤٤هـ وجمع له الإمارة والصلاة وعزله عنها ٤٧هـ وولاه أمر الغزو في البحر.

---

(١) برقم (٨١٤/٢٦٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٩٤).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٥-٨١٢).

وقد كان من الصحابة المكثرين من الرواية عن النبي ﷺ وتوفي سنة ٥٨هـ في أواخر خلافة معاوية، ودفن بالمقطم[1].

الشرح الأدبي

أكد عقبة بن عامر رضي الله عنه الحديث عن رسول الله بأكثر من مؤكد تعظيماً للخبر، وتعظيماً لمن يحدث عنه، وبداية كلام الرسول ﷺ استفهام خرج عن حقيقة طلب الفهم إلى معنى التنبيه، والإشادة بفضل ما تلاه مع التشويق له في قوله: (أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟) وتنكير الآيات للتعظيم، وجمعها على صيغة جمع القلة؛ لأنها آيات قليلة محصورة، وعدم ذكر الفاعل للفعل (أنزلت) للعلم به، وقوله (لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ) نفي يزيد التشويق للآيات، ولفظ (قط) لتوكيد النفي وقوله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ بيان، وإيضاح لما أبهم في لفظ آيات حقق الترقب للخبر بحيث تتلقفه الأسماع، وتعيه القلوب، وفيه إيجاز بالحذف على تقدير: السورة التي تبدأ بـ (قل أعوذ برب الفلق) والسورة التي تبدأ بـ (قل أعوذ برب الناس)، والحديث يشير إلى فضل السورتين، وتفردهما في موضوعهما وهو الاستعاذة على الوجه الوارد فيهما، والذي دل عليه نفي المثلية.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: نزول القرآن مفرقًا على النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل المعوذتين.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤/٣٤٣)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٦١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤/٥١)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٩٢٠، والسير (٢/١٤٦٧)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥/١٩٦)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣/١٢٣)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٤/٢٤٠)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٢/١٣٤٦).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٠١٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠١٦).

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أخذ النبي ﷺ بالمعوذتين للتعوذ من الجان وعين الإنسان.

رابعًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في الأخذ بالمعوذتين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: نزول القرآن مفرقًا على النبي ﷺ:

جاء في الحديث الإشارة إلى نزول القرآن منجمًا حيث ذكر في الحديث الأول نزول المعوذتين "في قوله ﷺ: ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم يرمثلهن قط قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس"، وفي الحديث الآخر "حتى نزلت المعوذتان" فالقرآن لم ينزل جملة واحدة كالكتب السابقة وإنما نزل على النبي ﷺ مفرقًا على مدار ثلاثة وعشرين عامًا على المشهور من أقوال العلماء، ثلاثة عشر عامًا بمكة المكرمة وعشر سنوات بالمدينة المنورة[1]، أما كونه نزل مفرقًا فقد جاء التصريح بذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[3]، وأصبح من المعلوم بالضرورة من سيرة الرسول ﷺ من نزول القرآن عليه ﷺ مفرقًا من بعثته إلى وفاته ﷺ[4].

فقد ابتدأ نزول القرآن على النبي ﷺ في الليلة المباركة -ليلة القدر- من شهر رمضان واستمر ينزل منجمًا مفرقًا حسب الواقع والحوادث والأحوال على مدى ثلاثة وعشرين عامًا هي مدة الرسالة المحمدية تثبيتًا لفؤاد النبي ﷺ وتجددًا لنزول الوحي وتدرجًا في التربية والتكليف وتيسيرًا للحفظ والفهم والاستيعاب[5].

---

(١) دراسات في علوم القرآن الكريم، د. زاهر بن عواض الألمعي، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣م ص ٢٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

(٤) دراسات في علوم القرآن الكريم، د. فهد بن عبدالرحمن الرومي ص٢٠٤.

(٥) فن الترتيل وعلومه، الشيخ أحمد بن محمد عبدالله الطويل ٢٤/١.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل المعوذتين:

جاء في الحديثين بيان فضل المعوذتين وأثرهما في التعوذ، فقال ﷺ "ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط" أى لم يبصر مثلهن فيما جاء من التعوذ[(١)]. "قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس" قال النووي: وفيه بيان عظم فضل هاتين السورتين[(٢)]، كما يتبين فضلهما في الحديث الآخر في عدوله ﷺ عن غيرهما إليهما في التعوذ. "كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما"، وذلك لما تضمنتاه من الاستعاذة من كل مكروه[(٣)].

وقول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما.

إذ أن مقصود السورتين الاستعاذة من الشرور ومن مخافة الليل الديجور[(٤)] ومن آفات الماكرين والحاسدين والاعتصام بحفظ الحق تعالى وحياطته والحذر والاحتراز من وسواس الشيطان ومن تعدى الجن والإنسان[(٥)]، في ذلك بيان لفضل المعوذتين وحسن فائدتهما الدينية والدنيوية، وقد استعاذ بهما النبي ﷺ لما سحره لبيد بن الأعصم سحرًا أثر في جسده ولم يؤثر في مشاعره فذهب عنه ذلك بالكلية[(٦)].

قال ابن القيم: (وفي المعوذتين الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلاً، فإن الاستعاذة من شر ما خلق تعم كل شر يستعاذ منه، سواء كان في الأجسام أو الأرواح، والاستعاذ من شر الغاسق وهو الليل، وآيته وهو القمر إذا غاب، تتضمن الاستعاذة من شر ما ينتشر فيه من الأرواح الخبيثة التي كان نور النهار يحول بينها وبين الانتشار،

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان، ١٢٠٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٤١.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٦٩٢.

(٤) الديجور: الظلام: أي الليل المظلم، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ديجر).

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، ١/٥٥٦، ٥٥٧.

(٦) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٥.

فلما أظلم الليل عليها وغاب القمر، انتشرت وعاثت.

والاستعاذة من شر النفاثات في العقد تتضمن الاستعاذة من شر السواحر وسحرهن.

والاستعاذة من شر الحاسد تتضمن الاستعاذة من النفوس الخبيثة المؤذية بجسدها ونظرها.

والسورة الثانية: تتضمت الاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن، فقد جمعت السورتان الاستعاذة من كل شر، ولها شأن عظيم في الاحتراس والتحصن من الشرور قبل وقوعها، ولهذا أوصى النبي ﷺ عقبة بن عامر بقراءتهما عقب كل صلاة[١]، وفي هذا سر عظيم في استدفاع الشرور من الصلاة إلى الصلاة، وقال: ما تعوذ المتعوذون بمثلهما [٢]، وقد ذكر أنه ﷺ سحر في إحدى عشرة عُقدة، وأن جبريل نزل عليه بهما، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى انحلت العقد كلها، وكأنما أنشط من عقال)[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أخذ النبي ﷺ بالمعوذتين للتعوذ من الجان وعين الإنسان:

جاء التصريح بذلك في الحديث "كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما" أى ترك ما سواهما من التعويذات وذلك لاشتمالهما على الجوامع في المستعاذ به والمستعاذ منه، أما الأول "المستعاذ به" فلأن الافتتاح برب الفلق مؤذن بطلب فيض رباني يزيل كل ظلمة في الاعتقاد أو العمل أو الحال، لأن الفلق الصبح وهو وقت فيضان الأنوار ونزول البركات وقسم الأرزاق وذلك مناسب للمستعاذ منه، فقال (قل أعوذ برب الفلق) وقوله (قل أعوذ برب الناس) كأنه قيل أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بمن رباهم بنعمه ومَلَكَهم

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٩٠٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٣٢٤).

(٢) أخرجه أحمد ١٤٤/٤، رقم ٧٢٩٩ بلفظ: ((انزلت علي سورتان، فتعوذوا بهن، فإنه لم يتعوذ بمثلهن))، يعني: المعوذتين.. وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٢٨/٥٣١ - ٥٣٢.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٨١/٤ - ١٨٢.

بقهره وقوته، وجمعتا ما يستعاذ منه من شر كل مخلوق حى أو جماد فيه سر في البدن أو المال أو الدنيا أو الدين[١].

رابعًا - من آداب المدعو: التأس بالنبي ﷺ في الأخذ بالمعوذتين:

من آداب المدعو التأسي برسول الله ﷺ في أحواله وشئونه كلها ومنها تعوذه ﷺ بالمعوذتين وكما في الحديث "كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما" ووردت الأحاديث الكثيرة التي تبين تعوذه ﷺ بهما ومن ذلك ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها ((النبيَّ ﷺ كان يَنْفِثُ على نفسه في المَرَضِ الذي مات فيه بالمعوذات "سورة الفلق، والناس، والإخلاص"، فلما ثقلَ كنتُ أنفثُ عليه بهنَّ، وأمسحُ بيده نفسهِ لبَرَكتها))[٢]، وهذا لا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين، بل يدل على الأولوية ولاسيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما، وإنما اجتزأ بهما لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلاً[٣]، وفي تأس المدعو بتعويذات رسول الله ﷺ الفضل الكبير، فضلاً عما فيها من الإعراض عن الرقى المنهي عنها والاستعانة بالجان وغير ذلك.

لقد بين لنا الإسلام مكامن الخطر وحذرنا منها، وبين لنا الأدواء للوقاية منها كما جاء في سن قراءة المعوذتين وقاية من كل شر سواء كان من الجن والإنس، فقد يسأل الإنسان نفسه مثلاً فيقول كيف أحارب الشيطان وبأي وسيلة أقهره وأدفع أذاه؟ فبين رسول الله ﷺ أن الاستعاذة بالله هى الطريق السليم للوقاية من الشرور والملمات، وقراءة المعوذتين أحد الوسائل المشروعة للوقاية من شرور الجِنَّة والناس والحيلولة دون تأثير الحسد والعين وما شاكلهما[٤].

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٩، ١٢١٠.

(٢) أخرجه البخاري، ٥٧٣٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٢٠٦/١٠.

(٤) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر التركي ص ٥٨١.

لذا ينبغي على الإنسان أن يتعوذ من تلك الشرور وأن يكثر من التعوذات والرقي كقراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب، وآية الكرسي[١]، وقد ورد عن الرسول ﷺ تعوذات منها ((أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة))[٢].

إلى غير ذلك من التعوذات.

---

(١) انظر: الطب النبوي، ابن القيم ص ١٤٥.

(٢) أخرجه البخاري، ١١٩.

الحديث رقم (١٠١٦)

١٠١٦- وعن أَبي سَعِيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ، وَعَيْنِ الإنْسَانِ، حَتَّى نَزَلَتْ الْمُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا، أخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا. رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

عين الإنسان: نظرة الإنسان إلى الغير بالحسد فيمرض بسببها فيقال: أصابه بالعين[2].

المعوذتان: أي: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾، و﴿قل أعوذ برب الناس﴾[3].

الشرح الأدبي

قول الراوي (كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ) يشير إلى أنها كانت عادته في التعوذ من الجن، والعين، قبل نزول المعوذتين، وقوله (يتعوذ) أي يطلب العوذ من الله، والفعل المضارع الدال على التجدد يصور تكرار الفعل وتجدده، وقوله (حتى نزلت المعوذتان) حتى لبيان الغاية التي انتهى عندها هذا الشكل من التعوذ، ونسبة النزول للمعوذتين من المجاز بنسبة الفعل لمفعوله مبالغة في النزول في إشارة إلى أهميتهما، وتأثيرهما كأنهما يتحركان بذواتيهما، وقوله (فلما نزلتا) توكيد لنزولهما وهي جملة شرطية جوابها قوله (أخذ بهما) في الرقية وقوله (وترك ما سواهما) طابق بي الأخذ ن والترك لتأكيد الأخذ بالمعوذتين مما يدل على أفضليتهما وهو يشير إلى ما كان يتعوذ به قبل نزولهما.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) برقم (٢٠٥٨) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ي ت).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦٩٢/٢.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠١٧)

١٠١٧- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((مِنَ القُرآنِ سُورَةٌ ثَلاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ[١] لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ﴾)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[٢] ، وقال: (حديث حسن).

وفي رواية أَبي داود : ((تَشْفَعُ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

شفعت: من الشفاعة وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم وتكون الشفاعة فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة[٣].

الشرح الأدبي

تقديم الجار والمجرور للاختصاص ومن للتبعيض، وتنكير سورة للتعظيم أي سورة عظيمة، وقوله (ثلاثون آية) فيه إيجاز بالحذف أي تتكون، أو عدد آيتها ثلاثون آية، والتعبير بالماضي (شفعت) يفيد التحقق، ونسبة الشفاعة إلى السورة من نسبة الشيء إلى سببه على سبيل المجاز الذي يصورها في صورة المتحرك المدافع عن شفيعه، وهو ما يجعل الصورة أعظم أثراً على السامع، وتحقق الشفاعة يحتمل أن يكون بمعنى المضي في الخبر يعني كان رجل يقرؤها، ويعظم قدرها فلما مات شفعت له حتى دفعت عنه عذابه، ويحتمل أن يكون على المجاز باعتبار ما سيكون بمعنى المستقبل أي تشفع لمن

---

(١) هذا لفظ الترمذي.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٠٠) واللفظ له، والترمذي (٢٨٩١). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٧٨٧)، وقال الحاكم (٥٦٥/١): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢١٧٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع).

يقرؤها في القبر، أو يوم القيامة، وإعادة الضمير لتمييز المشار إليه أكمل تمييز مع ما فيها من المدح، والإشادة بفضل هذه السورة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل سورة تبارك.

ثانيًا: من آداب المدعو: الحرص على قراءة وتدبر القرآن والمواظبة على قراءة سورة تبارك.

ثالثًا: من واجبات الداعية: البيان والتوضيح.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل سورة تبارك:

وردت الإشارة في الحديث إلى ما حازته سورة تبارك "الملك" من فضائل وميزات، فقال ﷺ "من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: "تبارك الذي بيده الملك" وذلك من دلائل شرفها وفخامتها، قال ابن علان (وإنما خصت سورة تبارك بذلك لافتتاحها بخلق الحياة، وختمها بالماء الذي هو سبب الحياة، فأنتجت الشفاعة التي هي سبب الحياة الكاملة للمشفوع له، وأيضًا افتتاحها بعظائم عظمته سبحانه ثم بباهر قدرته وإتقان صنعته، ثم بذم من نازع في ذلك أو أعرض عنه، ثم بذكر عقابهم وماله عليهم من النعيم، ثم ختمها بما اختصها به من بين سائر السور وهو الإنعام بالماء المعين الذي هو سبب الحياة المناسب لذلك كله. ثم المعافاة عن سوء القطيعة بتشفيع هذه السورة في قارئها وجعلها مانعة عنه منجية له)[1].

وقال الفيروز آبادي: (معظم مقاصد السورة: بيان استحقاق الله الملك وخلق الحياة والموت للابتلاء وبيان المحسن من المسيء والنظر إلى السماوات للعبرة واشتعال النجوم والكواكب للزينة، وما أُعد للمنكرين من العذاب والعقوبة، وما وعد به المتقون من الثواب والكرامة وتأخير العذاب عن المستحقين بالفضل والرحمة وحفظ الطيور في الهواء بكمال القدرة واتصال الرزق إلى الخليقة بالنوال والمنة وبيان حال أهل الضلالة

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٠.

والهداية، وتعجُّل الكفار بمجيء القيامة وتهديد المشركين بزوال النعمة بقوله: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾[١]،[٢].

كما أن سورة الملك تشمل كأخواتها المكيات على إثبات وجود الله وبيان مظاهر قدرته وعلمه وقد تعرضت لما يلاقيه الناس يوم القيامة، والسورة على العموم تدور حول بيان النعم[٣].

ثانيًا - من آداب المدعو: الحرص على قراءة وتدبر القرآن والمواظبة على قراءة سورة تبارك:

من الآداب الواجب مراعاتها في قراءة القرآن تدبر معانيه فليست العبرة في التلاوة أن يقرأ القرآن مرات متعددة دون أن يصاحبها إدراك لما يقرأ[٤]، وقد ندد الله تعالى بصورة الاستفهام بمن لا يفتح عقله وقلبه لتفهم القرآن من أجل إدراك ما فيه من حكم وأسرار ومواعظ وتشريعات فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٥]،[٦]، وآيات القرآن التي تحث على تدبر القرآن والتفكر في معانيه جمة منها قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٧]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٨]، خاصة السور التي وردت الآثار في بيان فضلها وعظيم عطاياها، كالشفاعة جزاءً لقراءة سورة تبارك كما جاء في الحديث (من

---

(١) سورة الملك، الآية: ٣٠.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٤٧٣/١، ٤٧٤.

(٣) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٦٩/٢٩/٣.

(٤) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٥٩٤.

(٥) سورة محمد، الآية : ٢٤.

(٦) انظر: دعوة إلى تدبر القرآن، مختار شاكر كمال ص ٤١.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٤٢.

(٨) سورة يونس، الآية : ٢٤.

القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: "تبارك الذي بيده الملك") فإثبات الشفاعة للقرآن صحيح لا معدل عنه[1].

وهذا يدل على فضل سورة "الملك"، والحث على قراءتها وعظم الثواب على ذلك، وإثبات الشفاعة للقرآن يوم القيامة، ولا شك أن تاثيرها إنما يكمل لمن تأثر بها وعمل بما فيها واستفاد منها[2].

لذا ينبغي على المسلم إذا أراد أن يجني ثمرة قراءته للقرآن الكريم أن يتدبر معانيه وأن يعمل بما فيه، "أما الذي يسمع أذنه ولا يسمع عقله أو تنظر عينه، ولا يبصر قلبه، أو يلغو لسانه ولا يعي فكره فهو أصم أبكم أعمى، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾[3]، ففي الآية إشارة واضحة إلى أن سماع القرآن أو تلاوته ليس هدفًا بذاته بل هو وسيلة لهدف، فقد كان المشركون يستمعون إلى القرآن ثم ينصرفون لا يحرك فيهم ساكنًا تمامًا كما يفعل بعض المسلمين اليوم، يستمعون إلى القرآن الكريم كل يوم من المذياع ثم ينصرفون لا يحرك فيهم ساكنًا إذ يبقى المطفف مطففًا، ويبقى الكاذب كاذبًا، ويستمر المرابي بمراباته، ويواصل الفاسق فسوقه! فلقد أصبح سماع القرآن عادة.

ولقد ذم الله المشركين مع استماعهم للقرآن لأنهم لا يعقلون، ولأنهم لا يبصرون، ولأنهم لا يغيرون أهواءهم وأخطاءهم[4].

في قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[5]، (قال سفيان بن عيينة: أنزع عنهم فهم القرآن)[6].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٠

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٥.

(٣) سورة يونس، الآية: ٤٣.

(٤) يعلمهم الكتاب-التعامل مع القرآن، محمد خير الشعال ص ٢٠، ٢١.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

(٦) الإتقان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، ٢/ ٤٨٠.

ثالثًا - من واجبات الداعية: البيان والتوضيح:

إن من أهم الواجبات التي يجب أن يضطلع الداعية بها هو البيان والتوضيح، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1]، ومن ذلك بيان وتوضيح للفضائل التي وردت لبعض سور وآيات القرآن الكريم شحذًا لهممهم وترغيبًا في إقبالهم على القرآن تلاوةً وتدبرًا وتأثرًا وعملاً، فإن من جعل القرآن شغله الشاغل وهمه الدائب واتخذ منه الصاحب والمأنس والملجأ فلن يتخلى عنه القرآن[2].

ومن بين فضائل سور القرآن ما ورد في الحديث من شفاعة سورة تبارك في قوله ﷺ: من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك" وذلك فضلاً عن شفاعة القرآن جملة. فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((الصيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصيَامُ: أَيْ رَب إِني مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفعْنِي فِيهِ، يَقُولُ الْقُرْآنُ: رَب مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفعْنِي فِيهِ فَيُشَفَّعَانِ))[3].

لذا ينبغي على الداعية أن يولي البيان والتبيين اهتمامًا خاصًا بأن تكون دعوته بينه واضحة لا يتأتى فيها غموض ولا يتطرق إليها تعقيد، وله المثل الأكبر في القرآن في بيان آياته ووضوح أحكامه.

ففي القرآن الهدى والشفاء، وفيه البيان البين الواضح الجلي، جلي المعاني قوي المباني لا لبس فيه ولا خفاء ولا غموض في القرآن بيان لكل ما يحتاجه بنو الإنسان، في حياتهم الاجتماعية، بأروع عبارة وأجمل أسلوب.

وفي القرآن بيان كل شيء من البداية إلى النهاية، حتى يستقر أهل الجنة في نعيمهم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٢) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري، ٣٨٤.

(٣) أخرجه مسلم، ٨٠٤.

وأهـل النـار في جحـيمهم[١]، قـال تعـالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٢]، وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾[٣].

(١) الهدى والبيان في أسماء القرآن، الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، من مطبوعات جامعة الإمام محمد الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ ص ١٧٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ٢٦.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٢.

الحديث رقم (١٠١٨)

١٠١٨- وعن أَبي مسعودٍ البَدْرِيِّ ﵁، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((مَنْ قَرأَ بالآيَتَيْنِ مِنْ آخر سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

كَفَتَاه: وقتْه كل منهما، فقيل: كفتاه المكروه تلك الليلة. وقيل: كفتاه من قيام الليل[2].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول فضل الآيتين الأخيرتين من سور البقرة، وينص على تسمية السورة بالبقرة، وقد ورد المعنى في أسلوب خبري هايء يناسب أسلوب الترغيب في خطاب النفس بما يدفع عنها الضر، ويحقق الأمن الذي تتمناه، وقد تصدرها الاسم الموصول (من) الذي ينادي بكل عاقل ليتنبه لما بعده، والفعل الماضي يشير إلى أن الذي يستحق الجزاء هو من حقق الفعل والظرف (في ليلة) يحدد توقيت الحدث، ومدى تأثيره، وتنكير ليلة يفيد تعميماً يدخل فيه أي ليلة، وقوله (كفتاه) أَيْ أَغْنَتَاهُ مِنْ قِيَام اللَّيْل، أو أنه َ أَرَادَ أَنَّهَا أَقَلّ مَا يُجْزِئ مِنْ الْقِرَاءَة فِي قِيَام اللَّيْل، أَوَ تَكْفِيَاهُ الشَّرّ، وَتَقِيَاهُ مِنْ الْمَكْرُوه، والحديث إلى عظمة أثر الآيتين؛ لأنهما يحققان الكفاية، والأمان، ويجددان الإيمان بما حملا من معان، ودلالات.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل قراءة آخر آيتين من سورة البقرة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٩) واللفظ له، ومسلم (٢٥٦/٨٠٨). أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٥٣).

(٢) رياض الصالحين ٣٩١.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من صفات الداعية: الحرص على نفع المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل قراءة آخر آيتين من سورة البقرة:

جاء في الحديث بيان النبي ﷺ لفضل آخر آيتين من سورة البقرة، فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه".

قال القاضي عياض: (محتمل أن يريد كفتاه من قيام الليل، أو من أن يكون ممن توسد القرآن، أو من أذى الشياطين، أو بما حصل له بقراءتهما من الأجر لأنهما مشتملتان على أبواب الإيمان والاستسلام والعبودية لله تعالى والدعاء بخير الدنيا والآخرة)[1].

وقيل: (كفتاه ما حصل له بسببهما من الثواب عن طلب شيء آخر، وكأنهما اختصتا بذلك لما تضمنتاه من الثناء على الصحابة بجميل انقيادهم إلى الله وابتهالهم ورجعوهم إليه، وما حصل لهم من الإجابة إلى مطلوبهم)[2].

قال النووي: (في قوله كفتاه: قيل معناه: كفتاه من قيام الليل، وقيل من الشيطان، وقيل من الآفات، ويحتمل من الجميع)[3]، وقال ابن علان: (وقيل كفتاه من الكفاية بمعنى الإجزاء أى أجزأتاه عن بقية الأذكار، ويحتمل - وهو الظاهر- أنهما كفتاه عن تجديد الإيمان لأنه من تأمل أولاهما أدنى تأمل حصل له من الرسوخ في الإيمان والإيقان مقام خطير وحظ كبير لاشتمالهما على غاية التفويض والتسليم لأقضيه الله وأوامره ونواهيه)[4].

وورد أيضًا في فضلهما ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بينما جبريل قاعد

---

(١) إكمال المعلم، ١٧٦/٣.

(٢) انظر: فتح الباري، ٣٢٢٤، وفتح الملهم، الشيخ شبير العثماني، ١٨٨/٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٣٩.

(٤) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١١.

عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه، فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك، فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك "فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة"، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته)[١].

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب

إن الإنسان بطبيعته مجبول على حب ما ينفعه وتقر به عينه وتطمئن به نفسه ويجلب لها الخير، لذا كان لأسلوب الترغيب أهمية لا تنكر في الدعوة إلى الله تعالى، مما يجعل الطريق ممهدة، والسبل ميسرة أمام الدعاة إلى الله في تبليغ دعوتهم إلى الناس وجذبهم إليها.

وقد ورد أسلوب الترغيب في الحديث حيث رغب النبي ﷺ في قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة بالكفاية والوقاية من الشرور والآفات، فقال ﷺ: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه" وأسلوب الترغيب من أشد الأساليب الدعوية تأثيرًا في نفوس المدعوين وذلك لما فطرت عليه النفوس الإنسانية من الحرص الشديد على السعي لما تصيب منه لذة أو منفعة أو ربحًا أو شيئًا مما تحبه، وسياسة الترغيب هى أحد ركني الموعظة الحسنة المأمور بها في الدعوة إلى الله تعالى[٢]، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٣].

ثالثًا - من صفات الداعية: الحرص على نفع المدعوين:

إن في بيان رسول الله ﷺ لفضل الآيتين من آخر سورة البقرة والحث على قراءتهما مثلاً حيًا وأنموذجًا تطبيقيًا لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من حرص بالغ على نفع المدعوين وإيصال الخير إليهم، وذلك من تمام أداء الداعية لرسالته وذلك واجب تكفل الله تعالى به، هكذا تكون صفات الدعاة وهكذا تُحمَل الدعوة الإسلامية

---

(١) أخرجه مسلم، ٨٠٦.

(٢) فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٦٣٣- ٦٣٥.

(٣) سورة النحل، الآية : ١٢٥.

كى تحقق نهضة فكرية صحيحة، ولكي تنهض بالمدعوين، بل بالعالم كله، ولكى تخلصه مما هو فيه[١].

إن هدف الداعية هو حب الخير للمدعوين، إذ أن حقيقة الدعوة حب الخير للغير والحرص على تحقيق المصلحة له وظهور هذا الحرص يجعل الدعوة محل قبول وامتثال، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

ونرى هذا الحرص أيضًا في قول صاحب عيسى عليه السلام الذي حكاه لنا القرآن: ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾[٣]، وهذا من حرص الداعية الرشيد على الخير لمن يدعوهم حتى بعد موته أنه يتمنى لو يعلم قومه ما هو فيه من الكرامة والنعيم لعلهم يؤمنون فيظفروا بما ظفر به[٤].

هذا الحرص هو ما عبر عنه النبي ﷺ بقوله: ((بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ عز وجل مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))[٥].

وذلك عندما هاجر إل الطائف وآذاه أهلها ورجع ﷺ في طريق مكة بعد خروجه من حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وبعث الله إليه جبريل يستأمره أن يطبق عليهم الأخشبين، والأخشبان هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله وهو قعيقعان[٦].

إن حرص الداعية على تحقيق الخير لمن يدعوهم يجعل القلوب تلتف حوله وتقبل على دعوته ويؤلف القلوب ويجمع شتاتها ويجعلها تتفتح للخير إذا أراد الله لها الهداية[٧].

---

(١) انظر: صفات الداعية وكيفية حمل الدعوة، سميح عاطف الزين ص ٢١٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) سورة يس، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٤) أسس الدعوة وأدب الدعاة، د. محمد الوكيل ص ١٢٢.

(٥) أخرجه مسلم، ٢٠٢، وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٣٧/٣.

(٦) الرحيق المختوم، المباركفوري، س١٥٩.

(٧) النصيحة، الباز محمد عبدالفتاح الدميري ص ٦١، ٦٢.

الحديث رقم (١٠١٩)

١٠١٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ينفر: يفرّ ويذهب[2].

الشرح الأدبي

والنهي في الحديث بغرض التنفير تصدر الكلام في السياق عناية به (لا تجعلوا بيوتكم مقابر) وعبر بالفعل جعل الذي يفيد معنى الصيرورة إشارة إلى استعداد البيوت لما يصنع بها تسخيراً من الله لها للإنسان ثم أتبعها بجملة تعليلية مؤكدة بإن تأكيداً على أن قراءة سورة البقرة تطرد الشيطان، وفيه إشارة لفضل قراءة القرآن وسورة البقرة بالذات، ولما كانت الصلاة تحرم في المقابر فلا يصلى فيها شبه البيت الذي لا يصلى فيه بالقبور وهي صورة منفرة وفيها إشارة إلى أن أهل البيت كالأموات فقد شبه البيت الذي لا يصلى فيه بالقبر الذي لا يتمكن الميت فيه من العبادة وهو بذلك يوحي للنفوس ويبث في الوجدان بتشبيه البيوت التي لا يقرا فيها القرآن بالقبور - مشاعر الانقباض والخوف والوجل وهذا التشبيه المؤكد المجمل يحمل معنى التقبيح والتنفير من البيوت التي على تلك الصفة ومعنى التوبيخ والتقصير لمن يسكنها، والغرض الذي يرمي إليه النبي ﷺ من إثارة هذه المشاعر من الانقباض والخوف والوجل للتقبيح والتنفير هو

---

(١) برقم (٢١٢/٧٨٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٥٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ر)، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٢١١.

الترغيب في الصلاة وقراءة القرآن في البيوت لتفارق القبور وتصير كالقصور مليئة بالأنس بذكر الله تحفها وأهلها الملائكة والرضوان من الله، وأسلوب الرسول ﷺ وسحر بيانه يجوس في حنايا النفوس لينتقل في مسالكها انتقالاً خفياً من شعور إلى شعور - ليقرر - بعد أن يثير مجموعة من المشاعر المتقاربة التي تعمل في اتجاه واحد يقرر ضرورة الذكر والصلاة في البيوت ويثير الرغبة فيها لدفع مشاعر الانقباض. التي أثارها بأسلوب النهي (لا تجعلوا بيوتكم مقابر).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قراءة سورة البقرة في البيوت.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من ميادين الدعوة: البيوت.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

من أساليب الدعوة البارزة أسلوب النهي، وقد جاء واضحًا في الحديث في قوله ﷺ "لا تجعلوا بيوتكم مقابر"، وفي ذلك النهي عن ترك إعمار البيوت بقراءة القرآن خاصة سورة البقرة، فقال: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر" أي "لا تجعلوا من بيوتكم كالمقابر في عدم اشتغال مَنْ فيها من الموتى بنحو الذكر والقراءة وألوان العبادة، ولا تكونوا كالموتى في ذلك"[1].

وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية المجدية لما فيه من بيان لمواطن الخطر وموارد التهلكة والتحذير منها.

وما أكثر ورود أسلوب النهي في القرآن والسنة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ۝٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾[2].

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٦.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٠، ٢١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل قراءة سورة البقرة في البيوت:

جاء في صريح الحديث فضل قراءة سورة البقرة في البيوت وذلك بتعميرها ونفرة الشيطان منها ويأسه من إغواء أهلها وإضلالهم ، فقال ﷺ "لا تجعلوا بيوتكم مقابر"، قال الطيبي: (أى لا تجعلوا بيوتكم كالقبور الخالية عن ذكر الله وعبادته، لأنها غير صالحة لها)[١]، "إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة". قال ابن علان: (لأنه ليس في سورة من القرآن ما في سورة البقرة من تفصيل الأحكام والحِكَم وضرب الأمثال وإقامة الحجج والبراهين، وبيان الشرائع والقصص والمواعظ والوقائع الغريبة والمعجزات العجيبة، وذكر خاصة أوليائه والمصطفين من عباده، وتفضح الشيطان ولعنه وكشف ما توسل به إلى التسويل لآدم وذريته، ومن ثمَّ قيل فيها ألف أمر وألف نهي وألف حكم وألف خبر)[٢]. إضافة إلى ما في قراءة سورة البقرة من بركة ووقاية من السحر وشفاعتها لقارئها يوم القيامة[٣]، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((اقْرَأُوا الْقُرآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ. اقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: -أى المنيرتان-[٤] الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ. فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ. أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ. أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ. تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ. فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ. وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ. وَلاَ يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ))[٥] أى السحرة[٦].

قال الطيبي: (أمر النبي ﷺ بقراءة القرآن ثم أمر بقراءة البقرة وآل عمران، وهذا تخصيص بعد تعميم، فخص الزهراوين -البقرة وآل عمران- وأناط بهما التخليص من

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٣٦٤/٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٢.

(٣) انظر: الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة، د. سعيد القحطاني ص ٢٩-٣٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، في (ز هـ ر).

(٥) أخرجه مسلم ٨٠٤.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٩.

حر يوم القيامة بالمحاجة، وأفرد ثالثًا البقرة وأناط بها أمور ثلاثة)[١]. وهي:

أ-"فإن أخذها بركة": أي في المواظبة على تلاوتها والتدبر في معانيها والعمل بما فيها: منفعة عظيمة.

ب- "وتركها حسرة" أي ندامة يوم القيامة.

ج-"ولا يستطيعها البطلة" أي لا يقدر على تحصيلها أصحاب البطالة والكسالة لطولها، وفسرها معاوية الراوي بـ "السحرة" لأن ما يأتون به باطل سماهم باسم فعلهم الباطل أي لا يؤهلون بذلك ولا يوفقون له، ويمكن أن يقال معناه: لا تقدر على إبطالها أي على صاحبها السحرة لقوله تعالى فيها: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٢]، [٣].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث جليًا، حيث رغب النبي ﷺ بإعمار البيوت بذكر الله تعالى وخاصة سورة البقرة فإن ذلك سببًا لإحلال البركة فيها وإبعاد الشيطان عنها ويأسه من إغواء أهلها وإضلالهم، فقال ﷺ: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة". فإن الترغيب من الأساليب الحكيمة التي تؤثر في قلوب المدعوين وسرعتها لقبول الحق[٤].

ولقد كان رسول الله ﷺ يولي الترغيب رعاية خاصة فكان الترغيب، يغلب على دعوته ﷺ فكانت تحركاته ﷺ ومجالسه عامتها مجالس تذكير وترغيب وترهيب إما بتلاوة قرآن أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة وتعليم ما ينفع في الدين. كما أمره الله تعالى في كتابه أن يذكّر ويعظ، وأن يدعو إلى سبيل ربه

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٥/٢٨٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٣) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ٥/١٨٤، ١٨٥.

(٤) التدرج في دعوة النبي ﷺ، إبراهيم بن عبدالله المطلق، ص ٩١.

بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يبشر وينذر وسماه الله ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾[١].

والتبشير والإنذار هو الترغيب والترهيب، فلذلك كانت تلك المجالس توجب رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة[٢].

رابعًا- من ميادين الدعوة: البيوت:

جاء في الحديث ذكر البيوت كميدان من ميادين الدعوة التي لا ينبغي إغفالها بأى حال من الأحوال فقال ﷺ "لا تجعلوا بيوتكم مقابر" وأولى البيوت بالدعوة أن يدعو أهل بيته ويبين لهم الحقائق يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٣]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[٤]. فالمسلم الواجب عليه أولاً أن يصلح نفسه ويقي نفسه شر النار وغضب الجبار، ثم يتجه ثانية إلى تكوين أسرته على مبادئ الدين الحنيف ويغرس في نفوسهم أدب القرآن الكريم، والفضائل الإسلامية العليا بهذا يكون وقى أهله من النار، فلست مطالبًا بنفسك فقط، لا، بل عليك نفسك ثم أهلك وأسرتك، ثم إن أردت زيادة في الخير فادع إلى الله واعمل في محيط إخوانك ومعارفك وأصدقائك على نشر أدب الإسلام وتعاليمه[٥].

ثم بعد ذلك دعوة الناس في جميع الأماكن من الأحيان ومن ذلك دعوتهم في منازلهم، ولقد ثبت قيام النبي ﷺ بدعوة الناس في منازلهم، وقد كان ذلك بالذهاب إلى منازلهم منزلاً منزلاً، كما كان يجمعهم في بيت أحدهم ثم يقوم بتوجيههم

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٢) لطائف المعارف، الإمام ابن رجب الحنبلي ص ٤٥، ٤٦.

(٣) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٤) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٥) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٦٤/٢٨/٣.

ودعوتهم، ومن الشواهد لذلك دعوته ﷺ في دار الأرقم رضي الله عنه فكان يقوم فيه بتعليم المسلمين أمور دينهم ودعوة غيرهم ممن وفد عليه هناك للإسلام[1]، وكذلك دعوته للناس في منازلهم بمنى، كما جاء في مسند الإمام أحمد عن ربيعة بن عباد الديلمي، قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف على الناس بمنى في منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول: "يا أيها الناس إن الله عز وجل يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، قال ووراءه رجل يقول هذا يأمركم أن تدعوا دين آبائكم، فسألت من هذا الرجل ؟ فقيل هذا أبو لهب"[2].

(١) انظر: ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ٢٥٥-٢٥٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، ٤٩٢/٣، رقم ١٦٠٢٤، وقال محققو المسند حديث صحيح ٤٠٦/٢٥.

الحديث رقم (١٠٢٠)

١٠٢٠- وعن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((يَا أبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أعْظَمُ؟)) قُلْتُ[1]: ﴿اللهُ لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وقال: (([2] لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبَا الْمُنْذِرِ)) رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

أُبي بن كعب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٧).

غريب الألفاظ:

ليهنك العلم: من هناني الطعام يهنيني ويهنأني وهنأت به، أي: تهنأت به. أي: جاءني من غير مشقة ولا تعب. والقصد الدعاء له بتيسير العلم ورسوخه فيه. وحقيقته الإخبار عن طريق الكناية بأنه راسخ في العلم لإجابته بما هو الحق عند الله تعالى[4].

الشرح الأدبي

نداء الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي المنذر بكنيته تكريم له، وقوله (أَتَدْري أيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أعْظَمُ؟) استفهام اختبار بمعنى أخبرني، وفيه تشويق، والتعبير بالكتاب إشارة إلى الثبات واللزوم الذي هو حاصل المكتوب، و (ال) في الكتاب للعهد أي الكتاب المعهود، وهو القرآن، وإضافته لله بيان، وتشريف، والظرف مع، وإضافته لكاف الخطاب، فيه إشادة بأبي المنذر رضي الله عنه وتقرير لحفظه، وأفعل التفضيل (أعظم) تشير إلى تصدرها لغيرها مما يوجب العناية، وكثرة التلاوة، وقوله (فَضَرَبَ فِي صَدْرِي) كناية عن الرضا، والسرور عن إصابته في إجابته له، وتوفيق الله له مع ما تعكسه من مودة

---

(١) عند مسلم زيادة: (قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال).

(٢) عند مسلم زيادة: (والله).

(٣) برقم (٨١٠/٢٥٨)، والسياق للحميدي في جمعه (٤١١/١، رقم ٦٥٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٧١).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢١٢.

بينهما، وقوله (لِيَهْنِكَ العِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ) كناية عن سعة علمه، ورسوخه، ورجاحة عقله، والعبارة معناها ليكن العلم هنيئاً لك يا أبا المنذر، والتعبير بالهناء يشير إلى خير في يسر، وكل أمر أتاك من غير تعب فهو هنيء وهذا دعاء له بتيسير العلم، ورسوخه فيه، وفيه الإخبار بكونه عالماً، وهو المقصود، وفيه إشادة بأبي المنذر، وعلمه رضي الله عنه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل وعظمة آية الكرسي.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصحابي أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه.

خامسًا: من آداب الداعية: مدح المدعو والإشادة بفضله عند أمن فتنته وغروره.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

ورد أسلوب النداء في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا المنذر" وهو من أساليب الدعوة المفيدة لما فيه من إشعار المدعو بالخصوصية ورفع المنزلة عند الداعية مما يكون له الأثر الإيجابي في الاستجابة للدعوة والإقبال على الداعي.

فالأصل في النداء، طلب الإقبال إلا أنه قد يحمل معان أخرى تستفاد من القرائن، فقد ينزل البعيد منزله القريب فينادى بالهمزة وأي: إشارة إلى قربة من القلب وحضوره من الذهن، وقد ينزل القريب منزله البعيد فينادي بغير الهمزة وأي إشارة إلى علو مرتبته أو انحناء منزلته أو غفلته وشرود ذهنه[1].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد استخدام السؤال والجواب في الحديث وذلك في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب: أتدري أى آية من كتاب الله معك أعظم؟" وجواب أبي بقوله:"قلت (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) ولهذا الأسلوب قيمة تأثيرية عظيمة، إذ أنه يجعل المدعو في حالة

---

(١) البلاغة الواضحة، علي الجارم ص ٢٥٤.

استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة الأسئلة المطروحة وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيقه إرشاداتها في السلوك فيجب على حامل الرسالة من الدعاة أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[١].

ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب السؤال والاستفهام بكثرة في تربية المخاطبين وتوجيههم وإعدادهم إعدادًا إسلاميًا صحيحًا، وهو أسلوب يدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهو طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبيًا أو مصدقًا لما يسمعه دون فهم وإدراك[٢].

والنصوص التي اشتملت على الأسئلة التي طرحها النبي ﷺ على أصحابه بغرض التحريض على الفهم والمعرفة كثيرة، منها ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُط وَرَقُها، وإنَّها مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحدِّثُوني ما هِيَ؟ فوَقَعَ الناسُ في شَجَرِ البَوادي. قال عبدُ اللّهِ: وَوَقَعَ في نَفسِي أنَّها النَّخْلَةُ، فاسْتَحْيَيْتُ. ثمَّ قالوا: حَدِّثْنا ما هِيَ يا رسولَ اللّه. قال: هيَ النَّخْلة»[٣]. إن رسول الله ﷺ من خلال طرحه لمثل هذا السؤال يريد من خلال طرحه شحذ الأذهان وتطلعها إلى الجواب الصحيح[٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل وعظمة آية الكرسي:

إن آية الكرسي لها شأن عظيم وفضل كبير[٥]، ومن أوجه فضل آية الكرسي وألوان عظمتها ما جاء في صريح الحديث من كونها أعظم آية من كتاب الله تعالى، فعن أبي كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا المنذر أتدري أى آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) فهذه الآية سيدة آي القرآن

(١) فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن أحمد حسن حبنكة الميداني ص ٥٨-٦٢.

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ١٧٢.

(٣) أخرجه البخاري، ٢٣.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٤٤٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧٢/١.

وأعظمها، وقد جعل الله ثوابها لقارئها عاجلاً وآجلاً، فأما في العاجل فهي حارسة لمن قرأها من الشياطين والآفات[١]، جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان... وذكر قصة وفيها- فقلت يارسول الله: زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: ما هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم، (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح -وكانوا أحرص شيء على الخير- فقال النبي ﷺ أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم مَنْ تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قال لا، قال ذاك شيطان [٢]، وإنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم آية وذلك - كما قال العلماء- لما جمعت أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والملك والقدرة والإرادة وهذه السبعة أصول الأسماء والصفات[٣].

وفي فتح الملهم: (قيل وإنما كان آية الكرسي أعظم آية لاحتوائها واشتمالها على بيان توحيد الله وتمجيده وتعظيمه وذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلي، وكل ما كان من الأذكار في تلك المعاني أبلغ كان في باب التدبر والتقرب به إلى الله أجل وأعظم[٤].

إن القرآن كنز عظيم بعضه أثمن من بعض وكله كريم عظيم نافع ومن جواهره الغالية آية الكرسي ففضلها كبير ونفعها عظيم[٥].

فآية الكرسي مشتملة على عشر صفات من صفات الله عز وجل: "الله لا إله إلا هو

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم، الإمام القرطبي ٢/٣/٢٦٨-٢٦٩.

(٢) أخرجه البخاري، ٢٣١١

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٤٠.

(٤) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ١٩١/٥.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٦.

الحي القيوم" ففي هذا إخلاص التوحيد لله عز وجل، ومعنى "لا إله إلا هو" أي: لا معبود حق إلا هو- جل وعلا فجميع المعبودات من دون الله معبودة بغير حق -حتى ولو سميت آلهة- فإنما هي أسماء سموها ما أنزل الله بها من سلطان "الحي القيوم" يعني: الكامل في حياته وفي قيوميته، فهو الحي الكامل في حياته لم يسبق حياته عدم ولا يلحقها فناء، لأنه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، قال الله عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[1]، قال بعض السلف: ينبغي لمن قرأ هذه الآية "كل من عليها فان" ألا يقف بل يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، لأجل أن يتبين في ذلك نقص المخلوقات وكمال الخالق- جل وعلا-فهو سبحانه تعالى: الحي الكامل في حياته، كذلك حياته لا يلحقها نقص بوجه من الوجوه، وحياة غيره كلها نقص انظر حياتك أنت : إن جئت بالسمع فسمعك ناقص، لا تسمع كل شيء، البصر كذلك، الصحة كذلك، وما أكثر الأمراض التي تصيب الناس وهكذا بقية أسباب الحياة ناقصة أما الرب عز وجل، فهو كامل الحياة "القيوم" معناها القائم بنفسه القائم على غيره، يعني معنى القائم بنفسه لا يحتاج لغيره ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[3]، فهو غني، وفي الحديث القدسي أنه قال جل وعلا: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي. وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي»[4]. فهو قائم بنفسه لا يحتاج لأحد، قائم على غيره: كل ما سواه فإن القائم عليه هو الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾[5]، يعني: كمن لا يملك شيئًا والقائم على كل نفس بما كسبت هو الله عز وجل؛ إذا "القيوم" له معنيان:

---

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٤) أخرجه مسلم، ٥٥.

(٥) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

القائم بنفسه، والقائم على غيره. "لا تأخذه سنة ولا نوم" السنة هي: النعاس والنعاس هو مقدمة النوم، والنوم معروف، فالله عز وجل لا تأخذه سنة ولا نوم، والإنسان تأخذه السنة ويأخذه النوم اختار أم لم يختر، أحيانًا ينام الإنسان وهو يصلي، ينعس وهو يكلم الناس، لكن الله عز وجل لا تأخذه سنة ولا نوم لكمال حياته وكمال قيوميته، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الله لاَ يَنَامُ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ»[1]. يعني مستحيل غاية الاستحالة أن ينام عز وجل، لأنه كامل الحياة كامل القيومية، مَنْ يقوم على الخلق لو نام الخالق؟ لا أحد فهو جل وعلا لا تأخذه سنة ولا نوم. والله أعلم[2].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصحابي الجليل أبي بن كعب رضي الله عنه:

من المشهود لهم بالفضل وحفظ القرآن وكثرة العلم، الصحابي الجليل أُبيٌّ بن كعب رضي الله عنه، وهذا الحديث فيه منقبة له ودليل على فضله، قال النووي: قوله ﷺ لأبي بن كعب: "ليهنك العلم أبا المنذر" فيه منقبة عظيمة لأبي، ودليل على كثرة علمه[3] وقوله: "أتدري أى آية من كتاب الله معك أعظم" إشارة إلى أنه رضي الله عنه ممن حفظ جميع القرآن في زمنه ﷺ[4]، كما أن في قوله: "فضرب في صدري وقال ليهنك العلم أبا المنذر" سرور رسول الله ﷺ كما أن فيه تنشيط الداعية والمعلم لمن يعلمه إذا رآه أصاب وتنويهه به وسروره بما أدركه من ذلك[5]، ومن فضائل أبي بن كعب التي لم يشاركه فيها غيره ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب ﷺ "إن الله ﷺ أمرني أن أقرأ عليك : (لم يكن الذين كفروا) قال وسماني لك ؟ قال نعم فبكى"[6] . وحق له رضي الله عنه أن يبكي فرحًا بهذا المقام الرفيع،

---

(١) أخرجه مسلم، ١٧٩.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٢٥٦/٢، ١٢٥٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٤٠.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٢.

(٥) إكمال المعلم، القاضي عياض، ١٧٨/٣.

(٦) أخرجه البخاري، ٣٨٠٩، ومسلم، ٧٩٩.

فالله يأمر الرسول ﷺ أن يقرأ عليه القرآن[١]، فلم لا يفرح وقد ذكر الله اسمه فوق سبع سماوات وأمر النبي ﷺ أن يستمع إلى قراءته كذلك من فضائله المشهورة أَمْرُ النبي ﷺ صحابته بأخذ القرآن عنه، فقال ﷺ: «استقرئُوا القُرآن مِن أربعةٍ: مِنْ عبد اللهِ بن مسعودٍ، وسالمٍ مَوْلى أبي حذيفة، وأُبي بنِ كعْبٍ، ومُعاذِ بنِ جبلٍ»[٢].

وكان عمر رضي الله عنه يسميه سيد المسلمين[٣].

لقد كان أبو المنذر أبيُّ بن كعب رضي الله عنه ذا فضل عظيم أحب النبي ﷺ حبًا يفوق التصور وعكف على اقتطاف ثمار الشمائل الكريمة من الرسول المعلم ﷺ ليغذي روحه من أنوارها، ويكون ممن تعلموا وعلموا، فإذا هو في واد خصيب وإذا هو تلميذ من تلامذة مدرسة النبوة نجيب، صرف رأس مال عمره وحياته في تحصيل العلم من شجرة النبوة الزكية المسقية بماء الوحي والمندَّاة الندية، فحفظ عن النبي ﷺ علمًا عمل وفق مراده، فكان من قدوة علماء الصحابة وفقهائهم رضي الله عنهم أجمعين.

لزم أبيُّ بن كعب رضي الله عنه المجالس النبوية السنية وأخذ يقتبس من سناها ويستفيد من كل ما يسمع منها وكان رضي الله عنه ممن تعلم الكتابة قبيل الإسلام[٤].

كانت حياة أبي بن كعب عليه سحائب الرضوان حياة علم وعبادة، وعمل وخير، وبركة وفضل، قضى شطرًا من حياته مع القرآن العظيم ينعم بأحكامه، ومع أحاديث النبي ﷺ، ومع العبادة والعلم، والتعليم.

قال أبو العالية : (كان أبي صاحب عبادة، فلما احتاج الناس إليه، ترك العبادة، وجلس للعلم)[٥].

جلس أبيٌّ رضي الله عنه للإقراء، وأخذ عنه القراءة عدد من أعيان العلماء، ومنهم:

---

(١) العناية بالقرآن الكريم في العهد النبوي الشريف، الشيخ يوسف بن عبدالله الخاطر ص ٤٣.

(٢) أخرجه البخاري، ٣٨٥٨.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ص٣١.

(٤) انظر: مختصر تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ١٩٨/٤.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٢٠٣/٤.

عبدالله بن عباس، وأبو هريرة، وعبدالله بن السائب، وعبدالله بن عياش بن أبي ربيعة، وأبو عبدالرحمن السلمي، وأبو العالية[١]، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يجل أبيًا ويتأدب معه، ويتحاكم إليه؛ ولعمر أخبار سارة نافعة وجميلة مع أبي ﷺ تكفلت كتب المصادر بذكرها وروايتها[٢].

عاش ﷺ شطرًا من الخلافة الراشدة، وهو موفور الكرامة مرعي الجانب، له مكانته في مجالس العلماء من الصحابة الأعلام[٣].

خامسًا - من آداب الداعية: مدح المدعو والإشادة بفضله عند أمن فتنته وغروره:

من الآداب التي ينبغي مراعاتها من قِبَلِ الداعية تحفيز المدعو بالثناء عليه والإشادة به وذلك عند أمن فتنته وغروره، وفي الحديث أنموذج تطبيقي لذلك، ففي قوله ﷺ لأبي بن كعب "ليهنك العلم أبا المنذر" ، قال النووي ، : فيه جواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان فيه مصلحة، ولم يخف عليه إعجاب ونحوه لكمال نفسه، ورسوخه في التقوى[٤] وقد استخدم النبي ﷺ الثناء والمدح والإشادة مع كثير من صحابته، فكان ﷺ يثني لظهور خصال أو أعمال تستحق التنويه والإشادة مما ينبغي الاستمرار عليه، وقد فعل ذلك عند ما نوَّه بخصال المنذر بن عائذ وهو أشج عبدالقيس، فعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ، قال لأشج عبدالقيس، "إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة"[٥]، [٦].

(١) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الإمام الذهبي، تحقيق: بشار عواد، ٢٩/١.

(٢) انظر: طبقات أبو سعد، ٢١/٤، ٢٢، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٩٧/١.

(٣) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٥٧٤-٥٨٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٤٠.

(٥) أخرجه الترمذي، ٢٠١١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٦٣٦)

(٦) علم النفس الدعوى، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ١٠٩.

الحديث رقم (١٠٢١)

١٠٢١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: وَكَّلَنِي رسولُ الله ﷺ بحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فقُلتُ[1]: لأَرْفَعَنَّكَ إلَى رسولِ الله ﷺ، قَالَ: إنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَبِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((يَا أبَا هُرَيرة، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟)) قُلْتُ: يَا رسول الله، شَكَا حَاجَةً[2] وَعِيَالاً، فرحِمتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبيلَهُ. فَقَالَ: ((أمَا إنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ)) فَعَرَفْتُ أنَّهُ سَيَعُودُ، لقولِ رسول الله ﷺ[3] فَرَصَدْتُهُ، فَجاء يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَقُلتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إلَى رسول الله ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ لاَ أعُودُ، فَرحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لي رسول الله ﷺ: ((يَا أبَا هُريرة، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟)) قُلْتُ: يَا رسول الله، شَكَا حَاجَةً[4] وَعِيَالاً، فَرحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبيلَهُ. فَقَالَ[5]: ((إنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ)) فَرَصَدْتُهُ الثَّالثَة، فَجاء يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إلَى رسولِ الله ﷺ، وهذا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ أنَّكَ تَزْعُمُ أنَّكَ[6] لاَ تَعُودُ[7]! فَقَالَ: دَعْنِي فَإنِّي[8] أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُنَّ[9]؟ قَالَ: إذَا أَوَيْتَ إلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ[10]، فَإنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ[11] شَيْطَانٌ حَتَّى

---

(١) عند البخاري زيادة: (والله)، ولا توجد عند الحميدي في جمعه (٢٥٨/٣، رقم ٢٥٦٨).

(٢) عند البخاري زيادة: (شديدة).

(٣) عند البخاري زيادة: (إنه سيعود)، وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه.

(٤) عند البخاري زيادة: (شديدة)، وهي لا توجد عند الحميدي.

(٥) عند البخاري زيادة: (أما).

(٦) (أنك) لا توجد عند البخاري، وهي عند الحميدي في جمعه.

(٧) عند البخاري زيادة: (فتعود).

(٨) (فإني) لا توجد عند البخاري، وهي عند الحميدي في جمعه.

(٩) لفظ البخاري: (ما هو).

(١٠) عند البخاري زيادة: (الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم، حتى تختم الآية).

(١١) لفظ البخاري: (ولا يقربنك)، والمثبت لفظ الحميدي.

تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لي رسولُ الله ﷺ: ((مَا فَعَلَ أسِيرُكَ البَارِحَةَ؟)) قُلْتُ: يَا رسول الله، زَعَمَ أنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: ((مَا هِيَ؟)) قُلْتُ: قَالَ لي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ وقَالَ لِي: لاَ يَزَالُ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَنْ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. فَقَالَ النبيُّ ﷺ: ((أمَا إنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثٍ يَا أبَا هُرَيْرَةَ؟)) قُلْتُ: لاَ. قَالَ: ((ذَاكَ شَيْطَانٌ)) رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وكلني: وكّل فلانًا: فوّض إليه أمرًا من الأمور[٢].

يحثو من الطعام: يأخذ بيده منه[٣].

البارحة: أقرب ليلة مضت[٤].

فرصدته: رَقَبْتُه[٥].

آويت: أتَيْتُ[٦].

الشرح الأدبي

الحديث من الأحاديث القصصية الطويلة التي يقوم فيها الحوار على عدة

---

(١) برقم (٢٣١١). أورده المنذري في ترغيبه (٨٨٨).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ك ل)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٨٠.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ث ر)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٥٣.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ر و).

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٤/٥٦٩.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢١٥.

شخصيات، مما يعطي الأسلوب حيوية، وحركة، ومما يزيده حيوية، وطرافة، وتشويقاً أن أحد أطراف الحوار شيطان، وقول الرسول ﷺ ((يَا أَبَا هُرَيرة، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟)) النداء تودد، وتكريم، والاستفهام تنبيه، وقول الرسول ﷺ (أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ) أما استفتاحية وقوله (كذبك) خبر أريد به التنبيه، والتحذير، وقوله (وسيعود) توكيد للجملة السابقة قوله: (فَجَاء يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ) قوله يحثو يشير إلى النهم ويوحي بالجشع، وقوله (فأخذته) كناية عن العقاب، والإمساك به، وقول الشيطان له (دَعْنِي) أمر بغرض الرجاء، والالتماس، وقوله: ((فَإِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا) الفاء للتعليل حملا له على الاستجابة للطلب، والجملة بغرض الترغيب في الكلمات، وقوله: (مَا هُنَّ؟) استفهام على حقيقته تبدو خلفه لهفة، وشوق، وقول الشيطان (إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ) أسلوب شرط يربط الإيواء إلى الفراش بقراءة آية الكرسي وقوله: (فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ) يشير إلى قيمة هذه الآية، وأثرها على منع الشيطان من الاقتراب من الإنسان، وتوكيد الخبر؛لأن المخاطب منكر للخبر، والتعبير بالفعل زال يشير إلى الاستمرارية، والتعبير بعلي في قوله (عليك) يفيد الاستعلاء، والإحاطة التي تدل على شمول الحفظ، وقوله (من الله) يعطي الحفظ أبعادا أخرى تتخطى حدود الحفظ البشري إلى الحفظ الإلهي الذي لا يبلغه شر مهما كانت قوته، ، والتعبير بالقرب عن وسوسة الشيطان فيه مبالغة في منعه عن الإنسان، وقوله (حتى تصبح) بيان للمدى الزمني الذي تستغرقه الآية بأثرها، وقول الرسول ﷺ (أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ) تأكيد الكلام لغرابة الخبر من حيث إنه يخبر عن شيطان في زي إنسان مخادع، والطباق بين صدق، وكذب يؤكد المفارقة بين طبيعة الشيطان في الكذب، والخداع، وبين صدقه في هذا الموقف لتحقيق غرضه لأخذ ما يريد، وقول الرسول ﷺ (تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟) استفهام إخبار وتشويق، وتنبيه، وقوله: (ذَاكَ شَيْطَانٌ) الإشارة تفيد تقرير المشار إليه، وجعله ملأ سمعه، وبصره لأنه في الظاهر إنسان، وفي الحقيقة شيطان، وكم من مظهر خدَّاع !، وكم من شيطان يعيش بيننا في زي إنسان!

فقه الحديث

قال ابن حجر: (فيه: أي في الحديث) أن السارق لا يقطع في المجاعة ويحتمل أن يكون القدر المسروق لم يبلغ النصاب ولذلك جاز للصحابي العفو عنه قبل تبليغه إلى الشارع.

٢- فيه قبول العذر والستر على من يظن به الصدق.

٣- فيه جواز جمع زكاة الفطر قبل ليلة الفطر وتوكيل البعض لحفظها وتفرقتها)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تكليف النبي ﷺ لأبي هريرة بحفظ زكاة رمضان.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: القصة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: من معجزات الرسول ﷺ: الإخبار بحقائق الأمور.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: الرحمة بالمحتاج والعائل.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل قراءة وتدبر آية الكرسي.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

أولاً - من موضوعات الدعوة: تكليف النبي ﷺ لأبي هريرة بحفظ زكاة رمضان:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قول أبي هريرة رضي الله عنه: "وكلني رسول الله بحفظ زكاة رمضان" وفي ذلك دليل على أن الإسلام أمر بالمحافظة على المال فحرم الإسراف والتبذير وحظر إضاعة المال وتبديده[٢]، ومن هنا كان حرص النبي ﷺ على أموال زكاة المسلمين وحفظها حتى إيصالها إلى مستحقيها، فأمر أبا هريرة بحراستها

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٤/٤٨٩-٤٩٠.

(٢) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ١٥٧.

وحفظها. وذلك يعد من الأحوال المتألقة في حياة أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: «كان يعده من الأمناء ويوكله بحفظ زكاة رمضان»[١].

ثانيًا - من وسائل الدعوة: القصة:

وردت القصة في الحديث حيث قص علينا أبو هريرة ﷺ قصته في أمر رسول الله ﷺ له بحفظ زكاة الفطر وما جرى من مجيء الشيطان ثلاث ليال يحثو من الطعام وما دار بينه وبينه وما جرى من رجوع أبي هريرة إلى رسول الله ﷺ، والقصة من الوسائل الدعوية المؤثرة وقد استخدمها القرآن والسنة في عرض الدعوة وذلك لما فيها من التأثير والاعتبار والعظة[٢]، ولها التأثير الكبير في تبليغ الدعوة فهي ترتقي بالإنسان إلى الفضيلة وتتسامى به إلى الأفضل والأحسن دائمًا وتبتعد به عن مواطن الزلل والضعف.

فما جاء في القرآن والسنة من قصص واقع عاشه أصحابه، كما وصف تماما في القرآن والسنة، فهو محل تدبر وتفكر واعتبار[٣]، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٤].

ومن عظيم فضل الله تعالى على هذه الأمة الإسلامية أن روى لها هذه الخلاصات في كتابه العظيم فحفظت بذلك من الضياع أو التحريف، فلم تمتد إليه يد غادر فتزور أو تغير، ولا يد خائن فتسرق أو تخفى - كما هو الشأن في التوراة والإنجيل المحرفين- فهذا القصص الحق محفوظ ما دامت على الأرض حياة تنبض أو شمس تشرق وتغيب، تصديقًا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[٥].

---

(١) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٢٩٢.

(٢) القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي ص ٣٢-٥٧.

(٣) عظمة القرآن، محمد بن صالح الدوسري ص ٢٨٨.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩.

وبقيت هذه الخلاصات بذلك بين أجيال هذه الأمة غضة حية تمدهم بأسباب النجاح، وأصول التعامل مع أنفسهم، والأمم من حولهم، وتجنبهم طريق الخيبة أو الوقوع في مكائد ومصائد شياطين الجن والإنس.

وهذا غيض من فيض في فوائد القصص القرآني، وفعله في حياة الناس وأثره على تقدمهم أو تأخرهم، فضلاً عما فيه من أنواع المعرفة، وسبل الهداية، والمتعة الهادفة، مما كان له الأثر الفاعل في ضبط اتباع الأمة المحمدية، حتى امتازوا عن غيرهم -من الأمم السابقة- بالعطاء والرقي.

وبعد هذا كله كيف يجوز لعاقل ألا يعكف على هذا القصص الحق بالدراسة والتمحيص واستلهام العبرة والموعظة الحسنة، ويعمل بمقتضى ذلك، فينعم بحياة مستقرة، وآخرة مرتضاة[١].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الحوار:

جاء أسلوب الحوار في الحديث جليًا واضحًا وذلك فيما دار بين أبي هريرة ورسول الله ﷺ: فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج وعليّ عيال وبي حاجة شديدة، فخليت سبيله..."، وأسلوب الحوار من الأساليب المجدية في الدعوة، ويراد بالحوار والجدال في مصطلح الناس مناقشة بين طرفين أو أطراف بقصد تصحيح كلام وإظهار حجه وإثبات حق ودفع شبهه ورد الفاسد من القول والرأى، وتلك هي غاية الحوار الأصلية وهى جلية بينة[٢].

إن من أهداف الحوار الرئيسة أنه يستخدم كوسيلة من وسائل إيضاح العقيدة الصحيحة ويعرضها عرضًا بسيطًا سهلاً خالية من التعقيد والتكلف ويميط اللثام عن المعنى السامي للعبادة ومن أمثلة ذلك ما جاء في محاوره رسول الله ﷺ مع معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال: «كنت رَديفُ النبيِّ ﷺ ليس بيني وبينَه إلا آخِرَة الرَّحْل فقال: يا معاذ، قلت: لبَّيكَ رسولَ اللّه وسَعدَيك. ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذُ، قلت: لبَّيكَ

---

(١) انظر: معالم القصة في القرآن الكريم، محمد خير العدوي ص ٧، ٨.

(٢) معالم في منهج الدعوة، صالح بن عبدالله بن حميد ص ٢١٣.

رسولَ اللّه وسعدَيك. ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذ، قلت لبَّيك رسولَ اللّه وسعدَيك. قال: هل تَدري ما حقُّ اللّهِ على عبادِه؟ قلت: اللّهُ ورسوله أعلم. قال: حق اللّه على عباده أن يَعبُدوهُ ولا يُشركوا به شيئًا. ثم سار ساعةً ثم قال: يا مُعاذَ بن جَبَل. قلت: لبَّيك رسولَ اللّه وسَعدَيك. فقال: هل تَدري ما حقُّ العبادِ على اللّه إذا فعلوه؟ قلتُ: اللّهُ ورسولهُ أعلم. قال: حقُّ العبادِ على اللّه أن لا يُعذِّبهم»[1].

إن الرسول ﷺ لم يستخدم مع معاذ الخطاب الاخباري، إنما استخدم معه الحوار الخطابي التنبيهي أو الإيضاحي الذي يحرك الوجدان ويهذب السلوك وينبه إلى أمر عظيم[2].

كذلك من أمثلة الحوار النبوي ما رواه الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي-رضي الله عنه: ((أنَّ فتًى شابًّا أتَى النَّبِىَّ ﷺ فقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِى بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لاِبْنَتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ قَالَ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَىْءٍ))[3].

لقد أوصل الرسول ﷺ بحواره الشاب إلى قناعة تامة بخطر الزنا، من خلال مناقشته وإثارة الغيرة الكامنة في نفسه على أمه وأخته وأهل بيته، فأقر بأن هذا الفعل المنكر الشنيع، الذي يفعله في أعراض الناس وهم غافلون، يمكن أن يفعله غيره مع

---

(١) أخرجه البخاري، ٤٨٧.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٤٤٨، ٤٤٩.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٢٢٢١١، والحديث قال عنه محققوا المسند، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، انظر: (مسند الإمام أحمد، ٥٤٥/٣٦).

أهل بيته وهو غافل، وبعد اكتمال علاج العقل، استخدم معه علاج الروح فدعا الله تعالى له أن يطهر قلبه ويحصن فرجه[١].

رابعًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

تكرر هذا الأسلوب في الحديث أكثر من مرة ومن ذلك سؤال النبي ﷺ لأبي هريرة: ما فعل أسيرك البارحة يا أبا هريرة؟ والسؤال والجواب من الأساليب المؤثرة في تبليغ الدعوة ونقشها في صدور المدعوين لما تجعلهم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة الأجوبة، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، فينبغي على الداعية استثمار هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[٢].

ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب السؤال والجواب بكثرة في عرض دعوته على الناس، ومن شواهد ذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد إزالة فعل محرم ألفه الناس واعتادوا عليه أو استهانوا فعله يحاول ربط تحريمه بأمر آخر قد بينت حرمته وثبتت في نفوسهم فيتوصل إلى ذلك بالسؤال، كما في الحديث الذي يرويه البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خطبَ الناسَ يومَ النَّحرِ فقال: ياأيُّها الناسُ، أيُّ يومٍ هذا؟ قالوا: يومٌ حرام. قال: فأيُّ بلدٍ هذا؟ قالوا: بلدٌ حرام. قال: فأيُّ شهرٍ هذا؟ قالوا: شهرٌ حرام. قال: فإن دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ كحُرمةِ يومِكم هذا، في بلدِكم هذا، في شهركم هذا. فأعادَها مِرارًا. ثم رفعَ رأسَهُ فقال: اللَّهمَّ هل بلَّغتُ؟ اللَّهمَّ هل بلَّغتُ؟ قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: فوَالذي نفسي بيده، إنَّها لوَصيتُه إلى أُمَّتِهِ: فلْيُبلغِ الشاهدُ الغائبَ، لاتَرجعُوا بعدي كُفَّارًا يَضرِبُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ»[٣].

إن سؤال رسول الله ﷺ عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها، كان

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٤٥٥.

(٢) انظر: فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٥٨/٢-٦٢.

(٣) أخرجه البخاري، ١٧٣٩.

لاستحضار فهومهم وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه، ولذلك قال بعد هذا: فإن دماءكم وأموالكم.... إلخ، مبالغة في بيان تحريم هذه الأشياء. وشبَّه حرمة هذه الأشياء بحرمة البلد الحرام، والشهر، واليوم، لأنها ظاهرة الحرمة عندهم بخلاف الأنفس، والأموال، والأعراض، التي كانوا يستبيحونها في الجاهلية. فأبان لهم الشرع أن تحريم دم المسلم وماله وعرضه كتحريم البلد والشهر واليوم بل أعظم من ذلك[١].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: من معجزات الرسول ﷺ الإخبار بحقائق الأمور:

لقد حبى الله نبيه ﷺ وأيده بالمعجزات البينات والتي منها ما ورد في الحديث في سؤاله ﷺ لأبي هريرة عن أسيره: "يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ وذلك استفهام تقريري وكذلك في إخباره لأبي هريرة بعودته، فقال: "إنه قد كذبك وسيعود" إذ أن الله قد أطلع نبيه ﷺ على ما وقع لأبي هريرة وأن سيقع له، فأراد رسول الله ﷺ إعلام أبي هريرة حاله وبأنه سيعود[٢]، فإن من معجزاته ﷺ ودلائل نبوته ما أُطلِعَ عليه من الغيوب الماضية والمستقبلة وإخباره عنها[٣].

والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على اطلاع النبي ﷺ على بعض الأمور الغيبية[٤].

ومن أمثلة ذلك ما أخبر به النبي ﷺ وتحقق في حياته كإخباره بمصارع الطغاة يوم بدر، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كُنَّا مَعَ عُمَرَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. فَتَرَاءَيْنَا الْهِلاَلَ. وَكُنْتُ رَجُلاً حَدِيدَ الْبَصَرِ. فَرَأَيْتُهُ. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَآهُ غَيْرِي. قَالَ: فَجَعَلْتُ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٧٣٥/٣.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٥.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٥٤٢/١.

(٤) انظر: الشفا، القاضي عياض، ٣٢٩/١.

أَقُولُ لِعُمَرَ: أَمَا تَرَاهُ؟ فَجَعَلَ لاَ يَرَاهُ. قَالَ يَقُولُ عُمَرُ: سَأَرَاهُ وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِي. ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا عَنْ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالأَمْسِ. يَقُولُ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلاَنٍ غَدًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ». قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَأُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ: فَجُعِلُوا فِي بِئْرٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ. فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «يَا فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ وَيَا فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللَّهُ حَقًّا».

قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لاَ أَرْوَاحَ فِيهَا؟ قَالَ: ((مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ. غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا))[1].

كذلك ما أخبر به النبي ﷺ وتحقق بعد مماته، ومن ذلك ما أخبر به النبي ﷺ من ظهور الإسلام وعلوه.

فعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: (شَكَونا إلى رسولِ الله ﷺ ـ وهو مُتَوَسِّدٌ بُردَةً لَهُ في ظِلِّ الكعبةِ ـ قلنا له: ألا تَستنصِرُ لنا، ألا تَدعو اللَّهَ لنا ؟ قال: كان الرَّجلُ فيمن قبلَكمْ يُحفَرُ له في الأرضِ فيُجعَلُ فيه، فيُجاء بالمنشارِ فيوضعُ على رأسهِ فيُشَقُّ باثنتَينِ، . وما يَصُدُّهُ ذلك عن دينه، ويُمشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دُونَ لحمهِ من عظمٍ أو عَصَب، وما يَصدُّهُ ذلكَ عن دينه. واللّه لَيتمَّنَّ هذا الأمرَ حتى يَسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حَضرَمَوتَ لا يخافُ إلاّ اللّهَ، أوِ الذِّئبَ على غَنَمه، ولكنَّكم تَستَعجِلون)[2].

وهكذا وقع فقد عم وظهر الدين وغلب وعلا على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها وعلت كلمته في عهد الصحابة ومَنْ بعدهم وذلت لهم سائر البلاد ودان لهم جميع أهلها على اختلاف أصنافهم وألوانهم وصار الناس إما مؤمن داخل في الدين، وإما مهادن باذل الطاعة والمال وإما محارب خائف وجل من سطوة الإسلام وأهله[3].

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٨٧٣.

(٢) أخرجه البخاري، ٣٦١٢.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١/٥٤٦.

كذلك من تلك الأخبار التي تحققت بعد وفاته ﷺ ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هلكَ كسرى فلا كِسْرى بعدَه، وإذا هلكَ قيصرُ فلا قَيصَرَ بعده. والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ لتُنْفِقُنَّ كنوزَهما في سبيل الله»[١].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((هَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْمَاطٍ[٢] قلْتُ: وَأَنَّى يَكُون لَنَا الأَنْمَاطُ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ سَيَكُونُ لَكُمُ الأنْمَاطُ فَأَنَا أَقُولُ لَهَا يَعْنِي امْرَأَتَهُ أَخِّرِي عَنِّي أَنْمَاطَكِ فَتَقُولُ: أَلَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّهَا سَتَكُون لَكُمُ الأنْمَاط فَأَدَعُهَا))[٣].

وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ: قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة في أمّتي ثلاثون سنة، ثم ملكًا بعد ذلك»[٤].

وقد وقع ذلك كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ: قال الحافظ ابن كثير: (وهكذا وقع سواء، فإن أبا بكر رضي الله عنه كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال، وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة إلا اثنى عشر يومًا، وكانت خلافة علي بن أبي طالب خمس سنين إلا شهرين، وتكميل الثلاثين بخلافة الحسن بن علي نحوًا من ستة أشهر، حتى نزل عنها لمعاوية عام أربعين من الهجرة)[٥].

سادسًا - من موضوعات الدعوة: الرحمة بالمحتاج والعائل:

أشار الحديث إلى الرحمة بالمحتاج والعائل وذلك فيما دار بين أبي هريرة والشيطان

---

(١) أخرجه البخاري، ٣٦١٨، ومسلم، ٢٩١٩.

(٢) انماط: الأنماط جمع نمط وهو من البسط معروف، انظر: جامع الأصول، ٣١٩/١١، وقد قال له النبي ﷺ ذلك عندما تزوج.

(٣) أخرجه البخاري، ٣٦٣١، ومسلم، ٢٠٨٣.

(٤) أخرجه أبو داود، ٤٦٤٦، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٢٥/١٣)، أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره، وقال الألباني حديث حسن صحيح، (سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤٥٩، وصحيح سنن أبي داود، ٣٨٨٢).

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون، ٢٠٤/٦، ٢٠٥.

من حوار "فجاء يحثو من الطعام، فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال دعني فإني محتاج وعليَّ عيال ولا أعود، فرحمته فخليت سبيله"، فإن من لوازم الإيمان التراحم والتعاطف، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد"[١]، قال النووي: والحديث صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه[٢] والتراحم أن يرحم المؤمنون بعضهم بعضًا بأخوة الإيمان، بحيث يرق لأخيه ويتألم لألمه ويقف بجانبه في السراء والضراء[٣].

وفي قوله ﷺ: ((تَرى المؤمنينَ في تراحُمِهم وتوادّهم وتَعاطفِهم كمثَل الجسَدِ إذا اشتكى عُضوًا تَداعى له سائرُ جسَدِه بالسّهَرِ والحُمّى)) يمثل رسول الله ﷺ المؤمنين في هذا لخلال الثلاث بالجسد الواحد فكما أن الجسد إذا مرض منه عضو تألم له الباقي، فلم يذق نومًا وسارت إليه حرارة الحُمَّى، فآلمته، فكذلك المؤمنون حقيقة إذا ناب واحدًا منهم نائبة شعر بألمها الباقون، فسعوا بما فيهم من العواطف لدفع الألم عنه، وجلب الخير إليه.

فالمسلمون في مجموعهم كشخص واحد وكل فرد منهم بالنسبة للمجموع كالعضو بالنسبة للشخص، فالخير يصيب الواحد منهم كأنما أصاب كلهم؛ والشر ينوبه، كأنما ناب جميعهم، فليعتبر بهذا الحديث بعض الأمم الإسلامية التي لا تألم لما يصيب جارتها، بل ربما ساعدت عدوًا على القضاء عليه وليعتبر به أولئك الأفراد الذين جدوا في اصطياد مصالحهم الشخصية وإن أضرت بآخرين، وإذا ما طلب منهم مواساة إخوانهم ولوا على أدبارهم نفورًا، أولئك لم يتوطن الإيمان بعد نفوسهم.

فالرحمة فضيلة والقسوة رذيلة[٤]، وأولى الناس بالتخلق بالرحمة وإشاعة التراحم في

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٠١١، ومسلم، ٢٥٨٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، ١٥٤٥.

(٣) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي ص ١٨٢.

(٤) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٢١، ١٢٢.

المجتمع هم الدعاة إلى الله، يرشدون الناس إلى الخير ويعلمونهم الحق، ويأخذون بهم عن اللمم إلى السبيل الأهم، ويعملون لعزهم، ودفع المذلة عنهم وهديهم إلى عمل الخير وخير العمل، فإذا ما ابتعد الإنسان وتجافى عن الرحمة بالآخرين لم يكن أهلاً لرحمة الله به وحرم نفسه منها، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((من لا يَرْحم لا يُرْحم))[١].

فما أحرى المسلمين جميعًا خاصة الدعاة منهم أن يتحلوا بالرحمة ويتجملوا بهم اقتداء بإمام الدعاة ﷺ والذي وصفه ربه بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

سابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل قراءة وتدبر آية الكرسي:

جاء في صريح الحديث بيان فضل آية الكرسي بأنها سبب لحفظ الإنسان من الشياطين والآفات، فقلت يارسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال ما هى ؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية "(الله لا إله إلا هو الحى القيوم) ، وقال لي لا يزال عليك من الله حافظ، ولن يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ أما إنه قد صدقك وهو كذوب، فقراءة آية الكرسي سبب للحفظ والوقاية من الشيطان وإنما قال "ولا يقربك شيطان مع أن ذلك يدخل تحت قوله: "لن يزال عليك من الله حافظ" فخص الشيطان لعظم ضرره، فنص على ابعاده فضلاً عن حصول وساوسه وإيذائه[٣].

إن آية الكرسي لها فضل كبير لما اشتملت عليه من أصول معرفة صفات الله تعالى كما اشتملت سورة الإخلاص على ذلك ، كما اشتملت آية الكرسي على كلمة الشهادة[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، ٥٩٩٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٦.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٤/٣/٢.

ومن يتأمل آية الكرسي، ويرى علاقتها بما قبلها وما بعدها من الآيات ليتراءى له مدى الإعجاز القرآني في نظمه وترتيب آياته، فقبلها جاءت الآيات مبينة أن يوم القيامة لا يكون فيه بيع ولا تجدي فيه خلة خليل ولا شفاعة شافع فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[1]، فجاءت بعدها آية الكرسي وهي أجمع آية وأشملها وأقواها في إبطال الشفاعة وتهديم بنيانها، فإن الشفاعة التي يعتقدها الغافلون أو الكافرون الظالمون تتعارض تعارضًا مباشرًا مع صفات الله وأسمائه الحسنى.

هي تتعارض مع قدرته الكاملة وسلطاته الواسعة ومراقبته الدقيقة وعلمه المحيط الذي لا نهاية له، فإنها لا تتصور إلا إذا افترضنا - والعياذ بالله - أنه تعالى ينقصه العلم وهو لا يحيط بكل شيء علمًا، إذًا فالمجال مفتوح أمام الشافعين حتى يقوموا بوظيفتهم ويزكّوا من يشاءون من أوليائهم، كائنًا ما كان وضعهم.

أو افترضنا - والعياذ بالله - أنه تعالى لا يملك السلطة الكاملة الواسعة المطلقة، وأن هناك من يتدخل في حكمه ويرغمه على ما يريد من عفو أو عطاء.

فجاءت هذه الآية تنفي هذه الشبهات وتنفي تلك الشفاعة التي كانت قائمة على هذه الشبهات)[2].

فسورة الكهف أعظم آية في القرآن الكريم كما ثبت عن نبينا محمد ﷺ في حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه "الحديث السابق".

وقد نقل الطيبي عن القاضي البيضاوي قوله: (إنما كان آية الكرسي أعظم آية؛ لأنها مشتملة على أمهات المسائل الإلهية، فإنها دالة على أنه تعالى واحد في الإلهية؛ متصف بالحياة، قائم بنفسه، مقوم لغيره، منزه عن التحيز والحلول، مبرأ عن التغير والفتور، لا يناسب الأشباح، ولا يعتريه ما يعتري الأرواح، مالك الملك والملكوت، مبدع

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.

(٢) البرهان في نظام القرآن في الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، د. محمد عناية الله أسد سبحاني ص٣٨٣.

الأصول والفروع، ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده إلا من أذن له، العالم وحده بالأشياء كلها جليها وخفيها، كلها وجزئيها، واسع الملك والقدرة، ولا يئوده شاق، ولا يشغله شان، متعال عما يدركه وهم، عظيم لا يحيط به فهم) [١].

ثامنًا - من موضوعات الدعوة: الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها:

في الحديث دلالة على قبول الحق إن تيقن الإنسان من صحته ولو جاء من أي إنسان حتى ولو كان شيطانًا، حتى ولو كان من غير مسلم، كما جاء في الحديث من إقرار النبي ﷺ لأبي هريرة ما قال به الشيطان، قلت: يارسول الله زعم - الشيطان - أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: ما هي؟، قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)، وقال لي لا يزال عليك من الله حافظ، ولن يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة؟ قلت: لا، قال: ذاك شيطان".

قال د. الحسيني هاشم: (في الحديث فضل آية الكرسي وسيطرة المؤمن بإيمانه على الشيطان، والرفق بالمحتاجين، ومن كثرت عيالهم ومسئولياتهم، ومعرفة النبي ﷺ بالغيب الذي علمه الله، وإن الحكمة قد تصدر من الجاهل وأن سلامة النية سبيل النجاة) [٢].

فعلى الإنسان أن يقبل الحق من أي إنسان، وأن يرد الباطل من أي إنسان، ولهذا كان من الكلمات المأثورة عند العلماء "الرجال يعرفون بالحق والحق لا يعرف بالرجال" يعني لا تجعل مدار قبولك الحق على الرجل [٣] ولكن اجعله على الحق ذاته.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٤/٢٢٧ - ٢٢٨.

(٢) شرح رياض الصالحين ص ٥٤٧.

(٣) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ١٢٦٣.

الحديث رقم (١٠٢٢)

١٠٢٢- وعن أَبي الدرداءِ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**))[1].

وفي رواية: ((**مِنْ آخِرِ سُورَةِ الكَهْفِ**)) رواهما مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

عُصِمَ: مُنِع وحُمِي وحفظ[3].

الشرح الأدبي

الحديث في فضل سورة الكهف يشير إلى عظمة الأجر المتحقق بحفظ عشر آيات من سورة الكهف، وقد ورد المعنى في ثوب الخبر الخالي من المؤكدات الذي يقابل به خالي الذهن من مضمون الخبر لأنه كلام في حديث غيبي لا يتكلم فيه إلا نبي، والبداية بـ (من) تنادي بعموم من يعقل لاغتنام هذا الأجر، وقوله (عصم) أي منع، والتعبير بالعصمة يوحي بالقوة في الحماية، والنصرة، والمنع، وعدم ذكر الفاعل للعلم به، ولفظ (الدجال) يوحي بمعاني الخداع، والكذب، والغش، وإذا أطلق على هذه الشخصية المعرفة من خلال أخبار الرسول ﷺ بكل الشرور اتخذ اللفظ أبعاداً إيحائية أكثر خطورة مما يستلزم الحرص منه لا سيما، وأن زمان فتنته غير محدد، وإذا جهل الإنسان مكان الخطر، وزمانه كان أشد أثراً، ولذلك جعل لنا الرسول ﷺ عصمة منه بعشر آيات من أول سورة الكهف، أو من آخرها كما ورد في الرواية الأخرى.

---

(١) برقم (٢٥٧/٨٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٧٢).

(٢) بعد حديث (٢٥٧/٨٠٩، بدون رقم بلفظ: (من آخر الكهف). أوردها المنذري في ترغيبه (٢١٧٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ص م).

فقه الحديث

قال النووي: (قال الشافعي في الأم والأصحاب: يستحب قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة وليلتها)[(١)].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل سورة الكهف وحفظ عشر آيات من أولها وعشر آيات من آخرها.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ أمته من فتنة الدجال.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل سورة الكهف وحفظ عشر آيات من أولها وعشر آيات من آخرها:

إن لسورة الكهف وحفظها وتدبر معانيها أكبر الأثر فيما يبعث في القلب من قوة الإيمان وعدم التزحزح عنه وحفظ الإنسان من فتنة الدجال، وقد جاء في الحديث الإشارة إلى فضل حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف وعشر من آخرها، فقال ﷺ: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال" وفي رواية: "عشر آيات من آخر سورة الكهف"، قال النووي: (قيل سبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات فمن تدبرها لم يفتن بالدجال وكذا في آخرها)[(٢)].

وقال ابن علان: (وسر عصمة من حفظ تلك الآيات من الدجال اشتمالها على عجائب وآيات يمنع تدبرها من فتنته، وأيضًا ففي أولها ذكر أولئك الفتية الذين نجاهم الله من جبار زمنهم، فتعود بركتهم على قارئها حتى ينجيه الله كما أنجاهم، وفي آخرها. ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾[(٣)]، [(٤)].

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٩٥/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٤٠.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٢.

(٤) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٣٢/٤، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢١٧.

وبالجملة فقد اشتملت سورة الكهف كثيرًا من المقاصد العظيمة ذكرها الإمام الفيروز آبادي فقال: مقصود السورة مجملاً: بيان نزول القرآن على سنن السداد وتسلية النبي ﷺ في تأخر الكفار عن الإيمان، وبيان عجائب حديث الكهف، وأمر النبي ﷺ بالصبر على الفقراء، وتهديد الكفار بالعذاب، والبلاء، ووعد المؤمنين بحسن الثواب، وتمثيل حال المؤمن والكافر بحال الأخوين الإسرائيليين، وتمثيل الدنيا بماء السماء ونبات الأرض، وبيان أن الباقي من الدنيا طاعة الله فقط، وذكر أحوال القيامة، وقراءة الكتب، وعرض الخلق على الحق، وإباء إبليس من السجود، وذل الكفار ساعة دخولهم النار، وجدال أهل الباطل مع المحقين الأبرار، والتخويف بإهلاك الأمم الماضية وإذلالهم، وحديث موسى ويوشع وخضر، وعجائب أحوالهم، وقصة ذي القرنين، وإتيانه إلى المشرقين والمغربين، وبنيانه لسد يأجوج ومأجوج، وما يتفق لهم آخر الزمان من الخروج، وذكر رحمة أهل القيامة، وضياع عمل الكفر، وثمرات مساعي المؤمنين الأبرار، وبيان أن كلمات القرآن بحور علم لا نهاية لها، ولا غاية لأمدها، والأمر بالإخلاص في العلم الصالح أبدًا، في قوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾[1]، [2].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

والترغيب من أساليب الدعوة التي يرغّب بها الداعية المدعو فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، وقد جاء الترغيب في الحديث في حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ومن آخرها وبين ﷺ أن في ذلك الأمن من فتنة المسيح الدجال، فقال ﷺ: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال" وفي رواية "من آخر سورة الكهف" والترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة فالمرء يحب ما ينفعه ويرغب في الحصول عليه، وينبغي على الداعية أن يغتنم ذلك في الدعوة فيرغب المدعو في الخير ببيان نفعه له، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يقوم بالدعوة بالترغيب مع قيامه بأساليب أخرى[3]، قال

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز د الدين الفيروز آبادي، ١/٢٩٨.

(٣) ركائز الدعوة إلى الله في ضوء النصوص وسير الصالحين، د. فضل إلهي ص ١٨٠-١٨١.

تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[١]، قال ابن القيم: (الموعظة الحسنة هي الأمر والنهى المقرون بالرغبة والرهبة[٢]، وقد كان النبي ﷺ يكثر من الترغيب والترهيب، في الدعوة إلى الله تعالى تنفيذًا لأمر ربه تبارك وتعالى)[٣].

إن الترغيب هو القوة المحرضة الدافعة لفعل الخير، وتوجيه القدرات والطموحات إلى اتجاه طرق الخير[٤]، وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الترغيب والتشويق في كثير من أحاديثه، إذ أن المعرفة وحدها لا تكفي في إلزام الإنسان بالفضائل، بلا لابد معها من وسائل أخرى للتهذيب والتربية تحفز الإرادة وتبعث الهمة على الالتزام في السلوك بما توجبه المعرفة من عمل الخير والبعد عن الشر، كما أن النفوس تتفاوت في الاستعداد للتأثر، فلابد من تنويع وسائل التربية مهما بلغ الإنسان من الحضارة والرقي[٥].

ومن أمثلة التشجيع والترغيب ما جاء في الحث على قراءة القرآن ومن ذلك ما جاء في الحديث في فضل سورة الكهف فيقول ﷺ: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف -وفي رواية من آخر سورة الكهف- عصم من الدجال)، وما جاء في قراءة القرآن عامة ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قَرأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لاَ أَقُولُ آلم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ولامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ))[٦].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ أمته من فتنة الدجال:

جاء في الحديث إرشاد من النبي ﷺ للأمة للوقاية من فتنة الدجال: «مَنْ حَفِظَ

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١٩٤.

(٣) أصول التخريج ودراسة الأسانيد، د. محمود الطحان، مكتبة الرواد للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٠٢هـ، ص١٩٤.

(٤) انظر: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٢٥٣.

(٥) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ٣٣٤، ٣٣٥.

(٦) أخرجه الترمذي، ٢٩١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٣٢٧)

عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»، وفي رواية: "من آخر سورة الكهف".

قال ابن عثيمين: (فإن النبي ﷺ أخبر أنه من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف أو من آخرها عُصم من الدجال، والدجال رجل كافر يبعث في آخر الزمان يدَّعي النبوة أولاً ثم يدَّعي أنه إله - والعياذ بالله - وفتنته أعظم فتنة تكون على الأرض منذ خلق آدم إلى قيام الساعة كما أخبر بذلك النبي ﷺ وقال: ((إِنْ يَخْرُجْ، وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ. وَإِنَّ يَخْرُجْ ، وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ. وَاللّهُ خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ))[١]، وقد حذر النبي ﷺ من فتنته، وما من نبي إلا أنذر قومه حتى يستعد بنو آدم لهذه الفتنة العظيمة، وإن كان من المعلوم أنه لا يأتي إلا في آخر الزمان، لكن لأجل التنبيه لعظم فتنته وأنها كبيرة عظيمة، لا ينجو منها إلا من أنجاه الله عز وجل)[٢].

فإن فتنة الدجال من الخطورة بمكان، فهي من أعظم الفتن في آخر الزمان التي تموج بعقول أولى الألباب، قال ﷺ: "ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال"[٣]، أي: أكبر فتنة وأعظم شوكة[٤].

وذكر النبي ﷺ علامات الدجال ليكون المسلم على علم ومعرفة بها ليحتاط لدينه ويكون على بصيرة من أمره[٥]. فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا نائم أَطوفُ بالكعبة فإذا رجلٌ آدمُ سَبْطُ الشعر ينطفُ -أو يَهراقُ- رأسه ماءً، قلتُ: من هذا؟ قالوا: ابن مريمَ، ثم ذهبتُ ألتفِتُ فإذا رجلٌ جَسيمٌ أحمرُ جَعد الرأسِ أعورُ العينِ كأن عَينَهُ عِنَبةٌ طافيةٌ، قالوا: هذا الدجال، أقرَبُ الناس به شَبَهًا ابنُ

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٣٦.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٢٦٤/٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩٤٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠٤.

(٥) المنهج الشرعي في مواجهة الفتن، ميرفت أسرة ص ١١٢، ١١٣.

قَطَنٍ رجل من خُزاعة»[١]. قال الزهري رجل من خزاعة هلك في الجاهلية، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ممسوح العين، مكتوب بين عينيه كافر، ثم تهجاها "ك ف ر" يقرؤها كل مسلم"[٢].

وكان صلى الله عليه وسلم يستعيذ من الدجال، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال)[٣]، وأرشد الأمة إلى ذلك فقال صلى الله عليه وسلم: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَعَوَّذْ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، ثُمَّ يَدْعُو لِنَفْسِهِ بِمَا بَدَا لَهُ»[٤]. فليحرص المسلم على الاستعاذة من الدجال وحفظ أول سورة الكهف وآخرها اتباعًا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليحرص الدعاة على تبليغ وبيان ذلك لمدعويهم.

وعلى حث الناس على العمل الصالح تحسبًا للدجال واتقاءً لشره ودجله وتمويهه على الناس[٥]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ))[٦]. أي أسرعوا في تكميل الأعمال الصالحة وسابقوا فيها قبل أن تظهر هذه العلامات الست، إذ يعسر العمل فيما بعدها أو لا يقبل عند الله تعالى، وقوله: "أو خاصة أحدكم" يعني العلامة التي تخص أحدكم والمراد منها الموت، فإن من مات قامت قيامته، وقيل هي ما يختص به الإنسان من الشواغل المتعلقة في نفسه وماله وما يهتم به، ووقع في رواية، "أو خويصة أحدكم" بالتصغير لاستصغارها من جنب الحوداث الأخرى.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٤١، ومسلم ١٧١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٣٣.

(٣) أخرجه البخاري ٨٣٣.

(٤) أخرجه النسائي ١٢٤٢، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ١٢٤٢).

(٥) انظر: الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، ابو عبدالله مصطفى بن العدوي ص٥٠٢.

(٦) أخرجه مسلم، ٢٩٤٧.

وقوله: "أو أمر العامة" المراد به القيامة لأنها تعم الناس كلهم وقيل الفتنة التي تعم الناس أو الأمر الذي يستبد به العوام ويكون من قِبَلهم دون الخواص[١].

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ١٢/٣٢٨، ٣٢٩.

الحديث رقم (١٠٢٣)

١٠٢٣- وعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: بَيْنَمَا جبْريلُ عليه السلام قَاعِدٌ عِنْدَ النبي صلى الله عليه وسلم سَمِعَ نَقيضًا مِنْ فَوقِهِ، فَرَفَعَ رَأسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطٌّ إلاَّ اليَوْمَ، فنَزلَ منهُ مَلكٌ، فقالَ: هذا مَلكٌ نَزلَ إلى الأرضِ لم ينْزلْ قطّ إلاّ اليوم فَسلَّمَ وقال: أبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤتَهُمَا نَبيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَواتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهَا إلاَّ أُعْطِيتَه. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

نقيضًا: صوتًا[2].

الشرح الأدبي

الحديث يروي خبرا طريفا بين رسولين رسول السماء جبريل عليه السلام، ورسول الأرض محمد صلى الله عليه وسلم يبدأ بلفظ يوحي بالمفاجأة (بينما جبريل عليه السلام) ولفظ نقيض يوحي بصوت مصدره حركة غير معتادة قوية، والظرف (فوق) المضاف لجبريل عليه السلام يعطي الصوت المسموع نمطاً مختلفا عن أصوات الأرض، وقوله (فرفع رأسه) يشير إلى التهيؤ للتعليق على الحدث بعد التأثر به، وقول جبريل عليه السلام (هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطٌّ إلاَّ اليَوْمَ) تعريف المسند إليه بالإشارة لأنها أقرب طريق لمعرفته، وتنكير الباب للتعظيم، والجار، والمجرور (من السماء) يعطي معنى الباب دلالة مختلفة عن الأبواب المعهودة لدينا؛ لأن مداه اتساعاً لا يعلمه إلا الله، وقوله (فُتِحَ اليَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطٌّ إلاَّ اليَوْمَ) أسلوب قصر لفتح هذا الباب على الظرف يوم، وهو يمهد لأمر عظيم، وكذلك

(١) برقم (٨٠٦/٢٥٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٥٧).

(٢) رياض الصالحين ٣٩٢.

أسلوب القصر في قوله: (هذا مَلكٌ نَزلَ إلى الأرضِ لم ينْزلْ قطّ إلاّ اليومَ) ينبه إلى حدث غير معتاد، مجيء ملك مخصوص من باب مخصوص لابد، وأن يكون السبب عظيماً، وهو ما يهيأ له وجدان المخاطبين، وقول هذا الملك النازل (أبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتيتَهُمَا لَمْ يُؤتَهُمَا نَبيٌّ قَبْلَكَ) يكشف سر هذا التخصيص للباب، والملك؛ لأن ما جاء به لم يتنزل على نبي غيره كرامة له، وإكراماً لأمته، وقوله (أبشر بنورين) أمر تكريم، وتشويق، ولفظ البشارة من الألفاظ الموحية بطبيعتها بقدوم خير يتلوها تكون مقدمة له، والتعبير بالنور يثير في النفس معاني الكشف، والوضوح، والبهاء، وتثنية النور يصعِّد الشوق، ويرفع درجة الترقب، وقوله (أوتيتهما) يزيد النفوس ترقباً لاقتراب الخير المنتظر وقوله: (فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ) والتعبير بالفاتحة لافتتاح القرآن بها، أو لأنها فاتحة المطالب العالية كما سماها ابن القيم، وإضافتها للكتاب بيان، وتشريف، وبين فاتحة، وخواتيم طباق يحدد الآيات المقصود من الإتيان، وجمع الخواتيم لتشمل أكثر من آية في السورة، وإفراد الفاتحة لأن المقصود السورة كلها، وليس آيات معينة، وقوله (لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهَا إلاَّ أُعْطِيتَه) يشير إلى فضل هذه الآيات، وأثرها في تحصيل قارئها للأجر العظيم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: مجيء جبريل عليه السلام وقعوده عند النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: البشارة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تبشير الملك للنبي صلى الله عليه وسلم بالنورين الذين أوتيهما ولم يؤتهما نبي قبله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: مجيء جبريل عليه السلام وقعوده عند النبي صلى الله عليه وسلم:

جاء في صريح الحديث مجيء جبريل عليه السلام وقعوده عند النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما: بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم "وتلك صورة من صور الوحى ونزول جبريل عليه السلام،

حيث كان يتمثل جبريل عليه السلام رجلاً فيخاطبه صلى الله عليه وسلم حتى يعي عنه ما يقول له[١]، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانًا كما في هذا الحديث في قول ابن عباس رضي الله عنهما: بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم وكما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: بَيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ... ثُمَّ انْطَلَقَ. فَلَبِثْتُ مَلِيًا. ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ. أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ))[٢].

وهناك صور أخرى لمجيء جبريل عليه السلام وإلقائه بالوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي:

أ- ما كان يلقيه الملك في روع وقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن يراه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله ، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته»[٣].

ب-أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس وكان أشده عليه فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقًا في اليوم الشديد البرد ، فعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: إن الحارث بن هشام، سَأَلَ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم فقالَ: يا رسولَ اللّهِ كيفَ يأتِيكَ الوَحيُ؟ فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أَحْيانًا يَأتِيني مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ وهُوَ أَشَدُّه عَليَّ فَيُفْصِمُ عَنِّي وقد وَعَيْتُ عنهُ ما قالَ، وأحْيانًا يَتَمثَّلُ ليَ المَلَكُ رَجُلاً فيُكَلِّمُنِي فأعِي ما يَقولُ». قالتْ عائشةُ رضي الله عنها: ولَقدْ رَأَيتُهُ يَنزِلُ عليهِ الوَحيُ في اليومِ الشَّديدِ البَرْدِ فيَفْصِمُ عنه وإنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفصَّدُ عَرَقًا»[٤]. وحتى

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد ، ابن القيم، ٧٩/١.

(٢) أخرجه مسلم ٨.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية، ٢٦/١٠ ، ٢٧ ، وقال شعيب الأرنؤوط حديث صحيح بشواهده، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن القيم، ٧٩/١ ، وأخرجه ابن ماجه، ٢١٤٤ ، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ١٧٤٣)،

(٤) أخرجه البخاري ٢٠ ، ومسلم ٢٣٣٣.

إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها، فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إن كان ليوحي إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرانها»[1]. ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها، فعن زيد بن ثابت: أن النبي ﷺ أملى عليه: ﴿لاَ يستوي القاعدونَ منَ المؤمنينَ والمجاهِدونَ في سبيلِ الله﴾. قال: فجاءَهُ ابنُ أمِّ مكتومٍ وهو يُمِلُّها عليَّ فقال: يا رسولَ الله لو أستطيعُ الجهادَ معك لجاهَدْتُ، وكان رجُلاً أعمى، فأنزَلَ الله تبارك وتعالى على رسولِه ﷺ، وفَخِذُهُ على فخِذي. فثَقُلَتْ عليَّ حتى خِفتُ أن ترضَّ فخذي. ثمَّ سُرِّيَ عنه، فأنزَلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾[2]،[3].

ج- أن يرى الملك في صورته التي خلق عليها فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحيه وهذا وقع له مرتين، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «لَمْ أَرَهُ (يُعْني جبْرِيلُ) عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ. رَأَيْتُهُ مُنْهَبطًا مِنَ السَّماءِ. سَادًّا عِظَمُ خلقه مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ»[4].

هذا بالنسبة لصور نزول جبريل على رسول الله ﷺ أما الوحي عامة فصوره أكثر من ذلك منها الرؤيا الصادقة ومنها ما أوحاه الله وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها ومنها كلامه الله لرسوله ﷺ بلا واسطة ملك كما كلم الله موسى بن عمران[5].

---

(١) أخرجه أحمد ١١٨/٦ رقم ٢٤٨٦٨، وقال محققو المسند: حديث صحيح، قال السندي قولها فتضرب بجرانها بكسر الجيم باطن العنق والبعير إذا استراح، مدَّ عنقه على الأرض، انظر (مسند الإمام أحمد، ٣٦٢/٤١، ٣٦٣).

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٣) أخرجه البخاري، ١٩٨.

(٤) أخرجه مسلم، ١٧٧.

(٥) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ٧٨/١-٨٠.

ثانيًا – من أساليب الدعوة: البشارة:

وردت البشارة في صريح الحديث وذلك في قول الملك لرسول الله ﷺ: "أبشر بنورين أوتيتهما" والتبشير مع أبلغ الأساليب الدعوية تأثيرًا في النفوس، وهو مأخوذٌ من البشر وهو طلاقة الوجه وبشاشته، ثم أطلقت على الفرح والسرور[(١)].

وقد استخدم التبشير كثيرًا في القرآن وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[(٣)]، والتبشير في الدعوة سبب من أسباب البشر والسرور، وإيلاف القلوب وجذب النفوس إلى الدعوة وإقبالهم عليها[(٤)].

وقد غلب أسلوب التبشير في عرض القرآن للقضايا وبيان الأحكام حتى كان من أسماء القرآن وصفاته، قال تعالى في وصف القرآن الكريم ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[(٥)]. فهذا وصف للقرآن العظيم، أنه يبشر من آمن بالجنة وينذر من كفر بالنار[(٦)].

"وشبه القرآن بالبشير فيما اشتمل عليه من الآيات المبشرة للمؤمنين الصالحين وبالنذير فيما فيه من الوعيد للكافرين وأهل المعاصي فالكلام تشبيه بليغ"[(٧)].

وبهاتين الصفتين وقعت المشاركة بين القرآن وبين الأنبياء، قال تعالى في وصف

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٧٨.

(٢) سورة الشورى، الآية : ٢٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٤) انظر: أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٩٧.

(٥) سورة فصلت، الآيتان: ٣، ٤.

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ٤/٥.

(٧) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٩/٢٥/٨.

الرسل ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[(١)]. وقال في صفة إمام المرسلين والدعاة محمد ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا﴾[(٢)].

وتتجلى قوة التأثير للدعوة وعظمتها في الترغيب والترهيب، فالموفق هو الذي يستحضر كلا الأمرين، ليفيد من الإنذار فيبتعد عن المهالك والمعاطب وليُسرٌ ويستبشر بالبشارة فيزاد في فعل الخير[(٣)].

لذا ينبغي على الداعي أن يستصحب أسلوب التبشير والإنذار والترغيب والترهيب لما في ذلك من الأثر البالغ في إقبال المدعوين على الدعوة وأسر قلوبهم.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: تبشير الملك للنبي ﷺ بالنورين الذين أوتيهما ولم يؤتهما نبي قبله:

جاء في الحديث بعض المنح والعطايا التي اختص بها رسول الله ﷺ وأمته تبع له في ذلك، لم يشاركه نبي قبله فيها وهي سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، "فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم، وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته" وإن تبشير الملك رسول الله ﷺ بهذين النورين، وفتح باب لم يفتح قط ونزول ملك لم ينزل قبل قط للتبشير بهذين النورين دليل على عظم هاتين المنحتين، يقول ابن علان: واختصاص هذين النورين لهذين الأمرين الذين لم يقعا في غيرهما للدلالة على تميزهما أو أفضليتهما، أو اختصاصهما بما لم يوجد في غيرهما[(٤)].

فهما مشتملتان على أبواب الإيمان والاستسلام والعبودية لله والدعاء بخير الدنيا والآخرة[(٥)]، وسماهما نورين لأن كل واحد منهما نور يسعى بين صاحبهما أو لأنهما

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٨.

(٣) انظر: يعلمهم الكتاب، التعامل مع القرآن الكريم، محمد خير الشعال ص ٢٠.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٨.

(٥) إكمال المعلم، ١٧٥/٣، ١٧٦.

يرشدان إلى أن الصراط المستقيم بالتأمل فيه والتفكر في معانيه أي بما في آيتين منورتين، وقوله "لن تقرأ" إلخ الخطاب له عليه الصلاة والسلام والمراد هو وأمته، إذ الأصل مشاركتهم له في كل ما أنزل إليه إلا ما اختص به.

وقوله: "لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته" أي: أعطيت ما اشتملت عليه تلك الجملة من المسألة، كقوله: "اهدنا الصراط المستقيم"، ولقوله: "غفرانك ربنا" ونظائر ذلك وفي غير المسألة فيما هو حمد وثناء أعطيت ثوابه(١).

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة:

إن من أنوار الله في قرآنه سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، فهما نوران لحافظهما وقارئهما يوم القيامة، وسبيلان لانجائه في الآخرة وفي الدنيا، يهديان إلى صراط الله المستقيم اعتقادًا وعملاً وسلوكًا فضلاً عما أعد الله عليهما من الثواب العظيم والأجر الكبير.

وقد جاءت الأحاديث النبوية المتعددة في بيان فضل فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، ومنها ما جاء في الحديث من بيان فضلهما ووصفهما بالنور واستجابة الله للمسلم، إذا دعا بما فيهما، وإلى ذلك أشار قوله "أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته" وذلك إشارة إلى علو شأنهما، ولما اشتملا عليه من المعاني الجامعة المتعلقة بالألوهية وتوابعها، مع وجازة لفظهما وبراعة نظمهما مما لم يشتمل على مثله غيرهما من بقية كتاب الله تعالى(٢).

قال الإمام مجد الدين الفيروز آبادي: المقصود من نزول سورة الفاتحة. تعليم العباد التيمن والتبرك باسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء الأمور والتلقين بشكر نعم المنعم والتوكل عليه في باب الرزق المقسوم وتقوية رجاء العبد برحمة الله تعالى، والتنبيه على ترقب العبد الحساب والجزاء يوم القيامة وإخلاص العبودية عن الشرك وطلب التوفيق

---

(١) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ٥/١٨٧، ١٨٨.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٨

والعصمة من الله، والاستعانة والاستمداد في أداء العبادات وطلب الثبات والاستقامة على طريق خواص عباد الله والرغبة في سلوك مسالكهم وطلب الأمان من الغضب والضلال في جميع الأحوال والأفعال وختم الجميع بكلمة آمين، فإنها استجابة للدعاء واستنزال للرحمة وهي خاتم الرحمة التي ختم بها فاتحة كتابه[١] - أي الفاتحة وخواتيم سورة البقرة -.

وقال الشيخ ابن عثيمين: فإنهما ما قرأهما واحد من هذه الأمة موقنًا إلا أتاه الله تعالى ما فيهما من الطلب، وكما جاء في الحديث عن سورة الفاتحة "هذا لعبدي ولعبدي ما سأل"[٢]. وفي خواتيم سورة البقرة سبع جمل دعائية ما يدعو بهن مؤمن موقنًا إلا استجاب الله له، وهذه ميزة جليلة وفضل عظيم[٣].

وقال الطيبي: (وتحرير معنى الدعاء في الفاتحة، هو أن المطلوب فيها الهداية المشتملة على النعمة المطلقة، فيتناول نعمة الدارين، ظاهرها وباطنها، جليلها ودقيقها، حتى لا يشد منها شيء، وعلى التوقي من غضب الله وسخطه مطلقًا، دنيا وعقبى، ومن جميع الأخلاق الذميمة، والضلالات المتنوعة، وما يعرجه عن الطريق المستقيم، وعلى هذا خاتمة البقرة فإن قوله: "آمن الرسول - إلى قوله: سمعنا" اشتمل على معنى التصديق والاعتقاد، ومنه إلى قوله تعالى: "ربنا لا تؤاخذنا" على بيان الانقياد بالسمع والطاعة لما أمر الله تعالى به، ونهى عنه، ومنه إلى آخره على الدعاء الجامع لفلاح الدارين والفوز بالحسنيين)[٤].

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ١/١٢٩.

(٢) أخرجه مسلم، ٣٨

(٣) شرح رياض الصالحين، ٢/١٢٦٥.

(٤) شرح الطيبي على مكشاة المصابيح ٤/٢٣٢ - ٢٣٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولا: من أساليب التعليم والتدريس: طرح الأسئلة:

لقد طرح النبي ﷺ على بعض الصحابة عدة أسئلة من ذلك: «ألا أعلّمك أعظمَ سورة في القرآن قبل أن تخرُج مِنَ المسجِدِ؟». وكذلك: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟». ونحو ذلك، والمعلم يهدف من طرح الأسئلة خلال فترات الدرس، إلى بلوغ أهداف منها:

١- السؤال أداة المعرفة وأهم وسيلة للكشف عن الحقائق واكتساب المعلومات والمهارات.

٢- السؤال لإثارة التفكير فالسؤال يلفت نظر المسئول إلى مساحات جديدة من المعارف.

٣- تؤدي الأسئلة إلى ترسيخ المعلومات في الأذهان من خلال الإجابة على تلك الأسئلة، لأن السؤال يؤدي إلي عملية التطلع إلى معرفة الإجابة. وهذا له أثره في تعزيز عملية التعلم.

٤- تستخدم الأسئلة لغرض التنشيط، لأنها تدخل البهجة والسعادة في نفوس الطلبة للدور الإيجابي الذي يقومون به، والمشاركة العملية في عملية التعلم مما يشحذ هممهم وحماسهم إلى اكتشاف الإجابات الصحيحة.

٥- تعمل الأسئلة عمل الدافع، حيث يمكن اعتبارها عاملاً تشجيعيًا للطلبة بطيئي التعلم وذوي القدرات المحدودة والخجولين.

٦- تستخدم الأسئلة لغرض التشخيص والعلاج والوقاية، لأنها تساعد المعلم على تشخيص نقاط القوة والضعف في طلابه ... إلخ[1].

ثانيًا: من أنواع التربية: التربية الوقائية:

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «كانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَعَوَّذُ من الْجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسَانِ حَتَّى نَزَلَتْ الْمُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ ما سِوَاهُمَا».

---

(١) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، ٣٤٢-٣٤٧.

وقال النبي ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بَالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ».

قال النووي: "قيل كفتاه المكروه تلك الليلة، وقيل: كفتاه من قيام الليل"[١].

كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ».

وقال النبي ﷺ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ».

كما أقرّ النبي ﷺ قول الشيطان لأبي هريرة رضي الله عنه: «إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح».

فهذه الأحاديث فيها ما يقي المسلم من شرور الجن والإنس، وهذا طريق من طرق التربية الوقائية، فالشيطان عدو مضل مبين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[٢].

"لذا كان على المسلم أن يتقي شر هذا العد، و وذلك بطريقتين:

أ- الاستعاذة بالله عز وجل من شره: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾[٣].

ب-إذا استمر الشيطان في محاولاته بعد الاستعاذة فإن المسلم يتقيه بأن يستخف بدعوته فلا يعلق قلبه بها ولا يتبعه فيها، وأن يديم ذكر الله سبحانه وتعالى بلسانه وقلبه ... وذلك لأن الشخصية الإسلامية تستمد قوتها وسلامتها من اتصالها الدائم بالله ثم من الإرادة، فإذا كان لديها إرادة قوية فإنها تستطيع من خلالها كبح جماح أهواء نفسها، وتقدر على ضبط شهواتها وحجزها عن الجنوح وترفض وساوس شياطين الإنس والجن مهما بلغت إغراءاتها وزخارفها، لذلك نجد المنهج الإسلامي يركز على الإرادة وكيفية تقويتها لدى الإنسان"[٤].

---

(١) رياض الصالحين ص ٣٩١.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧-٩٨.

(٤) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، ٥٠٢-٥١١ بتصرف كبير.

ثالثًا: تربية الناشئة على تحمل المسئولية:

لقد أخبر أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ وكّله بحفظ زكاة رمضان، وهذا يستدل به على أن يربى المربون الناشئة على تحمل المسؤولية والمشاركة في الواجبات والمطلوبات، "فينبغي إشراك الصبي في تحمل بعض المسئولية، ولا ينظر على أنه ما زال صغيرًا، وخاصة في السنوات المتأخرة من مرحلة الصبا، وإذا لم يشارك في تحمل المسؤولية وهو قد أوشك أن يبلغ مبلغ الرجال، فمتى يقوم بذلك؟ فينبغي للمربي أن يشعر الصبي بذلك، كأن يمنحه مصروف أسبوع ينفق منه على حاجياته بدلاً من المصروف اليومي ويتابعه عن قرب، وكأن يستشيره في بعض الأمور ويستمع إليه، ويوضح له رأيه ولا يعارضه في كل ما يقول، ويسمح له بالاختيار من بين عدة بدائل، ويعهد إليه بالقيام ببعض الأمور، ويفوضه في عمل بعض الأشياء التي يحتاج إليها المنزل ونحوه ... ويبنبغي في الأمور التي يفوضه فيها أن يعوده على اتخاذ القرار بحيث لا يرجع إليه في كل شيء، كما لا ينبغي للمربي أن يحدد للصبي كل الخطوات التي ينبغي عليه اتباعها في تنفيذه ما عهد به إليه، بل يرشده إلى ما يغلب على ظنه أن الصبي لن يتمكن منه، وأما بقية الأمور فيعطيه فيها توجيهات عريضة حتى يتعود الصبي على القدرة على اتخاذ القرارات والموازنة بين الأمور"[(١)].

رابعًا: من أساليب التربية: الحوار:

الناظر في حديث أبي هريرة ﷺ الطويل في توكيل النبي ﷺ له بحفظ زكاة الفطر، وما عرض لأبي هريرة بالليل وسؤال النبي ﷺ عن ذلك في الصباح، الناظر في ذلك يجده قائمًا على أسلوب الحوار، "ولقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الحوار في التربية في الحلقات التربوية التي كان يعقدها لتربية أجيال المسلمين، وهي طريقة تدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهي طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبيًا أو مصدقًا فقط دون الفهم والإدراك

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ١١٧، ١١٨.

العقلي، وقد توجه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة. وعن طريق الحوار كان الرسول ﷺ يعلم المسلمين شتى أمور دينهم ودنياهم... ويمكن القول: إن طريقة الحوار والمناقشة في التربية الإسلامية لها دورها في تقوية الحجة والتمرن على سرعة التعبير والمنافسة والتفوق على الأقران والتعويد على الثقة بالنفس، وكل ذلك من أجل التكامل مع طرق التربية الأخرى التي بها تتحقق أهداف فلسفة التربية الإسلامية"[1].



(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبد الجواد سيد بكر ص ٢٣٣-٢٣٥ بتصرف، وانظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها ص ١٨٤-١٨٨.

١٨٤- باب استحباب الاجتماع على القراءة

الحديث رقم (١٠٢٤)

١٠٢٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بينهم، إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

السكينةُ: الطُّمأنينة والوقار والسكون [٢].

غشيتهم: غَطَّتْهُمْ وحوتهم [٣].

حَفَّتهم: طافت بهم ودارت حولهم [٤].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول فضل القرآن، وتعليمه، وتعلمه، وقد جاء في أسلوب القصر الذي استوعب الحديث حيث قصر معنى جلوس القوم على الهيئة الموصوفة في المسجد على تنزل الملائكة عليهم، وغشيان الرحمة لهم، مع ذكر الله لهم، وتنكير كلمة (قوم) للتعميم لأنها نكرة في سياق النفي، وبين بيت، وبيوت جناس يوضح المعنى، ويرسخ للموقع الفاضل في بقاع الأرض حيث بيوت الله، والفعلان المضارعان (يتلون،

---

(١) برقم (٣٨/٢٦٩٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٩٨)، وتقدمَ برقم ٢٤٥، وسيأتي كذلك مختصرًا برقم ١٣٨٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ك ن)

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ ش ى).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ف ف)

ويتدارسون) تصور الحركة الدائمة الدؤبة لهؤلاء في المسجد، وتصور المسجد بهم كخلية النحل بين معلم، ومتعلم، وتال للقرآن، وغيرهم، وقوله (نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ) كناية عن طمأنينة القلب، والشعور برضا الرب، وقوله (وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ) التعبير بالفعل غشي يدل على الإحاطة من كل جانب، وقوله: (وَحَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ) كناية عن الحفاوة بهم، والرضا بفعلهم، والتعبير بالحفيف يشير إلى المرور في رقة والالتفاف في خفة تتميز بها حركة الملك المكلف بالحفيف وقولهم (وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) وهذا منتهى التكريم لعبد أن يذكره الله تعالى في الملأ الأعلى.

المضامين الدعوية[١]

المضامين التربوية لأحاديث الباب[٢]



(١) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٤٥).

(٢) تقدم ذكرها في المضامين التربوية لأحاديث الباب (٢٩).

١٨٥- باب فضل الوضوء

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

الحديث رقم (١٠٢٥)

١٠٢٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((إنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ))، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

غُرًّا: جمع أغرّ أي ذو غرّة، وأصل الغرة لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس. ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر، والمراد بها هنا: النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ[2].

محجلين: من التحجيل وهو: بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس والمراد به هنا أيضًا النور[3].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول إسباغ الوضوء، ويقرر أن أثر الوضوء هو علامة الأمة المحمدية

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦) واللفظ له، ومسلم (٢٤٦/٣٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٦).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢٨٤/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢٨٤/١.

يوم الحشر العظيم، وبداية الرسول ﷺ بتوكيد الخبر تعظيم له، وبيان لأهميته، ونسبة الأمة له تشريف لها يحيط بكل مسلم مقتد به، والتعبير بالدعوة فيه خصوصية لهم من بين الأمم في النداء، والفعل المضارع يصور تتابعهم بعلامة تميزهم بين أمواج الأمم، وذكر الظرف يوم، وإضافته للقيامة يصعِّد الإحساس بالرهبة لحاجة الإنسان إلى من يأخذ بيده، ويتعرف عليه، وقوله (غراً محجلين) الغرة علامة في الوجه، والتحجيل علامة في الأقدام، فالعلامة من أعلاهم، ومن أسفلهم، وبذلك تشمل مبتدأ النظر من أعلى، ومبتدأ النظر من أسفل، وقوله (فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ) أسلوب شرط يربط إطالة الغرة بالاستطاعة بحيث تكون عادة المستطيع عند كل وضوء حتى تكون علامته أكثر وضوحاً وأجره عند الله أكبر.

فقه الحديث

استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء:

قال النووي: (هذه الأحاديث مصرحة باستحباب تطويل الغرة والتحجيل، أما تطويل الغرة فقال أصحابنا: هو غسل شيء من مقدّم الرأس وما يجاوز الوجه زائد على الجزء الذي يجب غسله؛ لاستيقان كمال الوجه. وأما تطويل التحجيل فهو غسل ما فوق المرفقين والكعبين، وهذا مستحبٌ بلا خلاف بين أصحابنا واختلفوا في قدر المستحب على أوجه:

أحدها: أنه يستحب الزيادة على فوق المرفقين والكعبين من غير توقيت.

والثاني: يستحب إلى نصف العضد والساق.

والثالث: يستحب إلى المنكبين والركبتين.

وأحاديث الباب تقتضي هذا كلّه. وأما دعوى الإمام أبي الحسن بن بطال المالكي والقاضي عياض اتفاق العلماء على أنه لا يستحب الزيادة فوق المرفق والكعب فباطلة، وكيف تصحّ دعواهما وقد ثبت فعل ذلك عن رسول الله ﷺ وأبي هريرة رضي الله عنه[1]،

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٠.

وهو مذهبنا لا خلاف فيه عندنا كما ذكرناه، ولو خالف فيه مخالف كان محجوجًا بهذه السنن الصحيحية الصريحة، وأما احتجاجهما بقوله ﷺ: ((من زاد على هذا أو نقص فقد ساء وظلم))[(١)] فلا يصح لأن المراد من زاد في عدد المرات، والله أعلم)[(٢)].

المضامين الدعوية [(٣)]

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خصوصية الأمة المحمدية بالغرة والتحجيل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الوضوء يوم القيامة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

قد ورد التوكيد في الحديث من قوله ﷺ "إن أمتى يدعون يوم القيامة غرًا محجلين" والتوكيد من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية على تقوية الكلام وتأكيده في أذهان المدعوين، وقد أفاد التوكيد في الحديث إثبات وتأكيد وصف الأمة المحمدية بأنهم غرٌ محجلون.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: خصوصية الأمة المحمدية بالغرة والتحجيل:

قد أشار الحديث الأول إلى ذلك من قوله ﷺ "إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء".

قال القرطبي: (وأصل الغرة لمعة بيضاء في جبهة الفرس، تزيد على قدر الدرهم. يقال منه: فرس أغرّ. ثم قد استُعمل في الجمال والشّهرة وطيب الذكر، كما قال[(٤)]:

ثيابُ بني عَوفٍ طَهَارى نَقيَّةٌ ... وأوجُهُهُم عند المشاهد غُرَّارُ

---

(١) أخرجه أبو داود ١٣٥، والنسائي ١٤٠، وابن ماجه ٤٢٢ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ١٢٣).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٦/٣/٢ - ١١٧ .

(٣) هذه المضامين تشمل هذا الحديث - ١٠٢٥- والحديث التالي (١٠٢٦).

(٤) هو امرؤ القيس كما في حواشي التحقيق لكتاب المفهم.

والتحجيل بياض في اليدين والرجلين من الفرس، وأصله من الحجل؛ وهو الخلخال والقيد. ولابد أن يجاوز التحجيل الأرساغ ولا يجاوز الركبتين والعُرْقُوبين، وهو في هذا الحديث مستعارٌ عبارة عن النور الذي يعلو أعضاء الوضوء يوم القيامة)(١).

وفي بيان خصوصية الأمة المحمدية بذلك قال: حذيفة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ حَوْضِي لأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: نَعَمْ. تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ. لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرِكُمْ))(٢).

قال القاضي عياض: (وقوله "ليست لأحد غيركم" قال غير واحد من أهل العلم: إن الغرة والتحجيل مما اختصت به هذه الأمة)(٣).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ. لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرِكُمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ))(٤)، (وسيما أمتي: أي علامة تتبين بها أمة النبي صلى الله عليه وسلم)(٥).

قال القرطبي: (وقوله: "لكم سيما ليست لأحد غيركم" السيما: العلامة، يُمدّ، ويهمز، ويقصر، وهذا نص: في أن الغرة والتحجيل من خواص هذه الأمة، ولا يعارضه قوله صلى الله عليه وسلم: ((هَذَا وُضُوئِي وَوُضُوءُ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي))(٦) لأن الخصوصية بالغرة والتحجيل

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٥٠٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٤٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/٤٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٤٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤٥٥.

(٦) أخرجه أحمد ٢/٩٨، برقم ٥٧٣٥، وابن ماجه ٤١٩، ٤٢٠، والدار قطني ١/٨٠، والبيهقي ١٠/٨٠ - ٨١، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ١٠/٢٧، ولكن الألباني صححه في السلسلة الصحيحة الحديث ٢٦١.

لا بالوضوء، وهما من الله تفضيل يختصُّ به من يشاء)[١].

وقال ابن هبيرة: (وآثار الوضوء علامة تظهر لهذه الأمة خاصة في القيامة تدل على فضيلتها)[٢].

وقال النووي: (وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذا الحديث على أن الوضوء من خصائص هذه الأمة زادها الله تعالى شرفًا، وقال آخرون: ليس الوضوء مختصًا وإنما الذي اختصت به هذه الأمة الغرة والتحجيل)[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الوضوء يوم القيامة:

هذا ما أشار إليه الحديثان جليًا من قوله ﷺ "إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطل غرته فليفعل"، وقوله ﷺ: "تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء".

قال ابن عثيمين: (وهذا دليل على فضل الوضوء، وأن الأعضاء تأتي يوم القيامة تلوح من النور)[٤].

(والحلية يوم القيامة يُحلى بها الرجال والنساء، ويلبس الرجال والنساء حلية من ذهب وفضة ولؤلؤ، قال تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾[٥] وقال ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤْلُؤٗا﴾[٦] فيوم القيامة تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء، إذن كل الذراع يكون حلية مملوءًا حلية من ذهب وفضة ولؤلؤ وهذا يدل على فضيلة الوضوء)[٧].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٥٦٠.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٦/٢٣٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٤.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٧٠.

(٥) سورة الإنسان، الآية: ٤١.

(٦) سورة فاطر، الآية: ٣٣.

(٧) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٧٠ - ١٢٧١.

ومن أجل عظم ذلك قال النبي ﷺ في نص الحديث "... فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل".

قال القرطبي: (وكان أبو هريرة يبلغ بالوضوء إبطيه وساقيه. وهذا الفعلُ منه مذهب له، ومما انفرد به، ولم يحكه عن النبي ﷺ فعلاً، وإنما استنبطه من قوله ﷺ ((أنتم الغر المحجلون))[١] ومن قوله: ((تبلغ الحليةُ من المؤمن حيث يبلغ منه الوضوء))[٢]، قال أبو الفضل عياض[٣]: (والناس مجمعون على خلاف هذا، وأن لا يتعدى بالوضوء حدوده لقوله ﷺ ((فمن زاد فقد تعدى وظلم))[٤]، وتطويل الغرة والتحجيل بالمواظبة على الوضوء لكل صلاة وإدامته، فتطول غرّته بتقوية نور وجهه، وتحجيله بتضاعف نور أعضائه)[٥] وفي ذلك بيان على عظم فضل الوضوء يوم القيامة.

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

الترغيب من الأساليب الدعوية الهامة التي يقصد بها تشويق المدعو وحمله على سرعة الاستجابة للأمر المدعو إليه والثبات عليه لنيل عظيم الأجر وجزيل الثواب، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في الوضوء والحث عليه[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٤٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٠. (الحديث الثاني).

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٤/٢.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٤٢٢، وقال الألباني حديث حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٩).

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٩٩/١.

(٦) انظر: أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ٤٣٧.

الحديث رقم (١٠٢٦)

١٠٢٦ - وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ خليلي ﷺ، يقول: ((تَبْلُغُ الحِلْيَةُ مِنَ المُؤمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الوُضُوءُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الحِلْيَةُ: اسم لكل ما يتزين به من مصاغ الذهب والفضة. وأراد بالحلية ههنا: التحجيل يوم القيامة من أثر الوضوء من قوله ﷺ "غرّ محجّلون". أي تكون مواضع الوضوء من الأيدي والوجه والأقدام بيضاء عليها نور[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يربط بين المرغوب النفسي، والمطلوب الشرعي ترغيبا للنفس في إسباغ الوضوء، والتعبير بالبلوغ إشارة إلى وصول الشيء حداً معيناً، ونسبة البلوغ للحلية وهي مفعول من المجاز بنسبة الفعل لمفعوله مبالغة في الصفة فكأن الحلية من كثرتها تتحرك على موضع وضوئه لتزينه بنفسها، وقوله (من المؤمن) تخصيص المؤمن؛ لأنه هو الذي يحافظ على وضوئه، وصلاته، وعنده الأساس الممهد له، وهو التوحيد الداعي إلى جماع الخير، ومنها إسباغ الوضوء الذي يتحول إلى زينة يوم القيامة، والجزاء من جنس العمل.

المضامين الدعوية[٣]

(١) برقم (٤٠/٢٥٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٦).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ج ل) و(ح ل ي)، وفتح الباري، ابن حجر ٢٨٤/١.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٢٧)

١٠٢٧ - وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((مَن تَوَضَّأ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُج مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

الشرح الأدبي

من اسم موصول يتضمن معنى الشرط، وينادي بكل عاقل ليتنبه لما بعده من الفضل، وربط الوضوء بالإحسان ترغيب في الإسباغ الذي يحقق الغرض بمغفرة الخطايا ، وصياغة الفعل في الماضي يدل على التحقق، ودخول أداة الشرط عليه يمحضه للمستقبل، وقوله (خرجت خطاياه) التعبير بالخروج عن مغفرة الذنوب استعارة تجسد الخطايا ، وتصور خروجها بشيء مادى تغلغل في جسد الإنسان، وأوشك أن يفتك به ثم استل منه شيئاً فشيئاً حتى يخرج من أظافره، والوجه هو المفارقة التامة بانفصال شيء عن شيء ، وقوله: (حَتَّى تَخْرُج مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ) تأكيد لمغفرة الخطايا بما ينفي وهم المبالغة ، ويؤكد حقيقة طهارة المؤمن منها ، ويخيل له سريان خطاياه مع ماء وضوئه من جسده كما تسيل أدرانه الظاهرة من فوق جلده حتى تفارقها مفارقة لا رجعة بعدها.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل إحسان الوضوء.

ثانيًا: من واجبات الداعية: بيان صفة وكمال وضوء النبي ﷺ.

ثالثًا: من واجبات الداعية: دلالة وإرشاد المدعوين إلى طريق الخير.

---

(١) برقم (٣٣/٢٤٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٢).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٠٢٧- مع المضامين الدعوية للحديث (١٠٢٨).

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من واجبات الداعية: فضل إحسان الوضوء:

هذا ما ظهر جليًا في الحديثين من قوله ﷺ "من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه ... إلخ" وقوله ﷺ "من توضأ هكذا غفر له ما تقدم من ذنبه... إلخ".

قال النووي: (وقوله ﷺ "فأحسن الوضوء" أي: يأتي به تامًا بكمال صفته وآدابه، وفي هذا الحديث الحث على الاعتناء بتعلم آداب الوضوء وشروطه والعمل بذلك والاحتياط فيه والحرص على أن يتوضأ على وجه يصح عند جميع العلماء ولا يترخص بالاختلاف، فينبغي أن يحرص على التسمية والنية والمضمضة والاستنشاق والاستنثار واستيعاب مسح الرأس ومسح الأذنين ودلك الأعضاء والتتابع في الوضوء وترتيبه وغير ذلك من المختلف فيه وتحصيل ماء طهور بالإجماع)[١].

وقال القرطبي: (قوله: "وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة" يعني: الوضوء لم يبق عليه ذنبًا، فلمّا فعل بعده الصلاة كان ثوابها زيادة له على المغفرة المتقدمة، "النفل": الزيادة، ومنه نفل الغنيمة: وهو ما يعطيه الإمام من الخمس بعد القسمة)[٢].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله ((إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ "أَوِ الْمُؤْمِنُ" فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ "أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ" فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ "أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ" فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ "أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ" حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ))[٣].

قال القرطبي: (وقوله: فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر بعينه مع الماء" هذه عبارة مستعارة، المقصودُ بها الإعلام بتكفير الخطايا ومحوها، وإلا فليست

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٤.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٤٩٠ - ٤٩١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٤.

الخطايا أجسامًا حتى يصح منها الخروج)[١].

وقال القرطبي: (وفيما ورد من أحاديث دليل على أن الوضوء بانفراده يستقلّ بالتكفير ولا يبقى هناك ذنبًا، وهذا بخلاف أحاديث عثمان رضي الله عنه، إذ مضمونها: أن التكفير إنما يحصلُ بالوضوء ((إذا صلى به صلاة مكتوبة يتم ركوعها وخشوعها))[٢].

والتلفيق من وجهين:

أحدهما: أن يُردَّ مطلق الأحاديث إلى مقيدها.

والثاني: أن نقول: إن ذلك يختلف بحسب اختلاف أحوال الأشخاص؛ فلا بُعْدَ في أن يكون بعضُ المتوضِّئين يحصلُ له من الحضور؛ ومراعاة الآداب المكملة؛ ما يستقلُّ بسببها وضوءه بالتكفير، ورب متوضيءٍ لا يحصلُ له مثل ذلك، فيكفر عنه بمجموع الوضوء والصلاة، ولا يعترض على هذا بقوله ﷺ: ((مَنْ أَتَمَّ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّه تَعَالَى. فَالصَّلَوَاتُ الْمَكْتُوبَاتُ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ))[٣] لأنا نقول: من اقتصر على واجبات الوضوء فقد توضأ كما أمره الله تعالى، كما قال النبي ﷺ: ((إِنَّهَا لا تَتِمُّ صَلَاةُ أَحَدِكُم حَتَّى يُسْبِغَ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّه تَعَالَى، فَيَغْسِلُ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَيَمْسَحُ بِرَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ))[٤] ونحن إنما أردنا المحافظة على الآداب المكملة التي لا يراعيها إلا من نور الله باطنه بالعلم والمراقبة. والله تعالى أعلم)[٥].

وعلى هذا (فالوضوء يكون سببًا لكفارة الخطايا حتى من أدق مكان وهو ما تحت الأظفار، وهذه الأحاديث وأمثالها يدل على أن الوضوء من أفضل العبادات، وأنه

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ابو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٤٩٣، وانظر: إكمال المعلم، القاضي عياض، ٢/٤١.

(٢) اخرجه البخاري ٦٤٣٣، ومسلم ٢٢٨.

(٣) اخرجه مسلم ٢٣١.

(٤) اخرجه ابو داود ٨٥٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٧٦٤).

(٥) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٤٩١ - ٤٩٢.

عبادة ينبغي للإنسان أن ينوي به التقرب إلى الله عز وجل)[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان صفة وكمال وضوء النبي ﷺ:

قد أشار الحديث الثاني إلى ذلك من قول عثمان بن عفان رضي الله عنه "رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا" وقد بين رضي الله عنه صفة وضوء النبي ﷺ فقال مولى عثمان: ((إنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه دَعَا بِوَضُوءٍ. فَتَوَضَّأَ.فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ. ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى مِثْلَ ذٰلِكَ. ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ. ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ غَسَلَ الْيُسْرَى مِثْلَ ذٰلِكَ. ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هذَا ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هذَا ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَكَانَ عُلَمَاؤُنَا يَقُولُونَ: هذَا الْوُضُوءُ أَسْبَغُ مَا يَتَوَضَّأُ بِهِ أَحَدٌ لِلصَّلاَةِ))[٢].

قال النووي: (وأما حقيقة المضمضة فقال أصحابنا: كمالها أن يجعل الماء في فمه ثم يديره فيه ثم يمجه، وأما أقلها فأن يجعل الماء في فيه ولا يشترط إدارته على المشهور الذي قال الجمهور...، والاستنثار هو إخراج الماء من الأنف بعد الاستنشاق...، وقال: (إن هذا الحديث أصل عظيم في صفة الوضوء، وقد أجمع المسلمون على أن الواجب غسل الأعضاء مرة مرة وعلى أن الثلاث سنة، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بالغسل مرة مرة وثلاثًا ثلاثًا، وبعض الأعضاء ثلاثًا وبعضها مرتين وبعضها مرة، قال العلماء: فاختلافها دليل على جواز ذلك كله، وأن الثلاثة هي الكمال والواحدة تجزئ)[٣].

ثالثًا - من واجبات الداعية: دلالة وإرشاد المدعوين إلى طريق الخير:

لقد بيّن رسول الله ﷺ ودلّ أصحابه وأمته على ما يكفر الخطايا والذنوب،

---

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٢٧١.

(٢) أخرجه البخاري ١٥٩، ١٦٤، ومسلم ٢٢٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٢ - ٢٥٣.

وذلك بإحسان الوضوء كما في الحديث الأول، وبالوضوء مثل وضوئه ﷺ كما في الحديث الثاني، وهذا من سوق الخير إلى أمته ﷺ، ولذا كان على الدعاة أن يرشدوا الناس إلى الخير وكل طريق موصلة إليه.

(وقيام الداعية بذلك، يجب أن يكون مبعثه تمثل الآخرة وما فيها من سعادة دائمة أو شقاء دائم، وتمثل ما أعده الله لعباده المؤمنين المطيعين من جزاء وللعصاة من عقاب)[١].

والداعية بقيامه بذلك له عظيم الأجر وجزيل الثواب وهذا ما بينه النبي ﷺ في قوله: ((وَمَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[٢] وقال ((مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))[٣]؛ فعلى الداعية أن يبين ويرشد المدعوين إلى أهمية وفضل إسباغ وتحسين الوضوء في التحلل من الذنوب ورفع الدرجات.

رابعًا – من أساليب الدعوة: الترغيب:

(الترغيب من الطرق التي ينبغي للداعية أن يسلكها في إرشاد الناس، وحملهم على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة)[٤]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديثين الشريفين، ففي الأول رغّب النبي ﷺ في إحسان الوضوء والعناية به، على حين رغّب ﷺ في الحديث الآخر في أن يكون الوضوء مثل وضوئه، وذلك بالإخبار عن الثواب الجزيل والفضل العميم عن فعل هذين الفعلين.

---

(١) انظر: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن الندوي ص ٦٥.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٤) انظر: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ١٩٢.

الحديث رقم (١٠٢٨)

١٠٢٨ - وعنه، قَالَ: رَأيتُ رسول الله ﷺ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: ((مَنْ تَوَضَّأ هكَذَا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلاَتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى المَسْجِدِ نَافِلَةً)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

الشرح الأدبي

قول عثمان رضي الله عنه (رأيت رسول الله ﷺ) يؤكد الفعل من ناحية الصياغة في الماضي، ومن ناحية الرؤية، وهي أقوى طرق العلم، والتشبيه المقلوب في قوله (توضأ مثل وضوئي هذا) أصله توضأت مثل وضوئه، ولكن لما كان الحديث يعاد في الذاكرة وعلى لسان الصحابي وهو يتحدث عن الموقف والمكان الذي وقع فيه الوضوء أعاد الحدث كأنه يحصل حال الحديث عن طريق الصياغة في صورة الفعل الدال على الحركة التي ألبسها للحديث فشبهه بوضوئه، والحقيقة أن عثمان رضي الله عنه هو التابع في الوضوء، والرسول ﷺ الأصل، وترتيب المشبه، والمشبه به موافق للحكاية باعتبار زمن الحكاية، والإشارة (هذا) لتمييز المشار إليه أكمل تمييز، والتشبيه يؤكد أثر الأسلوب على المخاطبين في ترسيخ المعنى لديهم، وإتقانهم له عملا، وأداءً لغيرهم من الأجيال؛ لأنه يصل إليهم جميعاً على حد سواء في الإفهام لاشتراك حاسة السمع، والبصر في تلقيه، وقوله (مَنْ تَوَضَّأ هكَذَا) التشبيه بالمشار إليه القريب يشير إلى الإسباغ، والمتابعة في الفعل بما يحقق الأجر، والتعبير بالفعل الماضي (غفر) يدل على التحقق، وعدم ذكر الفاعل لأنه معلوم، والتعبير عما سلف من الذنوب بالفعل (تقدم) في صورة الماضي يستغرق جميع الذنوب.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٢٢٩/٨). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٢).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٢٩)

١٠٢٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسْلِمُ - (أَو المُؤْمِنُ) - فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ المَاءِ، (أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ)، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ، خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ المَاءِ، (أَو مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ)، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاَهُ مَعَ المَاءِ، (أَو مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ)، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بَطشتها: اكتسبتها[٢].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى الأحاديث السابقة يدور حول محو الوضوء لخطايا المؤمن، ولكنه يتتبع المعنى شيئا فشيئا لمزيد من الإيضاح، والتوكيد، وقد بدأ بأسلوب الشرط الذي يعرض المعنى بطريقة تشعر المخاطب بأنه حر الاختيار، مع ترغيب في الفعل عن طريق عرض النتيجة المرغوبة للنفس مما يرجح الميل إلى الفعل، وقد استخدم أداة الشرط إذا التي تؤذن بتحقق الوقوع والفعل الماضي يشير إلى هذا التحقق، وربط جواب الشرط (خرج) بالوضوء يعطيه اطرادا على الزمان، والمكان، وتكرار ذكر الوجه مع تقدمه لتقريره في الأذهان وتوكيده، وكذلك ذكر اليد، والرجل، والتعبير بالبطش في جانب اليد يشير إلى التجاوز في الباطل، والأخذ بقوة، ونسبة الأفعال إلى هذه الجوارح باعتبارها آلة لها على سبيل المجاز الذي يؤكد ارتكابه للفعل؛ لأن هذه الجوارح جزء

---

(١) برقم (٢٤٤/٣٢)، وتقدم برقم (١٢٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ط ش).

منه كما يدلل استخدام المجاز على أن هذه الجوارح مسخرة للإنسان، وسيحاسب عليها كما أن فيه عدم نسبة الذنب لأصل المؤمن بل بشي يتصل به، وهذا، وإن كان يؤكد ارتكابه الذنب إلا أنه يمكنه الخلاص منه إذ أن ما يتعلق بالأصل لا يمكن الخلاص منه كالشرك، والنفاق الذي يمسك بجذر القلب فيردي صاحبه، ولا يصلح معه عمل، أما ما يتعلق بجارحة غير القلب، ودون اعتقاد قادح في التوحيد فإنه يكفر بأعمال البر كالوضوء، والصلاة، وغيرها، كما أن قوله (مع الماء) يؤكد ترافق الخروج مع نزول الماء فيتأكد بنزوله مغفرة الخطايا كلما استجد المؤمن وضوءً تجددت الصورة في عقله مما يحدث في وجدانه توازناً نفسياً يدفعه إلى المحافظة على الطهر بالبعد عن المعصية، والمحافظة على التطهير بالحرص على الوضوء، وقوله (حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ) يشير إلى ذلك ويؤكد مغفرة خطاياه، والتعبير بالنقاء مبالغة في مغفرة الذنوب تدفع أي احتمال في بقاء ذنب حتى لا يستكثر عبد ذنوبه ويستعظمها على مغفرة الله، فيرتكب بهذا الظن ذنباً - ربما يفوق ذنوبه -.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٢٩).

الحديث رقم (١٠٣٠)

١٠٣٠ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فَقَالَ: ((السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإنَّا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أنَّا قَدْ رَأيْنَا إخْوَانَنَا)) قالوا: أوَلَسْنَا إخْوَانَكَ يَا رسول الله؟ قَالَ: ((أنْتُمْ أصْحَابِي، وَإخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأتُوا بَعْدُ)) قالوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسولَ الله؟ فَقَالَ: ((أرَأيْتَ لَوْ أنَّ رَجُلاً لَهُ خَيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، ألا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟)) قالوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: ((فإنَّهُمْ يَأتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الوُضُوءِ، وأنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الحَوْضِ)) رواه مسلم[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

غر جمع أغرّ أي ذو غرة: والغرة: البياض الذي يكون في وجه الفرس والمراد هنا: النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ[(٢)].

مُحَجلة: الفرس المحجل: هو الذي يرتفع البياض في قوائمه إلى موضع القيد. والتحجيل: أصله من الحجل بكسر المهملة وهو الخلخال والمرد هنا أيضاً: النور[(٣)].

ظَهْرَيْ خيل: المراد بينها خيل[(٤)].

دُهْم: جمع أدهم وهو الأسود[(٥)].

بُهم: جمع بهيم: الذي لا يخالط لونه لونًا سواه، سواء كان أسود أو أبيض أو أحمر يكون لونه خالصًا[(٦)].

---

(١) برقم (٢٤٩/٣٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٨).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ر ر)، وفتح الباري، ابن حجر ٢٨٤/١.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ج ل)، وفتح الباري، ابن حجر ٢٨٤/١.
(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٦، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٢٥.
(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٦.
(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٦.

فرطهم: أنا أتقدمهم[١]، وفرط القوم: تقدَّم ليتاد لهم الماء، ويهيئ لهم الدلاء والأرشية (الأحبال التي يشدون بها الدلاء)[٢].

الشرح الأدبي

لم تقتصر محبة الرسول ﷺ لأمته على صحابته الذين عاصروه بل تعدتهم بفيض الوجدان إلى من لم يأت بعد من أمته، ويكمن البعد النفسي لمثل هذا الحديث في أنه يمثل رسالة عبر الزمان، والمكان تربت على نفوس المؤمنين وتوحي بقرب الرسول منهم شدا لأزرهم وتقوية لعزيمتهم باقية بقاء الدهر تؤدي هذا الدور همسة حب، وحنان منه، ثم إنه ربط أجيال الأمة كلها في هذا الفيض من المحبة حيث وصل السابقين بالحاضرين في قوله (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ) ثم وصل السابقين بالحاضرين، بالآتين بقوله (وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا) وما أجملها من برقية تفيض بالمحبة والرقة، وجميل المشاعر من القلب الكبير الطاهر أرسلها لك ولي نبيك ﷺ يقول لي، ولك إني أحبك فهل تحبني، ثم سل نفسك ما موجبات هذه المحبة؟ وهل تشعر بهذه المحبة حتى ترد على هذه البرقية النبوية التي أتتك؟ ولا تنسى أنه يعرفك، أنت بشخصك، لأنه يعرف كل أمته، ونحن في أمس الحاجة إلى أن يتعرف علينا رسول ﷺ لأننا نحتاج إلى شفاعته لذا لابد أن نحرص على علامة الأمة المحمدية أن نتشبه به في كل شيء في عاداته، وعباداته، والاستفهام النبوي الأول في الحديث (أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ) استفهام أمر بمعنى أخبرني ينبه إلى التميز بعلامة في هذه الأمة، والاستفهام الثاني: (ألا يعرف خيله....) استفهام تقرير للمخاطبين بما علموا من مضمون الخبر؛ لينتقل بهم من هذه الصورة المعروفة في بيئتهم صورة خيل لها علامة في وجوهها غرة في جبينها تميزها، وعلامة في أرجلها محجلة بين خيل شديد السواد إلى صورة الأمة المحمدية بين الأمم منذ خلق الله البشر

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب هـ م).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر ط)

مميزة تمام التمييز للرسول ﷺ ليقرب للمخاطبين ويقرر في الأذهان بهذا القياس الصورة المهيبة صورة الأمم محشورة في صعيد واحد، ويبين بجلاء رغم هذا الزحام الشديد أنه يعرف أمته من رآه منهم، ومن لم يره - بهذه العلامة، كما يعرف صاحب الخيل المسومة خيله من بين الخيول، وفيه بيان لفضل الوضوء، وترغيب في إطالة التحجيل بإسباغ الوضوء.

فقه الحديث

جواز التمني: قال النووي: (قوله ﷺ: "وددت أنا قد رأينا إخواننا" قال العلماء في هذا الحديث جواز التمني لا سيما في الخير ولقاء الفضلاء وأهل الصلاح)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: الحرص على زيارة القبور لاتخاذ العبرة والعظة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: محبة النبي ﷺ لمن يأتي بعده من المؤمنين وبيان فضل صحبة رسول الله ﷺ.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الوضوء في تمييزه للمؤمنين يوم القيامة.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: شفقة النبي ﷺ على أمته يوم القيامة.

أولاً - من آداب المدعو: الحرص على زيارة القبور لاتخاذ العبرة والعظة:

يظهر ذلك في الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه: "إن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون"، قال القرطبي: (المقبرة: تقال بفتح الباء وضمّها. وتسليمُه عليهم لبيان مشروعية ذلك، وفيه معنى الدعاء لهم)[٢]، وقد حث النبي ﷺ على زيارة القبور لاتخاذ العبرة والعظة فقال: ((إِني

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩/٣/٢ .

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٠٠/١.

نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً))[١] وقال أبو هريرة ﷺ: ((زَارَ النَّبِيُّ قَبْرَ أُمِّهِ. فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ. فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأذِنَ لِي. فَزُورُوا الْقُبُورَ. فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ))[٢]، قال القاضي عياض: (استئذانه عليه السلام في زيارة قبر أمه والإذن في ذلك، دليل على جواز زيارة القبور، وصلة الآباء المشركين، وإذا كان هذا بعد الموت ففي الحياة أحق، وكأنه قصد عليه السلام قوة الموعظة والذكرى؛ بمشاهدته قبرها ورؤيته مصرعها، وشكر الله على ما منَّ به عليه من الإسلام، الذي حُرمته، وخص قبرها لمكانها منه، ويدل مقصده قوله آخر الحديث: "فزوروا القبور، فإنها تذكر الموت".

وقوله: "فبكى وأبكى": بكاؤه ﷺ على ما فاتها من لحاق أيامه والإيمان به.

وقوله: "فزوروها": بين في نسخ النهي وفي علة الإباحة، أن يكون زيارتها للتذكير والاعتبار لا للفخر والمباهاة، لا لإقامة النوح والمآتم عليه، كما قال ﷺ: ((فَزُورُوهَا وَلا تَقُولُوا هُجْرًا قال مالك: يعني لا تقولوا سوءًا))[٣])[٤] و((كَانَ عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ تُذْكَرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلاَ تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ: إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ، قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاَّ وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ))[٥]، فعلى المدعو أن يحرص على زيارة القبور لاتخاذ العبرة والعظة.

ثانيًا – من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد السؤال والجواب في الحديث من قول الصحابة ﷺ للنبي ﷺ: "أولسنا

---

(١) أخرجه أحمد ٣٨/٣ رقم ١١٣٢٩، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٤٢٩/١٧، وانظر: بلوغ المرام وشرحه سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ص ٣٦٦. .

(٢) أخرجه مسلم ٩٧٦.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٢٠٢٧.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٥٢/٣ - ٤٥٣.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٣٠٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٧٨).

إخوانك يا رسول الله؟ فأجاب النبي ﷺ بقوله "أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد"، (والسؤال والجواب من الأساليب الدعوية التي تجعل المدعو في استعداد فكري ونفسي...، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك)[1]. وقد أفاد سؤال الصحابة رضوان الله عليهم، وإجابة النبي ﷺ، بيان محبة النبي ﷺ لمن ياتي بعده من المؤمنين.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: محبة النبي ﷺ لمن يأتي بعده من المؤمنين وبيان فضل صحبة رسول الله ﷺ:

هذا ما يستفاد في الحديث من قوله ﷺ "وددت أنا قد رأينا إخواننا" قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: "أنتم أصحابي. وإخواننا الذين لم يأتوا بعد".

قال القرطبي: (وقوله: "وودت أنا قد رأينا إخواننا" هذا يدل على جواز تمنّي لقاء الفضلاء والعلماء، وهذه الأخوة هي أخوة الإيمان اليقيني، والحب الصحيح للرسول ﷺ. وقد ورد في بعض طرق هذا الحديث: أنه عليه الصلاة والسلام قال: إخواني الذين يؤمنون بي ولم يروني، ويصدقون برسالتي ولم يلقوني، يودُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله"، وقد أخذ أبو عمر ابن عبدالبر من هذا الحديث ومن قوله ﷺ: ((إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ كَالْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهَا أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ))[2] أنه يكون فيمن يأتي بعدالصحابة من يكون أفضل ممن كان في جملة الصحابة، وذهب معظم العلماء إلى خلاف هذا، وأن من صحب النبي ﷺ، ورآه ولم مرة من عمره، أفضل من كل من يأتي بعده، وأن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل. وهو الحق الذي لا ينبغي أن يُصار لغيره، لأمور:

أولها: مزية الصحبة ومشاهدة رسول الله ﷺ.

---

(١) فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالرحمن حبنكة، ٥٩/٢.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٣٤١، مطولًا وقال الألباني: ضعيف لكن فقرة أيام الصبر ثابتة (ضعيف سنن أبي داود ٩٣٤).

وثانيها: فضيلة السبق للإسلام.

وثالثها: خصوصية الذب عن حضرة رسول الله ﷺ.

ورابعها: فضيلة الهجرة والنصرة.

وخامسها: ضبطهم للشريعة وحفظها عن رسول الله ﷺ.

وسادسها: تبليغها لمن بعدهم.

وسابعها: السبق في النفقة في أول الإسلام.

وثامنها: أن كل خير وفضل وعلم وجهاد ومعروف فعل في الشريعة إلى يوم القيامة، فحظهم منه أكمل حظ، وثوابهم فيه أجزل ثواب؛ لأنهم سنوا سنن الخير، وافتتحوا أبوابه، وقد قال ﷺ: ((مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))[١] ولاشك في أنهم الذين سنوا جميع السنن وسابقوا إلى المكارم، ولو عُددت مكارمهم، وفسرت خواصُّهم، وحصرت لملأت أسفارًا، ولكلّت الأعين بمطالعتها حيارى.

وعن هذه الجملة قال ﷺ فيما أخرجه البزار عن جابر بن عبدالله مرفوعًا: ((إنَّ الله اخْتَارَ أَصْحَابي عَلى العَالَمِينَ سِوى النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ، واخْتَارَ لي مِنْ أَصْحَابي أَرْبَعَةً - يعني: أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا رحمهم الله - فَجَعَلَهُمْ أَصْحَابي وقال: فِي أَصْحَابي: كُلُّهُمْ خَيْرٌ))[٢]. وكذلك قال ﷺ: ((لا تسبوا أَصْحَابي فلو أنَّ أحدَكم أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهَبًا ما بَلَغَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصيفَه))[٣] وكفى من ذلك كله ثناء الله تعالى عليهم جملة وتفصيلاً، وتعيينًا وإبهامًا، ولم يحصل شيء من ذلك لمن بعدهم. فأما استدلال المخالف بقوله عليه الصلاة والسلام: "إخواننا" فلا حُجة فيه؛ لأن الصحابة قد حصل لهم من هذه الأخوة الحظ الأوفر؛ لأنها الأخوة اليقينية العامة، وانفردت الصحابة

---

(١) أخرجه مسلم ١٠١٧.

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار ٢٧٦٣، وقال الهيثمي: ورجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين بن أبي بكر الهيثمي ١٠/١٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٧٣، ومسلم ٢٥٤١.

بخصوصية الصحبة.

وأما قوله: "للعامل منهم أجر خمسين منكم" فلا حجة فيه؛ لأن ذلك - إن صح - إنما هو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه قد قال عليه الصلاة والسلام في آخره: "لأنكم تجدون على الخير أعوانًا ولا يجدون"، ولا بُعد في أن يكون في بعض الأعمال لغيرهم من الأجور أكثر مما لهم فيه، ولا تلزم منه الفضيلة المطلقة التي هي المطلوبة بهذا البحث. والله أعلم)[١].

رابعًا - من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه:

(قد كان النبي ﷺ يستعين على توضيح توجيهاته الدعوية بضرب المثل مما يشهده الناس بأم أعينهم، ومما يقع تحت حسهم ومشاهدتهم، لينتقل بالناس في ضرب الأمثال من الصورة إلى الحقيقة)[٢]، وهذا ما ورد في الحديث من تشبيه معرفته بأمته يوم القيامة بصاحب الخيل الغر المحجلة، فإنه يعرفها تمام المعرفة وهي وسط خيل بهم غير محجلة.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الوضوء في تمييزه للمؤمنين يوم القيامة:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء" وفي رواية ((أَنْتُمُ الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. مِنْ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ))[٣] قال النووي: (قال أهل اللغة: الغرة بياض في جبهة الفرس، والتحجيل بياض في يديها ورجليها، قال العلماء: سمى النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غرة وتحجيلاً تشبيهًا بغرة الفرس)[٤]، وقال ابن عثيمين رحمه الله: (ففي هذا الحديث دليل على فضيلة الوضوء، وأن هذه الأمة يأتون يوم القيامة وهم غر محجلون من أثر الوضوء، وغر يعني: بيض

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٥٠١ - ٥٠٢.

(٢) صفات الداعية، د. حمد العمار، ٩٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢٤٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٤.

الوجوه، محجلون يعني: بيض الأرجل والأيدي وهذا البياض نور وإضاءة، يعرفهم الناس يوم القيامة في هذا اليوم المشهود العظيم)[١].

وقال د. الحسيني هاشم: (بيّن ﷺ أن اتباع المسلمين لتعاليمه وسيرهم على سنته حافظ لصلتهم به، خاصة إذا داوموا على الوضوء، حيث سيجتمعون عنده على الحوض سيزين بأنوارهم المتلألئة على أعضاء الوضوء، والمتفاوتة بحسب كثرته واتقانه) [٢].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: شفقة النبي ﷺ على أمته يوم القيامة:

هذا ما ظهر جليًا في الحديث من قوله ﷺ "وأنا فرطهم على الحوض" قال النووي: (قال الهروي: وغيره معناه أنا أتقدمهم على الحوض، يقال فرط القوم إذا تقدمهم ليرتاد لهم الماء ويهيئ لهم الدلاء والرشا، وفي هذا الحديث بشارة لهذه الأمة زادها الله تعالى شرفًا، فهنيئًا لمن كان رسول الله ﷺ عليه فرطه)[٣]، وما يؤكد شفقته ﷺ على أمته يوم القيامة قوله ﷺ: ((لِكُلِّ نَبِيَّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا. فَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٤].

قال النووي: (ومعناها أن كل نبي له دعوة متيقنة الإجابة وهو على يقين من إجابتها، وأما باقي دعواتهم فهم على طمع من إجابتها...، وفي هذا الحديث بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته ورأفته بهم واعتنائه بالنظر في مصالحهم المهمة، فأخر ﷺ دعوته لأمته إلى أهم أوقات حاجتهم)[٥].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٢٧٤/٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ص ٥٥٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٦.

(٤) أخرجه البخاري ٦٣٠٤، ومسلم ١٩٨.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٣٩.

الحديث رقم (١٠٣١)

١٠٣١ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((ألاَ أَدُلُكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟)) قالوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: ((إسْبَاغُ الوُضُوء عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ؛ فَذلِكُمُ الرِّبَاطُ؛ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ[1])) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

إسباغ الوضوء: إيفاء كل عضوٍ حقه في الغسل [3].

المكاره: مَكْرَه وهو ما يكرهه الإنسان ويشق عليه كشدة البرد وألم الجسم ونحو ذلك [4].

الرياط: الرباط في الأصل: الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها، أي أن المواظبة على الطهارة والصلاة والعبادة كالجهاد في سبيل الله، ويكون الرباط مصدر رابطتُ: أي لازمتُ. وقيل: الرباط ههنا اسم لما يُربط به الشيء. أي: يشد، ويعني أن هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصي وتكفه عن المحارم [5].

الشرح الأدبي

بدأ النبي ﷺ بأداة العرض (ألا) وهي للعرض بدليل قولهم في الجواب (بلى)

---

(١) في هذه الرواية مرة واحدة، وأما في رواية مالك، بعد هذا الحديث بدون رقم، ففيه مرتين: (فذلكم الرباط فذلكم الرباط).

(٢) برقم (٢٥١/٤١)، وتقدم برقم (١٣١)، وسيكرره المؤلف برقم (١٠٦٠). أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٤).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ب غ).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ر هـ).

(٥) المرجع السابق (ر ب ط).

وتكون للتنبيه إذا كان الغرض منها تنبيه المخاطب لئلا يفوت المقصود بغفلته عنه، وقوله ﷺ (.... ما يمحو الله به الخطايا) قال القاضي عياض: محو الخطايا كناية عن غفرانها قال: ويحتمل محوها من كتاب الحفظة ويكون دليلا على غفرانها ورفع الدرجات إعلاء المنازل في الجنة) [١]، وأصل الرباط الحبس ومنه رباط الخيل حبسها واقتناؤها ورابط الجيش: أقام في الثغر والأصل أن يربط هؤلاء وهؤلاء خيلهم، ثم سمي الاقامة في الثغر مرابطة ورباط)، والإشارة في قوله (فذلكم الرباط) تدل على التفخيم وزيادة الميم زيادة في التنبيه إلى أن الإشارة إليهم هم، ثم وقوع اسم الإشارة مسندا إليه والمسند (الرباط) معرف باللام، ليفيد قصره عليهم، وكأنه يقول: لا رباط إلا ذلكم المشار إليه لكمال معنى الرباط فيه، وألا يتوهم المبالغة في الإخبار عنه بهذا الخبر مع ما للجهاد المسلح من الفضل، فقطع بتكرار العبارة كل وهم وأكد المعنى تأكيدا لا شك فيه، ولعل سر هذا الفضل يرجع إلى أن هذه الأمور رباط دائم للإنسان في أجزاء اليوم، والليلة، ورباط الجيوش في وقت معين، ورباط الصلاة لمحاربة عدو خفى هو الشيطان، وهوى النفس، ورباط الجيش لقتال عدو ظاهر ولا شك أن قتال العدو الظاهر أيسر، ورباط الجيوش فرض كفاية، ورباط الصلاة فرض عين، ومن هنا كانت عناية النبي ﷺ بأسلوبه التشويقي الذي هيأ القلوب لاستقبال الأمر بداية بالاستفهام عرضا، وتشويقا، ومرورا بعبارات التشويق (يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات)، وانتهاء بتكرار جملة التفصيل (فذلكم الرباط، فذلكم الرباط) توكيدا لفظياً، ومعنويا يفيد - كما تقدم - نفى المبالغة [٢].

المضامين الدعوية [٣]

---

(١) ينظر صحيح مسلم بشرح النووي المجلد الاول ١٤١/٢.

(٢) ينظر الأساليب الإنشائية واسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط – جامعة الأزهر.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣١).

الحديث رقم (١٠٣٢)

١٠٣٢- وعن أَبي مالك الأشعري ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمَانِ**)) رواه مسلم[1].

وَقَدْ سبق بطوله في باب الصَّبر.

وفي البابِ حديث عمرو بن عَبَسَة ﷺ السابق في آخر باب الرَّجَاءِ[2]، وَهُوَ حديثٌ عظيمٌ؛ مشتملٌ عَلَى جملٍ من الخيرات.

ترجمة الراوي:

أبو مالك الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٥).

الشرح الأدبي

الحديث يتميز بإيجاز القصر الذي يشتمل على المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، لأن الطهور صيغة مبالغة من الطهر إذا ما أطلقت أوحت بتعدي معنى الطهر من صاحبه إلى من حوله فكأنه فاض على من حوله، ثم إن الطهارة معنى لازم لكل عبادة من العبادات بوجه من الوجوه لذلك قيل: أن الإيمَان يُطَهِّرُ نَجَاسَةَ الْبَاطِنِ وَالْوُضُوءُ يُطَهِّرُ نَجَاسَةَ الظَّاهِرِ وَهَذَا إِنْ تَمَّ يُفِيد أَنَّ الْوُضُوء شَطْرُ الإيمَانِ وَالأَظْهَرُ الأَنْسَبُ أَنْ يُقَالَ أَرَادَ بالإيمَانِ الصَّلاة كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى وَمَا كَانَ اللَّه لِيُضِيعَ إِيمَانكُمْ الْكَلام عَلَى تَقْدِيره مُضَاف أَيْ إِكْمَال الْوُضُوء شَطْر إِكْمَال الصَّلاة وَتَوْضِيحه أَنَّ إِكْمَال الصَّلاة بِإِكْمَالِ شَرَائِطِهَا الْخَارِجَة عَنْهَا وَأَرْكَانهَا الدَّاخِلَة فِيهَا وَأَعْظَمُ الشَّرَائِط الْوُضُوء فَجُعِلَ إِكْمَالُهُ نِصْفَ إِكْمَال الصَّلاة وَيَحْتَمِل أَنَّ الْمُرَاد التَّرْغِيب فِي إِكْمَال الْوُضُوء وَتَعْظِيم ثَوَابه حَتَّى كَأَنَّهُ بَلَغَ إِلَى نِصْف ثَوَاب الإيمَان.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (١/٢٢٣)، وتقدم برقم (٢٥). وسيكرره المؤلف برقم (١٤١٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣٠١).

(٢) برقم (٤٣٨).

(٣) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث (٢٥).

الحديث رقم (١٠٣٣)

١٠٣٣- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - (أَوْ فَيُسْبِغُ) - الوُضُوءَ، ثُمَّ يقول: أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ (وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ)[١]، وَأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ[٢] وَرَسُولُهُ؛ إلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أيِّهَا شَاءَ)) رواه مسلم[٣].

وزاد الترمذيُّ[٤]: ((اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ)).

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

فيبلغ أو فيسبغ: هما بمعنى واحد، أي: يتمه ويكمله فيوصله مواضعه على الوجه المسنون[٥].

المتطهرين: من التطهر وهو: التنزه والكف عن الإثم[٦].

الشرح الأدبي

قوله (ما منكم من أحد) عبارة تفيد العموم، والاستغراق بتركيبها عموما، واستغراقا يسري عبر الزمان، والمكان، والفعل المضارع يشير إلى تجدد الحدث، واستمراره، والفعل يبلغ يشير إلى الإتقان الذي يصل إلى الحد المطلوب، والفاء للتعقيب،

---

(١) هذه الزيادة ليست عند مسلم في هذه الرواية، وإنما عنده بعد هذا الحديث، بدون رقم.

(٢) لفظ مسلم في هذه الرواية: (وأنَّ محمدًا عبد الله) والمثبت لفظ مسلم بعد هذه الرواية، بدون رقم.

(٣) برقم (١٧/٢٣٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٤٨).

(٤) برقم (٥٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣٤٨).

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٨.

(٦) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي في (ط هـ ر).

والترتيب وقوله أشهد يوحي بالتحقيق، والتثبت، و اليقين، والمعاينة، وكلها تناسب هذا الاعتراف، والنطق بعبارة التوحيد (لا إله إلا الله) التي تتصدر الأحداث الجسام ويكثر ترديدها في العظائم؛ لكونها أعظم ما يقال لاحتوائها على توحيد الله، وإفراده بالألوهية دون سواه، تحقق هذا المعنى بأسلوب القصر لصفة الألوهية على ذات الله - سبحانه وتعالى - قصراً حقيقياً تحقيقياً؛ لأن الألوهية منفية عن الجميع، وثابتة لله، وحده حقيقة، وحكماً، ومطابقة للواقع، زاد العبارة تركيزاً معنى إثبات الألوهية لله وحده، ونفيها عن كل ما سواه مجيء القصر بطرق النفي والاستثناء، وهو أقوى طرق القصر تأكيداً لما فيه من نص على المنفي، والمثبت، ولذلك يستخدم عند الإنكار، وقوله (وَحْدَهُ) توكيد لنفي الألوهية عن الجميع، وإثباتها لله، وكذلك قوله (لاَ شَرِيكَ لَهُ) يصعِّد هذا التوكيد إلى حد لا يبلغه شك، ولا يعترضه في قوته إنكار، وكثرة أشكال التوكيد في إثبات الألوهية لله، ونفيها عن من سواه؛ لأنه معنى زلت عنده الأقدام، وضلت عنه كثير من الأمم التي أشركت مع الله غيره من خلقه ما بين بشر، أو حجر، أو كوكب، أو غيره، ولذلك لما أتبع الشهادة ببقيتها، وهي قوله: (وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) نص فيها على صفة العبودية للرسول ﷺ للفرق بين مقام النبوة، والألوهية حتى تحبه الأمة ما تحبه، وهي تعلم أنه عبد نبي، وقوله (فتحت) لم يذكر الفاعل للعلم به، وجمع الأبواب يشير إلى الحفاوة بصاحب هذا العمل، وذكر العدد ثمانية يؤكدها ويوحي بعظمة الأجر، وإتيان العبد عملا عظيماً، وقوله (يدخل من أيها شاء) فعل المشيئة يشير إلى الحرية في اختيار المدخل، والعبارة توحي بمنتهى الحفاوة، والكرم الذي ينبيء بعظم العمل الذي استلزم هذا الجزاء.

فقه الحديث

الذكر المستحب عقب الوضوء:

قال النووي: (أما أحكام الحديث ففيه أنه يستحبّ للمتوضئ إن يقول عقب وضوئه: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. وهذا متفق عليه. وينبغي أن يضم إليه ما جاء في رواية الترمذي متصلاً بهذا الحديث:

"اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين" ويستحب أن يضم إليه ما رواه النسائي في كتابه "عمل اليوم والليلة" مرفوعًا: ((سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وحده لا شريك لك، أستغفرك وأتوب إليك))[١] قال أصحابنا: وتستحب هذه الأذكار للمغتسل أيضًا. والله أعلم)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: الحث على إسباغ الوضوء وبيان فضله.

ثانيًا: من آداب المدعو: الدعاء بما ورد عن النبي ﷺ بعد إتمام الوضوء.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التبشير.

أولاً - من واجبات الداعية: الحث على إسباغ الوضوء وبيانه فضله:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيبلغ -أو فيسبغ - الوضوء ... إلخ" قال النووي: (في قوله ﷺ "فيبلغ أو يسبغ الوضوء" هما بمعنى واحد أي: يتمه ويكمله فيوصله مواضعه على الوجه المسنون والله أعلم)[٣].

وقال د. الحسيني هاشم: (فيه فضل إسباغ الوضوء، والدعاء بعده، وأن المداومة على ذلك سبيل إلى الدخول في الجنة والبعد عن النار، وكأن الإنسان بوضوئه قد تطهر وتنظف فأصبح صالحًا لدخول الجنة بعد أن زال عنه خطر النار)[٤].

وقد حث النبي ﷺ على إسباغ الوضوء مع بيانه ﷺ لفضل ذلك فقال: ((مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ))[٥] وعن

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى ٢٨٢٩ من حديث أبي سعيد الخدري > وليس فيه جملة "وحده لا شريك له" وقال النسائي: هذا خطأ، والصواب موقوف. وذكره المنذري في الترغيب ٣٥٤. وقال: رواه الطبراني في الأوسط ١٤٧٨ ورواته رواة الصحيح اهـ. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٢٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٤/٣/٢ .

(٣) شرح صحيح مسلم، ٢٥٨.

(٤) شرح رياض الصالحين ص ٥٥١ - ٥٥٢.

(٥) أخرجه مسلم ٢٤٥.

أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ "أَوِ الْمُؤْمِنُ" فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ "أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ" فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ "أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ" فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ "أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ" حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ))[١] قال النووي: (والمراد بالخطايا الصغائر دون الكبائر وقال القاضي: والمراد بخروجها مع الماء المجاز والاستعارة في غفرانها)[٢].

فعلى الداعية أن يوضح ويبين فضل إسباغ الوضوء لما في ذلك من عظيم الخير والفلاح في الدنيا والآخرة.

ثانيًا - من آداب المدعو: الدعاء بما ورد عن النبي ﷺ بعد إتمام الوضوء:

إن المدعو ملتزم بالامتثال بما ورد عن النبي ﷺ دون زيادة أو نقص، وقد بين الحق تبارك وتعالى أن ما ورد عنه ﷺ هو وحي يوحى فقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[٣]. قال ابن كثير " (أي ما يقول قولاً عن هوى وغرض، إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملاً موفرًا من غير زيادة ولا نقصان)[٤]، فعلى المدعو أن يلتزم بما ورد عن النبي ﷺ من الدعاء بعد إتمام الوضوء.

وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "ثم يقول: أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك الله. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله" (وأما الأذكار التي تقال عند غسل كل أعضاء الوضوء على حدة فكذب مختلق لم يقل رسول الله ﷺ شيئًا منه ولا علمه أمته ولا ثبت عنه (غير التسمية في أوله)[٥] وغير قوله: (أشهد أن لا إله إلا وحده لا

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٤٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، ٢٦٣.

(٣) سورة النجم، الآيات: ١ - ٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٤٣/٧.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٣٩٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٠).

شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين)[١] في آخره، وفي حديث آخر في "سنن النسائي" مما يقال بعد الوضوء أيضًا: ((سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله أستغفرك وأتوب إليك))[٢]، ولم يكن يقول في أوله نويت رفع الحدث ولا استباحة الصلاة لا هو ولا أحد من أصحابه ﷺ البتة ولم يرو عنه في ذلك حرف واحد لا بإسناد صحيح ولا ضعيف[٣].

وقال النووي: (ويستحب للمتوضئ أن يقول عقب وضوئه: "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله"، وهذا متفق عليه، وينبغي أن يضم إليه ما في رواية الترمذي متصلاً بهذا الحديث: "اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين")[٤] ويستحب أن يضم إليه ما رواه النسائي في كتابه عمل اليوم والليلة مرفوعًا: ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أن لاَ إِلَهَ إلاَّ أنْتَ، وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ))[٥]. فعلى المدعو أن يلتزم بما ورد عن النبي ﷺ في الدعاء عقب إتمام الوضوء، وفي بيان الحكمة من جمعه ﷺ للتوبة والطهارة في الدعاء بعد الوضوء: قال المباركفوري: (جمع بينهما إلمامًا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٦] ولما كانت التوبة طهارة الباطن عن أدران الذنوب والوضوء طهارة الظاهر عن الأحداث المانعة عن التقرب إليه تعالى ناسب الجمع بينهما)[٧].

---

(١) أخرجه الترمذي ٥٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٤٨)، وهو حديث الباب رواية الترمذي.

(٢) قال محققا زاد المعاد: أخرجه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" ص٢١ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفي سنده المسيب بن واضح، وهو سيء الحفظ، وكذا الراوي عنه، وهو يوسف بن أسباط. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٩٦/١.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٩٥/١ - ١٩٦.

(٤) تفرد به النسائي في السنن الكبرى ٩٨٢٩، ٩٨٣١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٨.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٧) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ٢٣٧/١.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التبشير:

التبشير من الأساليب الدعوية المهمة في حمل المدعو على سرعة الامتثال للأمر المدعو إليه وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من تبشيره ﷺ لمن يقول الشهادتين بعد إسباغ الوضوء بفتح أبواب الجنة الثمانية له يدخل من أيها شاء (ومما لا شك فيه أن أنواع الطاعات كثيرة جدًا، والعبد يحتاج دائمًا إلى ما يدفعه للقيام بها على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها، ودوره في التبشير والترغيب في القيام بهذه الطاعات)[1].

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ٥١٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على التنافس في فعل الخير:

أخبر النبي ﷺ فقال: «إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ. فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ». وفي هذا الحديث نوع من التربية على التنافس في فعل الخير، لأنه ربط بين إطالة الغرة وتحصيل ما ينتج عنها، وقوله ﷺ: "تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء"، والمتأمل في هذا الحديث يرى أن النبي ﷺ يفتح المجال واسعًا أمام كل مؤمن لإطالة غرته، وذلك بالإخبار أن الحلية تكون على قدر ما يبلغ الوضوء، ولا شك أن هذا يفتح طريق التنافس أمام المخاطبين لأن يتنافسوا في ذلك. وفي هذا تربية على التنافس في تحصيل الفضل، ويبين مسؤولية المربين في إثارة هذه الروح الطيبة في التنافس المحمود في فعل الخير وتحصيله، وذلك لأن "الشخصية الإسلامية إيجابية متفتحة على الحياة كلها ضمن حدود بيّنها المنهج الإسلامي، ومراده من ذلك هو: أن يجعل لتلك الشخصية الإسلامية دورًا في البناء وبذل النفع والخير للمجتمع، وجعلها تفيض بالخير عليهم باستمرارٍ حسب حالها، سواء أكانت فقيرة أم غنية، فقد جاءت السنة المطهرة حاضّة المسلم على فعل الخير حسب وسعه وطاقته، وجعلت له على كل فعل للخير صدقة تحتسب عند الله، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ» قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالَ قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ» قَالَ قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ. فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ»(١).

من هذا الحديث يتبيّن لنا كيف أن الإسلام وسع دائرة الخير، وذلك ليفسح المجال أمام جميع الخلق على اختلاف مسئولياتهم وقدراتهم وأحوالهم كي يتسنى لهم

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أخرجه البخاري، ١٤٤٥، ومسلم ١٠٠٨.

المشاركة في فعل الخير وحصول الأجر من الله - سبحانه وتعالى - وبذلك لا يشعر الفقير أنه محروم من المشاركة من فعل الخير، لأنه قد فتح له باب المشاركة مع بقية إخوانه المسلمين، وجعل له في كل عمل خير يقوم به صدقة يثاب عليها مثله مثل الغني الذي ينفق من سعة ماله ويبذله في أوجه الخير المتنوعة. قال رسول الله ﷺ: "كل معروف صدقة"[(١)]، فالشخصية الإسلامية تهتدي إلى فعل الخير وتتجذب إليه ونادرًا ما تحتاج إلى من يبصرها به أو يدلها عليه، إذ فعل الخير هو الكمال الذي تنشده وتحس من خلاله بالسعادة والارتياح، فهي تسارع إلى كل خير فتسبق غيرها، وتنافس في كل فضيلة فتدركها وتعمل بها، فهي من الأبرار والمقربين"[(٢)].

ثانيًا: تربية الناشئة على إحسان العمل وإتقانه:

هذا المضمون يستمد من إحسان الوضوء وبيان فضل ذلك، فقد قال النبي ﷺ: "من توضأ فأحسن الوضوء ..."، و"إسباغ الوضوء على المكاره"، و"ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوء ثم يقول...".

ففي ذلك دعوة إلى إتقان العمل وإحسانه، وبيان أن الأجر يختلف باختلاف الإتقان والإجادة، وعلى ذلك ينبغي أن يُرَبَّى الناشئة والأولاد، فإنهم يجب أن يغرس فيهم حب إجادة العمل وتحسينه وعدم الاكتفاء بأداء العمل كيفما اتفق، فإن "المؤمن لا يكتفي بالاندفاع الذاتي إلى العمل بل يهمه أن يجوده، ويتقنه، ويبذل جهده لإحسانه وإحكامه لشعوره العميق واعتقاده الجازم أن الله يرقبه في عمله ويراه في مصنعه أو في مزرعته أو في أي حال من أحواله، وأنه تعالى: "كتب الإحسان على كل شيء"[(٣)]، وقد فسر نبي الإسلام ﷺ هذا الإحسان في جانب العبادة، فقال: «الإحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[(٤)]. وهذا هو شعور المؤمن في كل عمل من الأعمال، لا في

---

(١) أخرجه مسلم، ١٠٠٥، من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، ٣٦٥، ٣٦٦.

(٣) أخرجه مسلم، ١٩٥٥، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري، ٥٠، ومسلم، ٩.

العبادة وحدها. أن يؤدي العمل كأنه يرى الله، فإن لم يبلغ هذه المرتبة فأقل ما عليه أن يشعر أن الله يراه، وشعار المؤمن دائمًا في أدائه لعمله: إني أرضي ربي.

وربه لا يرضيه منه إلا أن يقوم بعمله في صورة كاملة متقنة ...، وهناك خلقان أصيلان يتوقف عليهما جودة العمل وحسن الإنتاج، وهما: الأمانة والإخلاص، وهما في المؤمن على أكمل صورة وأروع مثال"[١].

والإتقان له دور كبير في النجاح، "فإن مستوى نجاحنا وتحقيق أهدافنا في هذه الحياة يعتمد بشكل كبير على درجة التركيز التي يمكن الوصول إليها، ألا ترى أن القدرة على الإتقان أوصلت رجالاً ونساءً كثيرين ذوي إمكانات عادية أو متواضعة إلى قمم النجاح التي لم يستطع صعودها العباقرة؟"[٢].

ثالثًا: التعليم بالفعل:

وهذا يتضح من قول عثمان بن عفان ﷺ: عندما توضأ "رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هذَا"، فقد توضأ عثمان بن عفان ﷺ كما توضأ النبي، وذلك ليعلم المسلمين كيف كان وضوء النبي ﷺ، ولاشك أن التعليم بالفعل أوقع من التعليم بالقول، وقد كان النبي ﷺ يكثر من التعليم بالفعل، قال سهل بن سعد ﷺ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَامَ عَلَيْهِ (أي على المنبر) فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ وَرَاءَهُ. وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ. ثُمَّ رَجَعَ فَنَزَلَ الْقَهْقَرَى حَتَّى سَجَدَ فِي أَصْلِ الْمِنْبَرِ. ثُمَّ عَادَ حَتَّى فَرَغَ مِنْ آخِرِ صَلاَتِهِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي صَنَعْتُ هذَا لِتَأْتَمُّوا بِي. وَلِتَعَلَّمُوا صَلاَتِي»[٣].

قال النووي: "قوله ﷺ: "ولتعلّموا صلاتي" هو بفتح العين واللام المشدّدة أي تتعلموا، فبين ﷺ أن صعوده المنبر وصلاته عليه إنما كان للتعليم ليرى جميعهم أفعاله ﷺ بخلاف ما إذا كان على الأرض فإنه لا يراه إلا بعضهم ممن قرب منه"[٤].

---

(١) الإيمان والحياة ص ٢٥٦.

(٢) العادات العشر للشخصية الناجحة، د.إبراهيم بن حمد القعيد ص ٢٥٣.

(٣) أخرجه البخاري، ٩١٧، ومسلم، ٥٤٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤١٥، بيت الأفكار.

وقال ابن حجر: " وفيه جواز قصد تعليم المأمومين أفعال الصلاة بالفعل"[١].

وفي وضوء عثمان رضي الله عنه بالكيفية التي كان النبي ﷺ يتوضأ بها لون من ألوان التربية بالتطبيق، مما يؤثر في النفوس، ويجعل المؤمن يستصحب تلك الصورة العملية لهيئة الوضوء التي كان يفعلها النبي ﷺ وطبقها عثمان رضي الله عنه.

رابعًا: تذكير الناشئة بالحقائق الثابتة:

قال النبي ﷺ عندما أتى المقبرة: «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا»، فقوله ﷺ: لأصحاب القبور: "وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ"، تذكير للمخاطبين بالحقائق الثابتة التي يجمعون عليها، وهي أن الموت مصير كل حيّ، وأن مصير هذا الخَلْق إلى فناء وزوال، وعلى ذلك ينبغي تربية الناشئة، على تذكر الآخرة والاستعداد بالأعمال الصالحة، "فالشخصية الإسلامية لتيقنها أن الدنيا دار سعي وعمل، ومدتها محدودة قليلة، والآخرة دار حساب وجزاء، وهي حياة أبدية، فإنا نجدها تسارع في هذه الدنيا إلى كل عمل طيب، سباقة إلى كل فعل خير، وما ذاك إلا ليكون لها زادًا تتزود به يوم القيامة وتحصل به على الثواب العظيم من الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

ومثال على الشخصية الإسلامية التي بادرت إلى عمل الخير عندما علمت بطبيعة الحياة الدنيا، الحياة الآخرة، ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: «قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ يومَ أُحد: «أرأيتَ إن قُتِلْتُ فأينَ أنا؟ قال: في الجنة . فألقى تمراتٍ في يدِهِ، ثمَّ قاتلَ حتى قُتِل»[٣]"[٤].

---

(١) فتح الباري، ١/٦٧٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري، ٤٠٤٦، ومسلم، ١٨٩٩.

(٤) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر التركي ص ٣٦٢، ٣٦٣، بتصرف، وانظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف ص ١٦٢، ١٦٣.

خامسًا: من أنواع التربية: التربية الصحية:

إن حثّ النبي ﷺ وترغيبه في الوضوء وإسباغه يستدل به على اهتمام الإسلام بالتربية الصحية التي تجعل الإنسان نظيفًا طيبًا فضلاً عن الوقاية من الأمراض، فقد اهتم الإسلام بصحة الإنسان، وقد حرص في توجيهاته الكثيرة على المداواة والمسارعة إليها، لأنها من العلاجات الأساسية لصحة الجسم، وباعتبار أن الجسم أمانة عند الإنسان، لذا وجب المحافظة على هذه الأمانة، ويمكن إجمال الأسس التي تقوم عليها التربية الصحية في الإسلام على النحو التالي:

١ - ممارسة الرياضة كالسباحة والرماية وركوب الخيل والمصارعة والجري.

٢ - استخدام السواك.

٣ - الاهتمام بالنظافة مثل تقليم الأظفار ونحو ذلك.

٤ - اتباع السنن النبوية في الأكل والشراب.

٥ - النوم على الشق الأيمن.

٦ - النوم بعد العشاء والاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر.

٧ - الابتعاد عن الأمراض المعدية.

٨ - طلب العلاج عند وقوع المرض[1].

سادسًا: التربية بالتوجيه:

لقد وجّه النبي ﷺ المخاطبين إلي فعل ما فيه نفعهم وخيرهم فيما يتعلق بالوضوء وغيره، وذلك علي النحو التالي:

(ا) إطالة الغرة: ((فَمَنِ اسْتطاعَ مِنكمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فلْيَفْعَل)).

(ب) إحسان الوضوء: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ. حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ» .

(ج) دلالتهم علي ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا

---

(١) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل ص ٣٣٥ - ٣٤٨.

يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» .

(د) توجيههم إلي إسباغ الوضوء والإتيان بالذكر بعده، حتى ينالوا الثواب العظيم: «فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ».

والملاحظ علي التربية بالتوجيه هنا في هذا الباب ما يلي:

(ا) غلبة الترغيب علي هذا التوجيه،وعلى ذلك ينبغي أن يكون التوجيه الصادق من المربين؛ لأنه بهذا يثير الدوافع لدى من يقوم بتربيتهم إلى الامتثال والاستجابة، فالنفوس جبلت على حب الجزاء على أفعالها وأعمالها.

(ب) غلبة التبشير بمحو الذنوب والخطايا على هذا التوجيه: «خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ»، و«غُفِرَ لهُ ما تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، و«خرج من وجهه كلُّ خطيئةٍ نظر إليها بعينه مع الماء»، على حين بشر النبي ﷺ بالجنة في حديث واحد: «فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»، كما جمع ﷺ بين التبشير بمحو الذنوب ورفع الدرجات، فقال: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» .

ولعل الذي يفسر غلبة التبشير بمحو الذنوب، أن هذا الباب كثيرًا ما يدخل منه الشيطان على المسلم؛ فيلبّس عليه دينه فيظفر منه بما لم يظفر منه في حال المعصية: إنه يوسوس له أن معنى إتيانك بعض الذنوب: أن طاعتك ليست على ما ينبغي، وأنك غير صادق في هذه الطاعة وغير مخلص فيها،وأنك إن تفعل ذلك كالمستهزئ برب العالمين؛ والدليل على ذلك أنك لو كنت صادقًا مخلصًا غير مستهزئ، ما جرؤت على اقتراف هذه الذنوب وتلك الخطايا.

فإذا استجاب المسلم لتلك الوسوسة ترك ما كان عليه من طاعة وأصابه اليأس وداخله القنوط. وكم من مقيمين على الطاعة استزلّهم الشيطان بهذه الوسوسة حتى تحولوا - والعياذ بالله - إلى مقيمين على المعصية. فجاء الشرع الكريم ليسدّ هذه الباب الذي يلج الشيطان منه، ويمنعه من أن يلبّس على المسلم عبادته وطاعته؛ فأخبر النبي الكريم ﷺ عن طاعات تكفر بها الذنوب وتمحو بها الخطايا؛ حتى إذا فعلها المسلم ارتاح من همِّها ونكدها وسوء عاقبتها.

كما أن التذكير بمحو الذنوب إشعار للإنسان بفضل الله العظيم عليه، فإنه يعبد الله ويتوجه إليه بالعبادة ويقصده بالطاعة، ومن حاله كذلك كان من الأولى ألا يقع في معصية وألا يقارف ذنوبًا أو يرتكب خطايا؛ لأن من عَبَد العظيم كان الذنب الصغير معه عظيمًا، لكن الله بمنّه وكرمه عفا عن ذلك كلّه وتجاوز عنه؛ ليظلّ الإنسان مقيمًا على الطاعة ملازمًا لها طامعًا في عفو الكريم ومنّ المنّان.

(ج) التبشير كان بالجزاء الأخروي، ولعل في ذلك حكمًا ومقاصد: من ذلك أن يتعلق الإنسان بدار القرار وهي الآخرة، ويتذكر أن دنياه هي دار اختبار وعمل، فعليه أن يَجدّ في العمل ويجتهد في الطاعة حتى يفوز بجنة الله ودار رضوانه، كما أن في ذلك لفتًا له أن ما أصابه في الدنيا من جراء ملازمته الطاعة وإقامته عليها لا يكاد يذكر بجانب الفضل العميم الذي يناله يوم القيامة، وغير ذلك من الحكم الجليلة والمقاصد النبيلة.

ولكن لا يلزم مما سبق ترك الدنيا وإهمالها وعدم إعمارها، فهذا ليس مقصود الشرع، بل إن مقصود الشرع هو إعمار هذه الدنيا حتى تكون طريقًا لإعمار الآخرة، ولا يكون هذا إلا بإتيان كلّ نافع صالح مفيد في هذه الحياة الدنيا.

والمقصود أن التربية بالتوجيه تربية تقوم على الإرشاد إلى ما ينفع سواء في الدنيا أو الآخرة؛ فعلى المربين أن يستخدموا التوجيه الأمثل حتى يغرسوا في نفوسهم من يقومون بتربيتهم، القيم النبيلة والآداب الفضيلة والأخلاق الكريمة.

ملاحظة:

هناك مضامين تربوية أخرى غير ما سبق في أحاديث الباب، منها:

(ا) من أساليب التربية: الترغيب، وهذا موجود في أحاديث الباب كلها.

(ب) من أساليب التربية: الحوار، وهذا في حديث أبي هريرة ﵁: «أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا؟ قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: بل أنتم أصحابي...» الحديث. فهو حديث يقوم على الحوار.

(ج) من أساليب التربية: استخدام التشبيه: وهذا في قوله ﷺ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ. بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ. أَلاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» .

وهذه المضامين التربوية قد تقدم قريبًا معالجتها في أبواب سابقة، فنكتفي بهذا، ولا داعي للإطالة هنا. والله ولي التوفيق.



١٨٦- باب فضل الأذان

الحديث رقم (١٠٣٤)

١٠٣٤ - عن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ والصَّفِ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلاَّ أنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا (عَلَيْهِ) [١]، ولو يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

النداء: الأذان[٣].

أن يستهموا: أن يقترعوا[٤].

التهجير: التبكير إلى الصلاة[٥].

العتمة: صلاة العشاء[٦].

حبوًا: أي: يزحفون إذا منعهم مانع من المشي زحفًا؛ كما يزحف الصغير[٧].

---

(١) (عليه) لا توجد عندهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧/١٢٩) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٥٦). وسيكرره المؤلف برقم (١٠٧٤، ١٠٨٥).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١١٥/٢.

(٤) رياض الصالحين ٢٩٧.

(٥) رياض الصالحين ٢٩٧.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ت م).

(٧) فتح الباري، ابن حجر ١٦٦/٢.

الشرح الأدبي

الحديث يبين فضل المسارعة إلى النداء، والصف الأول، والبداية الفرضية التي أشارت إليها لو تبين مدى عظمة الخبر بعدها، و (لو) حرف امتناع لامتناع، أي امتناع الاستهام لامتناع العلم بالفضل، مما يشير إلى غفلة الناس عن فضل هذه الأمور، والتعبير بالاستهام فيه إشارة إلى ما ينبغي أن تكون عليه المجتمعات المسلمة من المساواة والعدل الذي ينزع الأحقاد، ويمنع الفتن، وعبارة (ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ) كناية عن عظمة الثواب وتسابق الناس إليه، ، وتكرار (لو) مع فعل العلم يؤذن بجهل أكثر الناس، وغفلتهم عن فضائل لا تكلف جهدا كبيراً، وتحدث فرقاً كبيراً في ميزان حسنات العبد، يدل على ذلك تكرار الاستهام الذي يدل على حرص الجميع على الفوز به، والتعبير بالاستباق يؤكد ذلك، ويكشف اللثام لكل من له عقل عن عظمة الجزاء ليتنافس فيه المتنافسون، والتعبير بالعتمة عن العشاء فيه إشارة إلى موضع العناء فيها، والتي تجعل بعض الناس يتكاسلون عنها تحت وطأة الظلام، أو النوم أو الخوف من قاطع أو غيره، والفرض الذي افترضه للحضور يدل على عظمة الأجر الذي غفل عنه الناس، والحديث يضرب بمطرقة الافتراض (لو) على غفلة الناس عن عظيم الأجر تحت ستار الجهل ليوقظ أهل الفطنة.

فقه الحديث

١ - إثبات القرعة:

قال النووي: (فيه إثبات القرعة في الحقوق التي يزدحم عليها ويتنازع فيها)[١].

٢ - التبكير بأداء العبادات:

(التبكير بأداء العبادات في أول أوقاتها مستحب لتحصيل الفضل والثواب، وهذا على الجملة عند الفقهاء)[٢].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢/٣/٢ .

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٤/١٠ وهناك استثناءات من الحكم، انظرها هناك.

٣ - **تسمية العشاء عتمة:**

قال النووي: (في هذا الحديث تسمية العشاء عتمة، وقد ثبت النهي عنه[١] وجوابه من وجهين:

أحدهما: أن هذه التسمية بيان للجواز وأن ذلك النهي ليس للتحريم.

والثاني: وهو الأظهر أن استعمال العتمة هنا لمصلحة ونفي مفسدة، لأن العرب كانت تستعمل لفظة العشاء في المغرب، فلو قال "لو يعلمون ما في العشاء والصبح" لحملوها المغرب، ففسد المعنى، وفات المطلوب، فاستعمل العتمة التي يعرفونها ولا يشكون فيها، وقواعد الشرع متظاهرة على احتمال أخف المفسدتين لدفع أعظمهما)[٢].

٤ - **الأذان أفضل أم الإمامة:**

قال النووي في الأذكار: (واختلف أصحابنا في الأذان والإمامة أيهما أفضل على أربعة أوجه: الأصحّ أن الأذان أفضل، والثاني: الإمامة أفضل، والثالث: هما سواء: والرابع: إن علم من نفسه القيام بحقوق الإمامة واستجمع خصالها فهي أفضل، وإلا فالأذان أفضل)[٣].

٥ - **الصف الأول الممدوح:**

قال النووي: (اعلم أن الصف الأول الممدوح الذي قد وردت الأحاديث بفضله والحث عليه هو الصف الذي يلي الإمام سواء جاء صاحبه متقدمًا أو متأخرًا، وسواء تخلله مقصورة ونحوها أم لا. هذا هو الصحيح الذي يقتضيه ظواهر الأحاديث، وصرح به المحققون. وقيل[٤]: فإن تخلل الذي يلي الإمام شيء فليس بأول بل الأول ما لا يتخلله شيء

---

(١) أخرجه مسلم ٦٤٤ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢/٤/٢، وكذلك ١٢١/٥/٣ - ١٢٢.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٥٣، وانظر شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٠/٤/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥٩/٢.

(٤) في المطبوع من شرح مسلم خلل في العبارة، أصلحناه بما رأيناه يوضح المعنى، والله أعلم بالصواب.

وإن تأخر. وقيل: الصف الأول عبارة عن مجيء الإنسان إلى المسجد أولاً وإن صلّى في صف متأخر. وهذان القولان غلط صريح، وإنما أذكره لأنبه على بطلانه؛ لئلا يغتر به والله أعلم)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترغيب في الأذان والصف الأول والتبكير إلى الصلاة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على حضور صلاة العشاء وصلاة الصبح في جماعة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الترغيب في الأذان والصف الأول والتبكير إلى الصلاة:

أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، وفي بيان ذلك قال النووي: "النداء هو الأذان والاستهام الاقتراع، ومعناه: أنهم لو علموا فضيلة الأذان وقدرها وعظيم جزائه ثم لم يجدوا طريقًا يحصلونه به لضيق الوقت عن أذان، بعد أذان أو لكونه لا يؤذن للمسجد إلا واحد - لاقترعوا في تحصيله"[2]، "وقد تشاح الناس في الأذان بالقادسية فاختصموا إلى سعد بن أبي وقاص بأقرع بينهم"[3]، وما ذلك إلا لترغيبه ﷺ في الأذان وبيانه لعظم فضله، فقد روى عنه ﷺ أنه قال: "لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة"[4]، وقال ﷺ: ((الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[5]، ومما أشار إليه الحديث الترغيب في الصف الأول

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٤/٤/٢، وانظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٨/٢٧ - ٣٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، ٣٦٨.

(٣) ذكره ابن حجر في فتح الباري، ١١٤/٢.

(٤) أخرجه البخاري، ٦٠٩.

(٥) أخرجه مسلم، ٣٨٧.

وفي بيان ذلك ، قال النووي: "ولو علم الناس ما في الصف الأول من الفضيلة نحو ما سبق وجاؤوا إليه دفعة واحدة وضاق عنهم ثم لم يسمح بعضهم لبعض به لاقترعوا عليه"[١] ، وفي بيان فضيلة الصف الأول في الصلاة، قال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ))[٢] ، وقال: ((خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا ، وَشَرُّهَا آخِرُهَا))[٣] ، قال النووي: (واعلم أن الصف الأول الممدوح الذي قد وردت الأحاديث بفضله والحث عليه هو الصف الذي يلي الإمام، سواء جاء صاحبه متقدمًا أو متأخرًا ، وسواء تخلله مقصورة ونحوها أم لا ، هذا هو الصحيح الذي يقتضيه ظواهر الأحاديث وصرح به المحققون)[٤].

قال القرطبي: (وقوله: "لاستهموا عليه" فيه إثبات القرعة مع تساوي الحقوق)[٥].

(والقرعة في اللغة: السهمة والنصيب، والمقارعة: المساهمة ، وأقرعت بين الشركاء في شيء يقسمونه، ويقال: كانت له القرعة ، إذا قرع أصحابه ، وقارعه فقرعه يقرعه: أي أصابته القرعة دونه، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، قال البركتي: القرعة السهم والنصيب، وإلقاء القرعة: حيلة يتعين بها سهم الإنسان أي نصيبه)[٦].

والقرعة مشروعة باتفاق الفقهاء، ودليل مشروعيتها الكتاب والسنة، فأما مشروعيتها من القرآن الكريم، فقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[٧] ، أي يحضنها فاقترعوا عليها.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه، ٩٩٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ٨١٦).

(٣) أخرجه مسلم، ٤٤٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦٩.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين، ٢/٦٤.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٣٣/١٣٦.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾[(١)].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: (فساهم) يقول: "أقرع"[(٢)].

وأما مشروعيتها من السنة المطهرة، فحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه»[(٣)].

والقرعة تكون لتطييب القلوب وإزاحة تهمه الميل، وليس أدل على ذلك من استعمال زكريا عليه السلام القرعة مع الأحبار في ضم مريم إلى نفسه مع علمه بكونه أحق بها منهم لكون خالتها عنده تطييبًا لقلوبهم، كما قال تعالى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[(٤)]، "وكان رسول الله ﷺ يقرع بين نسائه إذا أراد سفرًا تطييبًا لقلوبهن"[(٥)])[(٦)].

وقد رغب الحديث في التبكير إلى الصلاة، فقال ﷺ: "ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه"، "والتهجير هو التبكير إلى الصلاة"[(٧)]، وفي التبكير إلى الصلاة فضل عظيم منه إدراك تكبيرة الإحرام التي بها تكون البراءة من النار والنفاق، كما في قوله ﷺ: "من صلى لله أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق"[(٨)]، وأيضًا في التبكير إلى الصلاة يكون انتظار الصلاة التي يكون بها محو الخطايا وارتفاع الدرجات كما قال ﷺ: "ألا

---

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٣٩ - ١٤١.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٣/٢٢.

(٣) أخرجه البخاري، ٢٨٧٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٥) أخرجه البخاري، ٢٨٧٩.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ومصادرها ومراجعتها، ١٣٦ - ١٣٨.

(٧) فتح الباري، ابن حجر، ١١٥/٢.

(٨) أخرجه الترمذي ٢٤١، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٧٩٠).

أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ ثم ذكر ﷺ من ذلك ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة"[1] ، وهذا فضلاً عن إدراك الصف الأول وما به من خير عظيم كما أسلفنا.

(وقد ذهب رأى أخر إلى أن التهجير هو المحافظة على الجمعة والظهر، فإنها التي تفعل في وقت الهاجرة، وهى شدة الحر نصف النهار، ويقال: هجر القوم، واهجروا: صاروا في الهاجرة)[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على حضور صلاة العشاء وصلاة الصبح في جماعة:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: "لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا"، قال القاضي عياض: وقوله: "لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا" (تحضيض على شهود هاتين الصلاتين في الجماعة وعظم الأجر فيهما لشدتهما على النفس، وأنه طرفًا أوان نومها وغلبة سنات أجفانها وراحة بدنها، ومخالفة لمن يثقل ذلك عليه من المنافقين وأشباههم من البطلة المتهاونين والمحبين للدَّعة من المبادرة للنوم والراحة من تعب كدح اليوم الأول ليلهم، واستلذاذ الدفء وإغفاءة الفجر آخره)[3]. وقال النووي: "فيه الحث العظيم على حضور جماعة هاتين الصلاتين، والفضل الكثير في ذلك، لما فيهما من المشقة على النفس من تنغيص أول نومها وآخره، ولهذا كانت أثقل الصلاة على المنافقين"[4]، كما قال النبي ﷺ: "إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما، ولو حبوًا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً يصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٥١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٦٤.

(٣) إكمال المعلم، ٢/٣٥٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، ٣٦٨.

إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار"[1]، قال ابن حجر رحمه الله في قوله ﷺ: "لو يعلمون ما فيهما" أي من مزيد الفضل "لأتوهما" أي الصلاتين، المراد لأتوا إلى المحل الذي يصليان فيه جماعة وهو المسجد، وقوله "ولو حبوًا" أي يزحفون إذا منعهم مانع من المشي، كما يزحف الصغير"[2]، وفي ذلك بيان عظيم على أهمية الحرص والمحافظة على حضور صلاة العشاء والصبح في جماعة.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(الترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه)[3]، (والمرء يحتاج دائمًا إلى ما يدفعه للقيام بما يجب عليه من عبادات وطاعات وأن يكون ذلك على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة، وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها، لترغيب المدعو فيما وجب عليه)[4]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي الهام في الحديث من ترغيبه ﷺ في الأذان والحرص على الصف الأول في الصلاة، وذلك في قوله: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه، وأيضًا ورد الترغيب في التهجير إلى الصلاة، وذلك في قوله ﷺ: "ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا عليه"، وأخيرًا ورد أسلوب الترغيب في ضرورة المحافظة على صلاتي العشاء والفجر، وذلك في قوله ﷺ: "ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا".

فعلى الداعية الترغيب في الطاعات وبيان عظيم ثوابها، وفضل المبادرة إليها والحرص عليها.

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٥٧، ومسلم ٦٥١.

(٢) فتح الباري، ٢/١٦٦.

(٣) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٤) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري، ٥١٣.

الحديث رقم (١٠٣٥)

١٠٣٥ - وعن معاوية رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ، يقولُ: ((**المُؤَذِّنُونَ أطْوَلُ النَّاسِ أعْنَاقًا يَوْمَ القِيَامَةِ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

معاوية بن أبي سفيان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١١).

الشرح الأدبي

الحديث في فضل الأذان يصور ما يصل إليه الأذان بصاحبه يوم القيامة من الفضل وقول معاوية رضي الله عنه قال (سمعت رسول الله ﷺ) فيه توثيق للخبر من وجوه منها صياغة الفعل في الماضي المحقق الوقوع، ومنها أنه نقل الخبر سماعا من الرسول ﷺ دون وسيط، ثم إن خبره خبر ثقة، وقول الرسول ﷺ: ((المُؤَذِّنُونَ أطْوَلُ النَّاسِ أعْنَاقاً يَوْمَ القِيَامَةِ) كناية عن العزة، والرفعة، والفخر بما أنعم الله عليهم به من صالح العمل الذي فاقوا به غيرهم، وهو الأذان، وذلك لأن الجزاء من جنس العمل حيث كانوا يرفعون أصواتهم بتوحيد الله، وذكره ويستشرف الواحد منهم قدر المستطاع ليصل صوته للناس فكان جزائه أن أعزه الله وشرفه بهذا الاختصاص، والجميل في الكناية أنها تحتمل مع المعنى الكنائي المعنى الحقيقي بمعنى أنه يجوز أن يكون طول العنق حقيقة مقصوداً كعلامة تميزهم عن طوائف المؤمنين فيكرموا بخصوصية عملهم، ولا يدركهم من الكرب ما يدرك غيرهم، والتعبير بأفعل التفضيل (أطول) يشير إلى تميز سبقوا به الجميع رفعة، وذكر الظرف يوم، وإضافته للقيامة يعطي الصورة تميزاً يتساوق مع الموقف العظيم حيث يكون التكريم على رؤوس الأشهاد.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى الأحكام التالية:

---

(١) برقم (٣٨٧/١٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٨).

أولاً: فضل الأذان والتزاحم عليه: للأذان فضل كبير وأجر عظيم. والمؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة، وطول الأعناق قيل: على حقيقته إذا ألجم الناس العرق وقيل هو كناية عن رفعة الشأن وقيل بالكسر إعناق أي خطى السير إلى الجنة[١].

ولا يجوز أن يؤذن اثنان فصاعدًا معًا فإذا حدث ذلك فالمؤذن هو المبتدئ والداخل عليه مسيء لا أجر له[٢]. وإذا تشاحا اثنان على الأذان قدم أحدهما على الآخر، والتقديم يكون بمراعاة الخصال المعتبرة فيقدم من كان أعلى صوتًا فإن تساويا قدم من كان أبلغ في معرفة الوقت وأشد محافظة عليه فإن تساويا قدم من يرتضيه الجيران لأنهم أعلم بمن يبلغهم صوته فإن تساويا قدم من هو أعف في النظر فإن تساويا أقرع بينهما فمن خرجت قرعته أذن هذا كله إذا لم يكن للمسجد مؤذن راتب فإن كان هناك مؤذن راتب ونازعه غيره قدم الراتب[٣].

ثانيًا: متى يلزم الأذان: يلزم النداء أو الأذان في مساجد الجماعات والقبائل حيث يكون الأئمة. أما الرجل في خاصة نفسه فإن أذن فحسن، وإن ترك الأذان فلا بأس. أما المنفرد في بلد أو صحراء إذا أراد الصلاة فيشرع له الأذان، وإن بلغه أذان غيره، واستحب البعض للمسافر الأذان وإن كان منفردًا[٤].

وقد أوجب البعض الأذان على أهل المصر ولا يجب على غير المصر من المسافرين[٥].

---

(١) حاشية الصاوي ٢٥٥/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٤٢/١.

(٢) المحلى، ابن حزم ١٧٩/٢.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٨٨/٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٩٩/١.

(٤) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١٣٢/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٥٠/١.

(٥) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥٠/١.

ثالثًا: رفع صوت المؤذن: يستحب للمؤذن أن يرفع صوته في الأذان إن كان يؤذن للجماعة؛ لأنه أبلغ في جمع الجماعة فإن أسرّ بالأذان لم يعتد به لأنه لا يحصل به المقصود. وإن كان يؤذن لصلاته وحده لم يرفع صوته لأنه لا يدعو غيره فلا وجه لرفع الصوت[١].

رابعًا: أفضلية الأذان على الإقامة والإمامة: الأذان أفضل من الإقامة لزيادته عليه، وهو أفضل أيضًا من الإمامة[٢]. وقال الإمام النووي: اختلف أصحابنا هل الأفضل للإنسان أن يرصد نفسه للأذان أم للإمام على أوجه: أصحها أن الأذان أفضل وهو نص الشافعي في الأم وقول أكثر أصحابنا.

والثاني: أن الإمام أفضل وهو نص الشافعي أيضًا. والثالث: أنهما سواء.

والرابع: إن علم من نفسه القيام بحقوق الإمام وجميع خصالها فهي أفضل وإلا فالأذان، قاله أبو علي الطبري وأبو القاسم والمسعودي والقاضي حسين من أصحابنا. وأما جمع الرجل بين الإمامة والأذان فإن جماعة من أصحابنا قالوا يستحب ألا يفعله، وقال بعضهم يكره، وقال محققوهم وأكثرهم أنه لا بأس به بل يستحب وهذا أصح والله أعلم[٣].

خامسًا: ما يفعله سامع الأذان: يسن لسامع المؤذن أن يقول مثل ما يقول المؤذن - وهو على أي حال كان من طهارة وغيرها ولو جنبًا أو حائضًا إلا حال الجماع وحال التخلي لكراهة الذكر فيهما - إلا في الحيعلتين فيقول عقب كل منهما [لا حول ولا قوة إلا بالله] وعقب التثويب يقول صدقت وبررت وعقب كلمة الإقامة يقول أقامها الله

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣/١٢٠.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣/٨٥، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٢٤٢، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١/٢٣١، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ١/٢٨٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤/٩٣.

وأدامها ما دامت السموات والأرض[١].

سادسًا: ما يفعله المستمع بعد الفراغ من الأذان: إذا فرغ المؤذن من الأذان فإنه يسن للسامع مع أن يقول: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد[٢].

سابعًا: الدعاء بين الأذان والإقامة: يندب للإنسان الدعاء بين الأذان والإقامة وقد دلت السنة على قبول مطلق الدعاء ما لم يكن فيه إثم أو قطيعة رحم[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل ومنزلة المؤذنين يوم القيامة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأذان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الدعوة إلى الخير والفلاح.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل ومنزلة المؤذنين يوم القيامة:

(لقد شرع الأذان من أجل الإعلام بدخول وقت الصلاة وإعلاء اسم الله بالتكبير، وإظهار شرعه ورفعة رسوله ونداء الناس إلى الفلاح والنجاح، فكان من خير الأعمال التي تقرب إلى الله تعالى، وهذا ما أكده نص الحديث في كون المؤذنين هم أطول الناس إعناقا يوم القيامة)[٤]، وفي بيان ذلك، قال القاضي عياض: (قال الإمام: اختلف

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٩٦/١، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٧٣/١، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٤٠/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٤٦/١، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٢٧/١، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٥/٢.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٤٦/١، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٢٤/٣.

(٣) أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٣١/١، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٦٧/٢.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢٥٩/٢.

في تأويل هذا، فقيل: معناه: أكثر الناس تشوفًا إلى رحمة الله؛ لأن المتشوف يطيل عنقه لما يتشوف إليه، فكنى عن كثرة ما يرونه من ثوابهم بطول أعناقهم، وقال النضر بن شميل: إذا ألجم الناس العرق يوم القيامة طالت أعناقهم لئلا يغشاهم ذلك الكرب، قال يونس بن عبيد: معناه الدنو من الله، وهذا قريب من الأول الذي ذكرناه، وقيل: معناه: أنهم رؤساء العرب تصف السادة بطول الأعناق، قال الشاعر:

طوال انضية الأعناق واللِّمَمَ

وقيل: معناه: أكثر الناس اتباعًا، وقال ابن الأعرابي: معناه: أكثر الناس أعمالاً، وفي الحديث: "يخرج عُنق من النار"[1]: أي: طائفة، يقال: لفلان عنق من الخير، أي قطعة. ورواه بعضهم: "إعناقا": أي إسراعًا إلى الجنة، من سير العَنَق، قال الشاعر:

ومن سيرها العَنَق المسبطِر والعجز فيه بعد الكلال

ضربٌ من السير، ومنه الحديث: "كان يسير العنقَ فإذا وجد فجوة نصّ"[2]، ومنه الحديث (الآخر): " لايزال الرجل معنقًا ما لم يصب دمًا"[3]: يعني منبسطًا في سيره يوم القيامة.

قال الإمام: قد احتج بهذا الحديث من رأى أن فضيلة الأذان أكبر من فضيلة الإمامة، وفي ذلك اختلاف بين العلماء، أيهما أفضل المؤذن أم الإمام؟ واحتج من قال: إن الإمامة أفضل: بأنه كان ﷺ يؤم ولم يكن يؤذن، وما كان ﷺ ليقتصر على الأدنى ويترك الأعلى، واعتذر عن ذلك أنه ﷺ ترك الأذان لما يشتمل عليه من الشهادة له بالرسالة والتعظيم لشأنه فترك ذلك إلى غيره، وقيل: إنما ترك ذلك لأن فيه الحيعلة، وهي الأمر بالإتيان إلى الصلاة، فلو أمر في كل صلاة بإتيانها لما استخف أحد ممن سمعه التأخر وإن دعته الضرورة إليه، وذلك مما يشق، وقيل أيضًا: لأنه كان ﷺ في

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي، ٢٥٧٤، وصححه الألباني: (صحيح سنن الترمذي، ٢٠٨٣).

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٩٩.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٢٧٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣٥٩٠).

شغل عنه بأمور المسلمين وعن مراعاة أوقاته، وقد قال عمر ﷺ: "لو أطقتُ الأذان مع (الخلّيفى)[١] لأذنت"[٢]، والخليفى: الخلافة.

قال القاضي: ذهب أبو جعفر الداودي إلى معنى قول عمر في هذا، أنه في أذان الجمعة أن الأذان إنما يكون بين يدي الإمام فيها، والإمامة للخليفة فلا يتفق له الأذان لذلك، وهذا معنى كلامه)[٣].

وقال القرطبي: (وقول أنه ﷺ كان في شغل عنه بأمور المسلمين هو الصحيح وهذا ما صرح به عمر ﷺ)[٤].

وقد بين ابن عثيمين: (أن الله تعالى إذا بعث الناس فإن المؤذنين يكون لهم ميزة ليست لغيرهم وهى أنهم أطول الناس إعناقًا، فيعرفون بذلك تنويهًا لفضلهم وإظهارًا لشرفهم؛ لأنهم يؤذنون ويعلنون بتكبير الله عز وجل وتوحيده والشهادة لرسوله ﷺ بالرسالة، والدعوة إلى الصلاة وإلى الفلاح..، ولهذا كان جزاؤهم من جنس العمل أن تعلو رؤوسهم، وأن تعلوا وجوههم، وذلك بإطالة إعناقهم يوم القيامة)[٥]. وفي ذلك بيان على فضل ومنزلة المؤذنين يوم القيامة.

ثانيًا – من أساليب الدعوة: الأذان:

والأذان لغة: "هو الإعلام بالشيء"[٦]، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾[٧]، "أى:

---

(١) قال ابن الأثير: الخِلِّيفى -بالكسر والتشديد والقصر- الخلافة، وهو وأمثاله من الأبنية، كالرِّمِّيا والدِّلِّيلا، ، مصدر يدل على معنى الكثرة يريد به كثرة اجتهاده في ضبط أمور الخلافة، وتصريف أعنتها. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

(٢) التلخيص الحبير، في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر، ٢١١/١.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٥٥/٢ - ٢٥٦.

(٤) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين، ١٦/٢.

(٥) شرح رياض الصالحين، ١٢٨٠/٢.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ا ذ ن).

(٧) سورة الحج، الآية: ٢٧.

أعلمهم به، وادْعُهم إليه، وبلّغ دانيهم وقاصيهم، فرضه وفضيلته"[١]، و"الأذان شرعًا: (هو الإعلام بوقت الصلاة المفروضة، بألفاظ معلومة مأثورة على صفة مخصوصة)[٢].

بينها القاضي عياض في قوله: (واعلم أن الأذان كلمات جامعة لعقيدة الإيمان ومشتملة على نوعية من العقليات والسمعيات، فابتدأ بإثبات الذات بقوله: "الله" وما تستحقه من الكمال والتنزيه عن أضدادها المضمنة تحت قولك: "الله أكبر" فإن هذه اللفظة على قلة كلمها واختصار صيغتها مشعرة بما قلناه لمتأمله، ثم صرح بإثبات الوحدانية والإلهية ونفي ضدها من الشركة المستحيلة في حقه، وهذه عمدة الإيمان والتوحيد المقدمة على سائر وظائفه، ثم ابتدأ بإثبات النبوة لنبينا ﷺ ورسالته لهداية الخلق ودعائهم إلى الله، إذ هي تاليةُ الشهادتين، وموضعها من الترتيب بعد ما تقدم لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع، وتلك المقدمات من باب الواجبات، وهنا كمل تراجم العقائد - العقليات فيما يجب ويستحيل ويجوز في حقه تعالى، ثم دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات فصرح بالصلاة ثم رتبها بعد إثبات النبوة، إذ معرفة وجوبها من جهته ﷺ لا من جهة العقل، ثم الحث والدعاء إلى الفلاح - وهو البقاء في النعيم. وفيه الإشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء - وهي آخر تراجم العقائد الإسلامية، ثم تكرر ذلك عند إقامة الصلاة للإعلام بالشرع فيها للحاضر، ومن قرب، وفي طي ذلك تأكيد الإيمان وتكرار ذكره عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان، وليدخل المصلي فيها على بينة من أمره وبصيرة من إيمانه، ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعظيم حق من عبده، وجزيل ثوابه على عبادته)[٣].

وبذلك يكون الأذان من أهم أساليب الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٤٨٦.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢/٣٥٧.

(٣) إكمال المعلم، ٢/٢٥٣، ٢٥٤.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الدعوة إلى الخير والفلاح:

هذا ما يستفاد من الحديث في أذان المؤذن ودعوته إلى الخير والفلاح، وقد بين النبي ﷺ عظم فضل الدعوة إلى الخير والفلاح، فقال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا"[١]، وقال ﷺ: "ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله"[٢]، قال النووي: (فيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله...، والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء)[٣].

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٦٧٤.

(٢) أخرجه مسلم، ١٨٩٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، ١٢١٥.

الحديث رقم (١٠٣٦)

١٠٣٦- وعن عبدِ اللهِ بن عبدِ الرَّحْمانِ بن أَبي صَعصعة: أنَّ أبَا سَعيد الخدريَّ ﵁، قَالَ لَهُ: ((إنِّي أرَاكَ تُحبُّ الغَنَمَ وَالبَادِيَةَ فَإذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ - أوْ بَادِيتِكَ - فَأذَّنْتَ للصَّلاَةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بالنِّدَاءِ، فَإنَّهُ لا يَسْمَعُ مدى صَوْتِ المُؤَذِّنِ جِنٌّ، وَلاَ إنْسٌ، وَلاَ شَيْءٌ، إلاَّ شَهِدَ لَهُ يَومَ القِيَامَةِ)) قَالَ أَبُو سَعيدٍ: سمعتُهُ مِنْ رَسولِ الله ﷺ. رواه البخاريُّ[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

البادية: الصحراء التي لا عمارة فيها[(٢)].

بالنداء: بالأذان[(٣)].

مدى صوت المؤذن: غاية صوته، أي: المكان الذي ينتهي إليه الصوت[(٤)].

الشرح الأدبي

قول أبي سعيد ﵁ لصاحب الغنم (إنِّي أرَاكَ تُحبُّ الغَنَمَ وَالبَادِيَةَ) خبر أريد به لازم الفائدة وهي التنبيه إلى ما يناسبه من النصح، والإرشاد، وقوله (فَإذَا كُنْتَ فِي غَنَمِك - أَوْ بَادِيتِكَ - فَأذَّنْتَ للصَّلاَةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بالنِّدَاءِ) أسلوب شرط يربط الأذان حال كونه في الغنم برفع الصوت بالنداء، وقد علل لهذا الأمر الذي ورد في جواب الشرط (فارفع) بشهادة كل من يسمعه له يوم القيامة، وقوله: (ولا شيء) بعد ذكر الجن،

---

(١) برقم (٦٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٣٥٨).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٠٥/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٠٥/٢.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٠٥/٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م د ى).

والإنس من ذكر العام بعد الخاص تعميما للحكم، وتوكيدا لما سبق وتقييد الشهادة بيوم القيامة يعلي من قيمة الشهادة حيث تشتد الحاجة إليها، وقول أبي سعيد سمعته من رسول الله ﷺ يضفي على الخبر صفة التشريع؛ لأن ما فيه أصبح سنة عنه ﷺ، ولقول الرسول ﷺ قبول في النفس ليس لكلام غيره من البشر.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (في الحديث:

١ - استحباب رفع الصوت بالأذان؛ ليكثر من يشهد له؛ ما لم يجهده أو يتأذى به.

٢ - وفيه أن حب الغنم والبادية ولا سيما عند نزول الفتنة من عمل السلف الصالح.

٣ - وفيه جواز التبدي ومساكنة الأعراب ومشاركتهم في الأسباب بشرط حظ من العلم وأمن غلبة الجفاء.

٤ - وفيه أن أذان الفذ مندوب إليه ولو كان في قفر ولو لم يرتج حضور من يصلي معه، لأنه إن فاته دعاء المصلين فلم يفته استشهاد من سمعه من غيرهم)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حث الإسلام على الانتشار في الأرض والسعي في طلب الرزق.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل المؤذن والشهادة له يوم القيامة من كل من سمعه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

هو سعيد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري. قال ابن حجر: (مشهور بكنيته استصغر بأحد، واستشهد أبوه بها وغزا هو ما بعدها، روى عن النبي ﷺ الكثير.. وهو مكثر من الحديث. قال حنظلة بن أبي سفيان عن

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢/٨٩.

أشياخه: إنه ﷺ كان من أفقه أحداث الصحابة ﷺ، وقال الخطيب: كان من أفاضل الصحابة ﷺ وحفظ حديثًا كثيرًا، وروى ابن سعد من طريق حنظلة بن سفيان الجحمي عن أشياخه قال: لم يكن أحد من أحداث أصحاب رسول الله ﷺ أفقه من أبي سعيد الخدري ﷺ)[١].

وقال ابن عبدالبر: (أول مشاهده الخندق، وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم اثنتي عشرة غزوة، وكان ممّن حفظ عن رسول الله ﷺ سنناً كثيرة، وروى عنه علماً جماً، وكان من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم)[٢].

وقال ابن عبدالبر كذلك: (كان أبو سعيد من الحفاظ المكثرين العلماء الفضلاء العقلاء وأخباره تشهد له بتصحيح هذه الجملة)[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حث الإسلام على الانتشار في الأرض والسعي في طلب الرزق:

هذا ما يستفاد في الحديث من قول أبي سعيد ﷺ لعبد الله بن عبدالرحمن ابن أبي صعصة "فإذا كنت في غنمك"، وفي حث الإسلام على الانتشار في الأرض والسعي في طلب الرزق. قال تعالى: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[٤]، أي: "لطلب المكاسب والتجارات"[٥]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾[٦]، أي: "فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات"[٧]. وقد حث ورغب النبي ﷺ على العمل والسعي في طلب الرزق

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٤٩١ - ٤٩٢.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٢٨٦.

(٣) المرجع السابق ص ٨١٥.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٨٠٠.

(٦) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٧٩/٨.

مع تنفيره من المسألة فقال: "لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه"[١]، وقد حث النبي ﷺ أصحابه على العمل والإنتاج فقال: " ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"[٢].

(ولقد كان لهذا الحديث وغيره أثر بالغ في سلوك الصحابة وتوجيه بصيرتهم، فقد انطلقوا نحو مجالات الكسب وميادين العمل، وفي ذلك قالت عائشة رضي الله عنها: "كان أصحاب رسول الله ﷺ عمال أنفسهم، فكان يكون لهم أرواح، فقيل لهم: لو اغتسلتم"[٣]، ومن أجل ذلك كان واجبًا على المسلمين أن يسلكوا جميع السبل من أجل الكسب الحلال وبالطرق التي تتيح لهم الوقوف على أسرار هذا الكون وتحقيق المنفعة، وليس ذلك فحسب، بل واجب على المسلمين أن يكونوا روادًا في هذا الميدان كما كانوا روادًا في دعوة الناس إلى الإيمان بالله والعبودية له والتخلق بالأخلاق الكريمة في كل الميادين)[٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل المؤذن والشهادة له يوم القيامة من كل من سمعه:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة"، قال ابن حجر: (قال التوربشتي : المراد من هذه الشهادة اشتهار المشهود له يوم القيامة بالفضل وعلو الدرجة، وكما أن الله يفضح بالشهادة قومًا فكذلك يكرم بالشهادة آخرين)[٥]، وقال ابن عثيمين : "وهذا أيضًا من فضائل الأذان أن صاحبه يُشهد له يوم القيامة بأنه من المؤذنين تنويهًا لفضله وبيانًا لثوابه"[٦]، وفي ذلك قال ﷺ: المؤذن يغفر له مدى صوته ويشهد له

---

(١) أخرجه البخاري، ١٤٧٠، ومسلم، ١٠٤٢.

(٢) أخرجه البخاري، ٢٠٧٢.

(٣) أخرجه البخاري، ٢٠٧١.

(٤) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي، ٢٦٢.

(٥) فتح الباري، ٢/١٠٦.

(٦) شرح رياض الصالحين، ٢/٢٨٠..

كل رطب ويابس"[١]، قال صاحب عون المعبود في قوله ﷺ: (كل رطب" أى نامٍ (ويابس) أى: جماد مما يبلغه صوته)[٢].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

"الترغيب من الأساليب الدعوية الهامة التي تشوق المدعو إلى فعل الأمر المدعو إليه والاستجابة له والثبات عليه"[٣]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترغيبه ﷺ في الأذان ورفع الصوت به، وذلك في قوله ﷺ: "فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس، ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة".

إن الترغيب من الأساليب الضرورية لأي داعي، لأن النفس البشرية قد فطرت على حب الكسب المترتب على فعل شيء ما دنيويًا كان الكسب أو أخرويًا [٤]، من أجل ذلك ينبغي على الداعية ألا يغفل جانب الترغيب في دعوته إذ أن "الترغيب يحبب إلى المسلم الطاعات وينأى به عن المعاصي ويدفع به إلى مقاومة الشيطان" [٥].

---

(١) أخرجه أبو داود، ٥١٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٤٨٤).

(٢) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف عبدالعظيم آبادي، ٢٦٥.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د.عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٤) دعوة الرسل بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، د. بكر زكي عوض ص ١٤٠.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٥٦/٦.

الحديث رقم (١٠٣٧)

١٠٣٧- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا نُودِيَ بالصَّلاَةِ، أدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأذِينَ، فَإذَا قُضِيَ النِّدَاءُ[١] أقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ للصَّلاةِ أدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ المَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا واذكر كَذَا – لِمَا لَمْ[٢] يَذْكُر مِنْ قَبْلُ – حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى)) متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

التثويب: الإقامة[٤].

يخطر: يوسوس[٥].

الشرح الأدبي

قوله (أدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأذِينَ) كناية عن شدة فزعه، وخوفه من سماعه، وكذا حال الخائف عندما يستولي الخوف على أقطار نفسه فلا يملك السيطرة على جوارحه، وهي صورة مضحكة عن حال الشيطان تبين عظيم أثر الأذان، والإقامة عليه، وتشير إلى ضعفه أمام الأذان، والإقامة خصوصا، وعند ذكر الله عموما، وقوله (حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ المَرْءِ وَنَفْسِهِ) كناية عن الوسوسة التي يقذفها في

---

(١) لفظ مسلم: (التأذين)، والمثبت لفظ أبي داود (٥١٦).

(٢) عند هما زيادة: (يكن).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٨)، ومسلم (١٩/٣٨٩) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٦).

(٤) رياض الصالحين ٢٩٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١٠٢/٢.

قلب المصلي يشغله بها عن صلاته، والفعل يخطر يوحي بالخطر، وعظم الأمر، والمضارع يرصد حركة الشيطان، والظرف بين يصور تردده الذي يعكس الحركة السريعة بين شيئين ليشغله، والطباق بين أدبر في بداية الحديث وبين أقبل في نهاية الحديث يوحي بأن الشيطان مع ضعفه ملحاح بطيء اليأس مما يستلزم من الإنسان طول صبر في مدافعته بالاستعاذة، وفعل الأمر في قول الرسول ﷺ (اذكر) وتكراره يصور لنا مكر الشيطان بالإنسان، وإلحاحه على شغل الإنسان عن كل خير عاجل، وآجل بكل الطرق حتى نحذر فعله، ونتنبه إليه، ونستعيذ بالله منه، ونُتِم صلاتنا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الأذان في إدبار الشيطان لئلا يسمعه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الخشوع وحضور القلب في الصلاة.

ثالثًا: من مهام الداعية: بيان عداوة الشيطان للإنسان ورغبته في الوسوسة في الصلاة.

رابعًا: من فقه الداعية: ذكر الألفاظ الصريحة لمصلحة شرعية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الأذان في إدبار الشيطان لئلا يسمعه:

هذا ما أكد عليه نص الحديث من قوله ﷺ: "إِذَا نُودِيَ بِالصَّلاَةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ"، وقد ورد في رواية عن هذا الحديث قوله ﷺ: "إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله حصاص"، قال القاضي عياض: (وقوله: "وله حصاص" بمعنى قوله في الحديث، وله ضراط، وقد قيل: الحصاص: شدة العدو، قالهما أبو عبيد، وقال عاصم بن أبي النجود: إذا صرَّ بأذنيه ومصع بذنبه وعدا فذلك الحُصاص. وهذا يصح حمله على ظاهره، إذ هو جسم مُتغذ يصح منه خروج الريح، وقيل: يحتمل أنها عبارة واستعارة عن شدة الخوف والنفار كما يعترى الحمار.

وهروب الشيطان عن النداء لعظيم أمره عنده،- وذلك - والله اعلم - لما اشتمل عليه من الدعاء بالتوحيد، وإظهار شعار الإسلام، وإعلان أمره كما فعل يوم عرفة، لما رأى من اجتماع عباد الله على إظهار الإيمان، "وما ينزل عليهم من الرحمة"، وقيل: إنما يبعد لئلا يسمع تشهد ابن آدم فيشهد له بذلك - كما جاء في الحديث: (لا يسمع مدى

صوته جن ولا أنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة) [١].

جاء في حواشي تحقيق إكمل المعلم: "ومعنى صرّ إذا جمع أذنيه، ومصع: ضرب بذنبه، ومعنى وقيل: هذا عموم المراد به الخصوص، وأن ذلك في المؤمنين من الجن والإنس، وأما الكافر فلا شهادة له، وهذا لا يسلم لقائله لما جاء في الآثار من خلافه، وقيل أيضًا: إن هذا ممن يصح منه الشهادة ممن يسمع، وقيل: هي عامة فيمن يسمع وفيمن لا يسمع من جماد، وأن الله تعالى يخلق لها حينئذ ولمن لا يسمع ممن لا يعقل من الحيوانات إدراكًا لأذانه وعقلاً ومعرفة لما يشهد به، فهو على كل شيء قدير. وإلى معنى هذا ذهب ابن عمر رضي الله عنهما لقوله للمؤذن: "يشهد لك كل رطب ويابس" [٢].

وقيل: بل لما في ذلك من الدعاء للصلاة التي فيها السجود الذي بسبب تركه وعصيانه عنه لُعن الشيطان، قال بعضهم: وهذا يرده ما ذكر في الحديث أنه: "إذا قضي التثويب أقبل..." وذكر وسوسته للمصلي.

وقد لا يلزم هذا الاعتراض، إذ لعل نفاره إنما كان من سماع الأمر والدعاء بذلك لا برؤيته ليغالط نفسه أنه لم يسمع دعاء ولا خالف أمرًا. وقيل: بل ليأسه من وسوسة الإنسان عند الإعلان، وانقطاع طمعه أن يصرف عنه الناس، حتى إذا سكت رجع لحاله التي أقدره الله عليها، من تشغيب خاطره ووسوسة قلبه) [٣].

وقال ابن حجر: قال ابن الجوزي: "على الأذان هيبة يشتد انزعاج الشيطان بسببها، لأنه لا يكاد يقع في الأذان رياء ولا غفلة عند النطق به، بخلاف الصلاة فإن النفس تحضر فيها فيفتح لها الشيطان أبواب الوسوسة [٤]، وقال ابن حجر: وفي الحديث تنبيهان، ثم ذكر منهما أنه وردت في فضل الأذان أحاديث كثيرة ذكر المصنف بعضها

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٠٩.

(٢) أخرجه أبو داود، ٥١٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٤٨٤).

(٣) إكمال المعلم، ٢/٢٥٧، ٢٥٨.

(٤) فتح الباري، ٢/١٠٤.

في مواضع أخرى، واقتصر على هذا هنا، لأن هذا [أي البخاري] الخبر تضمن فضلاً لا ينال بغير الأذان، بخلاف غيره من الأخبار فإن الثواب المذكور فيها يدرك بأنواع أخرى من العبادات[١]، وفي ذلك بيان على عِظم فضل الأذان في إدبار الشيطان وهروبه.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على الخشوع وحضور القلب في الصلاة:

هذا مما يستفاد من الحديث من قوله ﷺ: "حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا واذكر كذا - لما لم يذكر من قبل حتى يظل الرجل ما يدري كم صلى، وقد حث النبي ﷺ على الخشوع وحضور القلب في الصلاة. "فقال عقبة بن عامر رضي الله عنه: «كُنَّا مَعَ رسولِ الله ﷺ خُدَّامَ أنْفُسِنَا. نَتَنَاوَبُ الرعَايَةَ - رِعَايَةَ إبِلِنَا - فَكَانَتْ عَلَيَّ رِعَايَةُ الإبْلِ، فَرَوَّحْتُهَا بالْعَشِيِّ، فَإِذَا رسولَ الله ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَسَمِعْتُهُ يقولُ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الوُضُوءَ ثُمَّ يَقُومُ فَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ، يُقْبِلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، فَقَدْ أوْجَبَ. فَقُلْتُ: بَخٍ بَخٍ مَا أجْوَدَ هَذِهِ»[٢].

قال النووي: (في قوله ﷺ: "فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه"، هكذا هو في الأصول مقبل أي: وهو مقبل، وقد جمع ﷺ بهاتين اللفظتين أنواع الخضوع والخشوع لأن الخضوع في الأعضاء والخشوع بالقلب...، وقوله: (ما أجود هذا) يعني: هذه الكلمة أو الفائدة أو البشارة أو العبادة، وجودتها من جهات منها أنها سهلة متيسرة يقدر عليها كل أحد بلا مشقة. ومنها أن أجرها عظيم، والله أعلم)[٣]، وقال ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لا يَسْهُو فيهِمَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٤].

قال صاحب عون المعبود: في قوله ﷺ: "لا يسهو فيهما" أي: لا يغفل فيهما، قال

---

(١) المرجع السابق، ٢/١٠٤.

(٢) أخرجه مسلم، ٢٣٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، ٢٥٨.

(٤) أخرجه أبو داود، ٩٠٥. وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٨٠٠).

الطيبي: "أى يكون حاضر القلب أو يعبد الله كأنه يراه"[١].

وقال ﷺ: "من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قام فركع ركعتين، لا يحدث فيهما نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه"[٢]، قال النووي: "لا يحدث فيهما نفسه أى لا يحدث بشيء من أمور الدنيا وما لا يتعلق بالصلاة، ولو عرض له حديث فأعرض عنه لمجرد عروضه عفي عنه ذلك وحصلت له هذه الفضيلة إن شاء الله تعالى لأن هذا ليس من فعله وقد عفي لهذه الأمة عن الخواطر التي تعرض ولا تستقر"، وقد قال معنى ما ذكرته الإمام أبو عبدالله المازري وتابعه عليه القاضي عياض فقال: يريد بحديث النفس الحديث المجتلب والمكتسب. وأما ما يقع في الخواطر غالبًا فليس هو المراد، قال: وقوله يحدث نفسه فيه إشارة إلى أن ذلك الحديث مما يكتسب لإضافته إليه، قال القاضي عياض: وقال بعضهم: هذا الذي يكون بغير قصد يرجى أن تقبل معه الصلاة، ويكون دون صلاة من لم يحدث نفسه بشيء لأن النبي ﷺ إنما ضمن الغفران لمراعي ذلك، لأنه قل من تسلم صلاته من حديث النفس، وإنما حصلت له هذه المرتبة لمجاهدة نفسه من خطرات الشيطان ونفيها عنه، ومحافظته عليها حتى لم يشتغل عنها طرفة عين، وسلم من الشيطان باجتهاده وتفريغه قلبه، هذا كلام القاضي والصواب ما قدمته والله أعلم)[٣]. وفي ذلك بيان على ضرورة الخشوع وحضور القلب في الصلاة.

ثالثًا - من مهام الداعية: بيان عداوة الشيطان للإنسان ورغبته في الوسوسة في الصلاة:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "حتى إذا قضى التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه ... إلخ"، قال ابن حجر: في قوله ﷺ: "أقبل حتى يخطر" أى يوسوس، وفي قوله: "بين المرء ونفسه" قال الباجي: المعنى أنه يحول بين المرء وبين ما يريده من إقباله على صلاته وإخلاصه فيها"[٤]، وقد بين الحق تبارك وتعالى عداوة

---

(١) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق بن عبدالعظيم ابادي، ٤٢٧.

(٢) أخرجه مسلم، ٢٢٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٣.

(٤) فتح الباري، ١٠٢/٢.

الشيطان للإنسان ورغبته في إضلاله فقال جلا وعلا في سورة الأعراف مبينًا ما قاله الشيطان: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ﴾[1]، قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه لما أنذر إبليس" إلى يوم يبعثون"، واستوثق إبليس بذلك، أخذ في المعاندة والتمرد، فقال: "فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم". أى: كما أغويتني، و"صراطك المستقيم" أى: طريق الحق وسبيل النجاة، ولأضلنهم عنها لئلا يعبدونك ولا يوحدونك بسبب إضلالك إياى، ثم لآتينهم من بين أيديهم"، أشككهم في آخرتهم، "ومن خلفهم" أرغبهم في الدنيا "وعن إيمانهم"، أشبه عليهم أمر دينهم، وعن شمائلهم": أشهي لهم المعاصي ...، ولا تجد أكثرهم شاكرين"، أى: موحدين"[2]، وفي ذلك بيان عظيم على عداوة الشيطان للإنسان، ورغبته في إضلاله ومن هذا الإضلال وسوسته في الصلاة لإشغال المصلين عن خالقهم مما يفوت عليهم عظم الأجر والثواب.

رابعًا – من فقه الداعية: ذكر الألفاظ الصريحة لمصلحة شرعية:

هـذا مـا ذكـره الـنبي ﷺ في الحـديث مـن قولـه: "إذا نـودي بالـصلاة، أدبـر الشيطان، وله ضراط"، وقد استعمل النبي ﷺ صريح لفظ الضراط لمصلحة بينها الطيبي في قوله: "ثم سماه ضراطًا تقبيحًا لـه"[3]، وقد بـين النـووي ذلـك في قولـه: (وقـد يستعمل صريح الاسم لمصلحة راجحة، وهـي إزالة اللبس أو الاشتراك أو نفـي المجاز أو نحـو ذلـك كقولـه تعـالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾[4]، وكقولـه ﷺ: "أنكتهـا"[5]، وكقولـه ﷺ: "أدبر الشيطان وله ضراط"[6]، وكقول أبي هريـرة رضي الله عنه: "الحـدث فسـاء أو ضـراط"[7]،

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان : ١٦ – ١٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٣٩٣ – ٣٩٥).

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٢/٢٠٢.

(٤) سورة النور، الآية: ٢.

(٥) أخرجه البخاري، ٦٨٢٤.

(٦) أخرجه البخاري، ١٢٣١، ومسلم، ٣٨٩.

(٧) أخرجه البخاري، ١٣٥.

ونظائر ذلك كثيرة)[١].

أما إذا لم تكن هناك مصلحة شرعية على النحو السابق، فالمستحب في مثل هذا الكناية عن قبيح الأسماء واستعمال المجاز والألفاظ التي تحصل الغرض...، وبهذا الأدب جاء القرآن العزيز، كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[٢])[٣].

قال القاسمي: (و"الرفث" أصله قول الفحش وكنى به هنا عن الجماع وما يتبعه. كما كنى عنه في قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾[٤]، وقوله: ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ﴾[٥]. فالله تعالى كريم يكنى، وإيثار الكناية عنه - هنا - بلفظ الرفث الدال على معنى القبح - عدا بقية الآيات - استهجانًا لما وجد منهم قبل الإباحة، كما سماه اختيانًا لأنفسهم، والكناية عما يستقبح ذكره بما يستحسن لفظه من سنن العرب. وللثعالبيّ في آخر كتابه "فقه اللغة" فصل في ذلك بديع)[٦].

---

(١) شرح صحيح مسلم، ١١٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، ١١٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

(٦) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١١١/٣/٢، ١١٢.

الحديث رقم (١٠٣٨)

١٠٣٨ - وعن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: ((إِذَا سَمِعْتُمُ النداء فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّه مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أنْ أكونَ أنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

لا تنبغي: لا تليق[٢].

الشفاعة: السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم[٣].

حَلَّت: وجبت. وقيل: نالته[٤].

الشرح الأدبي

صياغة الرسول ﷺ لهذه المعاني في أسلوب الشرط يشير إلى أهميتها لعظمة الأجر المترتب عليها مع قلة المؤنة التي تحتاج إليها، ومع قدرة جميع المسلمين عليها، حيث ربط سماع الأذان بالأمر بقول مثل ما يقول، وقوله (ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ) ثم تشير إلى وقت يطول، أو يقصر يستغرقه الترديد مع المؤذن، والأمر (صلوا) أمر نصح، وإرشاد، علله بقوله (فَإِنَّه مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً) ترغيبا في كثرة الصلاة على النبي ﷺ، وبين

---

(١) برقم (١١/٣٨٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٥).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٢٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٢٩.

صلى، وصلاة جناس يؤكد المعنى، ويجعله ملأ الأسماع، والأفهام، ونسبة الصلاة المقابلة لصلاة العبد لله يعظم الأجر، ويرتقي به في درج الثواب مرتقى عظيماً، وبين قوله سلو، والوسيلة جناس أيضا يقرر المضمون، وتقديم الجار، والمجرور (لي) على المفعول للتخصيص وقوله (فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ) التوكيد للتنبيه لأهمية الخبر، وتنكير منزلة للتعظيم، والجار، والمجرور (في الجنة) يوحي بشرف هذه المنزلة، وقوله (لاَ تَنْبَغِي إلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ) أسلوب لقصر لمعنى الانبغاء على عبد واحد من عباد الله لا اثنين، وقوله (وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هو) يشير إلى أنها منزلته ﷺ وتوسيط الضمير (أنا) يفيد الاختصاص، وقوله: (فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ) أسلوب شرط يربط سؤال الوسيلة للنبي ﷺ بحلول الشفاعة للسائل، وصياغة الفعل في الماضي تفيد التحقق، والتعبير بالحلول يشير إلى معنى الوجوب، والاستحقاق.

فقه الحديث

يسن لمن سمع الأذان متابعته بمثله، وهو أن يقول مثل ما يقول، لقول النبي ﷺ: ((إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول))[1] ويسن أن يقول عند الحيعلة: لا حول ولا قوة إلا بالله. فقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللّهُ أَكْبَرُ اللّهُ أَكْبَرُ. فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللّهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ. قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّه. ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّهِ. قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّهِ. ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ. قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّه. ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ. قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّه. ثُمَّ قَالَ: اللّه أَكْبَرُ اللّه أَكْبَرُ. قَالَ: اللّه أَكْبَرُ اللّه أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّه. قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّه، مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ))[2] ولأن حي على الصلاة، حيّ على الفلاح، خطاب فإعادته عبث، وفي التثويب وهو قول "الصلاة خير من النوم" في أذان الفجر يقول: صدقت وبررت – بكسر الراء الأولى – ثم يصلّي

(١) أخرجه مسلم ٣٨٤ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم ٣٨٥.

على النبي ﷺ ثم يقول: "اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته"، كما ورد في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

ثم يدعو بعد الأذان بما شاء لحديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا: "الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة" ويقول عند أذان المغرب: "اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفر لي".

ولو سمع مؤذنًا ثانيًا أو ثالثًا استحبّ له المتابعة أيضًا.

وما سبق هو باتفاق إلا أن المشهور عند المالكية أن يحكي السامع لآخر الشهادتين فقط، ولا يحكي الترجيع، ولا يحكي الصلاة خير من النوم ولا يبدلها بصدقت وبررت، ومقابل المشهور أن يحكي لآخر الأذان[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استحباب قول مثل ما يقول المؤذن.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الدعاء للنبي ﷺ بعد الأذان، وبيان فضل ذلك.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: انتفاع الفاضل بدعاء المفضول.

سادسًا: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على مواطن الخير.

---

(١) منتهى الإرادات ١/١٣٠، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٤٢٦ - ٤٢٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١/١٤٠، والمهذب ١/٦٥، ومنح الجليل ١/١٢١، والحطاب ١/٤٤٢، والبدائع ١/١٥٥، وابن عابدين ١/٢٦٥ - ٢٦٦ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢/٣٧٢)، وانظر الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٥٦ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٠٣٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠٣٩).

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

جاء الحديث في صياغة أسلوب الشرط: "إذا سمعتم النداء فقولوا ... ثم صلّوا"، وكأن السر في مجيئ الحديث بهذا الأسلوب أن الشرط فيه تلازم بين فعل الشرط وجوابه، ففعل الشرط يلزم عنه جواب الشرط، وكأن هذا إرشاد إلى المدعوين أن يلتزموا هذا قدر استطاعتهم وجهدهم ولا يتركوه بحال من الأحوال.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: استحباب قول مثل ما يقول المؤذن:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول"، وأيضًا في قوله: "إذا سمعتم النداء، فقولوا كما يقول المؤذن"، قال النووي: "وفيه أنه يستحب أن يقول السامع كل كلمة بعد فراغ المؤذن منها ولا ينتظر فراغه من كل الأذان"[1]، "ويسن أن يقول عند الحيعلة: "لا حول ولا قوة إلا بالله والسبب في عدم إعادة الحيعلة عند تريد الأذان هو أن حي على الصلاة وحي على الفلاح، خطاب فإعادته عبث. وفي التثويب وهو قول: الصلاة خير من النوم" في أذان الفجر، يقول: صدقت وبررت بكسر الراء"[2]، قال القاضي عياض: (والحيعلة تنطلق على "حي على الفلاح"، وعلى "حي على الصلاة")[3]. وفي بيان حث النبي ﷺ على ذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله. ثم قال: أشهد أن محمد رسول الله، قال: أشهد أن محمد رسول الله. ثم قال: حى على الصلاة. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: حى على الفلاح. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر. ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله. من قلبه – دخل الجنة))[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٣٨.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٣٧٢/٢.

(٣) انظر: إكمال المعلم، ٢٥٢/٢.

(٤) أخرجه مسلم، ٣٨٥.

قال القاضي عياض: (وقوله: "إذا قال المؤذن: الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر..." الحديث إلى قوله: "فإذا قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة" لأن في حكايته لما قال المؤذن من التوحيد والإعظام، والثناء على الله، والاستسلام لطاعته، وتفويض الأمور إليه بقوله عند الحيعلتين: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإذ هي دعاء وترغيب لمن سمعها، فإجابتها لا تكون بلفظها بل بما يطابقها من التسليم والانقياد، بخلاف إجابة غيرها من الثناء والتشهيدين بحكايتهما، وإذا حصل هذا للعبد فقد حاز حقيقة الإيمان وجماع الإسلام واستوجب الجنة، وكذلك مضمن الحديث الآخر في القول عند أذان المؤذن: (رضيت بالله ربا...)[1] الحديث، ومثل هذا من التصريح بحقيقة الإيمان والاعتراف بقواعده.

واعلم أن الأذان كلمات جامعة لعقيدة الإيمان ومشتملة على نوعية من العقليات والسمعيات، فابتدأ بإثبات الذات بقوله: "الله" وما تستحقه من الكمال والتنزيه عن أضدادها المضمَّنة تحت قولك: "الله أكبر" فإن هذه اللفظة على قلة كلمها واختصار صيغتها مشعرة بما قلناه لمتأمله، ثم صرح بإثبات الوحدانية والإلهية ونفى ضدها من الشركة المستحيلة في حقه، وهذه عمدة الإيمان والتوحيد المقدمة على سائر وظائفه، ثم ابتدأ بإثبات النبوة لنبينا ﷺ ورسالته لهداية الخلق ودعائهم إلى الله، إذ هي تالية الشهادتين، وموضعها من الترتيب بعد ما تقدم لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع، وتلك المقدمات من باب الواجبات، وهنا كمل تراجم العقائد - العقليات فيما يجب ويستحيل ويجوز في حقه تعالى، ثم دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات، فصرح بالصلاة ثم رتبها بعد إثبات النبوة، إذ معرفة وجوبها من جهته ﷺ لا من جهة العقل، ثم الحث والدعاء إلى الفلاح - وهو البقاء في النعيم. وفيه الإشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء - وهي آخر تراجم العقائد الإسلامية، ثم تكرر ذلك عند إقامة الصلاة للإعلام بالشروع فيها للحاضر ومن قرب، وفي طي ذلك تأكيد الإيمان وتكرار ذكره

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٨٦.

عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان، وليدخل المصلي فيها على بينة من أمره وبصيرة من إيمانه، ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعظمة حق من عبده وجزيل ثوابه على عبادته)[١].

فعلى كل من سمع المؤذن أن يقول مثل ما يقول، لما في ذلك من عظم الأجر فضلاً عن الامتثال لأمر النبي ﷺ وفي ذلك كامل الأجر.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرًا"، "والمقصود بصلاة الله تعالى على من صلى على النبي ﷺ "هى رحمته وتضعيف أجره" كقوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[٢]"[٣].

والمقصود بالصلاة على النبي ﷺ: الدعاء له بصيغة مخصوصة والتعظيم لأمره. قال القرطبي: (الصلاة على النبي من الله: رحمته، ورضوانه، وثناؤه عليه عند الملائكة، ومن الملائكة: الدعاء له والاستغفار، ومن الأمة: الدعاء له، والاستغفار، والتعظيم لأمره)[٤].

ولا خلاف بين الفقهاء في مشروعية الصلاة على النبي ﷺ للأمر بها)[٥]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[٦].

قال ابن كثير في تفسير الآية: (المقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه وتعالى أخبر

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٥٣/٢ - ٢٥٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ٣٥٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٣٢/١٤/٧.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢٣٤/٢٧.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى؛ بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه. ثم أمر جل شأنه بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين: السفلي والعلوي جميعًا)(١).

وجاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ بالأمر بالصلاة عليه، وكيفية الصلاة عليه.

فقد روى البخاري عند تفسير هذه الآية: (قيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، أمّا السلام عليك فقد عرفناه، فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد)(٢).

وفي الصلاة على النبي ﷺ فضائل عظيمة ومنح من الله جليلة، فمن ذلك كفاية الهم ومغفرة الذنب. "فعن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ اذْكُرُوا اللهَ جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ)). قَالَ أُبَيٌّ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فقَالَ «مَا شِئْتَ». قال: قُلْت الرُّبُعَ؟ قَالَ «مَا شِئْتَ. فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ فَالنِّصْفَ؟ قَالَ «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لك». قال: قُلْتُ فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ»، قُلْتُ أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: ((إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ))(٣). قال المباركفوري مبينًا مقصود قول أبي رضي الله عنه للنبي ﷺ: ("أجعل لك صلاتي كلها" أي أصرف بصلاتي عليك جميع الزمن الذي كنت أدعو فيه لنفسي، فقال له النبي ﷺ: "إذا تكفى همك" والهم ما يقصده الإنسان من أمر الدنيا والآخرة، يعني إذا صرفت جميع أزمان دعائك في الصلاة عليَّ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٤٥٧.

(٢) أخرجه البخاري، ٤٩٨.

(٣) أخرجه الترمذي، ٢٤٥٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٩٩٩).

أعطيت مرام الدنيا والآخرة)[١]. وقد أورد ابن القيم في (كتابه جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ثلاثًا وثلاثين فائدة وثمرة حاصلة بالصلاة على النبي ﷺ، منها امتثال أمر الله سبحانه وتعالى ،وأن يرفع لمن صلى عليه عشر درجات، وأن يكتب له عشر حسنات، وأن تمحي عنه عشر سيئات، وأن يرجى له إجابة الدعاء إذا قدمها أمامه، وأنها سبب لشفاعته ﷺ، وسببًا لقضاء الحوائج، ونفى الفقر، فضلاً عن أنها سبب لنيل رحمة الله ودوام محبته لرسول الله ﷺ... إلخ)[٢].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الدعاء للنبي ﷺ بعد الأذان، وبيان فضل ذلك:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قوله ﷺ: "ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي" وقوله ﷺ: "من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة،والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته ... إلخ".

قال القاضي: ("وقوله "سلوا لي الوسيلة" فسرها في الحديث أنها منزلة في الجنة، قال أهل اللغة: الوسيلة: المنزلة عند الملك، وهي مشتقه -والله أعلم- من القرب، توسَّل الرجل للرجل بكذا إذا تقرب إليه، وتوسَّل إلى ربه بطاعته تقرب إليه بها)[٣].

وقال ابن حجر: (في قوله ﷺ والفضيلة - من حديث جابر رضي الله عنه: "أى المرتبة الزائدة على سائر الخلاق، ويحتمل أن تكون منزلة أخرى أو تفسيرًا للوسيلة"[٤].

وقال القرطبي: (وقوله: "أرجو أن أكون أنا هو"، قال: هذا ﷺ قبل أن يُبان له أنه صاحبها، إذ قد أخبر أنه يقوم مقامًا لا يقومه أحد غيره؛ ويحمد الله محامد لم يُلهمها

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ١٩٢٠/٢.

(٢) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ابن قيم الجوزيه ص ٦١٢ - ٦٢٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٥٢/٢.

(٤) فتح الباري، ١١٢/٢.

أحدٌ غيره؛ ولكن مع ذلك فلابد من الدعاء فيها، فإن الله تعالى يزيده بكثرة دعاء أمته رفعة كما زاده بصلاتهم، ثم إنه يرجع ذلك عليهم بنيل الأجور، ووجوب شفاعته ﷺ)[١].

وقال الطيبي: "وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته" الموصول مع الصلة إما بدل، أو نصب على المدح أو رفع بتقدير أعنى أو هو، ولا يجوز أن يكون صفة للمنكر، وإنما نكر لأنه أفخم وأجزل، كأنه قيل: مقامًا أى مقام، مقامًا يغبطه الأولون والآخرون، محمودًا يكل عن أوصافه ألسنة الحامدين، قال "الأشرف": المراد بوعده "تعالى" نبيه ﷺ، قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [٢])[٣].

قال ابن كثير: (قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم"[٤]، وقد جعل النبي ﷺ هذه الشفاعة هى جزاء من دعا بذلك بعد الأذان فقال: "حلت له شفاعتي".

قال القاضي عياض: (وقوله: "فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة": قيل: معنى "حلت": غشيته وحلت عليه، قال المهلب: والصواب أن يكون "حلت" بمعنى: وجبت، كما قال أهل اللغة: حلَّ يحلُّ وجب، وحل يحل نزل، ويحتمل أن هذا مخصوص لمن فعل ما حضه ﷺ عليه وأتى بذلك على وجهه وفي وقته وبإخلاص وصدق نية، وكان بعض من رأينا من المحققين يقول هذا ومثله في قوله: "من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه عشرًا" هو والله أعلم لمن صلى محتسبًا مخلصًا قاضيًا حقه بذلك، إجلالاً لمكانه وحبه فيه، لا لمن قصد بقوله ودعائه ذلك مجرد الثواب، أو رجاء الإجابة لدعائه بصلاته عليه

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين، ٢/١٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٢/٢٠٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/١٠٣.

والحظ لنفسه، وهذا فيه عندي نظر)[١].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: انتفاع الفاضل بدعاء المفضول:

هذا ما ظهر في الحديث من قوله ﷺ: "ثم سلوا الله لي الوسيلة"، والفاضل هنا هو النبي ﷺ، والمفضول هي أمة النبي ﷺ، وخير دليل على انتفاع الفاضل بدعاء المفضول، قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأويس بن عامر: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ. كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ. لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ. لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللّهِ لأَبَرَّهُ. فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». فَاسْتَغْفِرْ لِي. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ[٢]. قال النووي: "وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم"[٣].

سادسًا - من مهام الداعية: دلالة المدعوين على مواطن الخير:

هذا يستفاد من سياق الأحاديث الواردة في حرصه ﷺ على إفادة الخير لأصحابه رضي الله عنهم وحصول شفاعته ﷺ لهم، وهذا ما يحمل الداعية على أن يقتدى به ﷺ ممتثلاً في ذلك لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤]، "فالنبي ﷺ هو المثل الأعلى للدعاة في حياتهم الخاصة والعامة، يترسمون خطاه، ويستضيئون بهديه، ... فإذا لم يكونوا مقتفين أثر النبي ﷺ، متتبعين منهجه مقتدرين به، مترسمين خطاه فقد ضلوا وأضلوا"[٥]، فعلى الدعاة أن يحرصون على دلالة المدعوين على مواطن الخير لما في ذلك من عظيم الأجر لهم، وقد حث النبي ﷺ الدعاة على ذلك فقال: " ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله"[٦].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٥١/٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٤٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٢٧.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٥) صفات الدعاة، عبدالرب نواب الدين، ٥٩.

(٦) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

قال النووي: (فيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله...، والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء)[1].

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٥.

الحديث رقم (١٠٣٩)

١٠٣٩- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا كَمَا يَقُولُ المُؤَذِّنُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

النداء: الأذان[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه بدأه النبي ﷺ بأسلوب الشرط، ولأسلوب الشرط مميزات عدة منها أنه يشتمل على نوع من التشويق؛ لأن النفس إذا سمعت الشرط استشرفت للجواب فيقع المعنى منها موقعاً حسناً، ثم إنه يعلق فعلاً على فعل يقع بوقوعه، ويمتنع بامتناعه، مما يؤكد قوة الصلة بين جملتي الشرط وكأنهما جملة واحدة، أضف إلى ذلك أن أسلوب الشرط صالح لكل زمان، ومكان، وهو ما يفسر شيوع هذا الأسلوب في البيان النبوي فقد ربط سماع النداء بالأمر بالقول مثل ما يقول، والتشبيه بقول المؤذن يقتضي متابعته فيما يقول دون زيادة كما يفعل بعض الجهلاء متخطين أمر رسول الله ﷺ بالمثلية في القول التي تعني ترديد قوله، وبين فقولوا، ويقول جناس يؤكد ترديد القول الذي يقوله المؤذن.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١)، ومسلم (٣٨٣/١٠) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٤).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١١٥/٢.

(٣) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٤٠)

١٠٤٠- وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ قَالَ حِيْنَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ، وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ)) رواه البخاري[(١)].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

النداء: الأذان[(٢)].

التامة: التي لا يدخلها تغيير ولا تبديل وهي دعوة التوحيد[(٣)].

القائمة: الدائمة من قام على الشيء إذا داوم عليه[(٤)].

الوسيلة: المنزلة عند الملك والدرجة والقربة وتطلق على المنزلة العالية، وقد فسرها النبي ﷺ بأنها منزلة في الجنة[(٥)].

الفضيلة: المرتبة الزائدة على سائر الخلائق[(٦)].

مقامًا محمودًا: يُحْمد القائم فيه[(٧)].

---

(١) برقم (٦١٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٧).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١١٥/٢.

(٣) المرجع السابق ١١٢/٢ - ١١٣.

(٤) وقيل في تفسيرها غير ذلك. انظر: فتح الباري، ابن حجر ١١٣/٢، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٣٤.

(٥) انظر: القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي في (و س ل)، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٢٩، وفتح الباري، ابن حجر ١١٣/٢، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٧٤.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ١١٣/٢.

(٧) المرجع السابق ١١٣/٢.

حلت: استحقت ووجبت أو نزلت عليه[١].

شفاعتي: السؤال في التجاوز عن الذنوب[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يتصدره الاسم الموصول (من) الذي ينادي من له عقل باغتنام الفرصة العظيمة للفوز بشفاعة الرسول ﷺ، وقوله (اللهم) توجه إلى الله بتمام الخشوع، والخضوع، ولفظ (رب) يوحي بالرعاية، والحفظ، والإشارة للتعظيم، ووصف الدعوة بالتامة تتميم بلاغي أفاد كفايتها لاحتوائها كلمة التوحيد أعظم ما يقال ووصف الصلاة بالقائمة يشير إلى الصلاة الحاضرة، وقوله (آت) أمر بغرض الدعاء، وكذلك قوله (وابعثه)، وتنكير المقام للتعظيم دل على ذلك وصفه بالمحمود وقوله (، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ) أي وجبت له، واستحقها، وإضافة الشفاعة لضمير الرسول ﷺ بيان وتشريف، وتقييدها باليوم المضاف للقيامة يصعِّد الاهتمام بها ويعلي من قيمتها لقوة الدواعي إليها يومئذ.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) المرجع السابق ٢/١١٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع).

(٣) سيأتي ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث التالي.

الحديث رقم (١٠٤١)

١٠٤١- وعن سعد بن أبي وقاص ﵁، عن النبي ﷺ، أنه قال: ((**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ**)) رواه مسلم[(١)].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

الحديث في فضل الترديد مع المؤذن، والترغيب فيه، وقد بدأ بمن الموصولة المتضمنة لمعنى الشرط حيث ربط قول هذه الكلمات بمغفرة الذنوب تلاه الشهادة لله بأسلوب القصر لصفة الألوهية على ذات الله -سبحانه وتعالى- قصراً حقيقياً تحقيقياً؛ لأن الألوهية منفية عن الجميع، وثابتة لله، وحده حقيقة، وحكماً، ومطابقة للواقع، زاد العبارة تركيزاً معنى إثبات الألوهية لله وحده، ونفيها عن كل ما سواه مجيء القصر بطرق النفي والاستثناء، وهو أقوى طرق القصر تأكيداً لما فيه من نص على المنفي، والمثبت، ولذلك يستخدم عند الإنكار، وقوله (وَحْدَهُ) توكيد لنفي الألوهية عن الجميع، وإثباتها لله، وكذلك قوله (لاَ شَرِيكَ لَهُ) يصعِّد هذا التوكيد إلى حد لا يبلغه شك، ولا يعترضه في قوته إنكار، وكثرة أشكال التوكيد في إثبات الألوهية لله، ونفيها عن من سواه؛ لأنه معنى زلت عنده الأقدام، وضلت عنه كثير من الأمم التي أشركت مع الله غيره من خلقه ما بين بشر، أو حجر، أو كوكب، أو غيره، ولذلك لما أتبع الشهادة ببقيتها، وهي قوله: (وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) نص فيها على صفة العبودية للرسول ﷺ للفرق بين مقام النبوة، والألوهية حتى تحبه الأمة ما تحبه، وهي تعلم أنه عبد نبي، وقوله (رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلامِ دِيناً) خبر أريد به لازم فائدته، وهو الإقرار، والاعتراف بهذه الصفات.

---

(١) برقم (١٣/٣٨٦). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٨).

المضامين الدعوية[(١)]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على النطق بالشهادتين حين سماع الأذان وقول رضيت بالله رباً وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام دينًا وبيان الحكمة من ذلك.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاستجابة والطاعة لما أمر به النبي ﷺ سبب لمغفرة الذنوب وحلول شفاعة النبي ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على النطق بالشهادتين حين سماع الأذان وقول رضيت بالله رباً وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام دينًا وبيان الحكمة من ذلك:

يستفاد من سياق الحديث الحث على النطق بالشهادتين وقول: رضيت بالله ربًا وبمحمد ﷺ رسول وبالإسلام دينًا، وذلك حين سماع المؤذن، وفي بيان الحكمة من ذلك قال النووي : قال القاضي عياض: "لأن في ذلك كمال التوحيد والثناء على الله تعالى والانقياد لطاعته والتفويض إليه...، فمن حصل هذا فقد حاز حقيقة الإيمان، وكمال الإسلام وذاق طعم الإيمان"[(٢)]. وفي ذلك قال ﷺ، "ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولاً"[(٣)]، قال النووي: (قال صاحب التحرير: معنى رضيت بالشيء قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره؛ فمعنى الحديث: لم يطلب غير الله تعالى، ولم يسع في غير طريق الإسلام ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ، ولا شك في أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه)[(٤)]، وقال القاضي عياض: "معنى الحديث صح إيمانه، واطمأنت به نفسه، وخامر باطنه، لأن رضاه بالله ربًا، وبمحمد نبيًا وبالإسلام دينًا، دليل ثبوت معرفته،

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٠٤١ - مع المضامين الدعوية للحديث السابق.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، ٣٣٩.

(٣) أخرجه مسلم ٣٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٦.

ونفاذ بصيرته بما رضى به من ذلك، ومخالطة بشاشته قلبه وهذا كالحديث الآخر: «وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمانِ: مَنْ كانَ اللّهُ ورسولُهُ أَحَبَّ إِليهِ مِمّا سِواهُما»[١]. وذلك أن الإنسان إذا رضي أمرًا واستحسنه سهل عليه أمره، ولم يشق عليه شيء منه، فكذلك المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهلت عليه طاعات ربه ولذت له، ولم يشق عليه معاناتها"[٢]، وفي ذلك بيان على الحكمة من الحث على النطق بالشهادتين حين سماع الآذان وقول: "رضيت بالله ربًا وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام دينا".

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الاستجابة والطاعة لما أمر به النبي ﷺ سبب لمغفرة الذنوب وحلول شفاعة النبي ﷺ:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "من قال حين سمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله ... إلخ"، غفر له ذنبه" أي من قال حين يسمع المؤذن هذه الكلمات غفرت له ذنوبه الصغائر المتعلقة بالله تعالى، وفي هذا من الفوائد ما فيه[٣]، وقوله ﷺ: "من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وأبعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة"[٤] وقد بين الحق تبارك وتعالى أن طاعة نبيه ﷺ والاستجابة لأوامره هي سبب غفران الذنوب، فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥]، قال السعدي: (هذه الآية هى الميزان، التي يعرف بها من أحب الله حقيقة، ومن ادعى ذلك دعوة مجردة، فعلامة محبة الله، اتباع محمد ﷺ، الذي جعل متابعته وجميع ما يدعو إليه، طريقًا إلى محبته ورضوانه، فلا تنال محبة الله ورضوانه وثوابه،

---

(١) أخرجه مسلم ٤٣.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٧٠/١.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٥٥.

(٤) أخرجه البحاري ٦١٤٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

إلا بتصديق ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما فمن فعل ذلك، أحبه الله، وجازاه جزاء المحبين، وغفر له ذنوبه، وستر عليه عيوبه)[١].

وقد بيّن النبي ﷺ في الحديثين أن من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وأبعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة، ومن قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله رضيت بالله ربا، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام دينا، غفر له ذنبه، وهذا التوجيه والحثّ النبوي يحمل المسلم على الاستجابة والطاعة لما أمر به النبي ﷺ من أقوال لأنها سبب لحلول شفاعة النبي ﷺ ولمغفرة الذنوب.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب

(إن لأسلوب الترغيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله، بل هو من لوازم الداعية في دعوته إلى الله، فغرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة، أمر مطلوب، حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه ورحمته وكرمه)[٢]، [٣]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي الهام في هذا الحديث من ترغيبه ﷺ في قول: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلامة والقائمة آت محمداً الوسيلك والفضيلة وأبعثه مقاما محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة، وفي قول الشهادتين وإعلان الرضا بالله ربًا وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام دينا حين سماع الأذان لما في ذلك من غفران الذنوب.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ١٠٥.

(٢) انظر: وسائل الدعوة، د.عبدالرحيم محمد المغذوي، ١٩٣.

(٣) معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، د.عبدالوهاب بن لطف الديلمي ٥٤٣/١.

الحديث رقم (١٠٤٢)

١٠٤٢- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((الدُّعَاءُ لاَ يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في الدعاء يشير إلى موطن من مواطن استجابة الدعاء بين الأذان، والإقامة، وأسلوبه خبري دون مؤكدات يتكون من جملة واحدة يتوسطها نفي يقرر المعنى المراد، وقوله (الدعاء) ال في الدعاء للجنس فيدخل فيه كل دعاء، وقوله (لا يرد) أسلوب نفي يشير إلى تحقق الإجابة في هذا الموطن والظرف بين يحدد الزمان، لأنه من المعلوم أن هناك أزمان فاضلة الإجابة فيها أقرب من غيرها، وكذلك هناك أماكن أفضل من غيرها للدعاء، وهذا الموطن من مواطن الإجابة لأنه بين ذكرين في بيت من بيوت الله.

فقه الحديث

قال الشيخ البسام: (يؤخذ من الحديث: استحباب الدعاء في هذا الوقت واغتنام النفحة الإلهية والكرم الرباني) [2].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تحري الدعاء بين الأذان والإقامة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢١)، والترمذي (٢١٢) واللفظ له، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصحّحه أيضًا ابن خزيمة (٤٢٥)، وابن حبان (الإحسان ١٦٩٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٥).

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١/٤٣٣.

أولاً - من وسائل الدعوة: الدعاء:

هذا ما يستفاد من الحديث من ذكر أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة، والدعاء من الوسائل الدعوية الهامة، لما له من وقع في نفوس المدعوين من تقريب قلوبهم وبيان حب هدايتهم، وقد ضرب لنا النبي ﷺ في بيان ذلك أروع الأمثلة "فقال لأبي ذر رضي الله عنه: «ائْتِ قَوْمَكَ فَقُلْ: إِنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللّهُ وَغِفَارُ غَفَرَ اللّهُ لَهَا»[1].

قال النووي: (قال القاضي في المشارق: هو من أحسن الكلام مأخوذة من سالمته إذا لم ترَ منه مكروهًا فكأنه دعا لهم بأن يصنع الله بهم ما يوافقهم، فيكون سالمها بمعنى: سلمها)[2]، وقال ابن حجر: (في قوله ﷺ: "وغفار غفر الله لها"، وهو لفظ خبر يراد به الدعاء)[3].

إن الدعاء طاعة لله تعالى وامتثال لأمره عز وجل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[4]، وقال: ﴿وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[5]، فالداعي مطيع لله تعالى مستجيب لأمره، وللدعاء فضله وثمراته التي يجنيها الداعي شريطة أن يأتي بشرائط الإجابة، فإذا فعل ذلك فإنه سيحصل على الخير وسينال نصيبًا وافرًا من ثمرات الدعاء، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو، لَيسَ بِإِثْم، وَلاَ بِقَطِيعَةِ رَحِيم، إِلا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلاَثٍ: إِمَا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَة، وَإِمَّا أَن يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السوءِ مِثْلَهَا. قَالَ: إِذاً يُكْثِر. قَالَ: اللهِ أَكْثَر))[6].

قال ابن حجر: (كل داعٍ يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه)[7].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٥١٣، ومسلم ٢٥١٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥١٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٦٢٨/٦.

(٤) سورة غافر، آية: ٦

(٥) سورة الأعراف، آية: ٢٩.

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٧١٠، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٥٤٧).

(٧) فتح الباري، ابن حجر ٩٥/١١.

فحريٌّ بالدعاة أن يقتدوا بالنبي ﷺ في تقريب وتأليف المدعوين بالدعاء لهم.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: تحري الدعاء بين الأذان والإقامة:

هذا ما أشار إليه نص الحديث، "والدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له"[(١)]، وقد تواردت الآثار عن النبي ﷺ بالترغيب في الدعاء والحث عليه كقوله ﷺ: (الدعاء هو العبادة ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[(٢)])[(٣)]، وقال ﷺ ((لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى الله تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ))[(٤)]. وقال: ((إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ الله يَغْضَبْ عَلَيْهِ))[(٥)]، قال الطيبي: (وذلك لأن الله تعالى يحب أن يسأل من فضله على ما مر فمن لم يسل الله يبغضه، والمبغوض مغضوب عليه لا محالة)[(٦)]، هذا وقد حث النبي ﷺ على تحري أوقات معينة للدعاء يكون فيها الإجابة إن توافرت فيه شروط الدعاء، ومن ذلك تحري الدعاء بين الأذان والإقامة فإنه لا يرد، قال المباركفوري في بيان ذلك: "أي يقبل ويستجاب ...، وقال المناوي تحت قوله "مستجاب": أي بعد جمع شروط الدعاء وأركانه وآدابه فإن تخلف شيء منها فلا يلوم إلا نفسه"[(٧)].

وقد حث النبي ﷺ على تحري ذلك فقال: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ في جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ الله في تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»[(٨)].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٩٨/١١.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٢٤٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٥٩٠).

(٤) أخرجه الترمذي ٣٣٧٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٦٨٤).

(٥) أخرجه الترمذي ٣٣٧٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٦٨٦).

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٤/٣١٠.

(٧) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٥٢٢/١.

(٨) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٨٣٣).

وقال ﷺ: «يتَنـزلُ ربُّنـا تَبـارَكَ وتعـالى كـلَّ ليلـةٍ إلى سمـاءِ الـدنيا حـين يَبقـى ثلـثُ الليل الآخر، فيقول: مَن يَدعوني فأستجيبَ له، من يسألني فأعطِيَه، من يستغفِرُني فأغفِرَ لـه؟»[١]. قـال ابـن حجـر: (قـال ابـن بطـال: هـو وقـت شـريف، خـصه الله بالتنزيـل فيـه، فيتفضل على عباده بإجابة دعـائهم، وإعطـاء سؤلهم، وغفـران ذنـوبهم، وهـو وقـت غفلـة وخلـوة واسـتغراق في النـوم واسـتلذاذ لـه، ومفارقـة اللـذة والدعـة صـعب، لاسـيما أهـل الرفاهيـة وفي زمـن الـبرد، وكـذا أهـل التعـب ولاسـيما في قـصر الليـل، فمـن آثـر القيـام لمناجـاة ربـه والتـضرع إليـه مـع ذلـك دل علـى خلـوص نيتـه وصـحة رغبتـه فيمـا عنـد ربـه، فلذلك نبه الله عباده على الدعاء في هذا الوقت الذي تخلو فيه النفس من خـواطر الـدنيا وعلقها، ليستشعر العبد الجد والإخلاص لربه)[٢]. ومن هذه الأوقات الفاضلة التي يرجى فيها الدعاء، الدعاء بين الأذان والإقامة والدعاء عند اللقاء لقوله ﷺ: «ثِنْتَانِ لا تُـرَدَّانِ أَوْ قَلَّ مَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحَمُ بَعْضُهُ بَعْضًا»[٣]. "والبـأس: أى: القتـال"[٤]. وأيضًا في سـاعة من يوم الجمعـة لقولـه ﷺ: "إن في يوم الجمعـة لـساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عـز وجل فيهـا خيرا إلا أعطـاه إيـاه: وَأَشـارَ بيـدِهِ يُقلِّلُها"[٥]. وهناك من الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء ما لا يسع المقام لـذكرها. فعلـى المدعوين أن يغتنموا هذه الأوقات الفاضلة في الدعاء لما في ذلك من الإجابة والقبول.

---

(١) أخرجه البخاري ٧٤٩٤، ومسلم، ٧٥٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١١/١٣٣.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٥٤٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود٥/٢٢).

(٤) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق العظيم آبادي، ١١٠١.

(٥) أخرجه البخاري ٩٣٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من أساليب التربية: التحفيز:

قال النبي ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا. وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا». لقد قام هذا الحديث الشريف على أسلوب التحفيز، وذلك بقيامه على أسلوب الشرط الذي يقوم على حصول الجزاء مترتبًا على وقوع الفعل والسبب، والملاحظ أن النبي ﷺ لم يحدد الجزاء ولم يعينه، وإنما أطلقه وعلّقه، وليس المقصود علم الناس وإنما المقصود الإخبار بالثواب العظيم والجزاء الجزيل المترتب على فعل هذه الخصال، وفي هذا تحفيز على المسارعة والمبادرة والتبكير إلى المسجد لما في ذلك من الثواب العظيم، وكثيرًا ما يستخدم المربون هذا الأسلوب التربوي لحث الناشئة على العمل والفعل، فيؤتى ثماره الطيبة خاصة لدى الفئات التي تحتاج إلى نوع من التحفيز، يولد ما لديها من طاقات في الفهم والإبداع والتميز.

تجد المعلم يقول لتلاميذه: لو يعلم الحاصل على المركز الأول في هذا الاختبار الذي تختبرونه ما يناله، لتمنى أن يكون العام كله اختبارات، وهكذا نجد هذا الأسلوب يؤتي بنتائجه التربوية المهمة، وذلك لأنه يقوم على مخاطبة ما يحبه الإنسان ويميل إليه من ذلك:

أ - يخاطب في الإنسان ما يميل إليه ويحبه في حصوله على جزاء الأعمال التي يعملها والأفعال التي يفعلها، فيزيده امتثالاً واستجابة.

ب - يخاطب في الإنسان حبه في التنافس والمسابقة والمبادرة، فالنفس تنشط وتقبل على الإعمال إذا وجدت تنافسًا لأنها مجبولة على حبّ السبق وتحقيقه وإنجازه.

ولذا فإن على المربين أن يستخدموا هذا الأسلوب بحكمة، وذلك لأثره البالغ في حياة الفرد والجماعة والأمم، فإنما الأمم تتقدم بما تملك من المتفوقين والمبدعين والمبتكرين في شتى المجالات والأعمال، والتحفيز من أهم الأساليب التربوية المؤثرة في النفوس.

ثانيًا: التربية على كيفية التعامل مع المشكلات:

هذا مستمد من قوله ﷺ: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه"، والاستهام: هو الاقتراع [١]. فإذا كان الناس يبادرون إلى الأذان والوقوف في الصف الأول، فإن ذلك ينتج عنه مزاحمة واختلاف، مما يذهب بالمقصود منهما وهو طاعة الله وإقامة شعائر الدين، فبين النبي ﷺ الطريق لحلّ ما ينتج من مشكلات لو تزاحم الناس على الأذان والوقوف في الصف الأول، وذلك عن طريق القرعة التي تخرج الأضغان والأحقاد من بين الناس وتجعلهم راضين متقبلين للأمر.

يقول ابن القيم: "وهذا هو سر المسألة وفقهها، فإن التعيين إذا لم يكن لنا سبيل إليه بالشرع فوّض إلى القضاء، وصار الحكم به شرعيًا قدريًا، شرعيًا: في فعل القرعة. قدريًا فيما تخرج به، وذلك إلى الله لا إلى المكلف، فلا أحسن من هذا ولا أبلغ في موافقة شرع الله وقدره" [٢].

وعلى ذلك ينبغي أن يربي المربون الناشئة على حل ما يقابلهم من مشكلات حلاً يحقق المطلوب، ولا ينتج عنه أحقاد ولا ضغائن ولا ثارات، وهذا ما قد يطلق عليه في علم التربية والنفس: التفكير الإيجابي.

يقول د. إبراهيم بن حمد القعيد عن أهمية هذا التفكير: "في حياتنا اليومية نتعرض لكثير من المثيرات والأحداث، ونتعامل مع العديد من الأشخاص، والتفكير الإيجابي هو البحث عن الأمور الإيجابية والطيبة في هذه الأشياء وإغفال أو التغافل عن الأشياء السيئة، إذا تحدث معك شخص فانظر إلى الجانب الإيجابي في حديثه، إذا تعرضت لمشكلة فانظر في الجانب الإيجابي لهذه المشكلة، مع عدم إغفال الجوانب الأخرى، وما تتعرض له من جهد لحلّ هذه المشكلة، هذا لا يعني بالطبع أن الأمور دائمًا إيجابية، نحن نعرف أن هناك الكثير من المشكلات والسلبيات والمنغصات والأحداث

---

(١) رياض الصالحين، ٣٩٧.

(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي ص ٢٩٩.

المؤلمة في الحياة من حولنا، ولكن التفكير الإيجابي يجعلنا أقدر على مواجهة هذه الأحداث واستغلال أفضل ما فيها لإثراء حياتنا أو التغلب عليها أو التكيف معها.

والتفكير الإيجابي على درجة كبيرة من الأهمية في حياة الإنسان، حيث يجعل حياته بنّاءة ومثمرة تلفُّها السعادة والنجاح، وعن طريق التفكير الإيجابي يمكن تحقيق أضعاف النتائج التي يمكن الوصول إليها بأي طريقة أخرى، وعلى العكس من ذلك التفكير السلبي يجعلك تنظر إلى الأمور بتشاؤم من جانبها المظلم، هل سمعت عن فكرة الكأس الذي نصفه مليء ونصفه فارغ، وإذا سألت الإنسان الإيجابي عن الكأس قال: نصفه مليء، وإذا سألت الإنسان السلبي قال: نصفه فارغ. هذا مفهوم رمزي للطريقة التي ينظر فيها الناس إلى الشيء الواحد: بعضهم يرى بعين متفائلة والبعض الآخر يرى بعين متشائمة"[1].

ثالثًا- التربية بمراعاة الميول والرغبات:

هذا واضح من قول الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه للتابعي عبدالله ابن عبدالرحمن بن أبي صعصعة: إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك -أوفى باديتك- فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء..." فقد لاحظ الصحابي ما يرغب فيه التابعي ويحبه، فدلّه على ما يوافق هذه الرغبة ويتلاءم معها، وهذا نمط تربوي هادف وناجح، لأنه من خلاله تتأتى عملية الدخول إلى الشخصية، وهكذا على المربين أن يلاحظوا رغبات الناشئة وميولهم ويدفعوهم إلى التفوق فيها، ولا يحاولوا أن يفرضوا عليهم رغباتهم وميولهم هم، فإن "كثيرًا من المربين يحاولون توجيه أبنائهم إلى الدراسات التي يرون أنها أعلى شأنًا من غيرها، أو المهن ذات المردود الأعلى، من غير نظر إلى رغبة الابن أو استعداده وقدرته، فيقسرونه على ذلك قسرًا، مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى الإخفاق في تحقيق ما يرجونه من النتائج. وكم من والد أو مربٍ ظلّ يعض بنان الندم، على ما أضاع على ابنه من سنوات عمره، بعدما أجبر على التخصص فيما لا يحسن أو يقدر عليه.

---

(١) العادات العشر للشخصية الناجحة ص ٤١٩، ٤٢٠.

وينبغي -هنا- أن نقول: إن كل علم نافع أو مهنة مفيدة أيًا كانت الدرجة التي تحتلها تحتاج إليها الأمة، وإذا تميز فيها الولد فقد يجني من ورائها أعظم مما يجني من تخصص في شيء أفضل من ذلك في نظر المجتمع إذا لم يكن له تميز فيه، فلا ينبغي للمربين أن يجبروا الأولاد على الالتحاق بما لا يرغبون فيه، أو ما لا يتمكنون من تحصيله لضعف قدرتهم عليه، لأن ذلك يفضي إلى عكس المطلوب، بل يوجهونهم إلى ما تظهر رغبتهم فيه وقدرتهم على إجادته والتميز فيه. لكن ينبغي -هنا- على المربي أن يكون متيقظًا للدافع الحقيقي لعدم رغبة الولد، هل هو ضعفه وعدم قدرته وصعوبة الأمر عليه، أم هو الكسل والإخلاد إلى الأرض، والرغبة في التفرغ للعب وإضاعة الأوقات فيما لا يفيد؟"[1].

رابعًا- التربية بالترغيب:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «إنهُ لا يَسمعُ مَدَى صَوْتِ المؤذِّنِ جنٌّ ولا إنسٌ ولا شيء إلا شهد لهُ يومَ القيامةِ».

قال ابن حجر: (قوله: "جنّ ولا إنس ولا شيء" ظاهره يشمل الحيوانات والجمادات، فهو من العام بعد الخاصّ، ويؤيده ما في رواية ابن خزيمة[2]: «لا يسمع صوته شجر ولا مدر ولا حجر ولا جن ولا إنس إلا شهد له». ولأبي داود والنسائي من طريق أبي يحيي عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «المُؤذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ وَيَشْهَدُ لَهُ كلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ»[3].

ونحوه، للنسائي وغيره من حديث البراء[4] وصححه ابن السكن، فهذه الأحاديث تبين المراد من قوله في حديث الباب ولا شيء"[5].

وهذا مما يرغب الإنسان في شعيرة الأذان وفي فضل رفع الصوت به لتسمع

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة، ١٥٥.

(٢) صحيح ابن خزيمة، ٣٨٩.

(٣) أخرجه أبو داود ٥١٥، والنسائي، ٢/١٣، ٦٤٦، وابن ماجه ٧٢٤.

(٤) أخرجه النسائي ٢/٦٤٧، ١٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١/٥٥١، ٥٥٢.

المخلوقات فتشهد له يوم القيامة، ولاشك أن هذه التربية بالترغيب تدفع المؤمن سواء أكان صغيرًا أم كبيرًا إلى الاستزادة من عمل الخير الذي تشهد له الخلائق يوم القيامة.

وعلى ذلك يمكن الاستئناس بهذا الحديث على أنه ينبغي أن يربي الناشئ على أنه لا يعيش في هذا الكون بمفرده، فالمخلوقات التي معه تسمعه وتشهد له يوم القيامة، وفي التربية على ذلك -فيما نرى- عدة فوائد، منها:

أ- حث الناشئة على المحافظة على الحياة الطبيعية وتنميتها وعدم الاعتداء عليها.

ب- نشوء ألفة وتواؤم وتوافق بين الإنسان وهذا الكون الذي سخره الله تعالى له، وذلك من خلال الإفادة من نعم الله تعالى التي أفاء بها عليه، وشكره سبحانه عليها والسعي الحثيث لإعمار هذا الكون من خلال ما يتيسر من أسباب، لأن هذا الكون بمن فيه سيشهد على الإنسان يوم القيامة بما سعى إليه في حياته الدنيا.

رابعًا: من مهام المربي: بيان عداوة الشيطان للإنسان وتربصه به:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «إذا نُوديَ للصَّلاةِ أدبرَ الشيطانُ وله ضُراطٌ.... حتّى إذا قُضِي التثويبِ أقبلَ حتى يَخْطُرَ بينَ المرءِ ونفسهِ يقول: اذكُرْ كذا، اذكر كذا -لما لم يَكنْ يَذكرُ- حتّى يَظلَّ الرجلُ لا يَدرِي كم صلّى». ففي هذا الحديث الشريف توجيه تربوي نبوي يبصر المؤمن بحقيقة فعل الشيطان إذا نودي للصلاة، وخذلانه ومحاولاته المستمرة في إفساد العبادة على المؤمن، من خلال صرفه عنها بالوسوسة والتشكيك، وسعيه في تذكيره بحاجاته وهمومه ومشكلاته، مما يذهب خشوع الإنسان في صلاته، لاستجابته لوساوس الشيطان في الصلاة.

ولم يعنّف النبي ﷺ من وقع منه هذا الفعل ولا لامه ولا أنبّه. وإنما اكتفى ﷺ بذكر ما وقع، ويقع من وساوس وخطرات، وهذا أمر لا يسلم منه أحد ولا تكاد تخلو منه صلاة، وإن كان من جهة أخرى يدفع المصلي إلى أن يجاهد الشيطان قدر الاستطاعة حتى يؤدي صلاته في خشوع وإقبال وتفكر.

ولذا ينبغي للمربي أن يُبصّر بعداوة الشيطان للإنسان وتربصه به، خاصة في الصلاة أو حين يكون حريصًا على الطاعة، ففي البذل يوسوس إليه بالفقر ومشكلاته

وحاجاته وغير ذلك، مما يعوق همة المؤمن وإقدامه أحيانًا، ولذا فإن بيان مثل هذه الأمور والوساوس، يكون بمثابة تبصير بمواقف الشيطان وتلبيسه على الإنسان، ومن ثم كان من اللازم بيان مثل هذه الأمور من خلال القائمين على التربية، مع التعريج على قابلية الإنسان للاستجابة لمثل وساوس الشيطان، ولكن يجب عدم الاستسلام له، والاستعاذة بالله منه.

سادسًا: تربية الناشئة على تحصيل الخير والمشاركة في فعله:

أما تربية الناشئة على تحصيل الخير فمستمد من أمر الصحابي أبي سعيد الخدري رضي الله عنه التابعي وهو في غنمه وفي الصحراء، أمره بأن يرفع صوته بالأذان مع أنه في الغالب يكون وحده وسيصلّي وحده كذلك، ولكن أمره لأنه سمع النبي ﷺ يخبر أن من سمع المؤذن سيشهد له يوم القيامة، ولا يقتصر هذا على ما يعقل فقط، بل يشمل أيضًا. الجماد والنبات ونحو ذلك، فكان الأمر هنا لتحصيل الفضل والأجر والخير، وهذا ما أشار إليه ابن خزيمة. فقال: "المؤذن في البوادي -وإن كان وحده- إذا أذن طلبًا لهذه الفضيلة كان خيرًا وأحسن وأفضل من أن يصلي بلا أذان ولا إقامة، وكذلك النبي ﷺ قد أعلم أن المؤذن يغفر له مدى صوته، ويشهد له كل رطب ويابس، والمؤذن في البوادي والأسفار -وإن لم يكن هناك من يصلي معه صلاة جماعة- كانت له هذه الفضيلة لأذانه بالصلاة، إذ النبي ﷺ لم يخص مؤذنًا في مدينة ولا في قرية دون مؤذن في سفر ولا بادية، ولا مؤذنًا يؤذن لاجتماع الناس إليه للصلاة في جماعة دون مؤذن لصلاة يصلي منفردًا"(١).

أما تربية الناشئة على المشاركة في فعل الخير، فمستمد من أمر النبي ﷺ مَنْ سمع الأذان أن يقول مثل ما يقول المؤذن، فإذا كان المؤذن له من الفضل الشيء الجليل فالمؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة، فإن من قال مثل ما يقول سيشاركه في الأجر مع اختلاف الدرجات، وهذا ما يستطيعه أن يفعله من سمع المؤذن، لأن الأذان لا يقوم به

---

(١) صحيح ابن خزيمة، ٢٠٨/١، ٢٠٩.

إلا واحد، فإن قام بالأذان ذهب بالأجر دون السامعين، فأمر النبي ﷺ بأن يقولوا مثل ما يقول، حتى ينالهم من الأجر بعض ما ناله.

وعلى ذلك فإن المربين عليهم أن يربوا الناشئة على عدم تفويت فرص المشاركة في الخير والمساهمة فيه، ويغرسوا فيهم حب التعاون والاجتماع والمسابقة إلى فعل الخير، حتى تزداد الحياة خيرًا وبركة ونماءً.

سابعًا: التربية على حب النبي ﷺ:

هذا مستمد من طلب النبي ﷺ بعد الفراغ من الأذان أن يصلي عليه المسلمون ثم سؤال الله عز وجل أن يعطي منزلة الوسيلة للنبي ﷺ، كما يبعثه المقام المحمود، ولاشكّ أن الصلاة عليه ﷺ والدعاء له ﷺ يدلان على الحبّ والودّ والتبجيل والتوقير، وعلى ذلك يجب أن يتربى الناشئة وينشئون لأن في ذلك فوائد تربوية جمّة لهم: منها:

١- أليس الحب دليلاً على الإيمان وصدقه وإخلاصه؛ وإذا توافر الصدق في الإيمان كان المؤمن مؤمنًا حقًا، يفعل ما أمر الله به وينتهي عما نهى الله عنه.

٢- أليس الحب هو طريق الاقتداء به ﷺ؟، ألا يبعث الحب الابن على الاقتداء بأبيه؟، فما بالك بحب الناشئة رسول الله ﷺ؟ وإذا اقتدى الناشئة به ﷺ فقد تمسكوا بمنهج تربوي يؤدي بهم إلى الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

يقول الأستاذ محمد المبارك: (الصلاة على النبي دعاء يطلب فيه من الله سبحانه رفعة الدرجة وعلو المقام للنبي الكريم ﷺ، والحقيقة أن هذا النوع من الدعاء يقصد به تذكير قائله بالنبي العظيم، وفضله في تبليغ رسالة الله العامة إلى البشر وتذكيره بسيرته العظيمة، وشمائله الإنسانية الرفيعة وشخصيته المثالية التي هي القدوة لكل إنسان، لأن الله في غنًى عن تذكيره بمقام الرسول الذي اختاره لأعظم رسالة، ولكن القصد الارتفاع بالداعي نفسه إلى مستوى أعلى وتقريبه من الشخصية المثالية التي هي شخصية الرسول ﷺ، وجعلت صيغة الصلاة هذه بديلاً من ألقاب التعظيم التي اعتاد البشر استعمالها وهي أفضل منها، لأنه ليس فيها مايشعر بتأليه بشر بل إنها تتضمن

التذكير بعبودية الرسول ﷺ نفسه لله، لأن المخاطب فيها هو الله، والمدعو له هو الرسول ﷺ)[١].

ثامنًا: التربية على الاعتزاز بالإسلام وبعقيدة التوحيد:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ». فهذا قد يستمد منه أن الناشئة يجب أن يربوا على إعلان اعتزازهم بالإسلام وبعقيدته، فإذا كان المؤذن قد أسمع الدنيا شهادة التوحيد فإن الناشئ يشاركه فيقول الشهادتين مثلما قال، فضلاً عن إعلان رضاه واعتزازه بالله عز وجل وبرسوله محمد ﷺ وبدينه الإسلام، وهذا الاعتزاز يدفعه إلى أن يكون مؤمنًا بربه حقًا، متبعًا لرسوله صدقًا، ومتمثلاً الإسلام منهجًا وسلوكًا. وليس أدل على هذا الاعتزاز من قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه للتابعي: «فإذا كنتَ في غنمكَ - أو باديتكَ - فأَذَّنْتَ بالصَّلاةِ فارفعْ صَوتَكَ بالنِّداءِ».

تاسعًا: تربية الناشئة على استغلال الأوقات الفاضلة:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: "الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة"، وهذا توجيه تربوي للمخاطبين أن يشغلوا هذا الوقت بالدعاء والتوجه إلى الله عز وجل، وهذا إذا تكلمنا عنه من الناحية التربوية يكون تربية على استغلال الأوقات الفاضلة، والقيام بالواجب والمندوب فيها، وعلى ذلك يجب تنشئة الناشئة وتربيتهم، قال ابن القيم: "العارف لزم وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، وإن ضيعه لم يستدركه أبدًا... فوقت الإنسان عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم، وهو يمرّ أسرع من مرّ السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوبًا من حياته، وإن عاش فيه عاش عيش البهائم، فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني

---

(١) نظام الإسلام العقيدة والعبادة ص ١٧٧.

الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير له من حياته"[١].

"وعمر الإنسان المسلم في حياته عمران: العمر الحقيقي والعمر الإنتاجي، أما العمر الحقيقي فهو السنوات التي يعيشها الإنسان من ولادته حتى وفاته، إنه الكينونة المادية وما يحيط بها من ملابسات حدود الزمان والمكان، أما العمر الإنتاجي فهو مقدار ما حقق الإنسان من إنجازات وما كسب من حسنات، ويستطيع كل واحد منا أن يطيل عمريه الحقيقي والإنتاجي بفضل الله ثم بفضل عمله الصالح: ففي زيادة العمر الحقيقي ورد الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[٢].

وفي زيادة العمر الإنتاجي هناك مساحة كبيرة لهذه الزيادة، فهناك زيادة بالأخلاق الفاضلة مثل حسن الخلق والإحسان إلى الجار، وهناك زيادة بالأجور المضاعفة كالصلاة في الحرمين الشريفين، والمحافظة على الصلاة في المسجد وأداء النوافل، والمواظبة على صلاة الجمعة وآدابها، والعمرة في رمضان، وصيام أيام مخصوصة، وقيام ليلة القدر، والصدقة الجارية، والجهاد في سبيل الله، وتعليم الناس الخير"[٣].



---

(١) الداء والدواء ص ١٥٧.

(٢) أخرجه البخاري، ٢٠٦٧، ومسلم، ٢٥٥٧.

(٣) كيف تطيل عمرك الإنتاجي، محمد بن إبراهيم النعيم، نقلاً عن العادات العشر للشخصية الناجحة ص ٢٢٩ - ٣٠٠ بتصرف. وانظر: الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي ص ٥٤ - ٦٢.

١٨٧- باب فضل الصلوات

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ﴾[العنكبوت: ٤٥].

الحديث رقم (١٠٤٣)

١٠٤٣ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((أرَأيْتُمْ لَوْ أنَّ نَهْرًا بِبَابِ أحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنهِ شَيْءٌ؟)) قالوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرَنهِ شَيْءٌ، قَالَ: ((فَذلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

درنه: وسخه[2].

الشرح الأدبي

أراد النبي ﷺ بهذا الحديث أن يوضح، ويقرر في الأذهان كيفية محو الله الخطايا بالصلوات الخمس فجاء باستفهام التقرير (هل يبقي من درنه شئ؟...) لقياس صورة معنوية هي صورة تطهير الصلوات الخمس لما يقع بينهن من الخطايا على صورة معهودة حسية، وهي صورة إنسان يغتسل في نهر خمس مرات ثم يلحق نتيجة الصلوات الخمس، وهي مغفرة الذنوب بنتيجة المغتسل خمس مرات إشارة إلى نقاء هذا المصلى من الخطايا كنقاء المغتسل. هذا ما أفاده التقرير بقياس صورة على صورة؛ لتوضيحها في الأذهان، وقد بدأ النبي ﷺ حديثه بهذا الاستفهام: (أر أيتم) الذي يتطلب جوابا، وهو

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧/٢٨٣) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٥١٤).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٥/٢.

بمثابة إشارة الانطلاق لخيال المخاطبين؛ ليرى كل منهم حاله لو أن نهراً ببابه، وإتيانه بكلمة (نهر) منكرة تشيع في النفس معانى متعددة كالعذوبة، والصفاء والرقة، وحسبك أن المخاطبين لا يرون النهر في بيئتهم كيف يرون النهر؟ إنه جنة أخرى بالنسبة لهم، وقبل أن يشرد خيال أحدهم فيستبعد وجود نهر في صحرائه يأتي النبي ﷺ بـ (باء) الإلصاق التي تفيد قرب هذا النهر، وهم الذين يكابدون المشاق من أجل القليل من ماء الآبار، ويظل الأسلوب يرعي حالهم، ويعالج أفكارهم، وهم يقفون بخيالهم أمام نهر بالباب، لكن باب أي أمير؟ تأتي الإجابة في الأسلوب عجلى (بباب أحدكم) أي واحد منكم، ثم يصور هذه المتعة بأنه فارغ الجوارح يغتسل منه خمس مرات في اليوم ثم يطرق أسماعهم بالاستفهام مرة أخرى (هل يبقي من درنه شيء؟....) مقررا بذلك حقيقة قد رسخت في أذهانهم، والإجابة سابقة، والاستفهام يقررها، ثم ينقل الصورة مختلطة بمشاعره ليضعها بإزاء الصلوات التي يمحو الله بهن الخطايا؛ وبذلك تبدو صورة ذلك المصلى من خلال صورة المغتسل، وتبدو الصلوات وهي الطهارة البدنية قالباً، وهي الطهارة المعنوية قلباً من خلال صورة نهر صاف عذب قريب، وينتج من بين الصورتين صورة مؤمن نقي طاهر القلب، والقالب كنهره الذي اغتسل فيه صافياً نقياً[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على الصلوات الخمس في تكفير الذنوب.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً: من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه

(لم يكن التمثيل والتشبيه مجرد عمل فني يقصد من ورائه الرفق البلاغي

---

(١) ينظر الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط – جامعة الأزهر.

فحسب، بل إن له غايات نفسية تربوية نتيجة لنبل المعنى، وسمو الغرض بالإضافة إلى الإعجاز البلاغي، وتأثير الأداء. ومن أهم هذه الأهداف التربوية: تقريب المعنى إلى الأفهام؛ فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية، أو الغيبية)[١]، (وقد كان النبي ﷺ وهو الأسوة والقدوة يستعين بضرب المثل والتشبيه مما يشهده الناس بأم أعينهم، مما يقع تحت حسهم ومشاهدتهم، لينتقل بالناس في ضرب الأمثال من الصورة إلى الحقيقة)[٢]، وهذا ما ورد في الحديث من تشبيه ﷺ للصلوات الخمس في محو الخطايا بالنهر الجاري في إزالة الدرن عند الاغتسال منه خمس مرات في اليوم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على الصلوات الخمس في تكفير الذنوب:

هذا ما يظهر جلياً من نص الحديث في قوله ﷺ: "فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا"، قال ابن حجر رحمه الله في بيان ذلك: (قال ابن العربي: "وجه التمثيل في الحديث أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار الذنوب حتى لا تبقى له ذنباً إلا أسقطته)[٣]، وقد أكد النبي ﷺ على ذلك فقال: ((الصَّلاَةُ الْخَمْسُ. وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ. كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا. مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ))[٤]. قال القاضي: (قد يكون مراده الصلاة بشروطها من الطهارة وغيرها)[٥]، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "إن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، قال فنزلت: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[٦]،

---

(١) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ٣٣١.
(٢) صفات الداعية، د. حمد العمار ص ٩٨.
(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢/١٥- ١٦.
(٤) أخرجه مسلم ٢٣٣.
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/١٥.
(٦) سورة هود، الآية: ١١٤.

قال: فقال الرجل: إلى هذه؟ يا رسول الله! قال: "لمن عمل بها من أمتي"[١]، قال النووي: في قوله تعالى: "وزلفاً من الليل" هي: ساعته، ويدخل في صلاة طرفي النهار: الصبح والظهر والعصر، وفي زلفاً من الليل: المغرب والعشاء، وقال رحمه الله: (إن في الحديث تصريح بأن الحسنات تكفر السيئات، واختلفوا في المراد بالحسنات هنا فنقل الثعلبي أن أكثر المفسرين على أنها الصلوات الخمس، واختاره ابن جرير وغيره من الأئمة)[٢]، وفي ذلك بيان على عظم فضل الصلوات الخمس في محو الذنوب والخطايا وضرورة المحافظة عليها.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب

(الترغيب من الأساليب الدعوية الهامة التي يستعين بها الداعية على حمل المدعو على فعل الأمر المدعو إليه والاستجابة له بعد أن اشتاقت نفس المدعو إلى ذلك)[٣]، فالمرء يحتاج دائماً إلى ما يدفعه للقيام بالطاعات على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة، وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها ودوره في الترغيب في القيام بذلك[٤]. وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي الهام في الحديث من ترغيبه ﷺ في المحافظة على الصلوات الخمس بقوله ﷺ: "فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا".

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢٦، ومسلم ٢٧٦٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦١٦.

(٣) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٤) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان الهجاري، ٥١٣.

الحديث رقم (١٠٤٤)

١٠٤٤ - وعن جابرٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَثَلُ الصَّلَوات الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَومٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ)) رواه مسلم[١].

(الغَمْرُ) بفتح الغين المعجمة: الكثير[٢].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

غمر: كثيرٌ ماؤُه، يغمر من دخله ويغطيه[٣].

الشرح الأدبي

بدأ النبي ﷺ بلفظ (مثل) وهي من المفردات الثرية فمادة الكلمة تعني، الشبه، والمساوي، والصورة والأفضل، والمثل: هو قول سائر شبِّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، وهو بمثابة إشارة الانطلاق لخيال المخاطبين؛ ليرى كل منهم حاله لو أن نهراً ببابه، وإتيانه بكلمة (نهر) منكرة تشيع في النفس معانى متعددة كالعذوبة، والصفاء، والرقة، وكلمة (غمر) التي تشير إلى الكثرة التي تغمر المغتسل فتطهر كل أجزاء جسده، وهم الذين يكابدون المشاق من أجل القليل من ماء الآبار، وقبل أن يشرد خيال أحدهم فيستبعد وجود نهر في صحرائه يأتي النبي ﷺ بـ (باء) الإلصاق التي تفيد قرب هذا النهر، ويظل الأسلوب يرعي حالهم، ويعالج أفكارهم، وهم يقفون بخيالهم أمام نهر بالباب، لكن باب أي أمير؟ تأتي الإجابة في الأسلوب عجلى (بباب أحدكم)

---

(١) برقم (٢٨٤/٦٦٨). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٧). تقدم برقم (٤٢٩).

(٢) بنصه في الترغيب (٣٠٩/١).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ م ر).

أي واحد منكم، ثم يصور الفعل المضارع (يغتسل) هذه المتعة بأنه فارغ الجوارح يغتسل منه خمس مرات في اليوم ؛مع اطراد مع الزمان أفاده لفظ الشمول (كل) المضاف ليوم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث (٤٢٩).

الحديث رقم (١٠٤٥)

١٠٤٥ - وعن ابن مسعود ﷺ: أنَّ رَجُلاً أصَابَ مِن امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأتَى النبيَّ ﷺ فَأخْبَرَهُ فَأنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[هود: ١١٤] فَقَالَ الرَّجُلُ أَلِيَ هَذَا[1]؟ قَالَ: ((لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الحديث يبين أثر الحسنة على السيئة، جاء في أسلوب خبري مؤكد بمؤكدين تنبيهاً على عظمة الخبر، ولفتاً للعناية به، وتنكير كلمة رجل لعدم إرادة تعيينه ستراً عليه، والتعبير بالإصابة يؤكد تحقق الفعل، وإتيان الرجل النبي ﷺ دليل على عزمه التوبة، والربط بالفاء في قوله (فأتى - فأخبره) يدل على سرعة توبته، والفعل الماضي الدال على التحقق يؤكد صدق توبته، ومضاء عزيمته لذلك جاءت الآية الكريمة فرجاً من عند الله له، وللمؤمنين من بعده، بأن الحسنة تمحو السيئة، وقول الرجل (ألى هذا؟) استفهام على حقيقته، وقدم الجار، والمجرور للاختصاص أي لى وحدي دون الناس، فكانت الإجابة من الرسول ﷺ (لجميع أُمَّتِي كُلِّهِمْ) يسبقها التوكيد على الشمول، ويحدوها فضلا من الله على عباده.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) عند البخاري زيادة: (يا رسول الله).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٦٣/٣٩)، وتقدم برقم (٤٣٤).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث (٤٣٤).

الحديث رقم (١٠٤٦)

١٠٤٦ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الكَبَائِرُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى فضل الصلوات في تكفير ذنوب العبد، وقوله (الصلوات الخمس) (ال) في الصلوات للعهد أي الصلوات المعهودة المفروضة، ووصفها بالخمس ينص على ذلك وقد جعلها الله تعالى محطات تنقية من الذنوب على مدار اليوم في الصلوات الخمس، وعلى مدار الأسبوع في صلاة الجمعة، وقوله (وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ) فيه إيجاز بالحذف، وصلاة الجمعة إلى صلاة الجمعة، وقوله: (كفارة لما بينهن) أي ستر للذنوب، وما بينهن إشارة لما بين الوقت، والوقت على مدار اليوم، والليلة تفصيلا يتتبع كل ذنب يقع فلا تتراكم على القلب فيقسوا بل كلما وقع في ذنب كفرته صلاة، فينام نقيا يبدأ يومه بصلاة، وينتهي بصلاة ثم إنها صفاء روحي بالوقوف بين يدي الله في موقف يصقل إيمان العبد بشحنة من الخشوع يستكمل بها يومه، ثم إن بقي شيء - ولن يبقى - كفرته الجمعة إجمالاً، وانتقل العبد من نور إلى نور، وقوله (ما لم تغش الكبائر) لأنها تحتاج إلى توبة يعتزم عندها كف شره عن الناس، لأن كثيرا من الكبائر تتعلق بحقوق الناس، وما يتعلق بالله فمما يمس العقيدة، وهذه النوعية من الذنوب تحتاج إلى وقفة بالتوبة تطهره من دنسها.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٢٣٣/١٤). تقدم برقم (١٣٠)، وسيكرره المؤلف برقم (١١٥٦). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٥).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث (١٣٠) مع اختلاف في اللفظ.

الحديث رقم (١٠٤٧)

١٠٤٧ - وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ، يقول: ((مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءها ؛ وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا، إلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوب مَا لَمْ تُؤتَ كَبِيرةٌ، وَذلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

ترجمة الراوي:

خشوعها : خشيتها وخضوعها لله تعالى [2].

كَفَّارةً: ساترةً وماحيةً [3].

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه يقرر فضل الصلوات الخمس، وأثرها على محو الخطايا وتطهير العبد وتلك رحمة عظيمة من رب العباد لعلمه بشدة العذاب المعد للعصاة فإن العبد إذا لقي الله، بذنوبه فعوقب عليها فإنه يذوق عذابا لم يذقه العالمين في الدنيا ولو بذنب واحد فإن عبدا من عباد الله غمس غمسة في النار فأقسم بالله لله أنه لم ير نعيما قط، وقد كان أنعم أهل الأرض كما ورد في الحديث [4] لذلك أراد الله رحمة بحبيبه المؤمن أن تكون توبته من قريب فكلما وقع ذنب طهرته صلاة فينام ساعة ينام طاهرا ، ويقوم ساعة يقوم طاهرا فجعل له هذه الصلوات طُهرة سريعة وقد صاغ المعنى في أسلوب القصر الذي يؤكد المعنى، ويحصره حيث قصر حضور الصلاة على الصفة المذكورة

---

(١) برقم (٢٢٨/٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢/٥٢٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ش ع).

(٣) المرجع السابق في (ك ف ر).

(٤) ينظر صحيح مسلم حديث (٧٢٦٦).

على كونها كفارة للذنوب، وقوله (مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ) ما نافية ومن لاستغراق الجنس ولفظ (مسلم) نكرة في سياق النفي تفيد العموم، وبذلك يدخل الجميع تحت الحكم، والتعبير بالكتابة يفيد توكيد الوجوب، ويعين المقصود بالمفروضة، والتعبير بالفعل (يحسن) يشير إلى إتقان أعمال الصلاة بمتابعة الرسول ﷺ فيها الظاهر، والإخلاص لله تعالى في الباطن، والكفارة الستر، والخفاء، وقوله (ما لم تؤت كبيرة) احتراس يخرج الكبيرة من الحكم؛ لأنها تحتاج إلى التوبة حتى تغفر، والتعبير بالإتيان يشير إلى التكلف، والمشقة، وهو يناسب الكبيرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان الوضوء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الخشوع في الصلاة وبيان فضله.

ثالثًا: من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان الوضوء:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها"، وقد حث النبي ﷺ على إحسان الوضوء فقال::لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء فيصلي صلاة، إلا غفر الله له ما بينه وبين الصلاة التي تليها"[1]، قال النووي مبينًا قوله ﷺ: "فيحسن الوضوء: " أى: يأتي به تامًا بكمال صفته وآدابه، وفي الحديث الحث على الاعتناء بتعليم آداب الوضوء وشروطه والعمل بذلك والاحتياط فيه والحرص على أن يتوضأ على وجه يصح عند جميع العلماء ولا يترخص بالاختلاف، فينبغي أن يحرص على التسمية والنية والمضمضة والاستنشاق والاستنثار واستيعاب مسح الرأس ومسح الأذنين ودلك الأعضاء والتتابع في الوضوء وترتيبه وغير ذلك من المختلف فيه وتحصيل ما ء طهور بالإجماع"[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٤.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الخشوع في الصلاة وبيان فضله:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها، وخشوعها... إلخ".

(والخشوع في أصل اللغة: الانخفاض، والذل والسكون. قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾[1]. أي سكنت، وذلت، وخضعت. ومنه وصف الأرض بالخشوع، وهو يبسها، وانخفاضها، وعدم ارتفاعها بالري والنبات. قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾[2])[3].

وقال الراغب الأصفهاني: (الخشوع الضراعة وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب ولذلك قيل فيما روى: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح)[4].

وقال أبو عبدالله القرطبي: (الخشوع هيئة في النفس، يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع، وقال قتادة: الخشوع في القلب وهو الخوف وغض البصر في الصلاة)[5].

قال ابن القيم: (والخشوع قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل والجمعية عليه..، وقال الجنيد: الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب، وأجمع العارفون على أن الخشوع "محله القلب". وثمرته على الجوارح)[6].

(وقد علق الله فلاح المصلين بالخشوع في صلاتهم، فدل على أن من لم يخشع فليس

---

(١) سورة طه، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٩.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/ ١٥٠.

(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ١٤٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/ ٧٠.

(٦) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/ ١٥١.

من أهل الفلاح. ولو اعتد له بها ثوابًا لكان من المفلحين)[١].

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ﴾[٢].

وقد أكد ابن قدامة على أهمية الخشوع في كونه لب الصلاة وحياتها، فقال: (المعاني التي تتم بها حياة الصلاة كثيرة منها حضور القلب، ومعناه أن يفرغ القلب من غير ما هو ملابس له، وسبب ذلك الهمة، فإنه متى أهمك أمر حضر قلبك ضرورة، فلا علاج لإحضاره إلا صرف الهمة إلى الصلاة، وانصراف الهمة يقوي ويضعف بحسب قوة الإيمان بالآخرة واحتقار الدنيا، فمتى رأيت قلبك لا يحضر في الصلاة، فاعلم أن سببه ضعف الإيمان، فاجتهد في تقويته.

المعنى الثاني: التفهم لمعنى الكلام، فإنه أمر وراء حضور القلب، لأنه ربما كان القلب حاضرًا مع اللفظ دون المعنى، فينبغي صرف الذهن إلى إدراك المعنى بدفع الخواطر الشاغلة وقطع موادها، فإن المواد إذا لم تنقطع لم تنصرف الخواطر عنها.

والمواد إما ظاهرة وهي: ما يشغل السمع والبصر، وإما باطنة وهي أشد، كمن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا، فإنه لا ينحصر فكره في فن واحد، ولم يغنه غض البصر، لأن ما وقع في القلب كاف في الاشتغال به، وعلاج ذلك إن كان من المواد الظاهرة. بقطع ما يشغل السمع والبصر، وهو القرب من القبلة، والنظر إلى موضع سجوده، والاحتراز في الصلاة من المواضع المنقوشة، وأن لا يترك عنده ما يشغل حسه، فإن النبي ﷺ لما صلى في "انبجانية"[٣]، لها أعلام نزعها وقال: ((إنها ألهتني آنفًا عن صلاتي))[٤].

---

(١) المرجع السابق ٢/١٦٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١، ٢.

(٣) وهو كساء يُتّخذ من الصوف وله خمل ولا عَلَم له، وهى من أدْون الثياب الغليظة "وانبجانية" بكسر الباء ويروى بفتحها- يقال: كساء أنبجاني منسوب إلى منبج المدينة المعروفة (النهاية في (أ ن ب ج ا ن) وقال محقق منهاج القاصدين، وهي مدينة في شرق حلب، وفتحت في النسب. وقيل إلى موضع اسمه انبجان وراء النهر ص ٣٣.

(٤) أخرجه أحمد ٦/١٩٩، رقم ٢٥٦٣٥، وقال محققو المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين ٤٢/٤٢٦.

وإن كان من المواد الباطنة، فطريق علاجه أن يرد النفس قهرًا إلى ما يقرأ في الصلاة ويشغلها به عن غيره، ويستعد لذلك قبل الدخول في الصلاة، بأن يقضي أشغاله، ويجتهد في تفريغ قلبه، ويجدد على نفسه ذكر الآخرة وخطر القيام بين يدي الله عز وجل وهول المطلع، فإن لم تسكن الأفكار بذلك، فليعلم أنه إنما يتفكر فيما أهمه واشتهاه، فليترك تلك الشهوات وليقطع تلك العلائق.

واعلم أن العلة متى تمكنت لا ينفعها إلا الدواء القوي، والعلة إذا قويت جاذبت المصلي وجاذبها إلى أن تنقضي الصلاة في المجاذبة، ومثل ذلك كمثل رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره، وكانت أصوات العصافير تشوش عليه وفي يده خشبة يطيرها بها، فما يستقر فكره حتى تعود العصافير فيشتغل بها، فقيل له، هذا شيء لا ينقطع، فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة. فكذلك شجرة الشهوة إذا علت وتفرعت أغصانها، انجذبت إليها الأفكار كانجذاب العصافير إلى الأشجار والذباب إلى الأقذار. فذهب العمر النفيس في دفع مالا يندفع، وسبب هذه الشهوة التي توجب هذه الأفكار حب الدنيا. قيل لعامر بن عبد قيس: هل تحدثك نفسك في شيء من أمور الدنيا في الصلاة؟ فقال: لأن تختلف الأسنة فيَّ أحب إليَّ من أن أجد هذا.

واعلم أن قطع حب الدنيا عن القلب أمر صعب، وزواله بالكلية عزيز، فليقع الاجتهاد في الممكن منه، والله الموفق المعين.

الثالث: التعظيم لله والهيبة، وذلك يتولد في شيئين: معرفة جلال الله تعالى وعظمته. ومعرفة حقارة النفس وأنها مستبعدة، فيتولد من المعرفتين: الاستكانة والخشوع.

ومن ذلك الرجاء: فإنه زائد على الخوف، فكم من معظم ملكًا يهابه لخوف سطوته كما يرجو بره.

والمصلي ينبغي أن يكون راجيًا بصلاته الثواب، كما يخاف من تقصيره العقاب. وينبغي للمصلي أن يحضر قلبه عند كل شيء من الصلاة، فإذا سمع نداء المؤذن فليمثل النداء للقيامة ويشمر للإجابة، ولينظر ماذا يجيب، وبأي بدن يحضر. وإذا ستر عورته، فليعلم أن المراد من ذلك تغطية فضائح بدنه عن الخلق، فليذكر عورات باطنه وفضائح

سره التي لا يطلع عليها إلا الخالق وليس لها عنه ساتر، وأنها يكفرها الندم، والحياء، والخوف.

وإذا استقبل القبلة، فقد صرف وجهه عن الجهات إلى جهة بيت الله، فصرف قلبه إلى الله تعالى أولى من ذلك، فكما أنه لا يتوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها، كذلك القلب لا ينصرف إلى الله تعالى إلا بالانصراف عما سواه.

وإذا كبَّرت أيها المصلي، فلا يكذبن قلبك لسانك، إلا إذا كان في قلبك شيء أكبر من الله تعالى فقد كذبت. فاحذر أن يكون الهوى عندك أكبر بدليل إيثارك موافقته على طاعة الله تعالى.

فإذا استعذت، فاعلم أن الاستعاذة هي لجأ إلى الله سبحانه، فإذا لم تلجأ بقلبك كان كلامك لغوًا، وتفهم معنى ما تتلو، واحضر التفهم بقلبك عند قولك: الحمد لله رب العالمين، واستحضر لطفه عند قولك: الرحمن الرحيم، وعظمته عند قولك: مالك يوم الدين، وكذلك في جميع ما تتلو.

وقد روينا عن زرارة بن أبي أوفى أنه قرأ في صلاته: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾[1]، فخر ميتًا، وما ذاك إلا لأنه صور تلك الحال فأثرت عنده التلف.

واستشعر في ركوعك التواضع، وفي سجودك زيادة الذل، لأنك وضعت النفس موضعها، ورددت الفرع إلى أصله بالسجود على التراب الذي خلقت منه، وتفهم معنى الأذكار بالذوق.

واعلم أن أداء الصلاة بهذه الشروط الباطنة سبب لجلاء القلب من الصدأ وحصول الأنوار فيه التي بها تلمح عظمة المعبود، وتطلع على أسراره وما يعلقها إلا العالمون.

فأما من هو قائم بصورة الصلاة دون معانيها، فإنه لا يطلع على شيء من ذلك بل ينكر وجوده)[2].

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٨.

(٢) مختصر منهاج القاصدين، ٣٢- ٣٥.

ومن أجل ذلك رهب النبي ﷺ من عدم الخشوع ورغب في إتيانه، فقال في ترهيبه «إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عُشر صلاته، تُسعها، ثُمنها، سُبعها، سُدسها، خُمسها، رُبعها، ثُلثها، نصفها»[(١)].

قال صاحب عون المعبود (وقوله ﷺ: "إن الرجل لينصرف": أي من صلاته: "وما كتب له إلا عُشر صلاته": أي عشر ثوابها لما أخلَّ في الأركان والشرائط والخشوع والخضوع وغير ذلك)[(٢)].

أما ترغيبه ﷺ في الحفاظ على الخشوع في الصلاة، فهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: «مَا مِن امْرِىءٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ. فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا. إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ. مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ. وَذٰلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»[(٣)].

قال النووي: (معناه: أن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر...، وقال القاضي عياض: هذا المذكور في الحديث من غفران الذنوب ما لم تؤت كبيرة هو مذهب أهل السنة، وأن الكبائر إنما تكفرها التوبة أو رحمة الله تعالى وفضله، وقوله ﷺ: "وذلك الدهر كله" أي: ذلك مستمر في جميع الأزمان)[(٤)].

وقد أكد النبي ﷺ على عظم فضل الخشوع في الصلاة في أنه سبب في دخول الجنة، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: «كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الأبل. فَجَاءَتْ نَوْبَتِي. فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيَ. فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللّٰهِ قائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ. فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ. ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِه وَوَجْهِهِ. أَلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود، ٧٩٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٧١٤).

(٢) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق بن العظيم آبادي، ٣٧٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٥.

(٥) أخرجه مسلم، ٢٣٤.

وقد ضرب لنا السلف الصالح ﷺ أروع الأمثلة في تجسيد الخشوع في الصلاة، وليس أدل على ذلك من أن: (ابن الزبير ﷺ إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع، وكان يسجد فتنزل العصافير على ظهره لا تحسبه إلا جذع حائط، وصلى يومًا في "الحجر"[١]، فجاء: "حجر قدامة"[٢]، فذهب ببعض ثوبه فما انفتل.

وقال ميمون بن مهران ﷺ: ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتًا في صلاة قط، ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدمها، وإنه لفي المسجد يصلي فما التفت، وكان علي بن الحسين ﷺ إذا توضأ اصفر لونه، فقيل له: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فقال: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟)[٣].

وفي ذلك قال الشاعر:

ألاَ في الصلاة الخيرُ والفضل أجمعُ ... لأن بها الآراب لله تخضعُ

وأوّل فرضٍ من شريعة ديننا ... وآخِر ما يبقى إذا الدِّين يُرفع

فمن قام للتكبير لاقته رحمة ... وكان كعبدٍ بابَ مولاه يَقْرَعُ

وصار لربّ العرش حين صلاته ... نَجيًّا فيَا طُوباه لو كان يخشع[٤]

ثالثًا- من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

هذا مما يستفاد من الحديث في إرشاده ﷺ وحرصه على تحصيل النفع لأمته في تكفير الذنوب وذلك بإحسان الوضوء والخشوع في الصلاة، ((فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في كل دقيق وجليل من أمور الدين، وإذا كان هذا مطلب عامة المسلمين لا يسعهم إلا ذلك. كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا

---

(١) اسم الحائط المستدير إلى جانب الكعبة الغربي، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ج ر).

(٢) قال محقق مختصر منهاج القاصدين، وهي المنجنيق.

(٣) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة، ٣١.

(٤) أورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، ١٥/٨، ٩.

أن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1] ، فهو في حق الدعاة ألزم وأوجب،ذلك أن الدعاة إنما يدعون إلى هدى النبي ﷺ ومنهجه، وطريقته وهديه هو سبيل النجاة من كل شر ، والفوز بكل خير وبر))[2].

وقد حث النبي ﷺ على إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم، فقال: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))[3]، فعلى الداعية أن يحرص على إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم لما في ذلك من عظيم الأجر والفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٢) صفات الدعاة، عبدالرب نواب الدين، ٥٨- ٥٩.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: المهارة في افتتاح الظروف المناسبة للتعليم:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ. هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟»، فقد جذب النبي ﷺ انتباه أصحابه رضي الله عنهم عن طريق هذا السؤال، ومن ثم يكونون واعين لما يعلمهم رسول الله ﷺ إياه، وفي هذا توجيه للقائمين على التربية لأهمية تخير الوقت وافتتاح الظروف المناسبة للتحدث عن موضوع ما، بأن يلفت انتباه الطلاب إلى أمور معينة لإثارة اهتمامهم وشوقهم إليها، فيسألون فيجاب على أسئلتهم، وإذا لم تصدر عن الطلبة أسئلة يمكن أن يستغلها المربي ليفتح نافذة يوسع بواسطتها مداركهم ومعارفهم، فللمربي أن يطرح عليهم بعض الأسئلة التي توقظ هممهم وتدعوهم للتفكير وتقليب النظر، كما له أن يطرح عليهم أسئلة لاختبار قدرتهم على الفهم والتحليل في نطاق ما هو مفيد، حتى إذا عجزوا عن الجواب تولى هو إفادتهم. وأسوتنا في هذا سيد البشر ﷺ، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟» قَالَ: اللّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ «أَن يُعْبَدَ اللّهُ وَلاَ يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ»[1]. قَالَ: «أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ؟» فَقَالَ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعَلَمْ. قَالَ «أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ». فالرسول ﷺ قام بإثارة معاذ للتعلم بطرح سؤال فيما يريد أن يلقى إليه، والمتعلم إذا استفهم ولم يكن لهم علم بما يلقى إليه، يصغى إذ ذاك لما يقال ويأخذ بأهبته، فيكون أسرع في التعلم وأحدّ في الذهن"[2].

ثانيًا: تربية الناشئة على الاعتراف بالأخطاء والسعي إلى التوبة منها:

وهذا مستمد من قول ابن مسعود رضي الله عنه «أَنَّ رجُلاً أصابَ مِن امرأةٍ قُبلةً، فأتى النبيَّ ﷺ فأخبرَهُ»، ليجد مخرجًا إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى والتكفير عما بدر منه.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري ٧٣٧٣، ومسلم ٣٠.

(٢) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس ص ٢٠١، ٢٠٢، ومراجعه ومصادره.

وعلى هذا يربي الناشئة ويعودون إذا وقع منهم الخطأ اعترفوا به وتابوا منه وأنابوا إلى ربهم ولم يستمروا عليه. يقول أبو الحسن الندوي: "الإيمان مدرسة خلقية وتربية نفسية تملي على صاحبها الفضائل الخلقية من صرامة إرادة وقوة نفس ومحاسبتها والإنصاف منها وكان أقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق وعلم النفس عن الزلات الخلقية والسقطات البشرية، حتى إذا جمحت السورة البهيمية في حين من الأحيان وسقط الإنسان سقطة، وكان ذلك حيث لا تراقبه عين ولا تتناوله يد القانون، تحوّل هذا الإيمان نفسًا لوّامة عنيفة، ووخزًا لازعًا للضمير، وخيالاً مروعًا لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف بذنبه أمام القانون. ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة، ويتحملها مطمئنًا مرتاحًا، تفاديًا من سخط الله وعقوبة الآخرة" [(١)].

وينبغي للمربي ألا يقنط المخطئ أو من اقترف ذنبًا من رحمة الله تعالى، بل يفتح أمامه أبواب التوبة ويرهبه ويرغبه حتى لا يجترأ على المعاصي أو يقنط من رحمة الله، فيجب على المربي أن يراوح في أساليبه التربوية.

ثالثًا: التربية على عدم الاقتراب من دائرة الكبائر:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ» وقوله ﷺ: «إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا من الذنوب. مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ».

فقد بيّن ﷺ أن هذه العبادات تكفّر الصغائر من الذنوب، أما الكبائر فلا تكفرها وإنما تكفرها التوبة إلى الله [(٢)]، وقد قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [(٣)]، قال الطاهر بن عاشور:

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ١٣٠، ١٣١ نقلاً عن التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص ٦٣، ٦٤.

(٢) انظر: الداء والدواء، لابن القيم ص ٢٢٤، وجامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٤٤٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٣١.

"وقد دلت إضافة "كبائر" إلى "ما تنهون عنه" على أن المنهيات قسمان: كبائر ودونها، وهي التي تسمى الصغائر... ويترتب على إثبات الكبائر والصغائر أحكام تكليفية: منها المخاطبة بتجنب الكبيرة تجنبًا شديدًا، ومنها وجوب التوبة منها عند اقترافها، ومنها سلب العدالة عن مرتكب الكبائر، ومنها نقض حكم القاض المتلبس بها، ومنها جواز هجران المتجاهر بها، ومنها تغيير المنكر على المتلبس بها"(١). وقد خلق الله سبحانه وتعالى النفس البشرية بطبيعة مزدوجة، فهي في تجاذب بين قطبين: قطب إلهي نوراني يوجهها ويجذبها نحو الخير والصلاح والسمو والإيمان، وقطب شيطاني مظلم يوجهها ويجذبها ويسحبها نحو الشرّ والفساد والانحطاط والكفر، والإنسان العاقل العارف بمصلحته هو الذي يدرك هذه الطبيعة ويعمل جاهدًا للاتجاه نحو القطب النوراني، والابتعاد عن القطب المظلم وما قرب إليه"(٢).

رابعًا: تربية الناشئة على تحسين العمل وتجويده:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «مَا مِن امْرِيءٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ. فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا. إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ. مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ. وَذَٰلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ». قال ابن رجب: "إن أحاديث التكفير المطلقة بالأعمال جاءت مفيدة بتحسين العمل، كما ورد ذلك في الوضوء، والصلاة" (٣).

"فالمؤمن لا يكتفي بالاندفاع الذاتي إلى العمل، بل يهمه أن يجوده ويتقنه ويبذل جهده لإحسانه وإحكامه لشعوره العميق واعتقاده الجازم أن الله يرقبه في عمله، ويراه في مصنعه أو في مزرعته أو في أي حال من أحواله... وشعور المؤمن في كل عمل من الأعمال لا في العبادة وحدها أن يؤدي العمل كأنه يرى الله، فإن لم يبلغ هذه المرتبة فأقل ما عليه أن يشعر أن الله يراه، وشعار المؤمن دائمًا في أدائه لعمله: إني أرضي ربي،

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٦/٥، ٢٧.

(٢) العادات العشر للشخصية الناجحة ص ٣٥٠.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٤٤٧/١.

وربه لا يرضيه منه إلا أن يقوم بعمله في صورة كاملة متقنة... وهناك خُلُقَان أصيلان يتوقف عليهما جودة العمل وحسن الإنتاج، وهما: الأمانة والإخلاص، وهما في المؤمن على أكمل صورة وأروع مثال"[1].

إن التربية الإسلامية تعمل على تنمية روح الجدّ والاجتهاد والإتقان للأعمال سواء كانت متعلقة بالعبادات أم بالأعمال الدنيوية التي يمارسها المسلم؛ لأن التربية الجادة تثمر ثمارًا طيبة في حياة الإنسان، وتؤدي إلى زرع الثقة بين الناس، وإن من أبرز أسباب فقدان الثقة بين الناس في عالمنا المعاصر، عدم الإخلاص في الأعمال وعدم إتقانها والغش والخداع إلى غير ذلك من الأنماط السلوكية التي ترفضها التربية الإسلامية.



(١) الإيمان والحياة ص ٢٥٦.

١٨٨- باب فضل صلاة الصبح والعصر

الحديث رقم (١٠٤٨)

١٠٤٨- عن أَبي موسى ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

(البَرْدَانِ): الصُّبْحُ والعَصْرُ[(٢)].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

الحديث قصير بليغ يرغب في صلاة البردين وهما الصبح والعصر وسميا البردين، لأنهما يصليان في بردي النهار أي طرفيه حين يطيب الهواء وتذهب شدة الحر، وهما أول صلوات النهار، وهو الصبح، وآخر صلاة فيه، وهي العصر، ولهما خصيصة، وهي أنهما تحيطان حركة الإنسان الدائبة في وقت السعي بالنهار فتمحوان خطاياه ثم إنهما في وقت نوم يحتاج الإنسان لأدائهما إلى مزيد مجاهدة لنفسه، وشيطانه، وقد جعل الرسول ﷺ جزاء المحافظة عليهما الجنة والتعبير بالماضي يفيد تحقق الدخول، والتعبير بالجنة يوحي بكل محبوب للنفس حتى تخف النفس إلى هاتين الصلاتين، وإن كانت مأمورة بذلك في كل الصلوات إلا أن هاتين الصلاتين خصتا بالذكر، والتأكيد لفضلهما باجتماع ملائكة الليل، وملائكة النهار فيها، وهو معنى قوله تعالى: ﴿إن قرآن الفجر كان مشهودًا﴾[الإسراء: ٧٨]. كما أنهما من أكثر الصلوات التي تضيع على الناس بالنوم في وقتهما فاحتاجت إلى مزيد ترغيب في الحفاظ عليهما.

المضامين الدعوية[(٣)]

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٢١٥/٦٣٥)، وتقدم برقم (١٣٢). أورده المنذري في ترغيبه (٦٤١).

(٢) بنصه في الترغيب (١/٣٦٤).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث (١٣٢).

الحديث رقم (١٠٤٩)

١٠٤٩- وعن أَبي زهير عُمارة بن رُؤَيْبَةَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((لَنْ يَلِجَ النَّارَ أحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا)) يعني: الفَجْرَ والعَصْرَ. رواه مسلم[(١)].

ترجمة الراوي:

عُمارة بن رُؤَيْبَة الثقفي: هو عمارة بن رُؤَيبة الثقفي من بني جُشَم بن ثقيف، كنيته: أبو زهير.

روى عنه ابنه أبوبكر بن عُمارة وأبو إسحاق السبيعي وعبدالملك بن عُمير، وحُصين ابن عبدالرحمن.

وكان يدافع عن السنة، فإذا رأى ما يخالفها، أعلن الناس أن سنة رسول الله ﷺ كذا، فقد رأى بشر بن مروان يخطب الجمعة فلما دعا رفع يديه، فقال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر يوم الجمعة وما يقول [أي يشير] إلا هكذا وأشار بإصبعه السبابة[(٢)].

وليس له في صحيح مسلم إلا حديثان: الحديث السابق وهذا الحديث المذكور في الرياض.

نزل العراق فسكن الكوفة[(٣)].

غريب الألفاظ:

يلج: يدخل[(٤)].

---

(١) برقم (٦٣٤/٢١٣). أورده المنذري في ترغيبه (٦٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (٨٧٤).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٢٠، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٣١/٤) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٩٤٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٢٥/٥)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٠٩/٣).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ل ج).

الشرح الأدبي

هذا الحديث مؤكد لمضمون سابقه، وهو فضل المحافظة علي صلاتي العصر، والصبح مع بعض الاختلاف في الأسلوب من أن الحديث السابق رغب في الصلاتين بالوعد بالجنة، ويشمل ضمنا الوعد بالنجاة من النار، وفي هذا الحديث يرغب فيهما عن طريق الوعد بالنجاة من النار، ويتضمن البشارة بالجنة لأن من نجا من النار دخل الجنة فمعنى الحديثين مؤكد لبعضهما، والتعبير عن هاتين الصلاتين في هذا الحديث بقوله (قبل طلوع الشمس) كناية عن صلاة الفجر، وقوله (وقبل غروبها) كناية عن صلاة العصر، وعبر في الحديث عنهما بقوله (البردين) كناية عن طرفي النهار، والتعبير بالولوج المنفي للنار يدخل على النفس من أحد جانبي التأثير فيها، وهو جانب الترهيب المحجوب بالمحافظة على هاتين الصلاتين، كما دخل عليها بجانب الترغيب في الجنة بأداء الصلاتين، والمحافظة عليهما في الحديث السابق، وحاصل الحديثين أن من صلى هاتين الصلاتين دخل الجنة، ونجا من النار، وهو الفوز الأعظم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على صلاتي الفجر والعصر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الحفاظ على الصلوات خاصة صلاتي الفجر والعصر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على صلاتي الفجر والعصر:

جاء في الحديث بيان فضل صلاتي الفجر والعصر وعظم منزلتهما وأنهما منجاة للإنسان من عذاب الله تعالى، فقال ﷺ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» أي لن يدخل النار أحد صلى الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ. قال السندي: (لا يحسن حملها على نفي التأبيد أي لا يدخل على الدوام، لأن نفي الدوام يكفي فيه الإيمان فلابد من حملها على نفي أصل الدخول، وحينئذ فالأقرب أن يراد بقوله: صلى قبل طلوع الشمس ... إلخ" أي داوم على الصلاة قبل طلوع الشمس فلعل المداوم عليهما

لا يدخل النار أصلاً، إذ لم يعلم أن أحدًا من المداومين يدخل النار كما لا يخفى)[(١)].

وفي ذلك انتفاء دخول النار وجاء في حديث آخر "من صلى البردين دخل الجنة"[(٢)]، وفي ذلك إثبات دخول الجنة، فيكون في المحافظة على صلاتي الفجر والعصر إبعاد عن النار ودخول للجنة، فيكون هذا كقوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[(٣)]،[(٤)]، أي من جُنِّب النار ونجا منها وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز[(٥)]، وإنما خص صلاتي الفجر والعصر لأن صلاة الصبح تكون عند النوم ولذته، ووقت العصر عند الاشتغال بتتمات أعمال النهار وتجارته، ففي صلاة هاتين الصلاتين مع ذلك دليل على خلوص النفس من الكسل ومحبتها للعبادة، ويلزم من ذلك إتيانها ببقية الصلوات الخمس، وأنها إذا حافظت عليهما كانت أشد محافظة على غيرهما[(٦)].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث واضحًا بينا، حيث رغب النبي ﷺ في المحافظة على صلاتي الفجر والعصر بالنجاة من النار فقال ﷺ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» وأسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية نفعًا، في المدعو على الاستجابة للحق والثبات عليه وهناك شواهد كثيرة لاستخدام النبي ﷺ لأسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة، ومنها ما رواه الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم

---

(١) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ٢٦٦/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٤، ومسلم ٢١٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٢٩٠/٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٧٨/٢.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٣٩.

القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف[١]، حيث رغب النبي ﷺ في المحافظة على الصلاة ببيان ثواب ذلك، وحذر من التفريط فيها ببيان عقابه[٢].

إن أسلوب الترغيب من أبرز الأساليب استخدامًا وشيوعًا في عرض الدعوة، والترغيب يكون بما أعده الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين المطيعين لأمره المجتنبين لنهيه والممتثلين لشرعه في الحياة الدنيا من النصر والعزة والتمكين وفي الآخرة بالرضا والقرب منه سبحانه وتعالى، ودخول جنته الأبدية التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

وتتجلى أهمية الترغيب في موافقته وملائمته لطبيعة الإنسان، إذ أن الإنسان لما كان مجبولاً على حب ما ينفعه وتقربه عينه وتطمئن به نفسه وينفر من كل ما يخيفه[٣].

إن أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب ذات الأهمية البالغة في مجال الدعوة إلى الله، وذلك لأن غرس الخوف من غضب الله وعقابه العاجل والآجل في النفوس على اتقائه بتجنب ما يسخط الله عز وجل والقيام بالطاعة التي ينال العبد بها مرضاته، كما أن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة أمر مطلوب كذلك حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه ورحمته وكرمه[٤].

ينقل الحافظ ابن كثير بسنده عن عبدالله بن حكيم قال خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم قال أما أبعد فإني أوصيكم بتقوى الله وتثنوا عليه بما هو أهله وتخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة فإن الله عز وجل أثنى على زكريا

---

(١) أخرجه أحمد ١٦٩/٢، رقم ٦٥٧٦، وقال محققو المسند: إسناده صحيح١١/١٤٢.

(٢) ركائز الدعوة الإسلامية، د. فضل إلهي ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٣) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم محمد المغذوي ص ١٩٣.

(٤) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، د. عبدالوهاب الديملي، ٥٤٣/١.

وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[1] [2].

ثالثًا- من واجبات المدعو: الحفاظ على الصلوات خاصة صلاتي الفجر والعصر:

من الأمور الواجبة على المسلم المحافظة على الصلوات جميعها خاصة صلاتي الفجر والعصر، قال تعالى: ﴿حَٰفِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[3]، وقال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[4]، وكما جاء في الحديث: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يعني الفجر والعصر، فإن المدعو مطالب بأن يكف عن المعصية ويخرج من ذلها وإثمها ليستمتع بعز الطاعة وعظيم أجرها عند الله، ومطالب بأن يستمر على طاعته وأن يستزيد منها ومن فعل الخير[5]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱرْكَعُوا وَٱسْجُدُوا وَٱعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[6].

إن للصلاة منزلة كبرى في الإسلام لا تعد لها أية عبادة أخرى فالصلاة عماد الدين الذي لا يقوم إلا له.

جاء في القرآن: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[7].

وهي أول عبادة فرضت على المسلمين، وقد فرضت في مكة قبل الهجرة بنحو سنة

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٩٣/٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٥) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٥، ١٦.

(٦) سورة الحج، الآية: ٧٧.

(٧) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

ونصف سنة وفرضت وحدها في السماء ليلة الإسراء والمعراج بمخاطبة الرسول ﷺ بفرضية الصلاة.

ولقد جاء الحث على أداء الصلاة على ألسنة جميع الرسل والأنبياء لمالها من الأثر العظيم في تهذيب النفوس والقربى إلى الله، والصلاة لم تخل منها شريعة من الشرائع لأنها من مستلزمات الإيمان.

قال تعالى على لسان إبراهيم داعيًا ربه: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾[1]، وينوه الله بشأن إسماعيل عليه السلام فيقول: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾[2].

وقال الله مخاطبًا لموسى عليه السلام ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[3]. وتنادي الملائكة مريم فيما يقصه علينا القرآن: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[4]. وعيسى عليه السلام يحدث بنعمة الله فيقول كما جاء في القرآن: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[5]، ويأخذ الله الميثاق على بني إسرائيل فتكون إقامة الصلاة من أهم مواده وعناصره ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[6]، وقال الله مخاطبًا

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٠.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٥.

(٣) سورة طه، الآية: ١٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٣.

(٥) سورة مريم، الآية: ٣١.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

رسول الله ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[١]، وفي هذه الآية يحث الله الرسول ﷺ وسائر المؤمنين أن يأمروا أهليهم بالصلاة ويداوموا عليها، كما أن في الآية إشعارًا بأن الصلاة سبب لإدرار الرزق[٢].

---

(١) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٢) انظر: روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٤ - ٢٧.

الحديث رقم (١٠٥٠)

١٠٥٠- وعن جُنْدُبِ بن سفيان رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، فَانْظُرْ يَا ابْنَ آدَمَ، لاَ يَطْلُبَنَّكَ اللهُ[1] مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيءٍ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

جُنْدُب بن عبدالله بن سفيان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٣٢).

الشرح الأدبي

البداية بالموصول، وصلته التي تدل على العموم من وسائل إعطاء المعنى صلاحية عبر الزمان، والمكان ليوافق التوجيه كل من كانت هذه حاله، وقوله (من صلى الصبح..) الفعل الماضي يؤكد التحقق، وذكر الصبح من بين الأوقات الخمسة ؛لأنه بداية النهار، وذكر الضمير للاختصاص، وذمة الله عهده، وأمانه، والتعبير ب (في) التي تفيد الظرفية للإشارة إلى تمكن، وإحاطة هذا العهد به من كل مكان كتمكن الظرف في المظروف، وقوله (فَانْظُرْ يَا ابْنَ آدَمَ) أمر بمعنى اعتبر واتعظ، وتفكر (لا يَطْلُبَنَّك اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيءٍ) نهي مؤكد بنون التوكيد بمعنى التحذير، وهو نهي عام أخذ عمومه من النداء العام الشامل للجنس البشري بعده (يا ابن آدم)، ، وقد جاء لغرض التحذير، والتهديد، وكون لفظ الجلالة (الله) مسنداً إليه يزيد من الترهيب، والباء في قوله: (بشيء) للسببية أي بسبب شيء، وتنكير شيء للتقليل، أي مهما كان قليلاً، والحديث يتضمن تحذيرا من التعرض لمن صلى هذا الوقت، وحافظ عليه كما يتضمن الترغيب في المحافظة عليه؛ لأنه صار بهذا المعنى حافظا للإنسان فحفاظه عليه حفاظ على نفسه.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) لفظ مسلم: (لا يطلبنكم الله)، والمثبت لفظ أحمد في المسند (١٨٨١٤).

(٢) برقم (٢٦١/٦٥٧). أورده المنذري في ترغيبه (٦٤٤)، وقد تقدم برقم (٢٣٢).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث (٢٣٢).

الحديث رقم (١٠٥١)

١٠٥١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيجْتَمِعُونَ في صَلاَةِ (الصُّبْحِ)[1] وَصَلاَةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ -وَهُوَ أعْلَمُ بِهِمْ- كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادي؟ فَيقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يتعاقبون: أي: تأتي طائفة عقب طائفة، ثم تعود الأولى عقب الثانية[3].

يعرج: يصعدون إلى السماء[4].

الشرح الأدبي

قوله ﷺ (يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ) يصور الفعل المضارع حركة الملائكة الدائمة الدائبة التي تنبه الإنسان إلى أنه لا يخلو لحظة واحدة من رقابة الله تعالى، ومن مظاهر المراقبة تلك المخلوقات النورانية التي يخجل المؤمن من رؤيتهم له على المعصية، وقبل ذلك من رؤية الله له، فيحرص على أن يكون من الطائعين، والطباق بين الليل، والنهار يشير إلى استغراق التعاقب للزمن حتى لا تأتي عليه فترة مهما قلت دون رقابة، وحفظ، والفعل (وَيجْتَمِعُونَ) بصياغته في المضارع، ودلالته يصور الاحتشاد حتى تسلم طائفة عملها بحفظ الإنسان لطائفة تشعر الإنسان

(١) لفظ البخاري ومسلم: (الفجر) والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢/٢١٠). أورده المنذري في ترغيبه (٥٣١).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٤٢/٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر ج).

بأنه ذو قيمة عند الله تعالى والفعل (يعرج) يصور حركة الملائكة صعودا في السماء وقوله (- وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ) احتراس ينزه الله تعالى عن الجهل بحال خلقه، وقوله (كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟) وهذه الاستفهامة الجليلة من الله تحمل مع الإخبار، والإشادة بفضل بني آدم، وتنبيه الملائكة لخطأ ظنهم وتذكيرهم بسابق قولهم تحمل مع ذلك: حبا عظيما أشاعته مباهاة الله ببني آدم الملائكة، ولخصته هذه الاستفهامة - دون أن تحده - تكريما أي تكريم لهذا الجمع الطاهر، وإجابتهم (تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ) ختام بصلاح، وبداية بصلاح تضمن مغفرة ما بينهما، وهو ما يقرر فضل الصلاة، والحديث ينوه بفضل المصلين، ويشيد بهم.

فقه الحديث

المراد بالملائكة المتعاقبة: هل الملائكة هم الحفظة أم غيرهم حكي عن الجمهور أنهم الحفظة، والأظهر أنهم غير الحفظة. وأفضلية صلاة الصبح والعصر باجتماع الملائكة فيهما[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان لطف الله بعباده المؤمنين بتعاقب الملائكة فيهم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من فقه الداعية: تحفيز المدعوين وحثهم على المواظبة على الصلاة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان لطف الله بعباده المؤمنين بتعاقب الملائكة فيهم:

جاء في الحديث تبيين وجهٍ من أوجه لطف الله تعالى بعباده المؤمنين وذلك بتعاقب الملائكة فيهم في صلاتي الصبح والعصر، فقال ﷺ: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم -وهو أعلم بهم- كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون". قال القاضي عياض: (قوله: "يجتمعون في صلاة الفجر والعصر"

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن ٢/٢٠٥.

لطف من الله تعالى بعبادة المؤمنين وتكرمة لهم أن جعل اجتماعهم عندهم وورودهم عليهم ومفارقهم لهم في أوقات عباداتهم ليكون شهادتهم لهم بأحسن الشهادة وثناؤهم عليهم أطيب ثناء، وتبين في هذا الحديث أن الاجتماع في وقتين واختصاصهم بالشهادة لهم بالصلاة التي وجدوهم عليها من دون سائر أعمال الإيمان دليل على فضل الصلاة على سائر الأعمال والقُرَب)[١].

قال ابن حجر: قيل الحكمة فيه استدعاء شهادتهم لبني آدم بالخير، واستنطاقهم بما يقتضي التعطف عليهم، وذلك لإظهار الحكمة في خلق نوع الإنسان في مقابلة من قال من الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، أى قد وجد فيهم من يسبح ويقدس مثلكم بنص شهادتكم[٣]، وقال ابن علان: اجتماعهم فيهما من لطف الله تعالى بالمؤمنين وتكرمته لهم، إذ جعل اجتماع الملائكة عليهم ومفارقتهم لهم في أوقات عبادتهم واجتماعهم على طاعتهم ربهم، فتكون شهادتهم لهم بما شاهدوه من الخير[٤].

وقد ذكر العلماء بعض الفوائد والعطايا الإلهية من وراء اجتماع الملائكة في صلاتي الصبح والعصر، منها ما ذكره الإمام ابن حجر في قوله (ويستفاد منه أن الصلاة أعلى العبادات لأنه عنها وقع السؤال والجواب، وفيه الإشارة إلى عظم هاتين الصلاتين لكونهما تجتمع فيهما الطائفتان من الملائكة، وفي غيرهما طائفة واحدة، والإشارة إلى شرف الوقتين المذكورين، وقد ورد أن الرزق يقسم بعد صلاة الصبح، وأن الأعمال ترفع آخر النهار، فمن كان حينئذ في طاعة بورك في رزقه وفي عمله.

ويترتب على ذلك حكمة الأمر بالمحافظة على صلاتي الصبح والعصر والاهتمام

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/٥٩٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢/٤٤، ٤٥.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٤٠.

بهما، وفيه تشريف هذه الأمة على غيرها، ويستلزم تشريف نبيها على غيره، وفيه الإخبار بالغيوب، ويترتب عليه زيادة الإيمان، وفيه الإخبار بما نحن فيه من ضبط أحوالنا حتى نتيقظ ونتحفظ في الأوامر والنواهي ونفرح في هذه الأوقات بقدوم رسل ربنا وسؤال ربنا عنا، وفيه إعلامنا بحب ملائكة الله لنا لنزداد فيهم حبا ونتقرب إلى الله بذلك، وفيه كلام الله تعالى مع ملائكته، وغير ذلك من الفوائد والله أعلم[1].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث واضحًا جليًا، حيث رغب النبي ﷺ في المحافظة على صلاتي الفجر والعصر، لاجتماع الملائكة فيهما وشهادتهم بالخير للمصلين فقال ﷺ: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر..."، وفي ذلك ترغيب في المحافظة على أداء الصلوات ولاسيما صلاتي الفجر والعصر، وبيان مدى فضل الله عز وجل على عباده المؤمنين باجتماع الملائكة في صلاة الفجر والعصر، "وهذا من خفي لطفه تبارك وتعالى وجميل ستره إذ أطلعهم بكرمه عليهم حال عباداتهم، ولم يطلعوا عليهم ولا جمعهم لهم في حال خلواتهم بلذاتهم، وانهماكهم في معاصيهم وشهواتهم، فسبحانه من حليم كريم جليل، إذ ستر القبيح وأظهر الجميل"[2].

وأسلوب الترغيب من الأساليب المفيدة لما فيهما من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والملاحظ أن القرآن والسنة مملوآن بما يرغب الناس في قبول الدعوة،وذلك مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله وعدم إهماله من قِبَل الداعي المسلم[3].

ثالثًا- من فقه الداعية: تحفيز المدعوين وحثهم على المواظبة على الصلاة:

من فقه الداعية تحفيز المدعوين على فعل الخيرات والتي من أهمها المواظبة على

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢/٤٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، ٢/٢٦١.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الصلاة فبها تزكو النفوس وتطهر القلوب، وذلك أساس النجاح وسبب الفوز والفلاح[١]. والصلاة هي التي تمد الجماعة الإنسانية بالقوى الروحية التي لابد منها لصلاح المجتمع[٢]، وإن تحفيز المدعوين وحثهم على الخير والمواظبة على الصلاة له تأثير كبير وفعَّال، وذلك يلاحظ فيمن تربوا على يدي الرسول ﷺ ثم على يدي صحابته والتابعين ومن تلاهم.

لذا ينبغي على الداعية تحفيز المدعوين وحثهم على المواظبة على الصلوات وبيان فضلها وفوائدها، وقد جاءت آيات القرآن وتواترت أحاديث السنة في بيان فضل الصلاة وكثرة ثوابها.

فمن فضائلها أنها أعظم عبادة يحصل فيها الخضوع والذل لله وامتلاء القلب من الإيمان به وتعظيمه، وذلك مادة سعادة القلب الأبدية ونعيمه ولا يمكن تغذيته بمثل الصلاة أعظم غذاء وسقي لشجرة الإيمان، فالصلاة تثبت الإيمان وتنميه، وتنمي ما يثمره الإيمان من فعل الخير والرغبة فيه، وكذلك تنهى عن الشر، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٣]، فأخبر أن فيها الغذاء بذكر الله والشفاء بنهيها عن الفحشاء والمنكر، وأي شيء أعظم من هذا وأجل وأكمل؟

ومن فضائلها أنها أكبر عون للعبد على مصالح دينه ودنياه، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[٤]، أي على كل الأمور، أما عونها على المصالح الدينية فإن العبد إذا داوم على الصلاة وحافظ عليها قويت رغبته في فعل الخيرات وسهلت عليه الطاعات وبذل الإحسان بطمأنينة نفس واحتساب ورجاء للثواب، وتذهب أو تضعف

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٦٨.

(٢) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٤٢.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

داعيته للمعاصي، وهذا أمر محسوس مشاهد، فإنك لا تجد محافظًا على الصلاة فروضها ونوافلها، إلا وجدت تأثير ذلك في بقية أعماله، ولهذا كانت الصلاة عنوانًا على الفلاح؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1]، والمراد عمارتها بالصلاة والقربات.

وأما عونها على المصالح الدنيوية فإنها تهون المشاق وتسلي علن المصائب ويجازي الله صاحبها بتيسير أموره، ويبارك له في ماله وأعماله وجميع ما يتصل به ويباشره.

ومن فضائلها أن من أكملها وأتقنها فقد فاز وسعد، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عملِهِ صَلاتُه، فإن صَلُحَتْ فقد أفلحَ وأنجحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خابَ وخسرَ، فإن انتقصَ من فريضةٍ شيئًا قال الرب تبارك وتعالى: انظروا هل لِعَبْدِيَ مِنْ تطوعٍ؟ فيُكَمِّلُ بها ما انتقصَ من الفريضةِ، ثم يكونُ سائرُ عملِهِ على ذلك»[2].

وللصلاة خمس فوائد كل واحدة خير من الدنيا وما عليها، تكميل الإسلام التي هي أكبر أركانه، وتكفير السيئات وزيادة الحسنات ورفعة الدرجات، وزيادة القرب من رب السماوات، وزيادة الإيمان في القلب ونوره، وقد شرع الشارع الاجتماع لأحكامها، فإن العالم ينبه الجاهل، والجاهل يتعلم بالقول والفعل من العالم ويقتدي الناس بعضهم ببعض، وكذلك ما في الاجتماع من التواد والتواصل بين المسلمين وعدم التقاطع وما في ذلك من معرفة حال المصلين والمحافظين على الصلاة والمتهاونين، ومضاعفة الأجر بالاجتماع، وكثرة الخطا إلى المساجد وما يتبع ذلك من قراءة وذكر وعبادات تفعل في المساجد بأسباب الصلوات.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٨.

(٢) أخرجه أبو داود، ٨٦٤، والترمذي، ٤١٣، وابن ماجه، ١٤٢٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٧٧٠، ٧٧١).

الحديث رقم (١٠٥٢)

١٠٥٢- وعن جرير بن عبد الله البَجَليِّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النبيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقَالَ: ((إِنَّكُمْ سَتَرَونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية[2]: ((فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ)).

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧١).

غريب الألفاظ:

لا تضامون: لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض، والضيم الظلم[3].

الشرح الأدبي

تشبيه الرسول ﷺ وضوح رؤية الله يوم القيامة بوضوح رؤية القمر لا يمنع منهما مانع تشخيص لهذه الرؤية يقررها، ويؤكدها في الأذهان، وينفي عنها كل شك. وهذا التشخيص يرتبط بالدلالة الإيحائية للألفاظ، والعبارات، والتي تتصدرها أساليب التوكيد التي تمهد النفس لسماع الخبر العظيم، والفعل المضارع المتصل بالسين الدالة على المستقبل القريب (إِنَّكُمْ سَتَرَونَ رَبَّكُمْ) وذكر لفظ الرب الذي يوحي بالرعاية، والتربية، والحفظ، وإضافته لكاف الخطاب، وميم الجمع الذي يشعر المخاطبين بالقرب، والمحبة، ويجمعهم تحت مظلة الربوبية لا يتخلف منهم أحد، وأسلوب الشرط في نهاية الحديث الذي يفتح له الباب للتمسك بما يوجب له هذه الرؤية العظيمة عن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣/٢١١) ولفظهما سواء. وسيكرره المؤلف برقم (١٨٩٧).

(٢) أخرجها البخاري (٤٨٥١).

(٣) النهاية في (ض ي م).

طريق المحافظة على صلاتين غلب كثير من الناس النوم، والانشغال بأمور الحياة عنهما وقد كنى عنهما بذكر وقتهما (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) والذي جاء في صورة طباق يشير إلى أنهما يمثلان مفتتح النهار، وختامه بالعمل الصالح.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

رابعًا: من آداب الداعية: حث المدعوين على الفوز في الآخرة والمحافظة على الصلوات.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ:

كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص ما يكونون على القرب من رسول الله ﷺ ومجالسته ﷺ، وفي الحديث ما يدل على ذلك، فقال جرير بن عبدالله البجلي: "كنا عند النبي ﷺ فكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على حضور مجالس رسول الله ﷺ حرصًا شديدًا إلى جانب قيامهم بأعمالهم المعاشية من الرعاية والتجارة وغيرها، وقد يعسر على بعضهم الحضور فيتناوبون مجالسه عليه الصلاة والسلام [1]، كما كان يفعل ذلك عمر رضي الله عنه، قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ يومًا بعد يوم..."[2].

ولقد ضرب لنا الصحابة رضي الله عنهم المثل الأعلى في مصاحبة النبي ﷺ ومجالسته والقرب منه، وكان أشد ما يفزعهم غياب رسول الله ﷺ عنهم، جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كُنَّا قُعُودا حَوْلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ. مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فِي نَفَرٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا. فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا. وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا[3]. وَفَزِعْنَا

(١) السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ص ٥٩، ٦٠.

(٢) أخرجه البخاري ٨٩.

(٣) أي يصاب بمكروه من عدو، إما بأسر، وإما بغيره، شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٢.

فَقُمْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللّهِ ﷺ. حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّار. فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابا. فَلَمْ أَجِدْ.فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ "وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ" فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللّهِ. قَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا. فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا. فَفَزِعْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ. فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. وَهَؤُلاءِ النَّاسُ وَرَائِي فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ "وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ" قَالَ اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاء هذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ. مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ...»[1].

وكانت هذه الصحبة لها أكبر الأثر في حياة الصحابة رضي الله عنهم وتبوئهم المنازل العليا والدرجات الرفيعة، ومن الأمثلة البارزة في ذلك أبو هريرة رضي الله عنه، أنعم الله عليه بأن صحب النبي ﷺ في سنوات ثرية بالتشريعات والأحكام فأقبل برغبة عظيمة على العلم، وتفرغ للصحبة النبوية فصار من النبلاء وصار من أبرز من رووا الأحاديث عن النبي ﷺ[2].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: "إنكم سترون ربكم" وأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من دلالة على "تيقن الداعي من دعوته وتمكنه منها مما يجعلها تقع في قلب المدعو موقع القبول والتسليم، وقد استخدم القرآن أسلوب التوكيد في الكثير من آياته وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[3].

إن التوكيد له أكبر الأثر في تأكيد ما يلقى على المخاطب ووصوله إلى درجة اليقين وزوال ما قد يرد على خاطره من شك أو يأتي في ذهنه من تردد.

---

(١) اخرجه مسلم ٣١.

(٢) انظر: علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٢٨٩.

(٣) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣ - ١٤.

وللمخاطب ثلاث حالات:

أ- أن يكون خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحال يلقي إليه الخبر خاليًا من أدوات التوكيد ويسمى هذا الضرب من الخبر ابتدائيًا.

ب- أن يكون مترددًا في الحكم طالبًا أن يصل إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه ويسمى هذا الضرب طلبيًا.

ج- أن يكون منكرًا له وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفًا ويسمى هذا الضرب إنكاريًا"[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة:

جاء التصريح في الحديث برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وذلك في قوله: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته" وهذا الحديث فيه إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وتمتعهم بالنظر إلى وجهه الكريم، وهذا الحديث من النصوص التي تدل على أمرين: أولهما: علوه تعالى على خلقه لأنها صريحة في أنهم يرونه من فوقهم. ثانيهما: أن أعظم أنواع النعيم هو النظر إلى وجه الله الكريم.

وقوله: "كما ترون القمر ليلة البدر" المراد تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئى بالمرئى، يعني أن رؤيتهم لربهم تكون من الظهور والوضوح كرؤية القمر في أكمل حالاته، وهو كونه بدرًا ولا يحجبه سحاب، قال ابن تيمية عن أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله ﷺ عن ربه بما يخبر به، فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم"[٢].

وقد جاءت آيات قرآنية وأحاديث نبوية تثبت رؤية المؤمنين لله عز وجل يوم القيامة،

(١) البلاغة الواضحة، علي الجارم، مصطفى امين ص ١٨٨.

(٢) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تاليف: محمد خليل هراس ص ٢١٥، ٢١٦.

منها قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[(١)]، وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[(٢)].

وقد صح عن النبي ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل، فعن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، قَالَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ. فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ» وفي رواية: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[(٣)].

ويشهد لذلك أيضًا قوله تعالى في حق الكفار ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[(٤)]، فدل حجب هؤلاء على أن أوليائه يرونه، قال الإمام ابن أبي العز الدمشقي: وأما استدلال المعتزلة بقوله: ﴿قَالَ لَن تَرَانِي﴾[(٥)]، وبقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[(٦)]، فالآيتان دليل عليهم.

أما الآية الأولى، فالاستدلال منها على ثبوت رؤية من وجوه:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح عليه السلام ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله، وقال: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[(٧)].

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٣) أخرجه مسلم ١٨١.

(٤) سورة المطففين، الآية: ١٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٧) سورة هود، الآية: ٤٦.

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾، ولم يقل: إني لا أُرَى، ولا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئى، والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كمه حجر، فظنه رجل طعامًا، فقال أطعمنيه، فالجواب الصحيح: إنه لا يؤكل، أما إذا كان طعامًا، صح أن يقال: إنك لن تأكله. وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى عليه السلام لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار، لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى. يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾[1]. فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟

الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرًا، وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالاً، لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل، فسوف آكل وأشرب وأنام، والكل عندهم سواء.

ومع السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾[2]. فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته! ولكن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما. وأما دعواهم تأييد النفي بـ "لن" وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة، ففاسد، فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام نفي الرؤية في الآخرة. فكيف إذا أطلقت! قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[3]، مع قوله: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٩٥.

﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[1] ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق، لما جاز تحديد الفعل بعدها وقد جاء ذلك، قال تعالى ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾[2]، فثبت أن "لن" لا تقتضي النفي المؤبد.

وأما الآية الثانية: فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف، وهو أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض، فليس بكمال، فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمرًا وجوديًا، كمدحه بنفي السِّنة والنوم، المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء، المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير، المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده إلا بإذنه المتضمن كمال توحده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان، وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته.

ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فإذن: المعنى: أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[3]، يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن "الإدراك" هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ﴾[4]، فلم ينف موسى عليه السلام الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٧٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ٦١، ٦٢.

وبدونه، فالرب تعالى يُرَى ولا يُدْرك، كما يُعلم ولا يُحاط به علمًا، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية:. بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.

وليس تشبه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهًا لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه، وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة! ومن قال: يرى لا في جهة، فليراجع عقله!! فإما أن يكون مكابرًا لعقله، أو في عقله شيء، وإلا فإذا قال: يرى لا أمام الرائي، ولا خلفه، ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة.

ولهذا ألزم المعتزلة من نفي العلو بالذات بنفي الرؤية، وقالوا: كيف تعقل رؤية بغير جهة.

وإنما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع الرؤية، فهذه الشمس إذا حدق الرائي البصر في شعاعها، ضعف رؤيتها، لا لامتناع في ذات المرئي، بل لعجز الرائي، فإذا كان في الدار الآخرة، أكمل الله قوى الآدميين حتى أطاقوا رؤيته، ولهذا لما تجلى الله للجبل ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، بأنه لا يراك حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده، ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية الملك في صورته، إلا من أيده الله كما أيد نبينا، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾[2]، قال غير واحد من السلف: لا يطيقون أن يروا الملك في صورته، فلو أنزلنا إليه ملكًا، لجعلناه في صورة بشر، وحينئذ يشتبه عليهم: هل هو بشر أو ملك؟ ومن تمام نعمة الله علينا أن بعث فينا رسولاً منا[3].

رابعًا- من آداب الداعية: حث المدعوين على الفوز في الآخرة والمحافظة على الصلوات:

إن ما جاء في الحديث من حث على التعلق بأسباب الفوز يوم القيامة والتمتع بالنظر

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ٢١٣/١ - ٢٢٠.

إلى وجه الله الكريم وتحفيز على المحافظة على الصلوات خاصة صلاتي الصبح والعصر، أنموذج تطبيقي ومثل حى لما ينبغي أن يكون عليه الداعية متمثلاً بقول الله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾(١)، فإن مما ينبغي على الداعية الاضطلاع به حث الناس على فعل الخير والتواصي فيما بينهم بالحق، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢)، وغرس الالتزام بالإسلام من سلوك الناس، فإذا كان من المقرر أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، فإن الالتزام بالإسلام عقيدة وعبادة وفكرًا وسلوكًا وأدبًا وأخلاقًا هو من أهم ما يقوي الإيمان ويزيده(٣).

إن المحافظة على الصلوات والإتيان بها في أوقاتها وحضور القلب واستشعار عظمة الله فيها أصل للفوز بكل خير في الدنيا والآخرة، وفيما يلي ذكر لبعض الفوائد والخيرات التي يجنيها المجتمع والأفراد من الصلاة في الأولى والآخرة: -

أ- إذا أحضر المصلي قلبه في صلاته، فإنه يخرج من صلاته وقد غفرت خطاياه.

ب- الصلاة راحة للنفس، فإذا أداها حق أدائها، وجد نشاطًا وراحة وروحًا.

ت- الدنيا سجن المؤمن يشعر فيها بالضيق، إذا دخل في الصلاة وجدها قرة عينيه ونعيم روحه وجنة قلبه ومستراحه في الدنيا.

ث- كما أنها للجسم رياضة بدنية تقويه وتفيده، فإنها رياضة للروح تقويها وتنعشها.

ج- الصلاة صلة بين العبد وربه، وتذكر العبد بدوام مراقبته لله عز وجل فيحسن باطنه كما يحسن ظاهره.

ح- من أسباب إشاعة النظافة بين المؤمنين.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية : ٢١.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٧.

(٣) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ٣٦.

خ- توحيد اتجاه جميع المصلين إلى بيت الله الحرام إشعار بوجوب توحيد القلوب على أمر الله وطاعته وأن يكون المسلمون كالجسد الواحد متعاونين متآزرين.

د- الصلاة الجامعة: كالجمعة والجماعات وغيرهما تجمع المصلين ليقفوا على أحوال بعضهم بعضًا وليتعلموا ويتعاونوا ويتآخوا في دين الله، ومن أجل هذا شرع بناء المساجد في الإسلام، وعد بناؤها من أكبر القربات عند الله تعالى.

ذ- تقوي خلق المراقبة والخشية لله عز وجل.

ر- الصلاة قوة خلقية هائلة وفيها إحياء للضمائر المؤمنة تأمرها بالخير وتنهاها عن الشر[١].

ز- تكرار الصلاة في اليوم والليلة خمس مرات يكون تطهيرًا روحيًا للمسلم يتطهر بها من غفلات قلبه وزلات لسانه ومفترقات جوارحه[٢].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث واضحًا جليًا، حيث رغب النبي ﷺ في المحافظة على صلاتي الفجر والعصر، بالفوز بالنظر إلى وجهه الكريم، فقال ﷺ: "إنكم سترون ربكم ... فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا" ، وأسلوب الترغيب من أجلّ الأساليب الدعوية شأنًا وأعظمها أثرًا لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة للحق والثبات عليه[٣]، كما يجعل الترغيب المستقبل أمام المدعو مضيئًا ، فهو يأمل في دخول جنة الله تعالى والسعادة برؤيته والحصول على رضاه، وكذا صحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ويطمع في الخلود في هذا النعيم الأبدي[٤].

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢٥٨٤/٦.

(٢) العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٣٩٩هـ ص ٢٢١.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٤) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٥٦٧.

إن الترغيب له أهمية كبيرة في جنس الطاعات وعلى رأسها تحقيق كلمة التوحيد والقيام بمقتضياتها وشروطها والبعد عما ينقضها ويخدشها، ويتناول الترغيب كذلك بقية أركان الإسلام الخمسة: كالصلاة والزكاة والصوم والحج، وأركان الإيمان والإحسان. ومن ثم في بقية أنواع الطاعات الأخرى وأشكالها كبر الوالدين وصلة الرحم والصدقة والإنفاق والإحسان إلى اليتيم والجار وذي الحاجة وغير ذلك[١].

(إن أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب ذات الأهمية البالغة في مجال الدعوة إلى الله، وذلك لأن غرس الخوف من غضب الله وعقابه العاجل والآجل في النفوس مطلوب لكي يحمل النفوس على اتقائه بتجنب ما يسخط الله عز وجل، والقيام بالطاعة التي ينال العبد بها مرضاته، كما أن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة، أمر مطلوب كذلك حتى يبادر العبد إلى القيام بكل من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه ورحمته وكرمه)[٢].

ذكر ابن كثير عن عبدالله بن حكيم قال: (خطبنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه ثم قال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله وتثنوا عليه بما هو أهله وتخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[٣])[٤].

---

(١) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٩٤.

(٢) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، د. عبدالوهاب الديلمي، ١/٥٤٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/١٩٣.

الحديث رقم (١٠٥٣)

١٠٥٣- وعن بُرَيْدَة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨١).

غريب الألفاظ:

حبط: بطل[2].

الشرح الأدبي

الحديث قصير بليغ جاء في تركيب يبرق، ويرعد بالتهديد، والوعيد حيث حكم على من ترك صلاة العصر بحبوط عمله، وقد بدأ باسم الموصول المتضمن لمعنى الشرط الذي يقرر عدم تخلف النتيجة، وعبر بالفعل المضارع ترك الذي يدل بصيغته على التحقق، وبدلالته على الإهمال، وقد أكد الجواب بقد في قوله (فقد حبط عمله) ودخول الفاء فيه لأجل تضمن المبتدأ معنى الشرط و حبط بكسر الباء أي بطل، وهو من قولهم حبطت الدابة حبطا بالتحريك إذا أصابت مرعى طيبا فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت، وهو ما يوحي بأن هذا التارك أسرف في أمور دنياه بما تسبب في شدة ضرره في أخراه وصياغة الفعل (حبط) في الماضي يفيد التحقيق، وذكر العمل، وإضافته إلى الضمير العائد على التارك تخصيص يشعره بعظمة الخسران الذي يدل على عظم الذنب، ويرهب منه.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (قد استدل بهذا الحديث من يقول بتكفير أهل المعاصي من الخوارج

---

(١) برقم (٥٥٣). أورده المنذري في ترغيبه (٦٧١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ب ط)، وانظر فتح الباري، ابن حجر ٢/٤٠، فقد ذكر ابن حجر تفسيرات مختلفة لبيان المراد من حبط العمل.

وغيرهم، وقالوا: هو نظير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾[1] وقال ابن عبدالبر: مفهوم الآية أن من لم يكفر بالإيمان لم يحبط عمله فيتعارض مفهومها ومنطوق الحديث، فيتعين تأويل الحديث. لأن الجمع إذا أمكن كان أولى من الترجيح. وتمسك بظاهر الحديث أيضًا الحنابلة ومن قال بقولهم من أن تارك الصلاة يكفر، وجوابهم ما تقدم. وأيضًا فلو كان على ما ذهبوا إليه لما اختصت العصر بذلك، وأما الجمهور فتأولوا الحديث فافترقوا في تأويله فرقًا ... وأقرب هذه التأويلات قول من قال: إن ذلك خرج مخرج الزجر الشديد وظاهره غير مراد، والله أعلم)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ من ترك صلاة العصر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على صلاة العصر.

رابعًا: من آداب الداعية: الخوف على المدعوين وترهيبهم مما يحبط أعمالهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ من ترك صلاة العصر:

إن من فضل الصلاة أنه ببركتها والمداومة والحرص عليها تُكفر الذنوب، ولذا حذر النبي ﷺ من تركها وخاصة صلاة الصبح والعصر، فإن تركها يجر إلى الإهمال ويسوق إلى سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى وخاصة صلاة العصر[3] وقد جاء في صريح الحديث تحذير النبي ﷺ من ترك صلاة العصر، فقال ﷺ من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله" وإحباط العمل في الحديث من العلماء مَنْ حمله على ظاهره وأما جمهور العلماء فتأولوه، فقيل إن إحباط العمل يحمل على ظاهره على من ترك الصلاة جاحدًا لوجوبها أو معترفًا لكن مستخفًا مستهزئًا بمن أقامها، وقيل المراد من تركها

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣٢/٢ - ٣٣ .

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٥٨.

متكاسلاً لكن خرج الوعيد مخرج الزجر الشديد، وقيل المراد بالحبط نقصان العمل في ذلك الوقت الذي ترفع فيه الأعمال إلى الله، فكأن المراد بالعمل الصلاة خاصة أي لا يحصل على أجر من صلى العصر ولا يرتفع له عملها حينئذ، وقيل المراد بالحبط الإبطال أي يبطل انتفاعه بعمله في وقت ما ثم ينتفع به، قال ابن حجر: (وأقرب هذه التأويلات قول من قال: إن ذلك خرج مخرج الزجر الشديد وظاهره غير مراد، قال ابن القيم وتخصيص العصر بالذكر لشرفها من بين الصلوات)[1].

إن إضاعة الصلاة -خاصة صلاة العصر- سبب للارتماء في أحضان الشهوات، فقد قال سبحانه في قوم أضاعوا الصلاة بعد أن كان آباؤهم متمسكين بهدى الله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾[2].

تأمل وتمعن أيها القارئ في هذه الآية وانظر كيف جعل الله ترك الصلاة سببًا للفساد واتباع الشهوات التي تؤدي إلى الضلال. لأن الشهوات تؤدي بالمواهب العقلية وتضعف الجسد وتصرف الإنسان عن التفكير في المستقبل وأخذ العدة له. وما اجتاحت الشهوات أمة إلا أصيبت بعوارض الأنانية والجبن وكافة المساوئ التي تضر بسلامة المجتمع لهذا كان من دقائق التعبير القرآني بيان أن عاقبة الشهوات هو الضلال ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾.

ومن المؤلم أن هذا ينطبق على أكثرية فتيان هذا الجيل الجديد الذي لم يتربَّ تربية دينية صحيحة ولم يتبصر بحقائق الإسلام ولم يحافظ على الصلاة فانزلق في تيار هذه الحياة التي لوثها الاستعمار والصهيونية ودعاة السوء، فأصبحنا لا نرى هؤلاء الفتيان إلا في دور العرض السينمائي حيث تعرض أفضح مناظر الخلاعة والتهتك التي تطبع العقول والعادات على الميوعة والفساد وأصبحت مادة الثقافة التي يتزودون بها في

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢/٤٠، وكتاب الصلاة وحكم تاركها، الإمام ابن القيم، تحقيق تيسير زعيتر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ٦٤، ٦٥.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٩.

أوقات فراغهم هي الصحف الفنية في ظاهرها والمأجورة لنشر الفساد في حقيقتها، والتي تعرض في صفحاتها صورًا فاضحة للإغراء الجنسي، وتذكر في سطورها فضائح الراقصات و"الارتستات" والماجنين وغيرهم مما يندى له الجبين خجلاً من سماعها، كل هذا يجري في مجتمعنا على مسمع من المسؤولين من سياسيين وتربويين، دون أن يتحرك أحد في سبيل القضاء على هذه الفتنة العمياء، ووضع الأسس الصالحة لصد هذا التيار الجارف المهلك الذي يجرف في خضمه زهرة هذا الجيل الجديد المعتمد عليه لبناء مستقبل أفضل.

فالصلاة عامل هام لحفظ الإنسان من الانزلاق في تيار الشهوات، وقد صدق الخليفة عمر بن الخطاب حين كتب إلى عمّاله موصيًا لهم بقوله: (إن أهم أمركم عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيّعها فهو لما سواها أضيع)[1].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

جاء أسلوب الترهيب في الحديث واضحًا بينًا حيث رهب النبي ﷺ من ترك صلاة العصر بإحباط العمل، فقال ﷺ "من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله" والترهيب من الأساليب الدعوية الناجحة، لأنه (أسلوب قرآني يعالج النفس البشرية وحبها للأمن والسلامة وإيثارها البعد عن الخوف والخطر وذلك من خلال تخويفها وتهديدها، ويمكن عرض الدعوة إلى الله بهذا الأسلوب لجذب الناس حول الحق خوفًا من العقاب وخوفًا من فقدان السلامة والأمن)[2].

إن على الدعاة في العصر الحديث وهم يواصلون تبليغ الدعوة الاستفادة من أسلوب الترهيب، إذ أن الحاجة ملحة إليه، لأنهم إنما يتعاملون مع البشر والوضع البشري دائمًا معرض للهوى والغفلة معرض لظلم نفسه، وما دام الأمر كذلك فلا غرابة من مواجهتهم بين الحين والآخر بما ينغص عليهم هذا الهوى ويوقظهم من تلك الغفلة[3].

---

(١) روح الصلاة في الإسلام، د. عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٣٤، ٣٥.

(٢) فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبدالحليم محمود ٢٣٢/١.

(٣) الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز ص ٤١٦.

لكن ينبغي على الداعية ألا يطلق العنان لأسلوب الترهيب في الدعوة، فيجب عليه أن يوازن بين الترغيب والترهيب.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على صلاة العصر:

جاء في مضمون الحديث بيان فضل المحافظة على صلاة العصر وأن في ذلك المحافظة على الأعمال وصونها من الإحباط، فقال ﷺ "من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله" ولفضلها أقسم الله تعالى بها ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾[1] وخصها الله بالذكر من بين الصلوات فقال: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾[2].

قال ابن كثير وقيل هي صلاة العصر، وقاله الترمذي والبغوي رحمهما الله وهو قول أكثر علماء الصحابة وغيرهم، وقال القاضي الماوردي وهو قول جمهور التابعين، وقال ابن عبدالبر هو قول أكثر أهل الأثر[3]. وجاء في الصحاح ما يؤيد ذلك فروي عن علي قال: ((لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ مَلأَ اللّهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَارًا، كَمَا حَبَسُونَا وَشَغَلُونَا عَنِ الصَّلاَةَ الْوُسْطَىٰ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ))[4]، كما جاء في فضل صلاة العصر والمحافظة عليها إشهاد الملائكة عليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((يَتعاقَبونَ فِيكمْ مَلائِكَةٌ بالليلِ ومَلاَئِكةٌ بالنَّهَارِ، ويجتمعونَ في صلاةِ الفَجرِ وصلاةِ العصر، ثمَّ يَعرُجُ الذينَ باتوا فِيكمْ، فيَسألُهُمْ -وهوَ أعلمُ بهم-: كيفَ تَركتُمْ عِبادي؟ فيَقُولونَ: تَركْنَاهمْ وهم يُصلُّونَ، وأَتيناهُمْ وهم يُصلُّون))[5]. قال ابن حجر: (وفيه الإشارة إلى عظم هاتين الصلاتين لكونهما تجتمع فيهما الطائفتان وفي غيرهما طائفة واحدة، والإشارة إلى شرف الوقتين المذكورين، ويترتب عليه حكمة

---

(١) سورة العصر، الآيتان: ١، ٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/٦٤٧.

(٤) أخرجه البخاري ٢٩٣١، ومسلم ٦٢٧.

(٥) أخرجه البخاري ٥٥٥.

الأمر بالمحافظة عليهما والاهتمام بهما، وفيه إعلامنا بحب ملائكة الله لنا لنزداد فيهم حبًا ونتقرب إلى الله بذلك)[١].

رابعًا- من آداب الداعية: الخوف على المدعوين وترهيبهم مما يحبط أعمالهم:

في تحذير النبي ﷺ للأمة من ترك صلاة العصر، وبيانه أن ذلك من أسباب إحباط العمل "من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله" أنموذج حي ومثل تطبيقي لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من خوف على المدعوين وترهيبهم وتحذيرهم من التهلكة ومواردها وقدوته في ذلك رسول الله ﷺ الذي بين الله أن من صفاته الخوف على الأمة وحرصه على مصلحتها ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢] أي يعز عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه، حريص على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم[٣] وفي ذلك تنويهٌ بصفاته ﷺ الجامعة للكمال، ومن أخصها حرصه على هداهم ورغبتهم في إيمانهم ودخولهم في جامعة الإسلام[٤].

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله أن يقتفوا أثر رسول الله ﷺ في ترغيب المدعوين في عمل الطاعات والأعمال الصالحات وتحذيرهم من عمل المعاصي والمنكرات[٥]. وإذا كان الداعية على هذا المستوى فإنه يكون بمثابة صمام الأمان للمجتمع بأسره، وتكون حياته حياة للأمة وغيابه موت لها، ولله در أحمد بن غزال حين قال:

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها ... حتى يمت عالم منها يمت طرف

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها ... وإن أبى عاد في أكنافها التلف[٦]

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٤٥/٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤١/٤.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٧٠/١٠/٥.

(٥) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ٢٧.

(٦) انظر: أخلاق الدعاة إلى الله، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٠، ١١.

المضامين التربوية لأحاديث الباب

أولاً: تربية الناشئة على إتيان أفضل الأعمال:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وقوله ﷺ: «لَنْ يَلْجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يَعْنِي الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ. ولاشك أن الصلاة من أفضل الأعمال، وعلى هذا يمكن أن يستأنس بهذين الحديثين على أن الناشئة ينبغي أن يربوا على إتيان أفضل الأعمال في أوقاتهم وأعمارهم، وفي ذلك يقول ابن الجوزي: "ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم -فيه- الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور... وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات، فنقل عن عامر بن عبد قيس -أحد التابعين العباد الزهاد- أن رجلاً قال له: كلمني، فقال له عامر: أمسك الشمس.

وقد رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعًا عجيبًا، إن طال الليل فبحديث لا ينفع أو بقراءة كتاب فيه غزل وسمر، وإن طال النهار فبالنوم، وهم في أطراف النهار على رجلة أو في الأسواق، وكان ابن الجوزي يعيش في بغداد، فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم، وما عندهم خبر، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبئة الزاد والتهيؤ للرحيل، فالله الله في مواسم العمر، والبدار البدار قبل فوات الفوات، ونافسوا الزمان...، ولقد شاهدت خلقًا كثيرًا لا يعرفون معنى الحياة، فمنهم من أغناه الله عن التكسب بكثرة ماله فهو يقعد في السوق أكثر النهار ينظر إلى الناس، وكم تمر به من آفة ومنكر، ومنهم من يخلو بلعب الشطرنج ومنهم من يقطع الزمان بحكاية الحوادث عن السلاطين والغلاء والرُّخص إلى غير ذلك، فعلمت أن الله تعالى لم يُطلع على شرف العمر ومعرفة قدر أوقات العافية إلا من وفّقه وألهمه اغتنام ذلك ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1]، نسأل الله عز وجل أن يعرفنا شرف

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٥.

أوقات العمر، وأن يوفقنا لاغتنامه"(١).

ثانيًا: التربية بالمراقبة:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ. وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ. وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ. ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ. فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»، فدل الحديث على أن الملائكة تراقب الإنسان وتلاحظ عمله وأفعاله، وهذا يستأنس به على تربية الناشئة على المراقبة وأن الله مطلع عليهم ورقيب عليهم، قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾(٣). وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٤).

فمهما استشعر قلب العبد اطلاع الله عز وجل عليه ومراقبته لأقواله وأفعاله فإن هذا من أقوى الدواعي له على التقوى والمراقبة، والمعية معيتان: معية سمع وبصر وقدرة وإحاطة وهي معية الله عز وجل للخلق كلهم. ومعية خاصة بأوليائه وهي معية التأييد

---

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٦٧، ٢١٥، ٢٩١، ٦٠٤، ونقلنا النص كما نقله عبدالفتاح أبو غدة في كتابه قيمة الزمن عند العلماء، ٤١، ٤٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٣) سورة الرعد، الآيات: ٨ - ١٠.

(٤) سورة يونس، الآية: ٦١.

والنصرة والتسديد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[(١)]، وقوله لهارون وموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[(٢)]، فالمعية الأولى العامة: تستوجب الخوف والحذر والتقوى، والمعية الثانية تستوجب الأنس والرضا والثقة بوعد الله ونصره"[(٣)].

ثالثًا: من مهارات المعلم: انتهاز الفرص للتعليم والتوجيه:

وهذا مستمد من حديث جرير عبدالله البجلي رضي الله عنه، قال: كُنَّا عِنْدَ النبي ﷺ فنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هذَا الْقَمَرَ. لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ. فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فافعلوا» وفي رواية: فنظر إلى القمر ليلةَ أربعَ عشرةَ. فقد ربط النبي ﷺ بين رؤية القمر وبين رؤية الله عز وجل يوم القيامة في الوقوع والتحقق والتأكيد، وهذا يمكن أن يستأنس به على أن المعلم عليه أن ينتهز الفرصة، للتعليم والتوجيه، أو شرح أمر هام، أو توضيح فكرة غامضة أو القيام بغرس الفضائل وتكوين الاتجاهات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأحسن مثال نسوقه في هذا المقام، ما قام به نبي الله يوسف الصديق عليه السلام عندما سجن ودخل معه السجن فتيان وقصّ كل واحد منهما عليه الحلم الذي رآه، وطلب منه تفسيره، قام عليه السلام بانتهاز الفرصة للدعوة إلى دين الله قبل أن يفسر لهما حلميهما[(٤)].

قال الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّى أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٦.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص ٢٥٧، ٢٥٨.

(٤) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس ص ٢٠٢.

مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[١].

رابعًا: تربية الناشئة على أن لكل وقت عمله:

وهذا مستمد من مجموع الأحاديث التي في الباب، وخاصة حديث بريدة ﷺ عن النبي ﷺ: «مَن تَركَ صلاةَ العصرِ فقد حَبطَ عملُه». فإنه يستدل بهذه الأحاديث على أن العمل له وقت يفعل فيه فلا يفعل قبله وكذلك لايفعل بعده، ولذا "ينبغي للمؤمن أن يعرف ما يتطلبه الوقت من عمل القلب واللسان والجوارح فيتحراه، ويجتهد في القيام به، حتى يقع موقعه من الموافقة للمقصود ومن القبول عند الله عز وجل، وقد جاء في وصية أبي بكر لعمر ﷺ حين استخلفه: اعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار.

ليس المهم إذن أن يعمل الإنسان أي شيء في أي زمن، بل المهم أن يعمل العمل المناسب في الوقت المناسب، ولذلك وقت الله الكثير من العبادات والفرائض بمواقيت محددة، لا يجوز التقدم عليها ولا التأخر عنها، ليعلمنا بذلك أن الشيء لا يقبل قبل أوانه، ولا بعد أوانه، قال تعالى في شأن الصلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[٢]، وقال في الصوم: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٣].

---

(١) سورة يوسف، الآيات: ٣٦ - ٤١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

وفي الحج: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾[١].

وعمل القلب مثل اللسان يجب أن يكون في وقته وزمانه. يقول بعض العارفين: أوقات العبد أربعة لا خامس لها: النعمة والبلية والطاعة والمعصية، ولله عليك في كل وقت منها سهم العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية.

فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه، أن هداه لها، ووفقه للقيام بها.

ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر، وهو فرح القلب بالله، ومن كان وقته المعصية فسبيله التوبة والاستغفار، ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا والصبر، والرضا: رضا النفس عن الله، والصبر: ثبات القلب بين يدي الرب. وما قاله العارف يعبر عما نطق به القرآن والسنة"[٢].

وقال ابن الجوزي: "العاقل من أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه فإن بغته الموت رئى مستعدًا، وإن نال الأمل ازداد خيرًا"[٣].



(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) الوقت في حياة المسلم ص ٢١ - ٢٢، وانظر إدارة الوقت ص ٨٣.

(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٦١.

١٨٩- باب فضل المشي إلى المساجد

الحديث رقم (١٠٥٤)

١٠٥٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ غَدَا إلى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الجنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أوْ رَاحَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الطباق بين الغدو، والرواح يشير إلى حركة المسلم الدائمة بين بيت الله تعالى، وبيت والذي يوحي بتعلق قلبه ببيوت الله كتعلق قلبه ببيته، أو أكثر كما أن التعبير بالغدو، والرواح يشير إلى صلاة أول النهار، وهي الفجر، وصلاة أول الليل، وهي المغرب، وإن كان دلالة الغدو والرواح على تواصل الحركة أدل، وأعم، وقوله (أعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الجنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أوْ رَاحَ) التعبير بالإعداد في صيغة الماضي يشير إلى سابق التجهيز مع الحفاوة بمن أعُد له، ونسبة الإعداد لله تعطيه بعدا إيحائيا بعظمة ما أعد، لأن ما أعده الملك لا يتساوى بما أعده أحد أفراد الرعية فما بالك بما أعد ملك الملوك؟!، والنزل مكان النزول، والتعبير به يوحي باشتماله على كل ما يحتاج إليه النازل من الطعام، والراحة، ومختلف الملذات، وقوله (كُلَّمَا غَدَا أوْ رَاحَ) يشير إلى تواصل العطاء مع ارتباطه بعمل العبد مما يرغبه في استمراره، وعدم قطعه حتى لا تمل نفسه يوما من كثرة الغدو، والرواح إذا ما أيقن بأن لكل غدوة أو روحة عطاءً عظيماً.

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩/٢٨٥) واللفظ له، وتقدم برقم (١٢٣).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث (١٢٣).

الحديث رقم (١٠٥٥)

١٠٥٥- وعنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَضَى[1] إلى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، لِيَقْضِي فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، كَانَتْ خُطُواتُهُ، إحْدَاهَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تحط: تزيل عنه[3].

الشرح الأدبي

التعبير بالطهر عن الوضوء، من المجاز بالتعبير عن المسبب بسببه، وهو يفيد بيان الغرض من الوضوء كما أن التعبير بالطهر يتضمن الغسل لمن كان على جنابة، وفيه تلميح إلى الطهر الباطني بأن ينقي المؤمن المتوجه إلى الله قلبه بالتوبة من الذنوب، وعقله من شواغل الدنيا، والتعبير بالبيت يشير إلى السكن والمودة، وإضافته إلى الضمير تذكر كل واحد من المخاطبين ببيته حيث أهله، وخاصته، أما إضافته لله في قوله (بيوت الله) فهي إضافة تشريف ترتقي به ذرى شرف الأماكن في الأرض وتوحي بأن نازله مكرم لأنه نزيل بيت أكرم الأكرمين، وجمع البيوت تكثير لأماكن الخير، وتيسير على المرتاد، والجناس بين (بيت، وبيوت) يلح على معنى الطمأنينة والسكون من نوع خاص ببيوت الله، والجناس بين فريضة، وفرائض يشير - مع تأكيد المعنى- إلى ضرورة الحرص علي آداء ما افترض الله عليه كما يشير ضمنا إلى أن غير الفريضة

---

(١) لفظ مسلم: (مشى)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٣/٣٠٠، رقم ٢٦٩٤).

(٢) برقم (٢٨٦/٦٦٦).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ط ط).

من النوافل يمكن أن تُصلىَّ في البيت، وإضافة الفرائض لله تخصيص ينادي بمزيد عناية بها، ويرهب من التهاون فيها، والجناس بين (خطواته، خطيئة) يؤكد التلازم بين السعي، ومحو الخطايا، والطباق بين تحط، وترفع يصور تتابع الأجر بين حسنة تعطى، وسيئة تمحى ونسبة الحط، والرفع للخطوات من المجاز بنسبة الفعل لسببه توكيدا لثبات الحسنة، ومحو السيئة، وترغيبا في كثرة السير للمساجد.

فقه الحديث

قال القرطبي في المفهم: (وهذه الأحاديث تدل على أن البعد عن المسجد أفضل، فلو كان بجوار مسجد فهل له أن يجاوزه للأبعد؟ اختلف فيه: فروى عن أنس أنه كان يجاوز المحدث إلى القديم، وروى عن غيره أنه قال: الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجرًا. وكره الحسن وغيره هذا. وقال: لا يدعْ مسجدًا قربه ويأتي غيره، وهو مذهبنا [أي مذهب المالكية] وفي المذهب عندنا في تخطي مسجده إلى مسجده الأعظم قولان)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الوضوء وإتيان الصلاة في المساجد.

ثانيًا: من ميادين الدعوة: المسجد.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما يرفع درجاتهم ويحط خطاياهم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الوضوء وإتيان الصلاة في المساجد:

إن المزور يكرم زائره، والمساجد بيوت الله تعالى فمن دخلها في أي وقت كان من ليل أو نهار أعطاه الله من فضله وأغدق له في العطاء لأنه سبحانه أكرم الأكرمين وأنه لا يضيع أجر المحسنين، ومن مظاهر ذلك ما بينته السنة النبوية من فضل الذهاب إلى

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٩٢/٢. وقد نقله القرطبي المفسر بنصه في الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٢١/١٧ .

المساجد لحضور الجماعات وأن للذاهب ثواب الذهاب فضلاً عن ثواب الجماعة، حيث إن الخطوات تحط الذنوب والخطايا والصغائر وترفع درجات صاحبها ومكانته عند الله تعالى[١] كما جاء في صريح الحديث الدلالة على ما في التطهر وإتيان الصلاة في المسجد من فضل، فقال ﷺ من تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، "كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة" قال ابن علان في قوله "كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة" أي تحط خطيئة من الصغائر المتعلقة بالله تعالى، والأخرى منهما ترفع درجة أي بعد تكفير الصغائر وتنزيهه منها، فالباقي من الخطوات ترفع بها الدرجات، وهذا لمن لا كبائر له، فمن عمل من الخطوات ما يزيد على صغائره المكفرة بها عددًا وله كبائر رجي أن يكفر عنه منها بقدر ما يغفر بها من الصغائر، فإن لم يكن ذا ذنب أصلاً، أو كان ذا صغائر، وزادت خطواته على المكفر بها رفع له بما زاد الدرجات[٢].

ثانيًا – من ميادين الدعوة: المسجد:

أشير في الحديث إلى المسجد في قوله ﷺ "ثم مضى إلى بيوت من بيوت الله" والمسجد هو أهم ميادين الدعوة، وقد عظم الله تعالى مكانة المسجد ورفع من شأنه ودعا إلى عمارته في آيات كثيرة من كتابه الكريم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٣].

وفي المساجد قيمة دعوية كبيرة، حيث يتم فيها تعميق المعرفة الدينية، ويتأثر سلوك الإنسان بالجماعة كما يؤثر فيها، وذلك أن الفرد المسلم يسلك داخل جماعته

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٥٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٤٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٨.

الإسلامية سلوكًا اجتماعيًا ينسجم مع قيم هذه الجماعة ومُثلها العليا[١] ويتأكد هذا الكلام أكثر إذا علمنا أن المسجد مدرسة كاملة للتربية والتعليم، تعقد فيها حلقات العلم لتعليم الناس أمور دينهم وتبصيرهم بخير دنياهم[٢].

لقد كان أول عمل قام به النبي ﷺ حين قدومه المدينة مهاجرًا من مكة المكرمة هو تأسيس مسجد قباء، أول مسجد أسس على التقوى، وفي هذا العمل النبوي العظيم حكمة عظيمة ومغزىً هام جدًا في التأكيد على أهمية المسجد واعتناء الإسلام به[٣]، قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[٤].

إن المساجد في الإسلام لا يوجد لها نظير في معابد الأمم والملل، النظافة والسكينة، وفي الجوّ الخاشع الروحاني الذي يسودها، وفي شعائر التوحيد التي تتجلى فيها: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[٥] ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[٦] ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ﴾[٧] ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[٨].

---

(١) انظر الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، د. محيى الدين عبدالحليم، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م ص ١٦٩.

(٢) الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف ص ١٢.

(٣) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ٢١٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.

(٥) سورة النور، الآية: ٣٦، ٣٧.

(٦) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

وكانت هذه المساجد -ويجب أن تظل هكذا- مركز حياة المسلمين وتعلمهم ودراستهم، ومصدر الإصلاح والتوجيه، تعالج فيها قضايا المسلمين الاجتماعية والدينية، ويتلقون فيها أحكامًا في حياتهم ومهماتهم، فكان رسول الله ﷺ، إذا حدث حدثٌ أو نزل بالمسلمين أمر، وكانوا في حاجة إلى توجيه جديد، أو تعليم مزيد، أمر أن ينادي في الناس، "الصلاة جامعة" وظلت المساجد هكذا، فكانت القطب الذي كانت تدور حوله رحى الحياة، وتتفجر منها عيون العلم والهداية، وينبثق منها نور الإصلاح والإرشاد، وتنطلق منها موجة الكفار والجهاد، ولا تزال منها بقية يحسد عليها المسيحيون، والوثنيون، المسلمين في بلادهم، وينظرون إليها تارة بعين التلهف والحسرة، وطورًا بعين الإشفاق والوجل، ولابدّ لنشأة المسلمين الجديدة أن تعود هذه المساجد والجوامع إلى مركزها الأول، في حياة المسلمين وقيادتهم[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث جليًا واضحًا، حيث رغب النبي ﷺ في التطهر وأداء الصلاة المفروضات في المساجد بتكفير الخطايا ورفع الدرجات، فقال ﷺ "من تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة" وأسلوب الترغيب من أرجى الأساليب الدعوة نفعًا وأعظمها أثرًا لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة[2].

إن الإسلام يربي الناس على الرغبة والرهبة والخوف والرجاء، فكما أن هناك من آيات الترهيب وأحاديث التخويف ما يزلزل النفوس ويهز الأفئدة ويرهب القلوب فإن هناك من آيات الترغيب وأحاديث الرجاء ما يطمئن النفس ويسلي القلب، ويؤنس

---

(١) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٥٢، ٥٣.

(٢) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الخاطر ويبعث على الأمل، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١] وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾[٢].

وفي الترغيب في إقام الصلاة وتعاهد التلاوة للقرآن الكريم يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٤].

إنه لمن الواجب على العالم والمربي والواعظ أن يجمعوا بين الأمرين، ويقرنوا بين الحسنيين فليس التخويف بمفرده سبيل للعلاج وأداة للتقويم وطريقة للدعوة، بل قد يكون الرجاء أجمل والترغيب أوقع، وإن المتأمل لكتاب الله تعالى ولسنة نبيه ﷺ يجد جانب الترغيب ونصوص الرجاء أكثر عددًا وأجمل موقعًا وألذ سماعًا وأطرب استمتاعًا[٥].

رابعًا - من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما يرفع درجاتهم ويحط خطاياهم:

إن وظيفة الأنبياء والمرسلين ومَنْ على سَنَنهم من العلماء العالمين والهداة الراشدين والعظماء المجاهدين، فإنهم إنما بعثوا لهداية العالم[٦] وإرشادهم إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة ومن ذلك إرشادهم إلى ما فيه رفع الدرجات وحط الخطايا والسيئات

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٧.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٩، ٥٠.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٩، ٣٠.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٥) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ص ٦٦٤، ٦٦٥.

(٦) هداية المرشدي، الشيخ علي محفوظ ص ٧٢.

كما جاء في الحديث من دلالته ﷺ وإرشاده إلى التطهر وصلاة الفرائض في المساجد وقدكانت السمة العامة لرسول الله ﷺ الهداية إلى ما فيه الخير ورفع الدرجات ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى. يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ. وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ. وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ. فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ))[1]. قال القاضي عياض: (محو الخطايا كناية عن غفرانها ورفع الدرجات إعلاء المنازل في الجنة)[2].

إن قيام الدعاة بتبليغ دعوتهم وبيان ما أعده الله من الثواب على طاعته لمن الأهمية بمكان، بل إن وجود الدعاة وفاعليتهم في المجتمع لمن المقاييس التي لا تنكر في معرفة مدى تقدم المجتمعات وازدهارها.

قال علي محفوظ: (والبرهان الحسي قائم على أن الأمة التي انتشر فيها الدعاة والوعاظ والخطباء تحيا بمقدار كثرتهم وتأثيرهم، وأن المعنى الذي يتاولونه في نصحهم وإرشادهم يكون أكثر انتشارًا وأشد رسوخًا في نفوس تلك الأمة، وأن الأمة إذا فرطت أو أفرطت في شيء يستعان دائمًا على اعتدالها بوعاظها وخطبائها؛ فالداعية الماهر والخطيب الحكيم يستطيع بما وهبه الله عز وجل من نور الحكمة وقاطع الحجة وساطع البرهان وقوة البيان ومتانة علمه بتركيب وتأليف هذه الأدوية النافعة أن يصحح القلوب من أمراضها وينبه العقول من غفلتها ويطهر النفوس من أدران النقائص والرذائل وينير أمامها السبل الموصلة إلى الرشد حتى ترجع عن غيها وتعود إلى حد الاعتدال وتتحلى بالفضائل والكمال)[3].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥١.

(٢) شرح مسلم، النووي ص ٢٦٧.

(٣) هداية المرشدين ص ٧٤.

الحديث رقم (١٠٥٦)

١٠٥٦- وعن أُبيّ بن كعبٍ رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ لاَ أَعْلَمُ أَحَدًا[1] أبْعَدَ مِنَ المَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَتْ[2] لا تُخْطِئُهُ صَلاَةٌ، فَقيلَ لَهُ: لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا لِتَرْكَبَهُ فِي الظَّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ، قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أنَّ مَنْزِلِي إلى جَنْبِ المَسْجِدِ، إنِّي أُرِيدُ أنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إلى المَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إذَا رَجَعْتُ إلى أهْلِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((قَدْ جَمَعَ اللّهُ لكَ ذَلِكَ كُلَّه)) رواه مُسلِم[3].

ترجمة الراوي:

أُبي بن كعب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث ثمرة من ثمرات الترغيب النبوي في المشي للمساجد في الأحاديث السابقة، وهو صورة تطبيقية للحرص عليه، وفيه حرص أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على تنفيذ توجيهاته، وقولهم (لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَاراً لِتَرْكَبَهُ فِي الظَّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ) لو شرطية فيها معنى التحضيض، وفي العبارة سجع جميل بختام الجملتين بكلمتي الظلماء، والرمضاء وهي شدة الظلمة، وشدة الحر، وقوله: (مَا يَسُرُّنِي أنَّ مَنْزِلِي إلى جَنْبِ المَسْجِدِ) أسلوب نفي يقرر رضاه عن حاله مع بعد المسجد لأنه ينظر إلى عظمة الأجر، ويحرص عليه، وقوله (إنِّي أُرِيدُ أنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إلى المَسْجِدِ) في الكلام إيجاز بالحذف أي: أجر ممشاي، والتعبير بالكتابة تأكيد لثبات الأجر وبين قوله ممشاي، ورجوعي طباق يؤكد حركة التقي بين بيته، وبيت الله في كل وقت يراه الناس يتعب نفسه، ويراه هو

---

(١) قوله: (كان رجلٌ من الأنصار لا أعلم أحدًا) هذا لفظ المنذري في ترغيبه (٤٦٤)، ولفظ مسلم في (٦٦٣/٢٧٨) (كان رجلٌ لا أعلم رجلًا)، وبعده بحديث، بدون رقم بلفظ: (كان رجلٌ من الأنصار بيته أقصى بيت في المدينة).

(٢) لفظ مسلم: (كان) في الموضعين، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٣) برقم (٦٦٣/٢٧٨)، وتقدم برقم (١٣٧). أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٢).

حسنات تجمع، وسيئات تمحى، والجناس بين رجوعي، ورجعت يشير إلى ذكاء الرجل، وفطنته في احتساب الذهاب، واحتساب الرجوع، وللنية دور كبير في تحقيق الأجر فقد يكون بين المصلي ومن بجواره في الصف ما بين السماء، والأرض من الأجر مع اتفاقهما في كل شيء إلا في القلب والنية.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣٧).

الحديث رقم (١٠٥٧)

١٠٥٧- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: خَلَتِ البِقَاعُ حَوْلَ المَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أنْ يَنْتَقِلُوا[1] قُرْبَ المَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النبي صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ لَهُمْ[2]: ((بَلَغَنِي أنَّكُم تُرِيدُونَ أنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ؟)) قالوا: نعم، يا رَسُول اللهِ، قَدْ أرَدْنَا ذَلِكَ. فَقَالَ[3]: ((بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُم تُكْتَبْ آثارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُمْ))[4].

فقالوا: مَا[5] يَسُرُّنَا أنَّا كُنَّا تَحَوَّلْنَا. رواه مسلم[6].

وروى البخاري[7] معناه من رواية أنس.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

قول الرسول صلى الله عليه وسلم لبني سلمة رضي الله عنهم (بَلَغَنِي أنَّكُم تُرِيدُونَ أنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ؟) استفهام تقرير أراد به التحقق، والتثبت ثم بنى عليها رده عليهم، وعبارة النبي صلى الله عليه وسلم: (يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم) جاءت موافقة لنفسية المخاطبين الذي رأوا في

---

(١) عند مسلم زيادة: (إلى)، وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه (٢/٣٨٥، رقم ١٦٢٤)، ولا عند المنذري في ترغيبه (١/٢٨٥، رقم ٤٥٩).

(٢) عند مسلم زيادة: (إنه)، وهي لا توجد عند المنذري في ترغيبه.

(٣) عند مسلم زيادة: (يا) حرف النداء، وهي لا توجد عند الحميدي، والمنذري.

(٤) أخرجه مسلم (٦٦٥/٢٨٠).

(٥) عند مسلم زيادة: (كان)، وهي لا توجد عند المنذري.

(٦) برقم (٦٦٥/٢٨١)، وتقدم برقم (١٣٦). أورده المنذري في ترغيبه برقم (٤٥٩).

تنبيه: فرَّق الحميدي في جمعه بين الروايتين، فلما ساق اللفظ الأول، قال: زاد في رواية الجريري، عن أبي نضرة: (فقالوا: ما كان يسرنا أنا كنا تحولنا). وجمعه المنذري بين الروايتين، فتبعه عليه المؤلف.

(٧) برقم (٦٥٦) ولفظه: (أن بني سلمة أرادوا أن يتحولوا عن منازلهم، فينزلوا قريبًا من النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعروا، فقال: ألا تحتسبون آثاركم).

انتقالهم قرب المسجد قربا من الرسول ﷺ وحرصا على الصلوات فجاءت عبارة النبي ﷺ تحمل نداء التخصيص (يا بني سلمة) ثم جملة الإغراء (دياركم تكتب آثاركم) التي أوحت إلى نفوسهم بعظمة ما هم عليه، وثوابه، ثم تكرار العبارة الذي يؤكد المراد، ويرتقي بدرجة الإغراء إلى ذروتها مقابله لما يجيش في نفوسهم من رغبات الانتقال بجوار المسجد، وقد أدت العبارة وظيفتها على أكمل وجه، ووقعت على رغبة نفوسهم فطابت نفوسهم، وقرت عيونهم (فقالوا ما يسرنا إن كنا تحولنا)، وهكذا نجد أثر تركيب عبارة الرسول ﷺ انعكاسا صادقا، ودقيقا على المخاطبين مع تحقيقه لغرضه ورضاهم عنه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣٦) مع اختلاف في بعض الألفاظ.

الحديث رقم (١٠٥٨)

١٠٥٨- وعن أبي موسى رضي الله عنه ، قَالَ: قال رَسُول اللّهِ ﷺ : ((إنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أجْرًا فِي الصَّلاةِ أبْعَدُهُمْ إلَيْهَا مَمْشىً، فَأَبْعَدُهُمْ، وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإمَامِ أعظَمُ أجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّيهَا ثُمَّ يَنَامُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

الحديث يسعى إلى تحقيق بُعدٍ اجتماعي بتقارب المسلمين، واجتماعهم، وقد حرص على هذا المظهر من خلال الترغيب في المشي للمساجد، والحرص على الجماعة؛ لذلك بدأ بأفعل التفضيل (أعظم) مضافة للناس لترتقي بالنموذج المذكور فوق الجميع ثم التميز المنكَّر (أجرا) المفيد للتعظيم، وهو لفظ محبوب للنفس التي جبلت على حب الخير، وقوله (أبْعَدُهُمْ) يكشف سر التفضيل الأول؛ لأن عظمة الجزاء مرتبطة بعظمة العمل، وقوله (الصَّلاَةَ..يُصَلِّيَهَا) جناس يجذب السمع ويؤكد المعنى، ويكشف سر الانتظار، وقوله (مع الإمام) يبين سر الأفضلية، وهو شهود الجماعة، وإعادة أفعل التفضيل (أعظم) بيان لاستقلالية كل نموذج مع عمله المستوجب للفضل.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عظم ثواب المشي من مكان بعيد إلى الصلاة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل انتظار صلاة الجماعة.

رابعًا: من آداب الداعية: بيان الأعمال ذات الأجر العظيم وشحذ همم المدعوين لإدراكها.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥١)، ومسلم (٢٧٧/٦٦٢) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٣).

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: "إن أعظم الناس أجرًا في الصلاة..." وأسلوب التوكيد من أبلغ الأساليب الدعوية لما فيه من الإيحاء إلى تيقن الداعي من دعوته وصحتها وذلك مما يجعلها تقع في قلب المدعو موقع القبول والتسليم، وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب التوكيد في كثير من آياته، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾[2].

والمقصود من التوكيد التوثيق والإحكام والتقوية، وجعل الشيء مقررًا ثابتًا في ذهن المخاطب، ولأهمية التوكيد جاءت الشريعة بجوازه في الأحكام لتقويتها وترجيحها على غيرها، حيث يرجح المؤكد على غيره من الأحكام غير المؤكدة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[3]،[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: عظم ثواب المشي من مكان بعيد إلى الصلاة:

يتفاوت ثواب المصلين بحسب كثرة الخطى إلى المساجد والصلاة في جماعة وانتظار الصلاة بالذهاب قبيل الوقت أو قبله[5]، وقد جاء في صريح الحديث أن من أعظم الأعمال أجرًا، المشي إلى المساجد خاصة إذا كان من مكان بعيد، فقال ﷺ "إن أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى، فأبعدهم". فكلما كان البعد أكثر كانت الخطوات والمشقة أكثر فيكون ذلك أعظم للأجر[6]، واستنبط بعض

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة القمر، الآية: ٥٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩١.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٤٢/١٠.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٦٠.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٤٤.

العلماء من الحديث استحباب قصد المسجد البعيد ولو كان بجنبه مسجد قريب، وإنما يتم ذلك إذا لم يلزم من ذهابه إلى البعيد هجر القريب وإلا فإحياؤه بذكر الله أولى[١]، وقال الشيخ ابن عثيمين :"ومن فضل الله علينا معاشر المسلمين أننا نغدو إلى المساجد ونروح في كل يوم وليلة خمس مرات، فيكتب للإنسان نزل في الجنة يعني ضيافة في الجنة، وذلك من فضائل المشي إلى المساجد"[٢].

ولقد أدرك سلفنا الصالح ثواب صلاة الجماعة في المساجد والمشي إليه، ومما يدل على إدراك سلف هذه الأمة عظيم ثواب صلاة الجماعة وحرصهم على نيله أن بعضهم كان يقارب خطاه عند ذهابه إلى المسجد كي يكثر خطاه فيكثر ثوابه، فقد روى الإمام البخاري عن ثابت أنه كان مع أنس رضي الله عنه بالزاوية فوق غرفة له فسمع الأذان فنزل ونزلت فقارب في الخطا، فقال: «كنت مع زيد بن ثابت فمشى بي هذه المشية وقال أتدري لم فعلت بك؟ فإن النبي صلى الله عليه وسلم مشى بي هذه المشية وقال أتدري لم مشيت بك؟ قلت الله ورسوله أعلم قال ليكثر عدد خطانا في طلب الصلاة»[٣].

ونجد صحابيًا آخر يسلك مسلكًا آخر لتكثير ثواب مشيه إلى المسجد فلا يرغب في أن يكون منزله بجوار المسجد بل يسكن في مكان بعيد من المسجد، ويأتي إليه من هناك. فقد روى الإمام مسلم عن أبي كعب رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار بيته أقصى بيت في المدينة، فكان لا تخطئه الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فتوجعنا له، فقلت له: "يافلان! لو أنك اشتريت حمارًا يقيك من الرمضاء[٤] ويقيك من هوام الأرض". قال: "أم، والله! ماأحب أن بيتي مُطنَّب ببيت محمد صلى الله عليه وسلم"[٥].

---

(١) فتح الباري، الحافظ ابن حجر، ١٦٥/٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، ١٢٩٤/٢.

(٣) الأدب المفرد، ٤٥٨، وضعفه الألباني (ضعيف الأدب المفرد ٦٩).

(٤) الرمضاء: هي شدة حر الأرض من وقع الشمس، انظر: الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ٨٦/٢.

(٥) "ما أحب أن بيتي مطنب ببيت محمد صلى الله عليه وسلم" مطنب: بفتح النون، والمراد ما أحب انه مشدود بالأطناب -وهي الحبال- إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم بل أحب أن يكون بعيدًا منه لتكثير ثوابي وخطاي إليه، انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٦.

قال فحملت به حملا[١] حتى أتيت نبي الله ﷺ فأخبرته قال فدعاه فقال له مثل ذلك وذكر أنه يرجو في أثره الأجر[٢] فقال له النبي ﷺ: "إن لك ما احتسبت".

وفي رواية أخرى أنه قال: "ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد. إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي".

فقال رسول الله ﷺ: "قد جمع لك ذلك كله"[٣].

الله أكبر! ما أطيب نيته وأزكاها!.

ولم تكن عنده نية طيبة فحسب بل كان يتحمل العناء والمشقة لحضور صلاة الجماعة واستمر في ذلك حتى يقول عنه أبي رضي الله عنه: "فكان لا تخطئه الصلاة مع رسول الله ﷺ".

فما بال كثير منا يغيب عن صلاة الجماعة في المسجد وبيته بجوار المسجد ووسائل النقل -ولله الحمد- متوفرة[٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل انتظار صلاة الجماعة:

جاء في صريح الحديث أيضًا فضل انتظار الصلاة مع الإمام جماعة، فقال ﷺ: "والذي ينتظر الصلاة جماعة، حتى يصليها أعظم أجرًا من الذي يصليها ثم ينام" وفي ذلك بيان أفضلية صلاة الجماعة مع الإمام على صلاة الفرد حتى وإن كانت في أول الوقت أو في جماعة، يستفاد منه أن الجماعات تتفاوت لحوز المنتظر لصلاة الجماعة لفضيلتين:

أولاهما: أن صلاة الجماعة ثوابها أضعاف صلاة الفرد، كما ثبت ذلك في الصحاح، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ

---

(١) "فحملت به حملًا" بكسر الحاء، معناه أنه عظم عليَّ وثقل واستعظمته لبشاعة لفظه وهمني ذلك، وليس المراد به الحمل على الظهر، انظر: المرجع السابق ص ٥١٦.

(٢) "في أثره الأجر" أي في ممشاه، المرجع السابق ص ٥١٦.

(٣) أخرجه مسلم ٦٦٣.

(٤) انظر: أهمية صلاة الجماعة في ضوء النصوص وسير الصالحين، د. فضل إلهي ص ٧٢، ٧٣.

صَلاَةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»[١].

ثانيهما: أن المنتظر للصلاة يأخذ ثواب الصلاة مدة انتظاره لها، وكما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ. لاَ يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ الصَّلاَةُ»[٢]، [٣]. وفي رواية: «وَتَقُولُ الْمَلاَئِكَةُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ. اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ حَتَّى يَنْصَرِفَ أَوْ يُحْدِثَ»[٤]. قال شمس الحق آبادى في قوله: "ينتظر الصلاة" أى ما دام ينتظرها فإن الأعمال بالنيات بل نية المؤمن خير من عمله في بعض الأحيان"[٥].

إن من المعلوم أن المساجد إنما بنيت لعبادة الله تعالى، واللبث في المسجد لأي نوع من أنواع العبادة، كالصلاة وتلاوة القرآن أو الذكر أو الوعظ أو سماع العلم ونحو ذلك من عمارة المساجد بالعبادة، مرغب فيه شرعًا.

كما جاء في الأحاديث الآنفة الذكر، والشاهد فيها:

"لا يزال أحدكم في صلاة مادامت الصلاة تحبسه ...".

"الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه مالم يحدث ...".

ووجه الدلالة: أن المنتظر للصلاة، والذاكر لله تعالى بعدها في مصلاه لا يزال في ثواب الصلاة حتى ينصرف.

وهذه الأحاديث: تنص على فضل الجلوس بالمسجد قبل الصلاة لانتظارها، وبعد الصلاة للذكر ونحوه، وينبغي للمسلم أن يجلس في المسجد أوقات فراغه ليتعلم الخير ويتلو القرآن، ويحرص على الجلوس في المسجد بعد الفجر، حتى ترتفع الشمس قيدَ رمح، ثم يصلي ركعتين لثبوت ذلك بالسنة، ولما فيه من الفضل العظيم.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٥، ومسلم ٦٥٠

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٩، ومسلم ٦٤٩.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١٦٢/٢، دليل الفالحين، ابن علان ص ١٢٤٥، شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ١٢٩٥/٢.

(٤) أخرجه مسلم ١٥٠٧.

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٣٦.

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا»[١].

أما من ليس له عمل ولا صناعة وقد ترك التكسب إما لكبره، وإما ليتفرع للعبادة، فإن يكن غنيًا له مال يدر عليه وعلى مَنْ تحت يده، أو قام بعمله مَنْ يكفيه من بنيه أو خدمه، فإن لبث هذا في المسجد فيه خير عظيم له؛ لأنه يصون وقته ويحفظه بالعبادة.

وأما إن كان فقيرًا، أو كان المسلمون بحاجة إلى علمه في المدارس والمجتمعات أو بحاجة إلى إدارته لبعض المصالح، فلا يحل له أن يتقاعس عن نفع المسلمين وخدمتهم؛ لأنه إن أخلص النية لله تعالى فهو قد عمل عملاً يثاب عليه. وإن ترك ذلك العمل بلا عذر، فقد أساء لنفسه، وللناس[٢].

وأما إن كان يحتاج إلى قوت لا يجد من يؤمنه له، فليس له أن يسكن المسجد ويلبث فيه ليكون عالة على المؤمنين، يكتسب من صدقاتهم، اللهم إلا أن يكون عاجزًا عن التكسب، فله ذلك لأن الضرورة قد أجبرته على هذا.

رابعًا - من آداب الداعية: بيان الأعمال ذات الأجر العظيم وشحذ همم المدعوين لإدراكها:

إنه ما من شك أن الأعمال وأجورها في الإسلام تتفاوت فمنها ما هو عظيم ومنها ما هو أعظم أجرًا، ولذا كان من آداب الداعية أن يبين للناس درجات الأعمال وتفاوت الثواب عليها وشحذ هممهم إلى الازدياد والتطلع دائمًا، إلى الأكمل ثوابًا والأعظم أجرًا، فإن العبد يحتاج دائمًا إلى ما يدفعه للقيام بالطاعات على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة[٣]، ولقد كان من هديه ﷺ تربية أصحابه على علو الهمة وطلب معالي

---

(١) أخرجه مسلم ٦٧٠، ٢٨٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، وزاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/١٧٠، ١٧١، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ١/١٢١، ١٢٢.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ٥١٣.

الأمور، ومن الأدلة على ذلك قوله ﷺ: « إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ »[(١)] . فكانت همة الصحابة في العبادة وطلب العلم والدعوة وغير ذلك أعلى همة وبهذه الهمة العالية سادوا الدنيا وحكموا العالم[(٢)].

إن بيان الأعمال ذات الأجر العظيم وشحذ الهمم لإدراكها وتشجيع المدعوين على عمل الخير وخير العمل كان سمة عامة في دعوة رسول الله ﷺ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، ومنها:

أ- روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ. وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ. وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ. وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ. وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ. وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[(٣)].

ب- روى البخاري عن أبي هريرة أيضًا قال: قال النبي ﷺ: «أيُّما رجُلٍ أعتَقَ امرَأً مُسلمًا استَنْقذَ اللهُ بكلِّ عُضو منهُ عضوًا منهُ منَ النار. قال سعيدُ بنُ مَرجانةَ: فانطلَقْتُ بهِ إلى عليِّ بنِ الحسينِ، فعمدَ عليُّ بنُ الحسينِ رضي الله عنهما إلى عبدٍ له قد أعطاهُ بهِ عبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ عشرةَ آلافِ درهمٍ - أو ألفَ دينارٍ - فأعتقَهُ»[(٤)].

ت- وروى البخاري عن أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إنَّ أُمَّتي يُدْعَونَ يومَ القيامَةِ غُرًّا مُحَجَّلينَ من آثارِ الوُضوءِ، فَمنِ اسْتطاعَ مِنكمْ أنْ يُطيلَ غُرَّتهُ فلْيَفْعَلْ»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٩٠.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٨٥، ٢٨٦.

(٣) أخرجه البخاري ٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٤٧٩، ٦٨٠٦.

(٤) أخرجه البخاري ٢٥١٧.

(٥) أخرجه البخاري ١٣٦.

ث- وروى أيضًا عن صفوان بن سليم يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «الساعي على الأرملةِ والمِسكين كالمجاهد في سبيلِ اللّه، أو كالذي يصوم النهارَ ويقومُ الليل»[1].

ج- روى البخاري عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ في الجنةِ لشجرةً يَسيرُ الراكبُ في ظلها مائةَ عامٍ لا يقطعُها»[2].

مما لاشك فيه أن من يطلع على هذه الأحاديث التي مر ذكرها، وهناك غيرها، تتحول حياته الدنيا إلى نعيم يرسم الابتسامة على الوجه، حتى ولو انعدمت كل أسباب الحياة المادية، للمؤمنين بها، لأنها حياة تستحق أن يعيشها حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً[3]، لأنه عرف أن الدنيا زائلة فانية، وأن الآخرة هي الباقية ومن ثم اتخذ دنياه مجرد معبر إلى هذه الآخرة فعاش فيها بروح المرتحل المتطلع إلى جنة الخلد[4].

وهكذا يكون ترغيب الناس في الأعمال العظيمة الثواب والكبيرة الأجر وشحذ هممهم وسيلة ضاغطة ودافعة باتجاه الخير، والسلوك الحسن، وابتغاء رضى الله تعالى في كل عمل يفعله المرء، حرصًا منه على نيل المرغب فيه وخشية من فواته، لاسيما وأنه لا مثيل له ولا تعدله لذة مهما بلغت[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٠٧.

(٢) أخرجه البخاري، ٦٥٥٢.

(٣) اليوم الأخر والحياة المعاصرة، د. عبدالغني عبود ص ١٢٥.

(٤) المصدر السابق، ١٢٥ بتصرف.

(٥) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٢٢٣.

الحديث رقم (١٠٥٩)

١٠٥٩ - وعن بُريدَة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((بَشِّرُوا المَشَّائِينَ في الظُّلَمِ إلى المَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ)) رواه أبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ[1].

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨١).

غريب الألفاظ:

المشائين: جمع المشاء وهو: كثير المشي[2].

بالنور التام: النور الذي يحيط بهم من جميع جهاتهم، أي على الصراط[3].

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في صلاة العشاء، والصبح في جماعة جاء فيه أمر الرسول ﷺ (بشروا) أمر بالإخبار بما يسر وفيه تشويق لما يتلوه، وهو غير موجه لمأمور معين، وإنما يريد عموم الأمر، وذيوعه حتى كأن كل فرد من أفراد هذه الأمة مبشرا لهؤلاء المشائين إلى المساجد بالنور التام، وقوله (المشائين) مبالغة في كثرة المشي إلى الجماعات، والتعبير بالنور يوحي بحسن المصير مع الظهور، والوضوح، وفيه تكريم لهؤلاء، وتنويه برضا الله عليهم، وقبوله لهم، وإشادة، وتعريف بهذا النعيم الذي أعد لهم عند الله جزاءً من جنس العمل لما كان مشيهم إلى الصلوات يستلزم قطع المسافات في الظلمات وما يترتب عليه من تعرض لأنواع الإيذاء جعل لهم الله - عز وجل - نورا ووصفه بالتمام إشارة إلى إحاطة الضياء بهم، وهو علامة على الفلاح فمن تمامه أنه علامة

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣) ولفظهما سواء، وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ، أورده المنذري في ترغيبه (٤٧٢) وقال: رجال إسناده ثقات.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم ابادي ٢٨٦، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/٥٣١.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/٥٣١.

فرح، وسرور وضوح للغاية العظمى، وهي الجنة، وفي الحديث إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[التحريم ٨].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التبشير.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل المشي إلى المساجد في الظلم.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على صلاة العشاء والفجر مع الجماعة.

رابعًا: من ميادين الدعوة: المساجد.

أولاً – من موضوعات الدعوة: التبشير:

جاء أسلوب التبشير صريحًا في الحديث في قوله ﷺ: «بَشِّرِ المَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المَسَاجِدِ». ومسلك التبشير له نتائجه الباهرة التي لا تخفى على أحد، وقد أصله لنا أنبياء الله بوحى من الله على لسانهم ولسان الرسل أجمعين كما نطق بذلك القرآن[1]، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾[2]، فبين الله في هذه الآية أن وظيفة الرسل التبليغ بالبشارة والنذارة لا التصدي للمجادلة، لأنها مجادلة لم يقصد منها الاسترشاد بل الغاية منها إبطال الباطل[3]، يقول د. عمر سليمان الأشقر: ومن يطالع دعوات الرسل يجد أن دعوتهم قد اصطبغت بالتبشير والإنذار، إذ هما مفتاح النفس

(١) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٤٧٤.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٦.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور ٣٥٢/١٥/٦.

البشرية، فالنفس الإنسانية مطبوعة على طلب الخير لذاتها ودفع الشر عنها فإذا بصّر الرسل النفوس بالخير العظيم الذي يحصلونه من وراء الإيمان والأعمال الصالحة فإن النفوس تشتاق إلى تحصيل ذلك الخير وتتطلع إلى نعيم الله المبشر به، نعيم يَسْتَعْذِبُه القلب وتلذّه النفس ويهيم به الخيال[1].

إن التبشير من أبرز الأساليب الدعوية التي سنها رسول الله ﷺ، ومن دلائل ذلك قوله ﷺ "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا"[2].

والتبشير من أساليب التحفيز للإنسان، لاسيما إذا كان في بداية إسلامه أو هدايته، فلابد من تيسير الأمور عليه وتبسيطها وعرضها دون تشدد أو تكلف، يرافقها التبشير، حتى تغمر قلبه الفرحة وتعم نفسه البهجة، ولا تشعر بثقل التكاليف والواجبات عليها، وهي مازالت تنوء بحمل كبير من العادات السيئة التي يجب التخلص منها، لأن التشدد وعدم التيسير والتبشير يؤديان إلى ردود أفعال عكسية ومنفرة من الإسلام وأهله، تؤدي في النتيجة إلى حفر خنادق عميقة بين المجتمع المراد هدايته وبين المسلمين يصعب الالتقاء عليها، بل تصبح المفاهيم الإسلامية مثار سخرية واستهزاء، ومسوغًا واضحًا للمتصيدين في الماء العكر لمحاربة الإسلام وأهله وإبعاد الناس عنه[3].

ومن هنا نرى أن رسول الله ﷺ كان يعرض الإسلام عرضًا سهلاً وبسيطًا دون تعقيد أو تكلف، فحين سأله رجل فقال: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: «لاَ تُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ. وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ»[4].

وكان يختار أيسر الأمور وأسهلها، كما أخبرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بينَ أمرَين قطُّ إلاّ أخذَ أيسَرَهما، ما لم يَكن إثمًا، فإن

---

(١) الرسل والرسالات ص ٤٨

(٢) أخرجه البخاري، ٢١٦.

(٣) انظر: منهاج الشاب المسلم في أسرته، د. محسن عبدالحميد، ص ١١.

(٤) أخرجه مسلم ١٦٥.

كان إثمًا كان أبعدَ الناس منه»[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل المشي إلى المساجد في الظلم:

إن للمشي إلى المساجد وحضور الجماعات، ولاسيما في ظلمات الليل وغيرها من الأشياء التي قد توجد صعوبة في الوصول إلى المساجد، فضلا لا يُضاهى وشرفًا لا يُدانى ومن ذلك أن الله يثيب من يتجشم المصاعب لحضور الجماعات في المساجد (بالنور التامّ من جميع الجهات تشريفًا وتكريمًا وإيناسًا وإعزازًا لمن داوم على ذلك في إخلاص وتصميم)[٢]، كما جاء في الحديث من بيانٍ لفضل المشي إلى المساجد في الظلم وتبشير أصحابها بالنور التام يوم القيامة، فقال ﷺ: «بَشِّرِ المَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المَسَاجِدِ بالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فلا شك أن الذي يذهب إلى المسجد في الظلم فإن جزاءه من جنس العمل، يعني كما تجشم الظلم وأتى إلى المساجد فإنه يكتب له النور يوم القيامة[٣]. وقال الطيبي: وفي وصف النور بالتام، وتقييده بيوم القيامة. «بَشِّرِ المَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المَسَاجِدِ بالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، تلميح إلى وجه المؤمنين يوم القيامة، وقولهم "ربنا أتمم لنا نورنا" في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[٤]، وفيه أن من انتهز هذه الفرصة وهى المشى إلى المساجد في الظلم في الدنيا كان مع النبي ﷺ والذين آمنوا من الصديقين والشهداء والصالحين"[٥].

ثالثًا - من آداب المدعو: الحرص على صلاة العشاء والفجر مع الجماعة:

من الآداب التي ينبغي أن يحافظ عليها المدعو فضلاً عن الداعية، الحرص على أداء

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٥٦٠.

(٣) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ١٢٩٤/٢.

(٤) سورة التحريم الآية: ٨.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٢/٢٤٠.

صلاتي العشاء والفجر مع الجماعة، لما لذلك من عظيم الأجر وجزيل الثواب، وقد جاءت الأحاديث الكثيرة التي ترغب وتحث على أدائهما في المسجد مع ما قد يلاقيه المصلي من التعريض لمخاطر الطريق ومقاساة الظلام، فيقول ﷺ: «بَشِّرِ المَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ»، وجعل ﷺ صلاتهما في جماعة تعادل ثواب قيام الليل، فقال ﷺ: ((مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ ليلة. وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ))[1]، وخصت صلاتا الصبح والعشاء بالذكر لثقلهما على النفوس غالبًا لأن وقت الأولى وقت طيب النوم ولذته، ولذا أمر المؤذن أن يقول في أذانه: "الصلاة خير من النوم" والعِشاء وقت العَشَاء مع غلبة الظلمة وقتها، فاختصا بالتحريض عليهما لذلك[2]، قال ﷺ: ((وَلَوْ يَعلمونَ مَا فِي العَتَمَةِ والصُّبحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا))[3].

إن الحرص على أداء الصلوات جماعة في المسجد خاصة صلاتي العشاء والفجر - له حكم دقيقة ومصالح عظيمة للمسلمين، منها ما هي اجتماعية وخلقية كالوحدة والاجتماع والتعاون والتعارف ومنها:

أ- أن لاجتماع المسلمين راغبين في الله راجين راهبين مسلمين وجوههم إليه خاصية عجيبة في نزول البركات وتدلي الرحمات.

ب- التشجيع على العبادة والمحافظة على الصلوات والتنافس في إحسانها وإتقانها والإكثار منها وإصلاح ما قد يطرأ عليها من فساد أو من خلل للانفراد أو الجهل، وتعلم ما فات من أحكامها وآدابها وأذكارها وقراءتها والتأسي بالعلماء الفقهاء والعباد المخلصين.

ج- أن إخلاص بعض المخلصين وخشوعه يؤثر في الجماعة كلها ويوقظ النفوس

---

(١) أخرجه مسلم ٦٥٦

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٥٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦١٥، ومسلم ٤٣٧.

الخامدة ويحرك الهمم الفاترة، وقد يكون سببًا في قبول عبادة الجميع والغض عما فيها من ضعف أو خلل أو تقصير، وذلك شيء لا يخالف المعقول أو المنقول فأهل الإخلاص والخشوع قوم لا يشقى بهم جليسهم"[١].

رابعًا - من ميادين الدعوة: المساجد:

أشير إلى المساجد كميدان من ميادين الدعوة في الحديث في قوله ﷺ بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد"، وقد اتخذت المساجد في الإسلام مكانًا لتنطلق منه دعوة الحق حاملة الخير والسعادة والعزة الإنسانية، وذلك لما للمسجد من أهمية قصوى في حياة المسلمين ودور كبير في إبلاغ هذا الدين وبيانه للمسلمين، فتاريخ المسجد مرتبط ارتباطًا جذريًا بدين الإسلام ذلك أن رب العزة والجلال يقول في محكم تنزيله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[٢]،[٣].

(وليست الغاية من المسجد عبادة الله فقط بل يهدف أيضًا إلى النهوض بمستوى المسلمين علميًا وخلقيًا بما يلقي فيه من دروس ومواعظ على لسان فقهاء المسلمين وعلمائهم الذين ساروا على هدي نبيهم.

وبعد عصر النبوة شيدت المساجد في أنحاء البلاد الإسلامية التي تم فتحها، فبنى عمرو بن العاص رضي الله عنه في مصر مسجده الذي سمي باسمه والذي أطلق عليه: المسجد الجامع، فكان أول جامعة علمية إسلامية كبرى في مصر تخرج فيه عدد كبير من العلماء، وكان القائمون بالتعليم فيه في أول عهدهم هم الصحابة والتابعون، ومن الذين قاموا بالتدريس فيه الإمام الشافعي الذي تخرج على يده كثير من العلماء.

وبنى الجامع الأزهر الذي تتلمذ في حلقاته كثير من علماء المسلمين قديمًا وحديثًا والذين كانوا دعاة للخير ومنبرًا للفضيلة.

---

(١) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٥٥، ٥٦.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ١٩٢.

ومن المساجد المشهورة التي اتخذت في شتى العصور مدارس ومعاهد للدين والدنيا: الحرم المكي بمكة المكرمة، والحرم النبوي بالمدينة المنورة، والمسجد الأقصى في القدس، وجامع الزيتونة بتونس، ومسجد نبي أمية في دمشق، ومسجد المنصور ببغداد، ومسجد البصرة، ومسجد الكوفة، بل إنه لم يخل قطر من مسجد اتخذ مكانًا للعلم والتفقه في الدين، وقد شهد بذلك الدكتور غوستاف لوبون، فقال:

(وكما أن مساجد المسلمين مركز للاجتماع وملجأ للغرباء ومرجع للمرضى هي كذلك موئل للتعليم، وفي أصغر المساجد يعلم الأولاد، وتعد المساجد الكبيرة من الجامعات التي لا تقل أحيانًا عن جامعات أوروبا أهمية)(١).

وقد كان رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون يجعلون من المسجد مؤتمرًا يجمعون فيه المسلمين ليشاوروهم في أمور دينهم وشؤون دنياهم، كما ينبغي أن يكون المسجد دائمًا مقرًا لمؤتمرات صغيرة لأهل الحي أو القرية أو البلد، يجتمعون فيه للعبادة ويتشاورن ويتباحثون فيما يعود عليهم من النفع.

والمساجد وسيلة للتقريب بين طبقات الأمة غنيها وفقيرها، رئيسها ومرؤوسيها، ففيها يجتمعون للصلاة جنبًا إلى جنب يقفون موقفًا واحدًا ويخرون جميعًا ساجدين لله فليس لرأس على رأس ارتفاع، ولا لوجه على وجه تمييز، يدعون الله أن يرشدهم ويوصلهم إلى طريق الحق والسعادة، وأن يرعاهم برحمته ويشملهم برضوانه، يسمعون إمامهم وهو يقرأ القرآن الذي يحض على الإحسان فيكون في ذلك إيحاء قوي للأغنياء بأن يعطفوا على إخوانهم المؤمنين الفقراء فيحسنوا إليهم، وبذلك الإحسان تصفوا قلوب الفقراء من الغل والحسد والبغض للأغنياء فتأتلف بذلك طوائف المؤمنين تحت شعار الإيمان ويكون بذلك مدعاة إلى وحدة الأمة وقوتها(٢).

---

(١) حضارة العرب، ترجمة الأستاذ محمد عادل زعيتر، ١/٢٠٤.

(٢) انظر: روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة، ٢١٨ - ٢٢٠.

الحديث رقم (١٠٦٠)

١٠٦٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: ((ألا أدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟)) قَالُوا: بَلَى يا رَسُول اللهِ؟ قَالَ: ((إسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فذَلِكُمُ الرِّبَاطُ)) رواه مسلِم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

بدأ النبي ﷺ بأداة العرض (ألا) وهي للعرض بدليل قولهم في الجواب (بلى) وتكون للتنبيه إذا كان الغرض منها تنبيه المخاطب لئلا يفوت المقصود بغفلته عنه، وقوله ﷺ (...ما يمحو الله به الخطايا) قال القاضي عياض: محو الخطايا كناية عن غفرانها قال: ويحتمل محوها من كتاب الحفظة ويكون دليلا على غفرانها ورفع الدرجات إعلاء المنازل في الجنة)[2]، وأصل الرباط الحبس ومنه رباط الخيل حبسها واقتناؤها ورابط الجيش: أقام في الثغر والأصل أن يربط هؤلاء وهؤلاء خيلهم، ثم سمي الاقامة في الثغر مرابطة ورباط)، والإشارة في قوله (فذلكم الرباط) تدل على التفخيم وزيادة الميم زيادة في التنبيه إلى أن الإشارة إليهم هم، ثم وقوع اسم الإشارة مسندا إليه والمسند (الرباط) معرف باللام، ليفيد قصره عليهم، وكأنه يقول: لا رباط إلا ذلكم المشار إليه لكمال معنى الرباط فيه، وألا يتوهم المبالغة في الإخبار عنه بهذا الخبر مع ما للجهاد المسلح من الفضل، فقطع بتكرار العبارة كل وهم وأكد المعنى تأكيدا لا شك فيه، ولعل سر هذا الفضل يرجع إلى أن هذه الأمور رباط دائم للإنسان في أجزاء

---

(١) برقم (٢٥١/٤١)، وتقدم برقم (١٣١)، و (١٠٣٦). أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٤).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٤١/٢.

اليوم، والليلة، ورباط الجيوش في وقت معين، ورباط الصلاة لمحاربة عدو خفى هو الشيطان، وهوى النفس، ورباط الجيش لقتال عدو ظاهر ولا شك أن قتال العدو الظاهر أيسر، ورباط الجيوش فرض كفاية، ورباط الصلاة فرض عين، ومن هنا كانت عناية النبي ﷺ بأسلوبه التشويقي الذي هيأ القلوب لاستقبال الأمر بداية بالاستفهام عرضا، وتشويقا، ومرورا بعبارات التشويق (يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات)، وانتهاء بتكرار جملة التفصيل (فذلكم الرباط، فذلكم الرباط) توكيدا لفظياً، ومعنويا يفيد - كما تقدم - نفى المبالغة[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) ينظر الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط – جامعة الأزهر.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣١).

الحديث رقم (١٠٦١)

١٠٦١ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**إذا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسَاجِدَ**[1] **فَاشْهَدُوا لَهُ بالإيمَانِ**، قال اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ الآية)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول ارتباط الإيمان باعتياد المساجد والترغيب فيه وقد جاء في أسلوب الشرط، وهو من الأساليب الخبرية الشائعة في الحديث النبوي لما لها من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى لأنها تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح العاقبة، واستخدام (إذا) كأداة للشرط يشير إلى تحقق وقوعه و (ال) في الرجل للجنس، والتعبير بالاعتياد يشير إلى تتابع مع دوام في الفعل، وجمع المساجد إشارة إلى حرصه على أداء الصلوات، والعبادات خاصة، وليس إلى مسجد معين يألفه، أو يألف أهله، وقوله (فاشهدوا) أمر إشادة وتكريم لهذا المرتاد المعتاد للمساجد، و (له) تخصيص، وتعلق الشهادة بالإيمان تشريف للعبد وتنويه بذكره يقرر فضل الصلاة في المسجد، والمحافظة عليها.

فقه الحديث

قال ابن العربي: (دلت الآية على أن الشهادة لعمّار المساجد بالإيمان والصلاة

---

(١) لفظ الترمذي: (المسجد) والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه (١/٢٩٥، رقم ٤٨٧).

(٢) برقم (٣٠٩٣)، وقال: هذا حديث حسنٌ غريبٌ، وصحَّحه ابن خزيمة (١٥٠٢)، وابن حبان (الإحسان ١٧٢١)، وقال الحاكم (١/٢١٣): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٤٨٧).

صحيحة لأن الله ربطها بها وأخبر عنها بملازمتها، والنفس تطمئنّ بها وتسكن إليها، وهذا في ظاهر الصلاح ليس في مقاطع الشهادات، فلها وجوه وللعارفين بها أحوال، وإنما يؤخذ كل أحد بمقدار حاله وعلى مقتضى صفته، فمنهم الذكي الفطن المحصّل لما يعلم اعتقادًا وإخبارًا، ومنهم المغفّل، فكل أحد ينزل على منزلته ويقدّر على صفته)(١).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الشهادة بالإيمان للحريصين على صلاة الجماعة في المساجد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل عمارة المساجد.

رابعًا: من أهداف الدعوة: بيان أثر الإيمان بالله في السلوك.

أولاً - من أساليب الدعوة: الشرط:

إن الأساليب الدعوية لها أهميتها البالغة في الدعوة إلى الله نظرًا لأثرها البالغ في إقناع المدعوين واستجابتهم، وهي من مقومات نجاح الدعوة إلى الله، ومن هذه الأساليب: الشرط والذي جيء به صريحًا في الحديث في قوله ﷺ: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان"، ولأهمية أسلوب الشرط وتعلق جواب الشرط أثر كبير في تحفيز الهمم للإقبال على الدعوة، وقد استخدمه القرآن كثيرًا وذلك مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾(٣).

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي ٩٠٦/٢، ونقله بنصّه أبو عبدالله القرطبي المفسر في جامع أحكام القرآن ١٣٤/١٠ - ١٣٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الشهادة بالإيمان للحريصين على صلاة الجماعة في المساجد:

جاء في الحديث الأمر بالشهادة لعامري المساجد بالإيمان، فقال ﷺ: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان" أي يخدمه ويعمره، وقيل المراد بالتردد إليه في إقامة الصلاة وجماعته، وهذا هو التعهد الحقيقي، فاشهدوا له بالإيمان أي بأنه مؤمن[1]، وذلك أن أداء المسلم للصلاة وحفاظه عليها خاصة في المسجد يجعله يحس برهبة المثول بين يدي الحضرة الإلهية خمس مرات في اليوم والليلة، لابد أن يرسخ الإيمان بالله في تفكيره وفي نظرته إلى العالم المادي، فيصبح إيمانه قوة فعالة في حياته، فترتدع نفسه عن الشهوات، وتعدل عما كانت عليه من الآثام والمنكرات، وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[2]، [3]، لأن الإيمان بالله تعالى هو الذي يدفع المسلم إلى المحافظة على الصلاة في المساجد واعتيادها ومن ثمَّ قال النبي ﷺ "فاشهدوا له بالإيمان".

ولما كانت لصلاة الجماعة في المساجد تلك المكانة الرفيعة والمنزلة العالية، أمر الله تعالى بها فقال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[4]، ولذلك داوم عليها الرسول ﷺ وأصحابه مداومة شديدة، حتى كأنها جزء من الصلاة، ولم يتركها ﷺ حتى في مرضه الذي مات فيه[5]، فروى عن عبيد بن عبدالله بن عتبة قال: «دخلتُ عَلَى عائشةَ فَقُلتُ: أَلا تُحدِّثيني عن مرضِ رسولِ الله ﷺ؟

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٠٥/٢.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٣) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٥٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٥) انظر: الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٥٤.

قالت: بلى. ثَقُلَ النبيُّ ﷺ فقال: أَصلَّى الناسُ؟ قلنا: لا، هم ينتظِرونكَ. قال: ضَعوا لي ماءً في المِخْضَبِ. قالت: فَفَعَلْنَا. فاغتسَلَ فذهبَ ليَنوءَ فأغميَ عليه، ثم أفاق فقال ﷺ «أَصلَّى الناسُ؟ قلنا: لا، هم ينتَظِرونكَ يارسول الله. قال: ضعوا لي ماءً في المِخْضَبِ. قالت: فقعَد فاغتسلَ، ثمَّ ذهبَ ليَنُوءَ فأُغميَ عليه. ثمَّ أَفاقَ فقال: أصلَّى الناسُ؟ قلنا: لا، هم يَنتظرونك يا رسول اللهِ. قال: ضَعوا لي ماءً في المِخضَبِ. فقعدَ فاغتَسلَ، ثمَّ ذهبَ لِيَنوءَ فأُغميَ عليه. ثمَّ أَفاقَ فقال: أَصلَّى النّاسُ؟ فقلنا: لا، هم يَنتظرونكَ يارسولَ اللهِ - والناسُ عُكوفٌ في المسجدِ ينتظرونَ النبيَّ عليهِ السلامُ لصلاةِ العِشاءِ الآخرةِ - فأَرسلَ النبيُّ ﷺ إلى أبي بكرٍ بأَنْ يُصلِّيَ بالناسِ فأَتاهُ الرسولُ فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يأمُركَ أَنْ تُصلِّيَ بالناسِ. فقال أبو بكرٍ - وكان رجُلاً رَقيقًا - يا عمرُ صلِّ بالناسِ، فقال له عمرُ: أَنتَ أَحقُّ بذلكَ. فصلَّى أَبو بكرٍ تلكَ الأيامَ. ثمَّ إِنَّ النبيَّ ﷺ وَجَدَ من نفسهِ خِفَّةً، فخرَجَ بينَ رجُلينِ - أَحدُهما العبّاسُ - لصلاةِ الظُّهر، وأبو بكرٍ يُصلِّي بالناسِ. فلمَّا رآه أَبو بكرٍ ذهبَ ليَتأخَّرَ، فأَومأَ إِليهِ النبيُّ ﷺ بأَنْ لا يَتأخَّرَ، قال: أَجلِساني إلى جَنبهِ، فأجلَسَاهُ إلى جَنبِ أبي بكرٍ، قال: فجعلَ أبو بكرٍ يُصلِّي وهو يأتَمُّ بصلاةِ النبيِّ ﷺ والناسُ بصلاةِ أَبي بكرٍ والنبيُّ ﷺ قاعدٌ

قال عُبيدُ اللهِ: فدخلتُ على عبدِ اللهِ بنِ عبّاسٍ فقلتُ له: أَلا أَعرِضُ عليكَ ما حدَّثَتني عائشةُ عن مَرَضِ النبيِّ ﷺ؟ قال: هاتِ. فعرَضْتُ عليهِ حديثَها. فما أنكرَ منهُ شيئًا، غير أَنه قال: أَسمَّتْ لكَ الرجُلَ الذي كان مع العباسِ؟ قلت: لا. قال: هو عليُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ رضي الله عنه»[1].

وكان الصحابة رضي الله عنهم من أشد الناس التزامًا لصلاة الجماعة، روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلاَةِ إِلاَّ مُنَافِقٌ قَدْ عُلِمَ نِفَاقُهُ. أَوْ مَرِيضٌ. إِنْ كَانَ الْمَرِيضُ لَيَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ حَتَّى يَأْتِيَ الصَّلاَةَ. وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنَا سُنَنَ الْهُدَى. وَإِنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى الصَّلاَةَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيهِ».

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٨٧.

وفي رواية أنه قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا، وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَي بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»[1].

قال النووي: (قوله: "ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف" معنى يهادى أي يمسكه رجلان من جانبيه بعضديه يعتمد عليهما وهو مراده بقوله في الرواية الأولى: "إن كان المريض ليمشي بين رجلين". وفي هذا كله تأكيد أمر الجماعة وتحمل المشقة في حضورها، وأنه إذا أمكن المريض ونحوه التوصل إليها استحب له حضورها)[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل عمارة المساجد:

جاء في الحديث الإرشاد والحث على تعاهد المساجد وعمارتها وأن ذلك دليل الإيمان وموجب للشهادة لصاحبه بالإيمان فقال ﷺ: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان"، قال الله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[3]، ومن معاني اعتياد المساجد وتعاهدها تعهدها بالحفظ والعمارة والنظافة وتطييب رائحتها وغير ذلك، كما يدل عليه استشهاده ﷺ بالآية[4]: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾، وكما

(١) أخرجه مسلم، ٦٥٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٤٦٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٨.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٠٥/٢.

أشار إلى ذلك الطيبي ببيان أن التعهد هو التحفظ بالشيء وتجديد العهد به، كما جاء في رواية: "إذا رأيتم الرجل يتعاهد المساجد" وفي رواية يعتاد من الاعتياد وهو معاودته إلى المسجد كرة بعد أخرى لإقام الصلاة، وكلاهما حسن"[١]. وجاء في الآية ما يدل على أن عمارة المساجد واعتيادها سبب الفلاح فقال تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٢]، أى إن أولئك هم المفلحون، كقوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[٣]، يقول: "إن ربك سيبعثك مقامًا محمودًا وهى الشفاعة، وكل "عسى" في القرآن فهى واجبة"[٤].

إن عمارة المساجد في الإسلام من أعظم الأعمال في الإسلام، صحيح أن الإسلام اعتبر الأرض كلها مسجدًا، ولكن لابد للجمع والجماعات من مكان صالح لا سلطان لأحد عليه، ليكون جديرًا بحق بأن يسمى بيت الله وليستشعر المصلي في كل خطوة إليه وكل سجدة فيه أن سعيه موجه إلى غاية واحدة هي الله تبارك وتعالى.

ومن هنا كان اهتمام الإسلام بعمارة الأرض بالمساجد، إن الإسلام كلما دخل بلدًا كان المسجد فيها هو شعاره وعنوانه وكان ناديًا للجمع ومعهدًا للدرس ومعبرًا للذكر وإمام الصلاة فيه هو قائد المعركة، وقاضي الخصومة، وولي أمر المؤمنين ومرشدهم في هذا البلد، ولما كان للمسجد هذه المنزلة حث الشارع على عمارته وذلك يكون بشيئين:

أ - تعمير مادي: وذلك يكون بإقامته وإضاءته وتنظيفه وصيانته.

ب - تعمير روحي: وذلك يكون بإلفه وإدامة الذكر والصلاة، ومدارسة العلم فيه وغير ذلك من النوافل والقُرب[٥].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٢/ ٢٤١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢١/٤.

(٥) انظر: العبادات في الإسلام، د. محمد عبده ص ١٤٠، ١٤١.

رابعًا - من أهداف الدعوة: بيان الإيمان بالله وأثره في السلوك:

إن من الأهداف الرئيسة للدعوة إلى الله بيان الصلة بين الإيمان والسلوك، والحديث مثال على ذلك حيث بين النبي ﷺ أن الإيمان دافع لصاحبه باعتياد المساجد وعمارتها، وأن ذلك العمل من أسباب تقوية الإيمان فكان ذلك سببًا في شهادة الناس وإقرارهم بإيمان صاحبه، فقال ﷺ: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان"، فالإيمان بالله هو عماد الحياة، ومصدر كل سعادة وهو يطلق النفس من قيودها المادية فتتعالى على شهواتها ولا تبالي بالمنافع والمضار، فيسعى الإنسان لنفسه ولأمته وللناس جميعًا ضمن قوانين الحق العامة وسنة الخير الشاملة، فكل ما في الإنسان من خير ونبل وتضحية وإيثار وإنكار للذات مستمد من إيمانه، والإيمان يحول بين المرء واقتراف المعاصي، كما أنه مصدر ينير لصاحبه ظلمات هذه الحياة وقد أخبر الله أهل الإيمان بأن يد المعونة والتأييد ممدودة لهم[1]، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[2]، وقال: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[3].

إن الإيمان بالله تعالى وعبادته ينتظم جميع الأعمال الإنسانية فيتحقق بذلك ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[4].

فالمسلم في وسعه أن يتعبد بكل نية ينعقد عليها عزمه، وكل كلمة أو حركة تهتز لها جوارحه، مادام يبغي بذلك وجه الله تعالى. فالرجل يمسي كالاً من عمل يده عابد، والمرأة تبيت ساهرة على رعاية طفلها عابدة، حتى الذي يعني بطعامه ويهتم بعلف دابته - إذا نوى إعداد بدنه للكفاح، ودابته للجهاد - ينال بما نوى أجرًا عظيمًا، ويكتب في عداد العابدين[5].

---

(١) انظر: روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ١٧٥ - ١٧٧.

(٢) سورة التغابن، الآية : ١١.

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٥٧.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٥) انظر: العبادات في الإسلام، د. محمد عبده ص ٢٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من ميادين التربية: المسجد:

وهذا مستمد من أحاديث الباب، التي ترغب في الذهاب إلى المسجد، قال الأستاذ عبدالرحمن النحلاوي عن الوظيفة التربوية للمسجد: "كانت للمسجد في صدر الإسلام وظائف جليلة أهمل المسلمون اليوم عددًا منها، فقد كان منطلقًا للجيوش وحركات التحرير، تحرير الأمم والشعوب من العبودية للبشر والأوثان والطواغيت ليتشرفوا بعبوديتهم لله وحده، وكان المسجد مركزًا تربويًا يربى فيه الناس على الفضيلة وحبّ العلم، وعلى الوعي الاجتماعي، ومعرفة حقوقهم وواجباتهم في الدولة الإسلامية، التي أقيمت لتحقيق طاعة الله وشريعته وعدالته ورحمته بين البشر، فكان أن انطلق تعليم القراءة والكتابة، أي البدء بمحو الأمية من مسجد رسول الله ﷺ وكان المسجد مصدر إشعاع خلقي، يتشبع فيه المسلمون بفضائل الأخلاق وكريم الشمائل، وبقي الأمر على هذا ما بين مدّ وجزر، تطغى الأغراض الدنيوية حينًا على بعض المنظمين لرواد المساجد، ممن كانوا يسمون علماء، فتنقلب حلقاته إلى موارد للرزق، ومعاقل للتعصب المذهبي أو الطائفي أو الشخصي"[١].

ثانيًا: التربية بالتحفيز:

للتربية بالتحفيز أثر كبير في النفوس، لأن هذه التربية تبعث على الإقدام والتنافس في الخيرات وتحصيل الثواب، وقد تجلى ذلك في قول النبي ﷺ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ . أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلاً ...». وفي هذا الحديث تربية بالتحفيز على الحرص على الغدو والرواح إلى المسجد، لتحصيل هذا الفضل العظيم المترتب على ذلك.

وقوله ﷺ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَضَىٰ إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ ...».

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ١٠٩، وانظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص ٣٦٠ - ٣٦٣.

ففي هذا الحديث ذِكْر أن من تطهر وذهب إلى المسجد، ليصلي الصلوات المفروضة يبتغي به وجه الله عز وجل، ولم يذهب لغرض من الأغراض الأخرى التي لم يبن المسجد لها، فلم يذهب لقضاء وقت من مسامرة أو حديث، وكذلك لم يذهب لنوم أو نحو ذلك، وعلى ذلك ينبغي تربية الناشئة على أن يذهبوا إلى المسجد للأغراض التي جُعِلَ المسجد من أجلها، ولا يقتصر هذا على المسجد فحسب، بل يمتد أيضًا ليشمل كل مناحى الحياة ونواحيها، فإذا أدّى الناشئة أعمال الأماكن التي هم فيها، دلّ ذلك على حسن تربيتهم وفضل أخلاقهم ومزيد معرفتهم بالواجبات والمسؤوليات، مما ينعكس على حياة الفرد والمجتمع فيُحقق أمل النجاح والفلاح والفوز ونحو ذلك، وإلاّ وقع الخلل والانحراف عن الجادة.

وقول النبي ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلاَةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشىً، فَأَبْعَدُهُمْ. وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإِمَامِ ....». فهذا الحديث يتضمن تربية بتحفيز كل مسلم على السعي إلى المساجد والاستكثار من المشي إليه وانتظار الصلاة مع الإمام، مما يؤصل في النفس الإقبال على الطاعة والصبر عليها رغبة في الثواب العظيم، بدلاً من الانصراف واستثقال ذلك على النفس. ومن التربية بالتحفيز ما ورد في قوله ﷺ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وهذا مما يغرس في النفوس أهمية الحرص على هذا الفضل، تحصيلاً لما أعده الله تعالى للمشائين في الظلم إلى المساجد.

ثالثًا: تربية الناشئة على تحصيل أعظم الأجر وأفضله:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: «بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ». وقوله ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلاَةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشىً، فَأَبْعَدُهُمْ». وعندما قال الصحابي: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ. وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي». عندما قال ذلك قال النبي ﷺ: «قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ».

وعلى هذا ينبغي أن يربى الناشئة، وذلك قد يندرج فيما يطلق عليه علماء التربية

وعلماء السلوك، السعي للتميز، يقول د. إبراهيم بن حمد القعيد: "أقصد بعادة السعي للتميز: العمل الدؤوب ومواصلة الاستمرار عليه لتحقيق التميز في الحياة، وهذا يعني مداومة التطوير الذاتي ورفع مستوى الإيمان والأخلاق والعلاقات وتسخيرها لتحقيق رسالتك في الحياة، ومن ثم فعادة السعي للتميز في حياتك تعني ثلاثة أمور رئيسة.

الأول: المداومة على رفع مستوى إيمانك.

الثاني: المداومة على رفع مستوى الاحتراف والتخصص والإنتاج والكفاءة والفعالية في عملك أو مهنتك.

الثالث: المداومة على رفع مستوى علاقتك الإيجابية مع الآخرين.

أما الإيمان فهو المعين الذي لا ينضب من العلاقة القوية والدائمة مع الله سبحانه وتعالى، وبقدر ما تقوي هذه العلاقة، ويرتفع مستوى الإيمان وتتدرج في مقاماته، تحقق رسالتك في الحياة بفاعلية، والإيمان - كما هو معروف - مؤشر حساس في حياتنا يرتفع حينًا بسبب زيادة العلم وإخلاص العبادة والاتجاه إلى الله سبحانه وتعالى. وينخفض حينًا آخر بسبب الانشغال والكسل والغفلة والإهمال. وجوهر عادة السعي للتميز، هو أن تُبقى هذا المؤشر في حركة دائبة نحو الارتفاع وتبحث عن الوسائل والطرق التي تحافظ على هذه الحركة الدائبة من الأسفل إلى الأعلى..." [(١)].

رابعًا: تربية الناشئة على أن الأجر يتفاوت بتفاوت العمل:

هذا مستمد من قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلاَةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشىً، فَأَبْعَدُهُمْ. وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإِمَامِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّيهَا ثُمَّ يَنَامُ»، فقد بيّن ﷺ أن الأجر في الصلاة يختلف ويتفاوت باختلاف مسافة المشي من البيت إلى المسجد، فأعظم المصلين أجرًا من كان أبعد ممشى فأبعدهم.

كما بين ﷺ أن اختلاف الأجر في الصلاة باختلاف تحمل المصلّي وصبره، فمن

---

(١) العادات العشر للشخصية الناجحة ص ٨٩ - ٩٠.

انتظر ليصلي مع الإمام أعظم أجرًا ممن لم يصبر ولم يبذل جهدًا لأن يصلي في جماعة، بل استجاب لرغبته في النوم فصلى بمفرده ثم نام.

والخلاصة أن الأجر يختلف باختلاف العمل ودرجته، وعلى ذلك ينبغي تربية الناشئة، فلا يتساوى عندهم الأعمال أهمها مع مُهمها، وأفضلها مع فاضلها، وسيئها مع أسوئها، وقبيحها مع أقبحها، ونحو ذلك، بل يترسخ في أذهانهم وأفئدتهم أنه لا يتساوى المحسن مع المقتصد فضلاً عن أن يتساوى لديهم الطيب مع الخبيث.

وإذا رسخ ذلك في أفئدتهم دفعهم ذلك لأن يأتوا بأفضل الأعمال وأحسنها، ويتركوا أسوأ الأعمال إن هم عجزوا عن ترك سيئها، وهكذا يكون سلوكهم في جميع مناحي حياتهم ومراحلها، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

خامسًا: التربية بالصبر على الطاعة وملازمتها طمعًا في فضل الله تعالى:

لا شك أن النفس الإنسانية تحتاج إلى مجاهدة ومراقبة، وأحيانًا تمل نفس الإنسان من ملازمة الطاعة، خاصة إذا فترت همته، ووسوس إليه الشيطان، ولبّس عليه بأنه يعاني التعب والإجهاد وبحاجة إلى الراحة وغير ذلك من الأعذار التي يمكن للإنسان أن ينتحلها مبررًا للتقاعس عن العبادة، إلا أن النبي ﷺ أمر بالصبر والمصابرة بصفة عامة في كافة الأمور، وبصفة خاصة في أمور العبادة والطاعة، والتي من جملتها المشي إلى المساجد في الظلمات في قوله ﷺ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فالنبي ﷺ بشر من يمشي في الليل وقت الظلام من أجل أن يذهب إلى المسجد ليصلي العشاء والفجر، وصبره على ذلك وتحمل البرد والظلمة أحيانًا في بعض الأماكن، وكذلك وحشة الطريق إذا كان المسجد بعيدًا عن مكان الإنسان، بشره بالنور التام الكامل يوم القيامة، حيث يجد الثواب الجزيل الذي أعده الله لفعله هذا. وصبره على الطاعة وملازمته لها، فإذا كان مشى في الظلام من أجل الصلاة فإن الله

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ١٧ - ١٨.

كافأه بالنور يوم القيامة، وعلى مثل هذا ينبغي أن يربى الناشئة، فيتركون الدعة والراحة في الدنيا من أجل الراحة والنعيم في الآخرة.

يقول د. محمد أمين شحادة: "وصرف جزء كبير من الوقت في مواطن الراحة ضياع له، بينما صرفه في العمل على الأهداف الهامة في حياته يحتاج الخروج من تلك المواطن، والعمل الجاد ولو كرهته النفس، أقول هذا لأن الأعمال الهامة معظمها ليست بالضرورة ممتعة للنفس البشرية، بل تحتاج إلى تطويع وترويض تلك النفس عليها، لاشك أن النوم في الثلث الأخير من الليل موطن راحة أي إنسان، لكن الذي يسمو إلى العلا قد يأبى نوم هذا الوقت، بل يفضل إجبار نفسه وجسده على قيام ذلك الوقت تعبدًا لله وتزكية لنفسه، وفي ذلك نيله لموطن يصبو إليه كل مسلم وهو الجنة ونعيمها.

لاشك أن الجلوس والتراخي في البيت من مواطن الراحة لكن قد يأبى الداعي النشيط إلا الخروج للناس ومخالطتهم ودعوتهم وتحمل أذاهم أينما كانوا مستصغرًا في سبيل ذلك تعب جسده، ولاشك أن الاطمئنان على النفس والمال من أعظم مواطن الراحة الأساسية في حياة الإنسان حسب دراسات متخصصة في هذا المجال، لكن الكيِّس الطالب رضوان الله تعالى قد يتخطى ذلك الحاجز المادي الذي يشده للأرض، فيخاطر بنفسه وماله، بل قد يضحي بهما في سبيل أهداف وغايات ينشدها" [(١)].

سادسًا: من مهام المربى: بيان معايير الحكم على الناس:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيْمَانِ، قال الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [(٢)]» . فقد أخذ النبي الحكم من الآية الكريمة.

إن من أبرز المهام التربوية التي ينبغي أن يضطلع بها القائمون على التربية: بيان معايير الحكم على الناس خاصة في هذا الزمان الذي انبهمت فيه الرؤى الصحيحة على

---

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة ص ٤٠٧، ٤٠٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٨.

كثير من الناس، حتى أصبح الثراء المادي أو الوجاهة الاجتماعية، أو المناصب هي أساس الحكم على الناس، وغابت القيم الحقيقية التي ينبغي أن يربى عليها الإنسان صغيرًا أم كبيرًا، ومن جملة هذه القيم الشهادة بالفضل وبالإيمان لمن يلازم اعتياد المساجد، والتي من جملة عمارتها إعمارها بذكر الله وإقامة الصلاة، ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ وقوله ﷺ: كما في حديث الباب: «إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بالإِيْمَانِ».

حقًا، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[1]. "لقد وُجدت التربية الإسلامية من أجل العمل بها وتفعيلها في الواقع العملي في الحياة، وما ذلك إلا لأنها أحكام شرعية مستمدة من الكتاب الكريم والسنة الشريفة، مع كونها قيمًا سلوكية تتفق مع قدرات الإنسان العقلية والوجدانية والجسدية"[2].

"وحياة الرسول ﷺ في سلمه وحربه، في حلّه وترحاله، في داره وبين رجاله، كلها تشهد بما شهدت به السيدة عائشة والمسلمون جميعًا من أنه كان خلقه القرآن، فأدعيته مستقاة من القرآن تارة باللفظ وتارة بالمعنى، أما أصحابه رضوان الله عليهم فقد أخذوا أنفسهم بتطبيق القرآن مع تعلمه حتى قال قائلهم: كنا على عهد رسول الله ﷺ لا نجاوز السورة من القرآن حتى نحفظها ونعمل بها فتعلمنا العلم والعمل جميعا"[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٢)أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ٤٤.

(٣) أصول التربية الإسلامية، وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٤.

١٩٠- باب فضل انتظار الصلاة

الحديث رقم (١٠٦٢)

١٠٦٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ، قَالَ: ((لا يَزَالُ أحَدُكُمْ في صَلاَةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ، لا يَمنَعُهُ أنْ يَنقَلِبَ إلى أهلِهِ إلاَّ الصَّلاةُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تحبسه: تمنعه[2].

ينقلب إلى أهله: أي يعود ويرجع إلى بيته[3].

الشرح الأدبي

الحديث يثمن غاليا تلك اللحظات الطاهرة التي يقضيها المؤمن في رحاب ربه في بيت من بيوت الله - تعالى- ينتظر الصلاة مما يرغب المؤمن في طول المكث في المسجد مكان السكينة، والطمأنينة، وقد بدأ الحديث بفعل يدل على الاستمرارية بصيغته، ودلالته وهو قوله (لا يَزَالُ أحَدُكُمْ) كما أن لفظ (أحدكم) يدل على عموم الحكم لأنه مضاف لكاف الخطاب، وميم الجمع، وقوله (في صَلاَةٍ) يقرر أن ثوابه مستمر، وأجره غير منقطع أكده بالفعل الدال على الدوام، والاستمرار (مَا دَامَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ) والتعبير بالحبس إشارة إلى قسر النفس على طاعة الله تعالى لأن حمل النفس

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩)، ومسلم (٢٧٥/٦٤٩، كتاب المساجد، باب ٤٩) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٦٢٦).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ب س)

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ل ب).

على الطاعة يحتاج إلى مجاهدة النفس، والشيطان، وقد صوره الفعل المضارع بصيغته (تحبسه) وقوله (لا يَمنَعُهُ أنْ يَنقَلِبَ إلى أهلِهِ إلاّ الصَّلاةُ) أسلوب قصر لصفة المكث في المسجد على الصلاة دون أي غرض دنيوي، وفيه إشارة إلى الإخلاص لله تعالى في بقائه في المسجد، وانتظاره للصلاة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل انتظار الصلاة.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على انتظار الصلاة في المسجد والتبكير لها.

أولاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن أسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المجدية في الدعوة إلى الله تعالى والتي لها أكبر الأثر في الإقبال عليها والاستجابة لها والثبات عليها وقد ورد أسلوب الترغيب في الحديث حيث رغب النبي ﷺ في انتظار الصلاة بجريان أجر الصلاة عليه، فقال ﷺ: ((لا يَزالُ أحدُكم في صلاةٍ ما دامتِ الصلاةُ تَحبِسُهُ، لا يَمنعُه أن يَنقَلِبَ إلى أهلِهِ إلاّ الصلاةُ». والمقصود بالترغيب في الشرع: كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، قال تعالى في حق المؤمنين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[1]، فمن النفوس من ترغب في الخير وتهفوا إلى الهدى، وتشتاق إلى النور، ذكرُ الخير يرغبها، ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها، والترغيب كان من أساليب الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[2]، ويقول عن رسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[١]، فرسل الله دعاة جاءوا بوحي ورسالة وحق وهداية فمن قبل هدى الله فلا يضل ولا يشقى تبشره الرسل بالهداية وتسره بالفوز في الدنيا والآخرة[٢].

إن سبل الخير لما كانت محفوفة بالمكاره ومخالفة هدى النفس وسبل الشر محفوفة بمغريات النفس وفواتن الأهواء والأفكار، كانت إذن الدعوة إلى الله وأصولها تستدعي إيجاد قوة محرضة وجاذبة إلى طريق الهداية زائدة على الإقناع الفكري المجرد، وتستدعى كذلك إيجاد قوة صادّة عن سبيل الشر وطريق الغواية زائدة بعضها أيضًا على قوة الإقناع الفكري المجرد[٣].

وهاتان القوتان -المحرضة والصادة- يطلق عليهما الترغيب والترهيب أو التحفيز والتحذير، وهما من الأساليب الدعوية التي اعتمدها النبي ﷺ[٤]، واستخدمها كوسيلة من وسائل الدعوة والتربية والإعداد، مصحوبًا بتصوير فني رائع لنعيم الجنة مثيرًا الانفعالات والوجدانية والعواطف الربانية فهو ﷺ لا يغفل عن أية طريقة أو أي أسلوب يوجه به الإنسان ويرشده إلى السلوك الذي يصلح لحياته[٥].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل انتظار الصلاة:

صرح الحديث بفضل انتظار الصلاة، فقال ﷺ: ((لا يَزالُ أحدُكم في صلاةٍ ما دامتِ الصلاةُ تَحبِسُهُ، لا يَمنعُه أن يَنقلِبَ إلى أهلِهِ إلاّ الصلاةُ)). وفي ذلك فضل كبير وأجر عظيم، فلا يزال المنتظر للصلاة يجرى عليه ثوابها ما دام ينتظرها فإن الأعمال بالنيات، بل نية المؤمن خير من عمله في بعض الأحيان، وفي ذلك تنبيه على تصحيح النية[٦]، إضافة إلى ما في انتظار الصلاة من إمكانية الصلاة في الصف الأول وإدراك

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ١٩٩ - ٢٠٢.

(٣) انظر: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة ص ٢٥٣، ٢٥٤.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٢٠.

(٥) فلسفة التربية الإسلامية، في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٤٥.

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٣٦.

تكبيرة الإحرام، ولذلك فضيلة لا تنكر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لا يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه"[١]، وهذا دأب الصالحين وشيمة العباد المتقين، ولو استقرأت حال السلف الصالح لوجدت أن تبكيرهم وانتظارهم الصلوات سمة بارزة في حياتهم ومنذ الصغر ومعظمنا يسمع أن سعيد بن المسيب لم تفته تكبيرة الإحرام بل ما أذن المؤذن إلا وهو في المسجد[٢].

إن النصوص والآثار تبين أن انتظار الصلاة واللبث في المسجد لأي نوع من أنواع العبادة كالصلاة وتلاوة القرآن أو الذكر أو الوعظ أو سماع العلم ونحو ذلك من عمارة المساجد أمر مُرَغَّب فيه شرعًا وأن المنتظر للصلاة والذاكر لله تعالى بعدها في مصلاه لا يزال في ثواب الصلاة حتى ينصرف[٣].

وذلك يدخل في عموم عمارة المساجد الموصوف بها أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٤]، أي إنما يعمر مساجد الله بالرعاية والعناية والولاية والعبادة، إنما يعمره من آمن بالله إيمانًا كاملاً صادقًا وآمن باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، وكان عمله الظاهر موافقًا لعقيدته فيقيم الصلاة ويؤديها كاملة الأركان، ويؤدي الزكاة لأربابها.

والمعنى قصر تعمير المساجد على المؤمنين بالله والمقيمين الصلاة إقامة كاملة مع إيتاء الزكاة، والخشية من الله وحده دون غيره مما لا ينفع ولا يضر والمراد الخشية

---

(١) أخرجه مسلم ٤٣٧.

(٢) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٢٣٣.

(٣) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، د. إبراهيم بن صالح الخضيري من إصدارات الكتاب الإسلامي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٩هـ ٢/١٩٤، ١٩٥.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٨.

الدينية لا الغريزية كالخوف من الحيوان المؤذي مثلاً، ونحن نرى الآن أنه لا يعمر بيوت الله إلا هؤلاء فقط.

فأولئك الموصوفون بهذه الصفات الجليلة هم المهتدون إلى الخير، المستحقون على أعمالهم عظيم الأجر، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ وفي تصدير جزائهم بكلمة عسى إشارة إلى قطع أطماع الكفار أي إذا كان هؤلاء العاملون المقربون جزاؤهم بين لعل وعسى فما بال الكفار؟!![1].

ثالثًا- من آداب المدعو: الحرص على انتظار الصلاة في المسجد والتبكير لها:

من الآداب التي ينبغي أن يلتزم بها المسلم الحرص على انتظار الصلاة والتبكير لها، وفي ذلك جريان لأجر الصلاة على من ينتظرها، فيقول ﷺ "لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه" وهذا من رحمة الله بعباده وجزيل كرمه، أن رتب على جلوسهم في المساجد وانتظار الصلاة كأجر المصلى، لكن ينبغي على من ينتظر الصلاة ألا يضيع هذا الوقت فيما لافائدة فيه، فقد يفرط كثير من الناس بهذا الوقت، وقت انتظار الصلاة، خاصة بين الأذان والإقامة فتجدهم يقلبون أعينهم في المصلين أو التالين، وبعضهم يرسل بصره وعقله في تأمل نقوش المسجد وعمارته إلى غير ذلك، ولو أنهم اغتنموا هذا الوقت بقراءة القرآن أو ذكر الله أو الاجتهاد في الدعاء لأنه وقت إجابة لكان فيه الخير الكثير[2].

لذا ينبغي على المسلم إذا وفق للمكث في المسجد لانتظار الصلاة أو غير ذلك أن يستغل وقته هذا ولا يدعه يمر خاليًا من الأعمال الصالحات.

إن واجب المسلم نحو وقته أن يدرك أولاً أن وقته هو حياته فيحفظه ويحصى كل ساعة منه فيصرفها بعمل ينفعه في دينه دنياه، ويحرص على عمارة أوقاته بالعمل الصالح لينجو يوم القيامة، حيث إن الفوز بالجنة سببه ما أسلف العبد في أيامه

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ١/١٠/٢٤.

(٢) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٩٦، ١٩٧.

الخالية[١]، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾[٢]، أي: بما قدمتم في أيام الدنيا[٣] وقال الإمام النسفي: (بما قدمتم من الأعمال الصالحة في الأيام الخالية)[٤].

ولقد ضرب الله الأمثال في تتابع الليل والنهار ليتدبر العقلاء ويعتبروا بمرور الأيام، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[٦].

قال د. يوسف القرضاوي: (إن مضي الزمن واختلاف الليل والنهار لا يجوز أن يمر بالمؤمن وهو في ذهول عن الاعتبار به والتفكير به، ففي كل يوم يمر، بل في كل ساعة تمضي، بل في كل لحظة تنقضي، تقع في الكون والحياة أحداث شتى، منها ما يرى وما لا يرى، ومنها ما يعلم وما لا يعلم، من أرض تحيا، وحبة تنبت، ونبات يزهر، وزهر يثمر، وثمر يقطف، وزرع يصبح هشيمًا تذوره الرياح، أو من جنين يتكون، وطفل يولد، ووليد يشب، وشاب يكتهل، وكهل يشيخ، وشيخ يموت!، ومن أحوال تدور على الناس كلما دار الفلك من فوق أو دارت الأرض من تحت، بين يسر وعسر، وغنى

---

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة ص ٨٠.

(٢) سورة الحاقة، الآيات: ١٨ - ٢٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٧١/١٨/٩.

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٣/ ٥٧٩.

(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

(٦) سورة النور، الآية: ٤٤.

وفقر، وصحة وسقم، وسرور وحزن، وشدة ورخاء، وسراء وضراء، وفي كل ذلك آية لمن كان له لب، وذكرى لمن كان له قلب، وعبرة لمن كان له بصر)[١].

فالوقت مسؤول عنه العبد يوم القيامة، واعتبر العلماء أن من العقوق إضاعة الوقت، كما جاء في فيض القدير: إن (من أمضى يومه في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثّله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه،فقد عق يومه وظلم نفسه)[٢].

فالمسلم لا يهدر وقته، بل يملؤه بالعمل النافع كما كان حال سلف الأمة، كانوا شديدي الحرص على عدم تضييع الوقت بدون عمل نافع[٣].

---

(١) الوقت في حياة المسلم ص ١٠، ١١.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٢٢٨/٦.

(٣) قيمة الزمن عند العلماء، عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ص ٢٧.

الحديث رقم (١٠٦٣)

١٠٦٣ - وعنه ﷺ : أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ ، قَالَ: ((الْمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ)) رواه البُخَارِيُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

العلاقة بين الملائكة، والمؤمنين علاقة حميمة تقوم على الرعاية والحفظ، والدعاء من جانب الملائكة بينما يستشعر المؤمنون وجودهم في إيمان عميق ومحبة لخلق أطهار، وقد صدر الحديث بلفظ الملائكة، وهو تقديم للمسند إليه على الخبر الفعلي في قوله (الملائكة تصلي) ويفيد الاختصاص، أو الاهتمام، وتقوية الحكم، ولفظ أحدكم يعمم الخطاب ليشمل الجميع، والفعل المنفي (مادام) يفيد البقاء، والاستمرار، قوله (ما لم يحدث) أي ما لم يأت بالحدث، وكلمة ما مصدرية زمانية، والتقدير مدة دوام عدم الحدث، فحذف الظرف، وخلفته ما وصلتها، والجناس بين مصلاه، وبين صلى يؤكد المعنى، ويشير إلى العلاقة بين المكان، وطبيعة الأجر المتعلق به في وجود النية، لأنه يجري عليه الثواب، ودعاء الملائكة، وهو فيه، وحكاية صلاة (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ) تفسير لطبيعة هذه الصلاة، وهي الدعاء بهذا الدعاء، وهو دعاء شامل لخير الدنيا، والآخرة، لأن مغفرة الذنوب خير في الدنيا، وخير في الآخرة؛ لأن الذنوب تفتح على العبد باب المصائب في الدنيا قال تعالى (﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠] (وما أصابكم) خطاب للمؤمنين (من مصيبة) بلية، وشدة (فبما كسبت أيديكم) كسبتم من الذنوب وعبر بالأيدي لأن أكثر

---

(١) برقم (٤٤٥). أورده المنذري في ترغيبه (٦٢٦).

الأفعال تزاول بها (ويعفو عن كثير) منها فلا يجازي عليه وهو تعالى أكرم من أن يثني الجزاء في الآخرة، فمغفرة الذنب تجنبه الشدائد في الدنيا، والعذاب في والآخرة، والرحمة يحتاج إليها الإنسان في كل شؤونه في الدنيا، والآخرة.

فقه الحديث

بوّب البخاري على هذا الحديث: باب الحدث في المسجد[(١)].

قال ابن حجر: (قال المازري: أشار البخاري إلى الرد على من منع المحدث أن يدخل المسجد أو يجلس فيه، وجعله كالجنب، وهو مبني على أن الحدث هنا الريح ونحوه، وبذلك فسره أبو هريرة كما تقدم في الطهارة[(٢)]. وقد قيل المراد بالحدث هنا أعم من ذلك؛ أي لم يحدث سوءًا، ويؤيده رواية مسلم ((ما لم يحدث فيه، ما لم يؤذ فيه))[(٣)] وفي أخرى للبخاري ((ما لم يؤذ فيه بحدث فيه)) وسيأتي قريبًا بناءً على أن الثانية تفسير للأولى)[(٤)].

ثم قال: (فيه دليل على أن الحدث في المسجد أشدّ من النخامة لما تقدم من أن لها كفارة، ولم يذكر لهذا كفارة[(٥)]، بل عومل صاحبه بحرمان استغفار الملائكة، ودعاء الملائكة مرجو الإجابة لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[(٦)])[(٧)].

وتعقب ابن باز في تعليقه على الأجزاء الأولى من فتح الباري، تعقب ابن حجر في هذا

---

(١) الحديث ٤٤٥.

(٢) الحديث ١٧٦ في صحيح البخاري.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٢ - ٦٤٩، وهي عند البخاري ٢١١٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١/٦٤١.

(٥) أخرجه البخاري ٤١٥، ومسلم ٥٥٢ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: "البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها".

(٦) سورة الأنبياء، آية: ٢٨.

(٧) فتح الباري، ابن حجر ١/٦٤١ - ٦٤٢.

فقال: (هذا فيه تفصيل: فإن قصد بالحدث المعصية أو البدعة فما قاله الشارح متوجه، وإن أريد بالحدث الريح ونحوها مما ينقّص الطهارة سوى البول ونحوه فليس ما قاله الشارح واضحًا، والصواب إباحة ذلك أو كراهته من غير تحريم، وإن فاتته به صلاة الملائكة ويؤيد الثاني ما ذكره الشارح في شرح الحديث ٤٥٧ فتنبه)[١].

قلت: قال ابن حجر في شرح الحديث ٦٥٩ ما نصه: (وقد تقدم الكلام في الطهارة على معنى قوله "ما لم يحدث" وفيه زيادة على ما هنا، وأن المراد بالحدث حدث الفرج، لكن يؤخذ منه أن اجتناب حدث اليد واللسان من باب الأولى، لأن الأذى منها يكون أشد، أشار إلى ذلك ابن بطال)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: دعاء الملائكة للمؤمن ما دام في مصلاه.

ثالثًا: من مهام الداعية: حث المدعوين على انتظار الصلاة في المسجد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: طهارة المساجد والمحافظة عليها من الأحداث.

خامسًا: من وسائل الدعوة: الدعاء.

أولاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث واضحًا بيّنًا، حيث بين النبي ﷺ أجر وفضل الجلوس في المسجد بعد الصلاة فقال: "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث، تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه". وأسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[٣].

---

(١) تعليق ابن باز على فتح الباري، ابن حجر ٦٤١/١ حاشية ١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٤٣/٢ .

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

والترغيب والترهيب في الشريعة يأتي حسب الأحوال والنفوس والمواقف، يأتي علاجًا وردعًا يأتي بشيرًا ونذيرًا، فمن النفوس من ترغب في الخير وتهفو إلى الهدى وتشتاق إلى النور، ذكر الخير يرغبها ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها، ومن الناس من يلهث وراء الشهوات ويجري وراء المادة ويشغف بالمنكر، فهذا يقرعه الترهيب ويوقظه الإنذار ويوقظه التخويف من عواقب ما هو فيه[١].

فالترغيب والترهيب، والرجاء والخوف هما جناحا الإيمان وقد وصف الله عباده المؤمنين وعلى رأسهم الأنبياء بالتوجه إلى الله تعالى يحدوهم إليه الخوف والرجاء، قال تعالى عن نبيه ذكريا وآل بيته: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[٢] وقال تعالى عن عباده المؤمنين: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٣].

وتتجلى أهميته الترغيب والترهيب في موافقته لطبيعة الإنسان وفطرته التي فطر عليها.

فالإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة وعازف عن كل ما يسبب له الألم ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه من خلال الترغيب والترهيب[٤].

وتأتي أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة من عدة اعتبارات منها:

أ - أنه أحد الأساليب الدعوية التي يقوم عليها المنهج الإسلامي فالقرآن والسنة مليئان بالآيات والأحاديث التي ترغب الإنسان في العمل بما أُمر به والانتهاء عما نهى عنه.

---

(١) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ٢٠٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٣) سورة السجدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٤) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبدالحميد السعيد الزناتي ص ٦٤٦.

ب- أن الإنسان مفطور على حب جلب الخير لنفسه وكره الشر والشقاء وهذا يدفع للاستجابة للمؤثرات الترغيبية والترهيبية بشكل قوي حيث أن الترغيب والترهيب أمران يقومان على الخوف والرجاء.

ومن آيات الترغيب في الآخرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾[1].

ج- أن الإنسان لديه القدرة على التمييز بين ما يضره وما ينفعه، كما أنه يستطيع أن يستجيب لأوامر التكليف، فيمتنع عما نهى عنه، والعمل بماأُمر به. مما يجعل للترغيب والترهيب أثر ظاهر في الدعوة إلى الله.

د- أن الترغيب والترهيب أسلوب تربوي وقائي، لأنه يقوم على جانب التحذير من المخالفة، مما يجعل له أهمية كبيرة في العملية الدعوية[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: دعاء الملائكة للمؤمن ما دام في مصلاه:

إن لانتظار الصلاة في المسجد والمكث في المسجد بعد أدائها ثواب لا يدانى، وفضل لا يضاهى ومن مظاهر ذلك أنه يكتب للإنسان ثواب هذا الانتظار والجلوس كأنما استغله في أداء صلوات، زد على ذلك محبة الملائكة ودعائها له واستغفارها له ما دام في مجلسه على وضوئه[3]، وذلك ما جاء في صريح قوله ﷺ: "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه، ما لم يحدث، تقول اللهم اغفر له، اللهم ارحمه" قال ابن حجر: (ودعاء الملائكة مرجو الإجابة لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[4])[5].

---

(١) سورة النبأ، الآية: ٣١ - ٣٦.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ٣٩٣ - ٣٩٥.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٦١.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٦٤٢/١.

قال الطيبي في قوله "اللهم اغفر له اللهم ارحمه" طلب الرحمة بعد طلب المغفرة لأن صلاة الملائكة استغفار لهم[١].

قال ابن حجر: (وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٢] وقوله ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٣]، قيل والسر فيه أنهم يطلعون على أفعال بني آدم وما فيها من المعصية والخلل في الطاعة فيقتصرون على الاستغفار لهم من ذلك، لأن دفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة، ولو فرض أن فيهم من تحفظ من ذلك فإنه يعوض من المغفرة بما يقابلها من الثواب)[٤].

ثالثًا- من مهام الداعية: حث المدعوين على انتظار الصلاة في المسجد:

من مهام الداعية وصفاته حث المدعوين على انتظار الصلاة وعدم التعجل بالخروج من المسجد بعد أداء الصلاة، رغبة في الخير ودعاء الملائكة، وكما جاء في الحديث "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه" فمن جلس في مصلاه بعد أداء الصلاة فإن الملاكة تصلي عليه وتدعو له بالمغفرة، وإن المكث في المسجد بعد أداء الصلاة من شأنه أن يرقق القلب ويذرف الدمع ويقرر العبد بذنوبه، وذلك بذكر ربه وجمع قلبه عليه، وهو في هذا الموطن الطاهر والبقعة المباركة، فالمكث فيه بمفرده عبادة واعتكاف إن نوى ذلك، وحق على المزور أن يكرم زائره[٥].

فحريٌّ بالمسلم أن يخصص من وقته في انتظار الصلاة تحصيلاً للأجر والمثوبة قال

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ج٢/٢٤٠.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥.

(٣) سورة غافر، الآية: ٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٢/١٦٨.

(٥) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٣٣٢.

تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: طهارة المساجد والمحافظة عليها من الأحداث:

ينبغي لكل مسلم أن يحافظ على طهارة المسجد ونقاء جوه وطيب رائحته، لذا بين النبي ﷺ أثر الحدث في المسجد في انقطاع استغفار الملائكة للإنسان فقال ﷺ "الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث" وفيه دليل على أن الحدث يبطل ذلك ولو استمر جالسًا وفيه دليل على أن الحدث في المسجد أشد من النخامة فإنه لا كفارة له ولم يذكر لهذا كفارة بل عومل صاحبه بحرمان استغفار الملائكة[٢].

وقال ابن حجر أيضًا: يؤخذ منه أن اجتناب حدث اليد واللسان من باب الأولى، لأن الأذى منهما يكون أشد، أشار إلى ذلك ابن بطال[٣].

ولقد كره العلماء الحدث في المسجد قال ابن عابدين: (وأما الريح فيكره إخراجها في المسجد؛ سواء أكانت ضراطًا[٤] أم فساء[١] وقيل: يجوز إخراج الريح في المسجد لجواز النوم فيه[٥].

والكراهة إنما هي للتنزيه، وليست للتحريم، وفرق بين المتعمد لإخراجها فإنه لو أخرجها عمدًا قاصدًا الإضرار بمن حوله وإيذاءهم فإن إخراجه لها في هذه الحالة محرم عليه؛ لأن أذى المسلمين محرم. ودليل الكراهية: هذا الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

(١) سورة النور، الآيات: ٣٦ - ٣٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٦٤١، ٦٤٢.

(٣) المرجع السابق ٢/١٦٧.

(٤) الفساء: خروج الريح بلا صوت، والضراط: خروجها بصوت، مختار الصحاح في (ض ر ط).

(٥) انظر: رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١/٦٥٦.

رسول الله ﷺ قال: ((الملائكةُ تُصلّي عَلَى أحَدِكم ما دام في مُصَلاّهُ الذي صلّى فيه ما لم يُحدِث، تقولُ: اللّهمَّ اغفِرْ لهُ، اللّهمَّ ارحَمْهُ)) ولمسلم: "ما لم يحدث فيه". ولهما: "ما لم يؤذ فيه"[١].

الشاهد: "ما لم يحدث... ما لم يؤذ فيه".

وجه الدلالة: أن إخراج الريح هو الحدث، كما فسره أبو هريرة رضي الله عنه وبسببه ينقطع استغفار الملائكة عمن صدر منه عقابًا له؛ لأنه آذى من حوله بالريح التي تخرج منه، فإن قيل: إن المراد بقوله "يحدث" أي يأتي ببدعة، فالجواب: أن أبا هريرة فسر الحديث، وهو راوي الحديث، ولا مانع أن تشمل الكلمة ما فسره أبو هريرة وزيادة[٢].

خامسًا - من وسائل الدعوة: الدعاء:

لقد وردت الإشارة إلى الدعاء في هذا الحديث الذي معنا من خلال إخبار النبي ﷺ بدعاء الملائكة لمن يمكث في مصلاه فقال ﷺ "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه" ولاشك أن الدعاء يعد من الأساليب الدعوية المهمة في حصول ما يأمله الداعية من انتشار الدعوة ونجاحها، وعلو شأنها، وقد أمر الله عباده بالدعاء، ووعد بالاستجابة في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٣] وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٤]. والدعاء أمر ضروري للداعي لتقوية صلته بالله عز وجل، فالداعي إلى الله يهدف إلى تعريف الناس بربهم وتوثيق علاقتهم به، فكيف يتأتى له ذلك إذا كان واهي الصلة بالله عز وجل[٥]. ومن هنا يتبين لنا أهمية الدعاء وأثره البالغ.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٩، ومسلم ٦٤٩.

(٢) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، د. إبراهيم بن صالح الخضير ٢٠٧/٣.

(٣) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٥) انظر: أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ٢٩.

إن الدعاء من أعظم العبادات وليس شيء أكرم على الله من الدعاء ولا يرد القضاء إلا الدعاء، فلنسأل الله في حوائجنا صغيرها وكبيرها عاجلها وآجلها ولننتظر الفرج من الله تعالى[1].

وقد أمر الله بالدعاء في مثل قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾[2].

ولا يقتصر الإنسان على الدعاء لنفسه بل رغب الإسلام في الدعاء للآخرين ولا سيما بظهر الغيب وقد وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[3].

وينبغي على الداعي أن يجتهد في تحصيل أسباب الإجابة من الزمان والمكان وغيرهما.

قال ابن مفلح: (فالعارف "يعني الذي يعلم حق الله عليه مثلاً" يجتهد في تحصيل أسباب الإجابة من الزمان والمكان وغير ذلك ولا يملُّ ولا يسأم ويجتهد في معاملته بينه وبين ربه عز وجل في غير وقت الشدة، فإنه أنجح، فالواجب النظر في الأمور، فإن عدم الإجابة فليعلم أن ذلك إما لعدم بعض المقتضى أو لوجود مانع فيتهم نفسه لا غيرها، وينظر في حال سيد الخلائق وأكرمهم على الله عز وجل، كيف كان اجتهاده في وقعة بدر وغيرها ويثق بوعد ربه عز وجل في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[4] وليعلم أيضًا أن كل شيء عنده بأجل مسمى[5] كما ينبغي على الداعي أن يلتزم للدعاء

---

(١) انظر: خطب مختارة، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤١٩هـ ص ١٠٤، ١٠٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٥.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٤) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٥) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ج١/١٤٩.

بآدابه، وقد جمع العلماء آداب الدعاء في عدة أمور منها:

أ - أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل.

ب - أن يغتنم الأحوال الشريفة كحال الزحف، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلاة، وعند إفطار الصائم، وحالة السجود، وفي حال السفر.

ج - أن يدعو مستقبل القبلة، مع خفض الصوت بين المخافتة والجهر، وأن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه.

د - الإخلاص في الدعاء والتضرع والخشوع والرغبة والرهبة، وأن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاؤه فيه.

هـ - أن يلح في الدعاء ويكون ثلاثًا، كما ينبغي له أن لا يستبطئ الإجابة.

و - أن يفتتح الدعاء ويختتمه بذكر الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ ثم يبدأ بالسؤال.

ز - التوبة ورد المظالم والإقبال على الله عز وجل بِكُنْهِ الهمة، وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة، وتحري أكل الحلال[1].

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٢٠٤/١ - ٢٠٧.

الحديث رقم (١٠٦٤)

١٠٦٤ - وعن أنس رضي الله عنه : أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أخَّرَ لَيْلَةً صَلاَةَ العِشَاء إلَى شَطْرِ اللَّيْلِ ثُمَّ أقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ بَعْدَمَا صَلَّى، فَقَالَ: ((صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدُوا، وَلَمْ تَزَالُوا فِي صَلاَةٍ مُنْذُ انْتَظَرْتُمُوهَا)) رواه البُخَارِيُّ[1].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

شطر الليل: نصفه[2].

الشرح الأدبي

حركة الرسول ﷺ وسكونه مرتبط بربه، ومحكوم بغرض التبليغ لذلك نجده عند كل حدث يستجد موعظة، أو توجيها ينفع الأمة في حاضرها يوم الحديث في الصحابة أو فيما وليهم من عصور، وما سيليهم إلى يوم القيامة، والحديث أسلوبه خبري إفادة مضمون الخبر والمقصود بشطر الليل نصفه (ثُمَّ أقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ) الإقبال هو المواجهة، وليس هناك أجمل مشهدا من ذلك، وكأني بالصحابة ينهون صلاتهم ثم ينتظرون هذا الحدث، وعيونهم معلقة بشخصه، وقوله (صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدُوا وَلَمْ تَزَالُوا فِي صَلاَةٍ مُنْذُ انْتَظَرْتُمُوهَا) خبر أريد به لازم الفائدة، وهو الإشادة بالمنتظرين للصلاة، والبشارة لهم بجريان الأجر عليهم من الله ما داموا في انتظارها.

فقه الحديث

قال النووي: (اختلف العلماء: هل الأفضل تقديم صلاة العشاء أم تأخيرها؟ وهما

---

(١) برقم (٦٦١)، وأخرجه مسلم أيضًا برقم ٦٤٠/٢٢٢، وسيكرره المؤلف برقم ١٧٥٠. أورده المنذري في ترغيبه (٦٢٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ط ر).

مذهبان مشهوران للسلف، وقولان لمالك والشافعي، فمن فضل التأخير احتج بهذه الأحاديث[1] ومن فضل التقديم احتج بأن العادة الغالبة لرسول الله ﷺ تقديمها، وإنما آخرها في أوقات يسيرة لبيان الجواز أو لشغل أو لعذر، وفي بعض هذه الأحاديث الإشارة إلى هذا، والله أعلم)[2].

والواضح من جملة الأحاديث أن الاختيار في ذلك للإمام فيعجل بها إذا اجتمع الناس ويؤخرها إذا تأخروا لحديث جابر عند الشيخين، وفيه قوله: "والعشاء أحياناً يعجل، كان إذا رآهم اجتمعوا عجل وإذا رآهم أبطئوا أخر".

ويفهم من ذلك أنه ليس للفرد أن ينفرد بتأخير العشاء إذا لم يؤخرها إمامه لأن في فعله ضياع الجماعة[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل انتظار الصلاة وعدم التعجل.

ثانيًا: من مهام الداعية: تبشير المدعوين بالثواب العظيم على انتظار الصلاة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً – من موضوعات الدعوة: فضل انتظار الصلاة وعدم التعجل:

جاء في الحديث بيان فضل انتظار الصلاة وأدائها جماعة مع الإمام، وجريان أجر الصلاة على من ينتظرها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخر ليلة صلاة العشاء إلى شطر الليل، ثم أقبل بوجهه بعدما صلى فقال صلّى الناس ورقدوا ولم تزالوا في صلاة منذ انتظرتموها" وفي ذلك تبشير لهم بالفضل الذي نالهم من تأخيره الصلاة بهم[4].

---

(١) انظر هذه الأحاديث في صحيح مسلم ٦٣٨ - ٦٤٣: باب وقت صلاة العشاء: كتاب المساجد ومواضع الصلاة. وانظر هذه الأحاديث في رياض الصالحين الباب رقم ٣٣٤، باب كراهة الحديث بعد العشاء الآخرة، الأحاديث ١٧٤٨ - ١٧٥٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٥/١١٦ - ١١٨. وانظر فتح الباري، ابن حجر ٢/٥١ - ٥٢.

(٣) انظر: الدين الخالص، الشيخ محمود خطاب ٢/١٨، ط/٤: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٤٨.

وجاءت أحاديث أخر بنفس المعنى، وذلك مثل ما روي عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ((... والذي يَنتظِرُ الصلاةَ حتى يصلِّيَها مع الإمامِ أعظمُ أجرًا من الذي يُصلِّي ثمَّ يَنامُ))[١] قال ابن حجر: (أي سواء صلى وحده أو في جماعة، ويستفاد منه أن الجماعات تتفاوت)[٢]. وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال "لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة" قال الشيخ شمس الدين آبادي: (أي ما دام ينتظر فإن الأعمال بالنيات، بل نية المؤمن خير من عمله في بعض الأحيان)[٣].

كما بين النبي ﷺ في الحديث أن في انتظار الصلاة وأدائها مع الإمام تحصيل الثواب، وأن الثواب على قدر المشقة[٤].

ثانيًا- من مهام الداعية: تبشير المدعوين بالثواب العظيم على انتظار الصلاة:

إن من مهام الداعية تبشير المدعوين بالثواب على فضائل الأعمال ومنها ما جاء في الحديث من بيان فضل انتظار الصلاة، فقال ﷺ: "ولم تزالوا في صلاة منذ انتظرتموها" إذ أن مسلك التبشير له نتائجه الباهرة في إصلاح النفوس وتزكيتها وتنقيتها من قبائحها، وتصفيتها من أدرانها، والسمو بها إلى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال والامتثال بها[٥] ومن يطالع دعوات الرسل يجد أن دعوتهم قد اصطبغت بالتبشير والإنذار، ويبدو أن التبشير والإنذار على النحو الذي جاءت به الرسل هو مفتاح النفس الإنسانية[٦]، قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[٧].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥١، ومسلم ٦٦٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ج٢/١٦٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٣٦.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٦١.

(٥) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٤٧٤ - ٤٧٦.

(٦) الرسل والرسالات، د. عمر سليمان الأشقر ص ٤٨.

(٧) سورة الكهف، الآية: ٥٦.

وقال تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[1] والمبشر هو المخبر بالبشرى والبشارة، وهي الحادث لمن يخبر به والوعد بالعطية، فالنبي ﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين بمراتب فوزهم، وقد تضمن هذا الوصف ما اشتملت عليه الشريعة من الدعاء إلى الخير من الأوامر، وهو قسم الامتثال من قسمي التقوى، فإن التقوى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، والمأمورات متضمنة المصالح فهي مقتضية بشارة فاعليها بحسن الحال في العاجل والآجل.

وقدمت البشارة على النذارة في قوله بشيرًا ونذيرًا لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته[2].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث حيث رغب النبي ﷺ في انتظار الصلاة بجريان أجر الصلاة على وقت الانتظار، فقال ﷺ "لم تزالوا في صلاة منذ انتظرتموها" أي لم تزالوا في صلاة من حيث الثواب من ابتداء وقت انتظاركم إياها[3].

وأسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية نفعًا، وأعظمها أثرًا لما فيه من تشويق المدعوين إلى الاستجابة للحق والثبات عليه، ولما فيه من إلانة القلب وتأثير في النفس وازدياد النفوس المهذبة إيمانًا وهداية[4].

والقرآن الكريم والسنة النبوية يؤكد أن أهمية الترغيب والترهيب لما فيهما من استجاشة قلب الإنسان نحو الخير وتوجيهه لذلك وتخويفه من الانحراف وتحذيره من ذلك[5].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٥٣/٢٢/٩.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٤٨.

(٤) انظر: هداية المرشدين، الشيخ علي محفوظ ص ٧١.

(٥) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٣٩٢.

والقرآن والسنة مليئان بالآيات والأحاديث التي ترغب الإنسان في العمل بما أمر به وثواب ذلك، ومن ذلك الحفاظ على صلاة الجماعة وانتظارها وهو موضوع الحديث، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1] وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((الملائكةُ تُصلّي عَلَى أحَدِكم ما دام في مُصَلاَّهُ الذي صلَّى فيه ما لم يُحدِث، تقولُ: اللّهمَّ اغفِرْ لهُ، اللّهمَّ ارحَمْهُ))[2]. وفي ذلك بيانل فضل صلاة الجماعة وأن من بيان فضلها أن من جلس في انتظارها فهو في الصلاة وأن الملائكة تستغفر له وتدعو له بالرحمة[3] كما جاء عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يَزالُ أحدُكم في صلاةٍ ما دامتِ الصلاةُ تَحبِسُهُ، لا يَمنعُه أن يَنقَلِبَ إلى أهلِهِ إلاّ الصلاةُ))[4].

وذلك من فضل الله على المؤمنين أن جعل من وظائف ملائكته الاستغفار للمؤمنين، وذلك ما صرح به القرآن كما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٩، ومسلم ٢٧٤.

(٣) أهمية صلاة الجماعة، د. فضل إلهي ص ٢٠.

(٤) أخرجه البخاري ٦٥٩.

(٥) سورة غافر، الآية: ٧ - ٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: تربية الناشئة على الإقبال على العمل:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «لاَ يَزَالُ أَحَدكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ. لاَ يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ الصَّلاَةُ». فقد بيّن ﷺ فضل من انتظر الصلاة، لا تحبسه إلا الصلاة، ولا يمنعه من الذهاب إلى بيته وأهله إلا أنه في انتظار الصلاة يصليها لا انتظار شيء آخر كصديق أو حديث أو اجتماع ونحو ذلك.

وعلى هذا يجب أن يربى الناشئة حتى يصلوا إلى المراتب العليا والدرجات الفضلى، "فمن شأن متطلب الكمال والساعي إلى حميد الفعال، أن يقبل على كل أمر ينفعه وأن يسلك السبل المفضية إلى ما رامه وأمّله، وأن يتجنب كل أمر يعوقه، ويقطع سيره، وأن ينأى بنفسه عن كل ما شأنه أن ينزل قدره ويدني همته"[(١)].

قال ابن القيم: "طالب النفوذ إلى الله والدار الآخرة، بل وإلى كل علم وصناعة ورئاسة، بحيث يكون رأسًا في ذلك مقتدى به فيه. يحتاج أن يكون شجاعًا مقداماً، حاكمًا على وهمه، غير مقهور تحت سلطان تخيله، زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا لما توجه إليه، عارفًا بطريق الوصول إليه، والطرق القواطع عنه، مقدام الهمة، ثابت الجأش لا يثنيه عن مطلوبه لوم لائم، ولا عذل عاذل كثير السكون، دائم الفكر غير مائل مع لذة المدح ولا ألم الذم، قائمًا بما يحتاج إليه من أسباب معونته، لا تستفره المعارضات، شعاره الصبر، وراحته التعب، محبًا لمكارم الأخلاق، حافظًا لوقته، لا يخالط الناس إلا على حذر كالطائر الذي يلتقط الحب بينهم، قائمًا على نفسه بالرغبة والرهبة، طامعًا في نتائج الاختصاص على بني جنسه، غير مرسل شيئًا من حواسه عبثًا ولا مسرحًا خواطره في مراتب الكون. وملاك ذلك هجر العوائد، وقطع العلائق الحائلة بينك وبين المطلوب"[(٢)].

---

(١) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٢٧٠.

(٢) الفوائد، ٢٧١، ٢٧٢.

ثانيًا: تربية الناشئة على التواجد في أماكن الخير:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «الملائكةُ تُصلِّي عَلَى أحَدِكم ما دام في مُصَلاَّهُ الذي صلَّى فيه ما لم يُحدِث، تقولُ: اللَّهمَّ اغفِرْ لهُ، اللَّهمَّ ارحَمْهُ». فقد بين النبي ﷺ أن الملائكة تصلي على من جلس في مصلاه الذي صلى فيه وتدعو له، أي أنه فرغ من صلاته ولم يبرح مكانه الذي صلى فيه، أي أنه ظل في مكان الخير والبركة ورضا الله عز وجل، لذا دعت له الملائكة بأن يرضى الله عنه ويتقبله ويرحمه ويغفر له، وفي هذا استئناس بأن الناشئة يربون على ملازمة أماكن الخير ومجالس العلم، وتحاشي أماكن الشر وعدم الاقتراب منها ومن أهلها، وفي ذلك فوائد تربوية عظيمة لهم، فإنهم يزدادون خيرًا على خير، وفضلاً على فضل، وتزكية فوق تزكية، وهذا ما ينادي به علم التربية من أن الناشئة يجب أن ينشأ في بيئة صالحة فعالة تغرس فيهم حب الخير والإقبال عليه، وذلك لأن الإنسان نتاج بيئته، فإن كانت خيرًا كان من أهل الخير، وإلا أصابه الخلل والانحراف.

ثالثًا: من مهارات المعلم: تقديم التشجيع المناسب للطلبة:

وهذا مستمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «أَخَّرَ ليلةً صلاةَ العِشاءِ إلى شَطرِ الليلِ، ثمَّ أقبلَ علينا بوجهِهِ بعدَما صلَّى فقال: صلَّى الناسُ ورَقَدوا ولم تَزالوا في صلاةٍ منذُ انتظَرْتموها». فكان هذا تشجيعًا وثناءً من رسول الله ﷺ عليهم وعلى انتظارهم صلاة العشاء لمنتصف الليل.

وفي ذلك قدوة للمعلمين والمربين، "فيجب على المعلم تقديم التشجيع المناسب والثناء الحسن للطلبة لأن التشجيع مهم في العملية التعليمية والتربوية لأنه يؤدي إلى شعور الطالب بنجاحه وتفوقه، وهذا الشعور يصاحبه شعور بالارتياح ويصبح حافزًا على عملية التعلم والاستمرار فيه، ومن هنا تأتي ضرورة تشجيع الطالب المتأخر دراسيًا والطالب الخجول أو الطالب الذي هو أقل من أقرانه في الذكاء، لأن ذلك يقوي ثقته في قدرته ويرفع من مركزه بين أقرانه، ويشجعه على التعليم ويجعله يميل إلى الاستمرار فيه"[1].

۞ ۞ ۞

---

(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، ٢١٨، ٢١٩.

١٩١- باب فضل صلاة الجماعة

الحديث رقم (١٠٦٥)

١٠٦٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ، قَالَ: **((صَلاَةُ الْجَمَاعَة افْضَلُ مِنْ صَلاَةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً)) متفقٌ عَلَيْهِ**[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الفذ: المنفرد[2].

الشرح الأدبي

للصلاة أثر عظيم في المجتمع من حيث اتحاد أفراده، من خلال الجماعة، واتصال بعضهم ببعض في حلقات متداخلة تبدأ صغيرة بصلاة النافلة في المنزل مع الأسرة الصغيرة، ثم تكبر في صلاة الجماعة في المسجد، والتي تشمل أفراد الدائرة المحيطة بالمسجد يتابع كل منهم أحوال الآخرين، ويصلهم، ثم تتسع هذه الدائرة أكبر في صلاة الجمعة، ثم تتسع أكثر في صلاة العيد، وغيرها مما يجعل المجتمع كتلة واحدة شديدة التماسك، والتداخل، مع ما يضمنه هذا التجمع من أشكال التكافل والتعاون، والتواصل، والتحابب، وما ينتج عن هذه الصفات من الإيثار، والتضحية والإحساس بالأمن، والسعادة للمجتمع المسلم كله، وقوله (أفضل من صلاة الفذ) جاء بها بلفظ أفعل التي هي للتفضيل، والتكثير في المعنى المشترك، وهي أبلغ من تفضل على ما لا يخفى، و(الْفَذُّ) مُعَرَّفٌ بِالأَلِفِ وَاللاَّمِ يفيد الْعُمُومِ الذي يدل عَلَى فَضِيلَةِ صَلاةِ الْجَمَاعَةِ عَلَى صَلاةِ كُلِّ فَذٍّ مما يستلزم العناية بها، وعدم الانفراد في الصلاة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٢٤٩/٦٥٠) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٥٧٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ذ ذ).

فقه الحديث

١ - صلاة الجماعة:

قال النووي: (واحتج أصحابنا والجمهور بهذه الأحاديث على أن الجماعة ليست بشرط لصحة الصلاة، خلافًا لداود، ولا فرضًا على الأعيان خلافًا لجماعة من العلماء، والمختار أنها فرض كفاية، وقيل: سنة)[(١)].

وقال ابن حجر: (واستدل بأحاديث الباب على أن الجماعة ليست شرطًا لصحة الصلاة لأن قوله ((صلاة أحدكم وحده))[(٢)] يقتضي صحة صلاته منفردًا؛ لاقتضاء صيغة أفعل والاشتراك في أصل التفاضل فإن ذلك يقتضي وجود فضيلة في صلاة المنفرد، وما لا يصح لا فضيلة فيه)[(٣)].

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: ((والذي نفسي بيده، لقد هَمَمْتُ أن آمُرَ بحطبٍ فيُحطب، ثمَّ آمرَ بالصلاةِ فيُؤذَّنَ لها، ثمَّ آمرَ رجلاً فيَؤُمَّ الناسَ، ثمَّ أُخالِفَ إلى رجالٍ فأُحرِّقَ عليهم بيوتَهم. والذي نفسي بيده، لو يَعلمُ أحدُهم أنَّه يَجدُ عَرقًا سَمينًا أو مِرْماتَينِ حسَنَتَينِ لشَهِدَ العِشاء))[(٤)].

قال النووي: (هذا مما استدل به من قال: الجماعة فرض عين، وهو مذهب عطاء والأوزاعي وأحمد وأبي ثور وابن خزيمة وداود، وقال الجمهور: ليست فرض عين، واختلفوا هل سنة أم فرض كفاية كما قدمناه. وأجابوا عن هذا الحديث بأن هؤلاء المتخلفين كانوا منافقين، وسياق الحديث يقتضيه، فإنه لا يظن بالمؤمنين من الصحابة أنهم يؤثرون العظم السمين على حضور الجماعة مع رسول الله ﷺ وفي مسجده، ولأنه لم يحرق بل همّ ثم تركه، ولو كانت فرض عين لما تركه)[(٥)].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٩/٥/٣ .

(٢) رواية عند مسلم ٢٤٥- ٦٤٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٣٦/٢ .

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٤، ومسلم ٦٥١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١/٥/٣ . وانظر فتح الباري، ابن حجر ١٢٥/٢- ١٣٠ . وانظر اختلاف الفقهاء في الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٥/٢٧- ١٦٧ ومراجعها ومصادرها.

٢ - فضيلة الصلاة: قال ابن حجر: (استدل بحديث أبي هريرة رضي الله عنه على أفضلية الصلاة على غيرها من الأعمال لما ذكر من صلاة الملائكة عليه ودعائهم له بالرحمة والمغفرة والتوبة. وعلى تفضيل صالحي الناس على الملائكة لأنهم يكونون في تحصيل الدرجات بعبادتهم والملائكة مشغولون بالاستغفار والدعاء لهم)(١).

٣ - إعادة الجماعة:

قال ابن حجر: (واستدل بها على تساوي الجماعات في الفضل سواء كثرت الجماعة أم قلت، لأن الحديث دلّ على فضيلة الجماعة على المنفرد بغير واسطة، فيدخل فيه كل جماعة. كذا قال بعض المالكية... ويترتب على الخلاف المذكور أن من قال بالتفاوت استحبّ إعادة الجماعة مطلقًا لتحصيل الأكثرية، ولم يستحب ذلك الآخرون. ومنهم من فصل فقال: تعاد مع الأعلم أو الأورع أو في البقعة الفاضلة، ووافق مالك على الأخير لكن قصره على المساجد الثلاثة، والمشهور عنده بالمسجدين المكي والمدني)(٢).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ.

ثانيًا: من آداب الداعية: حث المدعوين على صلاة الجماعة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: من فوائد صلاة الجماعة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ:

جاء في صريح الحديث بيان رسول الله ﷺ لفضل صلاة الجماعة على صلاة المنفرد، فقال ﷺ "صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين دجة" وذلك من فضل الله عز وجل بأن ضاعف الأجر على الصلاة في جماعة، وقد اتفق العلماء على أن صلاة الجماعة من أفضل العبادات، وأَجَلِّ الطاعات(٣) ولقد جاءت النصوص الجمة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١/١٣٦.

(٢) المرجع السابق ٢/١٣٦- ١٣٧ .

(٣) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ٢/١٢٩٧.

في صلاة الجماعة وفضلها وفوات الأجر الكثير بتركها، فعن ابن مسعود ﷺ قال: ((من سرَّهُ أن يَلقى اللَّهَ تعالى غدًا مسلمًا؛ فليُحافظْ على هذهِ الصلواتِ الخمسِ، حيثُ يُنادَى بهنَّ، فإنَّ اللَّهَ شرعَ لنبيِّكم ﷺ سننَ الهدى، وإنهُنَّ من سُنَنِ الهُدى، ولو أنَّكم صلَّيتم في بيوتِكم كما يُصلي هذا المتخلِّفُ في بيتهِ لتركتُمْ سنَّةَ نبيِّكم، ولو تركتُم سنَّةَ نبيِّكم لضللتم وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ. وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ))[1]، ولمكانة صلاة الجماعة لم يؤثر أن المسلمين أهملوا فيها، بل شرعت الجماعة حتى في الحرب بما يعرف بصلاة الخوف جمعًا بين فضيلة الجماعة وأخذ الحيطة والحذر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ...﴾[2].

ولقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه أحرص ما يكونون على صلاة الجماعة حتى في شدة المعارك ولقاء الأعداء. عن جابر ﷺ قال: ((غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَوْمًا مِنْ جُهَيْنَةَ. فَقَاتَلُونَا قِتَالاً شَدِيدًا. فَلَمَّا صَلَّيْنَا الظُّهْرَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَوْ مِلْنَا عَلَيْهِمْ مَيْلَةً لاقْتَطَعْنَاهُمْ فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ ذٰلِكَ. فَذَكَرَ ذٰلِكَ لَنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ قَالَ وَقَالُوا: إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلاَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الأَوْلاَدِ. فَلَمَّا حَضَرَتِ الْعَصْرُ، قَالَ صَفَّنَا صَفَّيْنِ. وَالْمُشْرِكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ. قَالَ فَكَبَّرَ رَسُولُ اللّهِ وَكَبَّرْنَا. وَرَكَعَ فَرَكَعْنَا. ثُمَّ سَجَدَ وَسَجَدَ مَعَهُ الصَّفُّ الأَوَّلُ. فَلَمَّا قَامُوا سَجَدَ الصَّفُّ الثَّانِي. ثُمَّ تَأَخَّرَ الصَّفُّ الأَوَّلُ وَتَقَدَّمَ الصَّفُّ الثَّانِي. فَقَامُوا مَقَامَ الأَوَّلِ. فَكَبَّرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَكَبَّرْنَا. وَرَكَعَ فَرَكَعْنَا. ثُمَّ سَجَدَ وَسَجَدَ مَعَهُ الصَّفُّ الأَوَّلُ. وَقَامَ الثَّانِي. فَلَمَّا سَجَدَ الصَّفُّ الثَّانِي، ثُمَّ جَلَسُوا جَمِيعًا، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ))[3].

---

(١) أخرجه مسلم ٦٥٤.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٠١، ١٠٢.

(٣) أخرجه مسلم ٨٤٠.

ويتجلّى في هذا الحديث اهتمام الرسول الكريم ﷺ بصلاة الجماعة من عدة وجوه، منها:

أ - أدّى رسول الله ﷺ صلاة الظهر مع الجماعة أثناء قتال مع قوم من جهينة وكانوا قد قاتلوا المسلمين قتالاً شديدًا.

ب - إن الاطلاع على قرار المشركين بالإغارة على المسلمين دفعة واحدة أثناء تأديتهم صلاة العصر مع الجماعة لم يقلّل من اهتمامه ﷺ بأدائها في الجماعة.

هذا، ولا يظنن أحد أن النبي الكريم ﷺ صلى مع الجماعة أثناء المعركة في يوم واحد فقط بل إنه عليه الصلاة والسلام صلاها في أيام مختلفة ومواطن عدة. يقول الإمام أبو سليمان الخطابي: (صلاة الخوف أنواع، وقد صلاها رسول الله ﷺ في أيام مختلفة وعلى أشكال متباينة)[1].

كما ذكر ابن القصار المالكي أن النبي ﷺ صلاها في عشرة مواطن[2].

وذكر الإمام أبوبكر ابن العربي أنه ثبت عن النبي ﷺ أنه صلى صلاة الخوف مرارًا عدة بهيئات مختلفة. فقيل في مجموعها: إنها أربع وعشرون صفة، ثبت فيها ست عشرة صفة[3].

كذلك لم يترك النبي ﷺ الجماعة حتى في مرض موته واشتداده عليه.

روى الإمام البخاري عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة قال: ((دخلتُ علَى عائشةَ فَقُلتُ: أَلا تُحدِّثيني عن مرضِ رسولِ الله ﷺ؟ قالت: بلى. ثَقُلَ النبيُّ ﷺ فقال: أَصلَّى الناسُ؟ قلنا: لا، هم ينتظِرونكَ. قال: ضَعوا لي ماءً في المِخْضَبِ. قالت: فَفَعَلْنا. فاغتسَل فذهبَ لِيَنوءَ[4] فأغميَ عليه، ثم أفاق فقال ﷺ أَصلَّى الناسُ؟ قلنا: لا، هم

---

(١) معالم السنن ٢٦٩/١.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ٤٥٣.

(٣) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي ٤٩١/١.

(٤) لينوء: ليقوم، انظر: شرح الكرماني ٦٩/٥.

ينتَظِرونَكَ يارسول الله. قال: ضعوا لي ماءً في المِخْضَبِ. قالت: فقعَد فاغتسلَ، ثمَّ ذهبَ ليَنُوءَ فأُغميَ عليه. ثمَّ أفاقَ فقال: أصلَّى الناسُ؟ قلنا: لا، هم يَنتظرونك يا رسول اللهِ. قال: ضَعوا لي ماءً في المِخضَبِ. فقعدَ فاغتَسلَ، ثمَّ ذهبَ لِيَنوءَ فأُغميَ عليه. ثمَّ أفاقَ فقال:أَصلَّى النّاسُ؟ فقلنا: لا، هم يَنتظرونكَ يارسولَ اللهِ -والناسُ عُكوفٌ في المسجدِ ينتظرونَ النبيَّ عليهِ السلامُ لصلاةِ العِشاءِ الآخرةِ- فأَرسلَ النبيُّ ﷺ إلى أبي بكرٍ بأَنْ يُصلِّيَ بالناسِ فأَتاهُ الرسولُ فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يأمُركَ أنْ تُصلِّيَ بالناسِ. فقال أبو بكرٍ -وكان رجُلاً رَقيقًا- يا عمرُ صلِّ بالناسِ، فقال له عمرُ: أَنتَ أَحقُّ بذلكَ. فصلَّى أَبو بكرٍ تلكَ الأيامَ... الحديث))[1].

الله أكبر! كم كان صلوات ربي وسلامه عليه حريصًا على حضور صلاة الجماعة!

يشتد مرضه فيغتسل، ثم يُغمى عليه فيفيق فيغتسل للمرة الثانية، ثم يغمى عليه فيفيق فيغتسل للمرة الثالثة. كل ذلك لعله ﷺ يكسب نشاطًا يمكنه بفضل الله تعالى من حضور صلاة الجماعة في المسجد.

ثم يُغمى عليه فيفيق فيجد نفسه غير قادر على الذهاب إلى المسجد فيرسل إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه كي يصلي الناس.

وليس هذا فحسب بل نجده ﷺ يخرج إلى صلاة الجماعة في المسجد حينما وجد من نفسه خفة. وكيف كانت تلك الخفة؟ وكيف كان خروجه عليه الصلاة والسلام؟ كي نتصوّر ذلك فلنقرأ ما رواه الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها: فوجد النبي ﷺ من نفسه خفة فخرج يهادي[2] بين رجلين كأني أنظر رجليه تخطان[3] من الوجع.. الحديث[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٧.

(٢) يُهادي: بضم أوله وفتح الدال أي عتمد على الرجلين متمايلًا في مشيه من شدة الضعف، انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٥٤/٢.

(٣) تخطان: لم يكن يقدر على رفعهما من الأرض، انظر: شرح الكرماني ٥١/٥.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٤.

سبحان الله! لم يكن ﷺ يتمكن من المشي إلا اعتمادًا على رجلين، وحتى بعد ذلك لم يكن يقدر على تمكين رجليه على الأرض نظرًا لشدّة ضعفه لكنه مع هذا كله خرج إلى صلاة الجماعة في المسجد. فما بال كثير ممن ينتسب إليه يتخلف عن صلاة الجماعة بأتفه الأسباب وبغير سبب.

يقول العلامة العيني تعليقًا على القصة: فيه الإشارة إلى تعظيم الصلاة بالجماعة. وفيه تأكيد أمر الجماعة والأخذ بالأشد وإن كان المرض يرخص في تركها، ويحتمل أن يكون فعل ذلك لبيان جواز الأخذ بالأمثل وإن كانت الرخصة أولى[1].

ثانيًا- من آداب الداعية: حث المدعوين على صلاة الجماعة:

إن حث المدعوين على إتيان الصلاة في جماعة من أهم الأولويات التي ينبغي على الداعية أن يراعيها وأن يجعلها نصب عينيه، لما في صلاة الجماعة من اجتماع المسلمين للعبادة وذكر الله، إظهارًا لشكر نعم الله عليهم، وتعبيرًا عن كيانهم الرصين[2]، كما أن فيها إظهارًا لشعيرة من شعائر الإسلام، بل من أعظم شعائره، وهي الصلاة، فهي تبين ترابط المسلمين وترابطهم بدخولهم المساجد جميعًا ثم خروجهم جميعًا، فضلاً عن حصول الألفة بين المسلمين، واجتماع القلوب على الخير وإزالة الحقد والغل وهدم الفوارق الاجتماعية والتعصب للجنس واللون مما يشيع روح الإخاء والمساواة[3]. لذا ركز النبي ﷺ على حث المسلمين على صلاة الجماعة ووردت عنه الأحاديث الجمة في الترغيب في أدائها والترهيب من أدائها ومنها ما جاء في الحديث "صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة".

إضافة إلى ما في صلاة الجماعة من فوائد في ترابط المجتمع الإسلامي وتقوية بنيانه، وانصهار أفراده في بوتقة المجتمع الإسلامي ووحدته.

---

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٩٥/٥.

(٢) فضائل الجمعة، أحكامها، خصائصها، دراسة فقهية مقارنة في المذاهب الأربعة، د. محمد ظاهر أسد الله ص ٤٨.

(٣) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٣٢٢.

(إن الصلاة وسيلة لتعارف المؤمنين وإزالة الحقد والغل في قلوبهم، وهدم الفوارق الاجتماعية فيما بينهم، وتبادل المنافع فيما يعود عليهم من خير.

فالمسلمون يقفون جميعًا في الصلاة جنبًا إلى جنب متلاصقين، رئيس الدولة يقف إلى جانب أي فرد من أفراد الشعب، والغني يقف ملاصقًا للفقير، وأبيض البشرة إلى جانب أسودها، كل هؤلاء يتقرّبون إلى الله، لا بأموالهم وجاههم وإنما بطاعة ربهم، كلهم يخاطبون ربهم ويعترفون له بالعبودية، ويطلبون منه الهداية لبعضهم بعضًا قائلين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

إن الدعوة إلى المساواة والإخاء البشري لا تخرج عن كونها نظريات إذا لم تُطبق عمليًا في حياة المرء وفي تفكيره. وها نحن نرى بعض الأمم التي تدعي أنها في مقدمة الأمم مدنية وحضارة، وتدعي الديمقراطية والحرية والمساواة، نرى أبرز ما يشغلها التمييز العنصري الذي يهدد كيانها ويهددها بأخطر العواقب التي تودي بحضارتها، وليس بعيدًا ماجرى منذ أمد قريب في أميركا حيث أحرق الزنوج كثيرًا من المساكن والمخازن في مدينة "ديترويت" وغيرها من المدن، وأحدثوا فيها خسائر مادية تقدّر بمئات الملايين من الدولارات، كل ذلك بسبب التمييز العنصري الذي لم توفق المدنية والحضارة الحديثة من انتزاعه من قلوب من يدّعي التمدن والحضارة.

وقد كان التشريع الإسلامي موفقًا في جعله "الصلاة جماعة" التي كانت من أهم الوسائل لتحطيم الفوارق الاجتماعية والتعصب للجنس واللون، فوحّدت بين المسلمين من كافة الأجناس والألوان، ونفخت فيهم روح الإخاء والمساواة)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: من فوائد صلاة الجماعة:

ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح في شرحه للحديث "فضل صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة" كثيرًا فوائد الصلاة، نذكر بعضا منها فيما يلي:

أ - إجابة المؤذن بنية الصلاة في الجماعة والتبكير إليها في أول الوقت والمشي إلى

---

(١) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ١٧٧.

المسجد بالسكينة وانتظار الصلاة.

ب - صلاة الملائكة عليهم واستغفارهم وشهادتهم لهم.

ج - حصول الخشوع والسلامة عما يلهي غالبًا.

د - إظهار شعائر الإسلام.

هـ - إرغام الشيطان بالاجتماع على العبادة والتعاون على الطاعة ونشاط المتكاسل.

و - السلامة من صفة النفاق، ومن إساءة الغير الظن بأنه ترك الصلاة رأسًا.

ز - الانتفاع باجتماعهم على الدعاء والذكر وعود بركة الكامل على الناقص.

ح - قيام نظام الألفة بين الجيران وحصول تعاهدهم في أوقات الصلاة[1].

إلى غير ذلك من فوائد الخير وعوائد الثواب.

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٥٦/٢، ١٥٧.

الحديث رقم (١٠٦٦)

١٠٦٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((صَلاةُ الرَّجُلِ في جَمَاعةٍ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتهِ وفي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذلِكَ أنَّهُ إذَا تَوَضَّأ فَأحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إلى المَسْجِدِ، لا يُخرِجُهُ إلاَّ الصَّلاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إلاَّ رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّتْ عَنهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ المَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ في مُصَلاَّهُ، (مَا لَمْ يُحْدِث) [١]، تقولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلاَ يَزَالُ [٢] في صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ)) متفقٌ عَلَيهِ [٣]، وهذا لفظُ البخاريِّ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه يبين فضل صلاة الجماعة تلك الخصيصة التي امتاز بها الإسلام، وأصبحت من أعظم مظاهره التي يعرف بها المجتمع المسلم؛ لأنها لا توجد في هيئتها وتتابعها على مدار اليوم، والليلة مع انتشارها الشامل لكل ربوع الأمة، وهو ما يقض مضجع أعدائها، الذين يبحثون عن كل حيلة لإطفاء جذوتها، وقد ورد المعنى في أسلوب خبري يقرر الأفضلية في هدوء، وثقة، ونسبة الصلاة للرجل تخصيص، و (ال) في الرجل للجنس فتشمل الجميع، والجناس (تضعف، وضعفا) يؤكد المعنى، ويقرر الثواب المتزايد، والجناس بين (يخط، خطوة) يؤكد التلازم بين السعي، ومحو الخطايا، وقوله (لا يُخرِجُهُ إلاَّ الصَّلاةُ) تكميل بلاغي يشير إلى توفر النية على الصلاة، والطباق بين رفعت، وحطت، يصور تتابع الأجر بين حسنة تعطى، وسيئة تمحى، وبين قوله (صلى تصلي) جناس يؤكد المعنى، ويشير إلى العلاقة بين المكان،

---

(١) هذه الزيادة ليست عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٦٥٩).

(٢) عند البخاري زيادة: (احدكم).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٧) واللفظ له، ومسلم (٢٧٢/٦٤٩)، وتقدم برقم ١٠. أورده المنذري في ترغيبه (٥٧٣).

وطبيعة الأجر المتعلق به في وجود النية، لأنه يجري عليه الثواب، ودعاء الملائكة، وهو فيه مستمر استمرار المجلس، وحكاية صلاة الملائكة (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ) تفسير لطبيعة هذه الصلاة، وهي الدعاء بهذا القول، وهو دعاء شامل لخير الدنيا، والآخرة، لأن مغفرة الذنوب خير في الدنيا، وخير في الآخرة؛ لأن الذنوب تفتح على العبد باب المصائب في الدنيا والعذاب في الآخرة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٠) مع اختلاف في بعض الألفاظ.

الحديث رقم (١٠٦٧)

١٠٦٧- وعنه، قَالَ: أتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ أعْمَى، فقَالَ: يا رَسُولَ اللهِ، لَيسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إلى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّي فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ، فقَالَ لَهُ: ((هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ؟)) قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: ((فَأجِبْ)) رواه مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يرخص: يُسَهِّل ويُيسِّر[2].

النداء: الأذان[3].

الشرح الأدبي

الحديث يبين من خلال الحوار ضرورة المحافظة على الصلاة في المسجد، وقول الراوي (أتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ أعْمَى) التعبير بالإتيان يشير إلى مشقة، وعناء لأنه رجل أعمى حركة تكتنفها المتاعب، وقول الأعمى (لَيسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إلى الْمَسْجِدِ) أسلوب نفي يقرر أصل المشكلة، وقوله (قائد يقودني) جناس يؤكد المعنى، ويمهد لطلبه الذي أرصد له بهذه المقدمة وهو أن يرخص له فيصلي في بيته، وقوله: (فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ) كأنه لم يرد أن يفتح باب العذر يدخل منه المتكاسلون، وقول الرسول ﷺ له (هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ؟) استفهام تقرير للتحقيق، والتثبيت يرتب عليه الحكم، وقوله (فأجب) يدل ذلك على أن صلاة الجماعة في المسجد لا تسقط حتى عن الأعمى بل

---

(١) برقم (٦٥٣/٢٥٥). أورده المنذري في ترغيبه (٦١٠).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر خ ص).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١١٥/٢.

يجب عليه أن يدبر من يقوده إلى المسجد حتى يحضر إلى المسجد هذا إذا كان يسمع النداء أما إذا كان بعيد ا بحيث لا يسمع النداء فله أن يصلي في بيته لكن المراد بسماع ذلك إذا كان هناك صوت عادي بدون مكبر صوت وأما مع مكبر الصوت فمعلوم أن مكبر الصوت ينقل الصوت إلى مكان بعيد لكن يقال قدر لو كان المؤذن يؤذن بصوته الخاص وليس هناك عمائر طويلة تحجب الصوت فإن كنت تسمعه على هذا التقدير وجب عليك أن تحضر إلى المسجد وإلا فلا.

فقه الحديث

قال النووي: (هذا الأعمى هو ابن أم مكتوم جاء مفسرًا في سنن أبي داود وغيره، وفي هذا الحديث دلالة لمن قال الجماعة فرض عين، وأجاب الجمهور عنه بأنه سأل: هل له رخصة أن يصلي في بيته وتحصل له فضيلة الجماعة بسبب عذره؟ فقيل: لا، ويؤيد هذا أن حضور الجماعة يسقط بالعذر بإجماع المسلمين، ودليله من السنة حديث عتبان بن مالك)[١].

وأما ترخيص النبي ﷺ له ثم رده وقوله "فأجب" فيحتمل أنه بوحي نزل في الحال، ويحتمل أنه تغير اجتهاده ﷺ إذا قلنا بالصحيح وقول الأكثرين: أنه يجوز له الاجتهاد. ويحتمل أنه رخص له أولاً وأراد أنه لا يجب عليك الحضور: إما لعذر، وإما لأن فرض الكفاية حاصل بحضور غيره، وإما للأمرين، ثم ندبه إلى الأفضل فقال: الأفضل لك والأعظم لأجرك أن تجيب وتحضر، فأجب. والله أعلم)[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من واجبات المدعو: الحرص على استفتاء أهل العلم والفضل.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٢٥، ومسلم ٣٣ بعد الحديث ٦٥٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٥/١٣٢ .

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٠٦٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠٦٨).

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على إجابة المؤذن والإسراع إلى الصلاة في المسجد.

أولاً- من واجبات المدعو: الحرص على استفتاء أهل العلم والفضل:

ورد في الحديث الإشارة إلى هذا الأدب من خلال سؤال عبدالله بن أم مكتوم لرسول الله ﷺ لحكم الصلاة في البيت وطلبه الرخصة في ذلك، قال: "يارسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته، فرخص له"، وفي ذلك أنموذج تطبيقي ومثل حى لما ينبغي أن يكون عليه المدعو من الرجوع إلى أهل العلم والفضل، وقد قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وبين ﷺ أن في السؤال علاجًا للجهل فقال ﷺ: "ألا سألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العيِّ السؤال"[2]، فالأصل في المسلم أن يسأل عما لا يعلم، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم، يسألون رسول الله ﷺ عن كل ما يعنُّ لهم في شئون الدين، بل في الكثير من شئون الدنيا، حتى أن بعضهم كان يسأل عن الشر مخافة أن يقع فيه، كما في حديث أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني"[3]، [4].

لذا ينبغي على الدعاة أن يبينوا للمدعوين فضل الفقه في الدين وضرورة السؤال عما يشكل عليهم وحرصهم على ذلك وبيان أن السؤال وطلب العلم سبيل من سبل الرفعة وطريق من طرق الجنة، قال ﷺ: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمسُ فيه عِلْمًا سَهَّلَ الله لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))[5].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٢) أخرجه أبو داود، ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣٢٥).

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٨٤.

(٤) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٨.

(٥) أخرجه مسلم ٣٩.

كما يجب على الدعاة بيان أن فضل العلم خير من فضل العبادة؛ لأن العلم يبعث على فضل العبادة، والعبادة مع خلو فاعلها من العلم بها قد لا تكون عبادة، فلزم علم الدين كل مكلف لأن علم ما لا يسع جهله من العبادات فرض على كل مسلم[١].

إضافة إلى أن السؤال من أوسع أبواب العلم، والذي به تُحازُ الفضائل ويتفاضل الناس، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[٣]. وعن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خَيرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين))[٤].

قال بعض العلماء لبنيه: يا بني تعلموا العلم فإن لم تنالوا به الدنيا حظًا فلأن يذم الزمان لكم أحب إلى من أن يذم الزمان بكم، ومن لم يفد بالعلم مالاً كسب به جمالاً، ونستعيذ بالله من خِدع الجهل المذلة ونسأل الله العلم النافع[٥].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديث: "فسأل رسول الله ﷺ: ... فلما ولى دعاه فقال له هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال نعم، قال فأجب". وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية التي لها قيمة تأثيرية عظيمة، فهي تجعل المدعوين في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة الأجوبة على الأسئلة المطروحة، وهذا الاستعداد أمر مهم لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، فيجب على الداعية أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[٦].

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٣٨.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٤) أخرجه مسلم، ١٠٨٢.

(٥) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٤٦.

(٦) انظر: فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٢/٥٨- ٥٩.

ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب السؤال والجواب بكثرة في التربية والدعوة وتوجيه المدعوين وإعدادهم إعدادًا إسلاميًا صحيحًا.

واستخدام أسلوب السؤال والمحاورة يدفع بالمدعو إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وأسلوب السؤال والجواب طريقة لا يمكن أن يكون المدعو فيها سلبيًا أو مصدقًا لما يسمعه دون فهم وإدراك[١].

واستخدام أسلوب السؤال والجواب من أسهل الأساليب في إيضاح الأحكام بعرضها عرضًا بسيطًا وسهلاً خاليًا من التعقيد والتكلف ويميط اللثام عن المعنى السامي للعبادة[٢]، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تُحصَى ومنها ما روى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنت رَديفُ النبي ﷺ ليس بيني وبينَه إلا آخرَة الرحل فقال: يا معاذُ، قلتُ: لبيكَ يا رسولَ اللّه وسعدَيك. ثم سارَ ساعةً، ثم قال: يا مُعاذ، قلتُ: لبيكَ رسول اللّهِ وسَعدَيكَ، ثم سارَ ساعة، ثم قال: يا معاذَ بن جَبل، قلتُ: لبيكَ رسولَ اللّه وسعدَيك. قال: هل تدري ما حق اللّهِ على عبادِه؟ قلتُ: اللّه ورسوله أعلم. قال: حق اللّهِ على عبادِهِ أن يَعبدوه ولا يُشرِكوا به شيئًا. ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذَ بن جبل، قلت: لبيكَ رسول اللّه وسَعدَيك. قال: هل تدري ما حق العبادِ على اللّه إذا فعلوه؟ قلت: اللّه ورسوله أعلم. قال: حق العباد على اللّه أن لا يعذبَهم»[٣].

وذكر ابن حجر (من الفوائد المستفادة من هذا الحديث تكرار الحديث وتأكيده وتفهيمه، واستفسار الشيخ تلميذه عن الحكم ليختبر ما عنده ويبين له ما يشكل عليه)[٤].

إن الرسول ﷺ لم يستخدم مع معاذ الخطاب الإخباري، إنما استخدم معه الحوار

---

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث النبوي، د. عبدالكريم بكار ص ٣٣٢.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٤٤٨.

(٣) أخرجه البخاري ٤٨٧.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٤١٢/١١.

الخطابي التنبيهي أو الإيضاحي، الذي يحرك الوجدان، ويهذب السلوك، وينبه إلى أمر عظيم. مثل هذا يقول الرسول ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ»؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحرص على إجابة المؤذن والإسراع إلى الصلاة في المسجد:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قوله ﷺ: "هل تسمع النداء ؟ قال نعم، قال فأجب" ، والأذان واجب الإجابة، فالأذان حبيب إلى كل نفس مؤمنة، يدعو إلى خير عمل وأعظم لقاء، في أطهر مكان، يدعو الأمة إلى أن تقبل على الله لأداء الصلاة والفوز برضاه، إلى الطاعة في صلاة الجماعة، في بيت الله، إلى الفلاح في الدنيا والآخرة[٢]. وقد جاء في الحديث التصريح بالأمر بإجابة المؤذن في قوله ﷺ: "فأجب"، قال الشيخ ابن عثيمين: هذا الحديث في بيان وجوب الجماعة وأن تكون في المسجد، فقوله ﷺ للأعمى هل تسمع النداء؟ قال: نعم، قال فأجب" دليل على وجوب صلاة الجماعة ودل ذلك أيضًا على أنها تجب في المسجد[٣].

إن الأذان نداء حبيب إلى كل نفس مؤمنة، يدعو إلى خير عمل، وأعظم لقاء في أطهر مكان. فهو عبادة تتقدم الصلاة، يتردد صداها في الكون، الله أكبر، فكل ما نتصور أنه كبير، فالله أكبر، فكل شيء دون الله حقير، التجارة، الأموال، المتاع، الدنيا، يا له من نداء عظيم، يدعو إلى التوحيد ونفى الشرك، ويثبت الرسالة لمحمد ﷺ، فيرتفع ذكره مع كل أذان مقترنًا بذكر الله تعالى، يتردد عبر الأزمان.

يدعو النداء أمة الإسلام أن تقبل على الله لأداء الصلاة، والفوز برضاه، إلى الطاعة في صلاة الجماعة، في بيت الله، إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٠١.

(٢) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٦٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، ٢/١٢٩٩.

وينتهي الأذان معلنًا لكل من شغلته الدنيا وألهته، الله اكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، حتى ينتبه، ويترك كل شيء، ويسعى إلى لقاء الله[١].

كما جاء في صريح الحديث إرشاد النبي ﷺ إلى المحافظة على صلاة الجماعة في المسجد والمسارعة إليها، وإن كان فيها شيء من التعب خاصة مع أصحاب الأعذار فعندما جاءه الأعمى يسأله أن يرخص له أن يصلي في بيته، قال له رسول الله ﷺ: هل تسمع النداء؟ قال: نعم، قال: فأجب"، وفي الرواية الأخرى : أن عبدالله بن أم مكتوم قال: يارسول الله "إن المدينة كثيرة الهوام والسباع"، كثيرة الهوام أى المؤذيات من العقارب والحيات والسباع كالذئاب أو الكلاب[٢]، فقال رسول الله ﷺ تسمع حى على الصلاة، حي على الفلاح، فحي هلا، قال ابن علان: وفي الحديث تأكيد طلب الجماعة واحتمال خفيف التعب في حصولها[٣]، فبالرغم من المشقة التي يلاقيها هذا الصحابي، أمره الرسول ﷺ بإجابة النداء[٤]، فإن الجزاء على قدر المشقة[٥].

---

(١) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٦٤، ٦٥.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٨٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٥١.

(٤) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٣٢٥.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٥٠٦/٢.

الحديث رقم (١٠٦٨)

١٠٦٨- وعن عبدِ اللهِ -وقيل: عَمْرو بن قَيسٍ- المعروف بابن أُمِّ مكتوم المؤذن ﷺ أنَّه قَالَ: يا رَسُول اللهِ، إنَّ المَدينَةَ كَثيرةُ الهَوَامِّ وَالسِّبَاعِ. فَقَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: ((تَسْمَعُ حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ حَيَّ عَلَى الفَلاحِ، فَحَيَّ هلاً)) رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ[1] بإسناد حسن.

ومعنى (حَيَّ هَلاً): تعال.

ترجمة الراوي:

ابن ام مكتوم: مختلف في اسمه فقيل: عمرو. وقيل: عبدالله. والأكثر: عمرو. وأبوه هو: قيس بن زائدة القرشي. وأم مكتوم هي أمه واسمها عاتكة وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين.

أسلم قديما بمكة وكان من المهاجرين الأوائل، قدم المدينة قبل أن يهاجر النبي ﷺ.

قال البراء بن عازب: أول من قدم علينا مصعب بن عمير ثم أتانا بعده عمرو بن أم مكتوم، فجعلا يقرئان الناس القرآن. كان ضريرًا ذهب بصره وهو صغير، وكان مؤذنًا لرسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ يستخلفه على المدينة حينما يخرج لغزواته، فكان يصلي بالناس ويخطب فيهم، وبلغ استخلاف النبي ﷺ له ثلاث عشرة مرة.

كان شديد الغيرة على رسول الله ﷺ محبًا له، مدافعًا عنه رغم عذره، فقد كانت امرأة يهودية تخدمه ولكنها كانت تسب النبي ﷺ وتقع فيه فقتلها. فرفع الأمر إلى النبي ﷺ فقال هو: أما والله إن كانت لتَرْفُقُني [تخدمني] ولكن آذتني في الله ورسوله. فقال النبي ﷺ: ((أبعدها الله قد أبطلت دمها))[2].

وقد نزل فيه قرآن يتلى إلى يوم القيامة: قالت عائشة: أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، في

---

(١) برقم (٥٥٣). وصحّحه ابن خزيمة (١٤٧٨)، وقال الحاكم (٣٧٥/١): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٦٠٩).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٠٩/٤، وقال محققو السير (٣٦٣/١): رجاله ثقات.

ابن أم مكتوم الأعمى، أتى النبي ﷺ فجعل يقول: يا نبي الله أرشدني قالت: وعند النبي ﷺ رجل من عظماء المشركين فجعل النبي ﷺ يُعرض عنه ويقبل على الآخر. فقال النبي ﷺ: يا فلان أترى بما أقول بأسًا؟ فيقول: لا. فنزلت ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾[(١)].

وقال زيد بن ثابت: إن رسول الله ﷺ أملى عليه ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُملُّها عليَّ، قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت فأنزل الله على رسوله ﴿ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾[(٢)].

ورغم ذلك لم يرض بالقعود، بل شارك في الفتوحات ونشر دين الله، فقد شارك في موقعة القادسية وقال للمسلمين: ادفعوا إليّ اللواء فإني أعمى لا أستطيع أن أفرّ وأقيموني بين الصفين.

وقد قيل: إنه استشهد بالقادسية. وقيل: إنه رجع إلى المدينة ومات بها. ولم يسمع له بذكر بعد عمر بن الخطاب[(٣)].

غريب الألفاظ:

الهوام: جالمؤذيات من العقارب والحيات[(٤)].

السباع: جميع سَبُع: كل ما له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترسها كالأسد

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٣١) وابن حبان (٥٣٥)، والحاكم (٥١٤/٢) وصححه الألباني. وينظر تفسير ابن كثير (٣١٩/٨-٣٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٩٢) والآية رقم ٩٥ من سورة النساء.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٠٥/٤) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٨٠ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٥١/٤) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٩٩٩، والسير (٣٦٠/١) والأعلام، خير الدين الزركلي (٨٣/٥) وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١١٦٢/٢، ١٤٤٢).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٨٢.

والذئب[١].

حيَّهلا: تعال[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه يدور حول أهمية الصلاة في المسجد، وقد بدأ بأسلوب إنشائي يؤذن بقوة الاتصال بين المتحاورين في قول ابن أُمّ مكتوم ﷺ (يا رسول الله) وهو نداء تكريم، وتنبيه ولفت إليه لأنه لا يدرك إن كان الرسول ﷺ متوجها إليه أم إلى غيره، وقوله (إنَّ المَدينَةَ كَثيرةُ الهَوَامِّ وَالسِّبَاعِ) جملة مؤكدة بعدة مؤكدات تمهيدا للخبر الذي جاء بدوره تمهيدا لطلبه وذكر الهوام، والدواب لتصوير الأخطار الحاملة على الطلب، وقوله (تَسْمَعُ حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ حَيَّ عَلَى الفَلاحِ، فَحَيَّهلاً) قوله (حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ) كناية عن الآذان، والتعبير بالكناية عنه فيه تذكير بهذا النداء المتكرر على مدار اليوم، والليلة، والتعبير بلفظ (حي) بمعنى أقبل لأن في مدلوله معنى الحياة، وكأنه يقول للسامع أقبل على ما فيه حياة قلبك أو حياة النعيم الدائم كما أن لفظ الصلاة يذكر بالصلة بين العبد، وربه، وهو ما يجعل التعبير النبوي المختار في قمة الدقة في الوفاء بالمعنى المراد، وقوله فَحَيَّهلاً أي: عليك بكذا، أو أدعوك، أو أقبل.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ب ع).

(٢) رياض الصالحين ٤٠٤.

(٣) تقدم ذكرها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٦٩)

١٠٦٩ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ، قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ هَمَمْتُ أنْ آمُرَ بحَطَبٍ فَيُحْتَطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَيُؤَذَّنَ لهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إلى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهمْ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أخالف إلى رجال: آتيهم من خلفهم، أو المعنى: أخالف الفعل الذي أظهرت من إقامة الصلاة وأتركه وأسير إليهم، أو أخالف ظنهم في أني مشغول بالصلاة عن قصدي إليهم. أو معنى أخالف: أتخلف - أي عن الصلاة - إلى قصدي المذكورين[2].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب القسم الذي يوحي بأهمية الخبر ويعكس انفعال الرسول ﷺ به مع اهتمامه وعنايته، وبتحليل صيغة القسم يتبين ذلك لأن قوله (والذي نفسي بيده) يوحي بالرهبة ويهز الوجدان هزاً عنيفاً إذا تصور روح المقسم كأنها في قبضة المقسم به، وكأنه بذلك يقول: كيف أكذب بما أخبر به وروحي في يد الله؟ والمعنى أن أمر نفوس العباد بيد الله أي بتقديره وتدبيره، وفيه تنبيه على عظم شأنه، والقسم بطبيعته من أساليب الإيقاظ والتنبيه، والتشويق لما بعده؛ لأن المخاطب إذا سمع القسم استشرفت نفسه لما بعده، وتطلعت إليه ؛لأن القسم غالباً ما يتصدر العظائم، وينبئ بمهم يتبعه، فإذا ما تلقى الخبر وقع من نفسه موقعاً حسناً.

قوله: (لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب) جواب القسم وأكده باللام وكلمة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤) واللفظ له، ومسلم (٦٥١/٢٥١). أورده المنذري في ترغيبه (٦٠٨) من رواية مسلم.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٥٢/٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

(قد) زيادة في توكيد الخبر ونفياً لأى شك قد يجول بخاطر أحد في صدق الخبر وعزم النبي ﷺ على حرق بيوت المتخلفين عن صلاة الجماعة دون عذر، وقوله: (فيحطب) أى يكسر ليسهل اشتعال النار به، ويحتمل أن يكون أطلق عليه ذلك قبل أن يتصف به تجوزاً بمعنى أنه يتصف به أى على سبيل المجاز المرسل بعلاقة اعتبار ما سيكون، وقوله: (بحطب فيحطب) جناس ناقص حيث اختلف اللفظان في الهيئة دون الصورة، فالأول اسم، والثانى فعل، وهذا الاختلاف يحدث نوعاً من الإثارة للسمع والانتباه مما يحقق اليقظة، ويؤكد المعنى، والمتأمل لأساليب الفصل والوصل في حديث الرسول ﷺ يجد أنها جاءت في منتهى الدقة لتقرير المعنى، وضبط حركة الزمن في الحديث بينما يحقق تقويم الخطأ فقد استخدام الفاء، وثم، وأو، فاستخدام الفاء لإلغاء الزمن بين جملتين للإشارة إلى سرعة تحقق المأمور به، في قوله: (آمر بحطب فيحطب)، وجملة (آمر بالصلاة فيؤذن لها) والفاء ترتب الأحداث بعضها إثر بعض دون مهلة غير أن هذا القول يخالف ما جاء عليه قول الرسول ﷺ (ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها)، حيث تقدم المعطوف عليه في الوجود، فوقعت الفاء في عبارته عاطفة لما هو متقدم على المعطوف عليه حيناً، فالإذن أسبق من الصلاة، وقد عطفه على الصلاة، وذلك كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾[1]، وقد وجَّه الكوفيون القول في ذلك بأن الترتيب لا يلزم فيها، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾[2] قالوا: فالبأس في الوجود واقع قبل الإهلاك، ، وهو في الآية مؤخر عنه.[3] أما البصريون الذين يرون الترتيب معنى لا يتخلف في الفاء فإنهم يؤلون ذلك بأحد وجهين: إما بالتأول في الفعل على سبيل التجوز بالمسبب عن السبب، وإما بالتأول في الترتيب، وجعله ترتيباً لفظياً أطلقوا عليه الترتيب في الإخبار[4].وقد استخدم الرسول ﷺ (ثم) في الحديث

---

(١) سورة النحل: ٩٨.

(٢) سورة الأعراف: ٤.

(٣) رصف المباني صـ ٤٤.

(٤) ينظر: من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء، ثم) د. محمد أمين الخضري صـ ١٧ ط/١، مكتبة وهبة: ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

لرصد حركة الزمن، فقد ترك مهلة زمنية بين جمع الحطب، والأمر بالصلاة إشارة إلى المبالغة في جمع الحطب وأنه سيوقد ناراً عظيمة على هؤلاء المتخلفين، وذلك في قوله: (آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة)، وقد جعل حرف العطف (ثم) دليلاً على طول فترة الجمع مبالغة في الإحراق بغرض الترهيب من التخلف عن صلاة الجماعة، أيضاً ترك فترة زمنية بين الآذان، والإقامة في قوله: (فيؤذن لها ثم آمر رجلاً فيؤم الناس).

أيضاً ترك مهلة زمنية بين الصلاة، ومخالفته إلى هؤلاء المخلفين لإعطائهم المهلة اللازمة للحضور، وقطع حجتهم بالتأخير، وحتى يحضر جميع من في نيته الحضور، ولا يبقى إلا من يتعمدون ترك صلاة الجماعة دون عذر، وذلك في قوله: (ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال)، والتقيد بالرجال يخرج النساء، والأطفال.

وتنكير كلمة (رجال) للتقليل لما هو معلوم من حرص الصحابة الكرام على حضور صلاة الجماعة، وقد يكون التنكير للتحقيق لما علم أيضاً من نفاق من كان يتخلف عن الصلاة آنذاك دون عذر كما قال الصحابى في رواية مسلم[1] "لقد رأيتنا، وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه)، والتعبير بصيغة المبالغة (أُحرِّق) يفيد المبالغة، والتكثير ترهيباً من عقاب هؤلاء المحدق بهم، وتعلق الفعل (أحرق) بالجار، والمجرور (عليهم) يشعر بأن العقوبة ليست قاصرة على المال بل المراد تحريق المقصودين، والبيوت تبعاً للقاطنين بها[2].

والمتأمل لأساليب الرسول ﷺ في بيان خطر ترك صلاة الجماعة يجد أنه يحذِّر من تركها، ويشدد على من تخلَّف عنها، ويثمِّن غالياً قيمتها على الفرد والجماعة الأمر الذي دعاه إلى الهم بتحريق المتخلفين عنها ؛ولذلك نجد الأساليب البلاغية للرسول ﷺ في إطار تقويم خطأ ترك صلاة الجماعة تتسم بالثورة، والانفعال حيث بدأت بالقسم، والوعيد، والإنذار بسرعة العقاب، والاتصال في الأحداث عن طريق حروف العطف، وهذا الانفعال، وعلو النبرة في الأساليب يرجع إلى عموم الخطأ وتهاون الناس، وغفلتهم عن أثر صلاة الجماعة على الفرد والأمة.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: صلاة الجماعة من سنن الهدي، حديث رقم ٦٥٤.

(٢) ينظر فتح الباري، ابن حجر ٥٦٣/٣

فقه الحديث

انظر فقه الحديثين ١٠٦٥ - ١٠٦٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القسم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التهديد والتغليظ لمن تهاون في الصلاة في المساجد.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الأذان.

رابعًا: من وسائل الدعوة: الإمامة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: القسم:

ورد أسلوب القسم في الحديث في قوله ﷺ: "والذي نفسي بيده" وأسلوب القسم عرفه الناس قديمًا واستعملوه تأكيدًا لخبر أو تعظيمًا لشيء أو جمع الانتباه حول غاية، وقد أحس العرب بأهدافه ومراميه فاستعملوه في كلامهم وجعلوه دليلاً على إثبات الحق، يقول زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث ... يمين أو نفار أو جلاء

ويقول عبيدة بن الأبرص:

حلفت بالله إن الله ذو نعم ... لمن يشاء وذو عفو وتصافح[1]

وقد استخدم أسلوب القسم في القرآن كثيرًا وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[2]، قال ابن حجر: (وفيه جواز القسم على الأمر الذي لا شك فيه تنبيهًا على عظم شأنه)[3].

---

(١) الدعوة الإسلامية، اصولها ووسائلها، د. احمد احمد غلوش ص ٣٢٩.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٣.

(٣) فتح الباري، ١٥٢/٢.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التهديد والتغليظ لمن تهاون في الصلاة في المساجد:

جاء في الحديث تهديد رسول الله ﷺ وتغليظه في شأن التهاون في حضور الجماعة في المسجد، وهو تهديد ما أشده، فقال ﷺ: "والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن بها ، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم"، وذلك لما لصلاة الجماعة من أهمية في الإسلام ، ولما لتركها والتخلف عنها من خطورة على تاركها من النفاق وشقائه، روى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها – عن صلاة الجماعة – إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتي به يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف"، قال النووي: (وفي هذا كله تأكيد أمر الجماعة وتحمل المشقة في حضورها، وأنه إذا أمكن المريض ونحوه التوصل إليها استحب له حضورها)[(١)].

وبيان أن ترك الجماعات من شيم المنافقين وسماتهم، فروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ليسَ صَلاةٌ أثقلَ على المنافقين من الفَجرِ والعِشاءِ، ولو يَعلمونَ ما فيهما لأتوهما ولو حَبْوًا»[(٢)]. وروى عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجَمَاعَاتِ . أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»[(٣)]. ومعنى هذا الترديد أن أحد الأمرين كائن لا محالة إما الانتهاء عن تركها أو الختم[(٤)].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «مَا مِنْ ثَلاثَةٍ في قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ لاَ تُقَامُ فِيهِمْ الصَّلاَةُ إِلاَّ قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمْ الشَّيْطَانْ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ»[(٥)].

أي ما من ثلاثة فما فوقهم في قرية أو بادية لا تقام فيهم صلاة الجماعة[(٦)]،

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٦٦.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٧

(٣) أخرجه ابن ماجه ٧٧٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٤٦٥).

(٤) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، الإمام المناوي، ٣٩٧/٥.

(٥) أخرجه أبو داود ٥٤٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبو داود ٤١٢).

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٦٠.

إلا غلبهم الشيطان واستولى عليهم وحولهم إليه[١]، فعلى الإنسان أن يلتزم بالجماعة، وأن يبتعد عن الفرقة والتشرذم والانفراد حتى ولو في العبادة، فإن الشيطان يتسلط على الخارج عن أهل الجماعة وأهل السنة[٢].

ثالثًا- من وسائل الدعوة: الأذان:

أشير إلى الأذان في الحديث في معرض تهديده ﷺ وزجره عن التخلف عن الجماعة في المسجد، فقال ﷺ : "ثم آمره بالصلاة فيؤذن لها"، والأذان من أظهر وسائل الدعوة وأعظمها، فالآذان نداء حبيب إلى كل نفس مؤمنة، فيه الجهر بالدعوة إلى الحق، وإظهار شعائر الإسلام، فهو يدعو إلى خير عمل، وأعظم لقاء، في أطهر مكان، وياله من نداء عظيم، يدعو إلى التوحيد ونفي الشرك ويثبت الرسالة لمحمد ﷺ، يدعو الأذان الأمة أن تقبل على الله لأداء الصلاة والفوز برضاه، إلى الطاعة في صلاة الجماعة، في بيت الله، إلى الفلاح في الدنيا والآخرة[٣].

وقد شرع الأذان بالمدينة المنورة في السنة الأولى من الهجرة على الأصح للأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك[٤]، ومنها ما روى عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه: «أَنَّهُ قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ، فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَوَاتِ، وَلَيْسَ يُنَادِي بِهَا أَحَدٌ، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَرْنًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ. فَقَالَ عُمَرُ: أَوَلاَ تَبْعَثُونَ رَجُلاً يُنَادِي بِالصَّلاَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «يَا بِلاَلُ قُمْ. فَنَادِ بِالصَّلاَةِ»[٥].

وكذلك ما روى عبدالله بن زيد قال: «لَمَّا أَمَرَ رسولُ الله ﷺ بالنَّاقُوسِ يُعْمَلُ

---

(١) شرح السيوطي على سنن النسائي، ١٠٦/٢، عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٦٠.

(٢) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٦٠.

(٣) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٦٤.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٣٥٨/٢.

(٥) أخرجه البخاري، ٦٠٤، ومسلم، ٣٧٧.

لِيُضْرَبَ بِهِ لِلنَّاسِ لِجَمْعِ الصَّلَاةِ، طَافَ بِي وَأَنَا نَائِمٌ رَجُلٌ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ، فَقُلْتُ: يَاعَبْدَ اللهِ أَتَبِيعُ النَّاقُوسَ؟ قال: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ فَقُلْتُ: نَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، قال: أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى، قال فقال: تَقُولُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ. أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِله إِلاَّ اللهُ. أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ. حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ. اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ. لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ. قال: ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ قال: وتَقُولُ إِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ. أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ. قَدْ قَامَتْ الصَّلَاةُ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ. اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ، فقال: إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ، فَقُمْتُ مَعَ بِلَالٍ فَجَعَلْتُ أُلْقِيهِ عَلَيْهِ وَيُؤَذِّنُ بِهِ. قال: فَسَمِعَ ذَلِكَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ ويقول: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَارسولَ اللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ مَا أُرِيَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: فلله الْحَمْدُ»[1].

رابعًا- من وسائل الدعوة: الإمامة:

أشير إلى الإمامة في الحديث في قوله ﷺ "ثم آمر رجلاً فيؤم الناس" والإمامة من أعظم وسائل الدعوة لما فيها من إظهار شعيرة من شعائر الإسلام، ولما فيها من اجتماع المسلمين لأداء الصلاة متجملة بالنظام والاستماع إلى آيات القرآن، كما أن صلاة المسلمين جماعة وراء إمام فيها من الفوائد ما لا تتحقق ولا تكتمل إلا بالمحافظة عليها، وقيام المسلمين فيها كالبنيان المرصوص، فالصلاة جماعة وراء إمام يقودها تربية للحياة كلها، فمن لم يحسن القيام بها لم يحسن شيئًا من عمل الدنيا والآخرة، والإمامة في الصلاة واجتماع المسلمين ورائها لها فضل كبير في سلامة هذا الدين، وسلامة الشريعة الإسلامية، والأوضاع الدينية، وبقائها على ما تركها عليه رسول

(١) أخرجه أبو داود ٤٩٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٦).

الله ﷺ[١].

كما أن في الإمامة غرس النظام في نفوس المسلمين واصطباغ حياتهم به، ومن يقرأ النصوص التي ورد فيها ذكر الإمامة يجد ذلك واضحًا فيها أيما إيضاح ومن ذلك:

ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما جُعِلَ الإمامُ ليُؤتمَّ به، فلا تَختلفوا عليه، فإذا ركعَ فاركعوا، وإذا قال سمعَ اللَّهُ لمن حمِدَه فقولوا ربَّنا لكَ الحمدُ، وإذا سَجدَ فاسجُدُوا، وإذا صلَّى جالسًا فصلُّوا جُلوسًا أجمعونَ، وأقيموا الصفَّ في الصلاةِ، فإنَّ إقامةَ الصفِّ مِن حُسنِ الصلاة»[٢]، وعن أبي مسعود رضي الله عنه أنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا؛ فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِين يَلُونَهُمْ»[٣].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد أسلوب الترهيب في الحديث ظاهرًا بينًا حيث رهب النبي ﷺ من التخلف عن الجماعات في المسجد بهمه بتحريق مَنْ هذا شأنهم، فقال ﷺ: "والذي نفسي بيده، لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب، ثم آمُرَ بالصلاة فيؤذن بها ثم آمُرَ رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم" والترهيب من أشد أساليب الدعوة تأثيرًا في النفس لما فيه من التخويف والتوعد وجذب الناس إلى الخير خوفًا من العقاب[٤]، يقول ابن القيم: "في تعريف الترهيب: هو تخويف بسوء المجازاة في المستقبل تحذيرًا من الوقوع في المخالفات"[٥].

---

(١) الأركان الأربعة الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، في ضوء الكتاب والسنة، مقارنة مع الديانات الأخرى، أبو الحسن علي الحسني الندوي ص٥٦- ٦١.

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٢ واللفظ له، ومسلم ٤١٤.

(٣) أخرجه مسلم ٦٧٣.

(٤) الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز ص ٣٤، ٣٥.

(٥) الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان، الإمام ابن القيم، مكتبة المتنبي، القاهرة، دون ذكر للطبعة وتاريخها ص ٢٠٢.

وقد استخدم المنهج الإسلامي أسلوب الترهيب وكذلك الترغيب في تحريك الدوافع الخيرة وتنشيطها تارة بالترغيب فيما أعده الله تعالى لمن خاف مقام ربه ونهى نفسه عن غيها وطغيانها وتارة بالترهيب مما أعده الله تعالى للمفسدين والمنحرفين عن سبل السلام[1]، ومن آيات الوعيد قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[2].

لذا ينبغي على الداعية عدم إهمال أسلوب الترهيب في دعوته دونما إفراط أو تفريط.

فإن الإفراط في استخدام الترغيب أو الترهيب قد يعودان بالأثر السلبي، إذ أن الإفراط في الترهيب دون الترغيب يجلب اليأس عند المدعو حيث لا يقرع سمعه إلا العقاب والتهديد، كذلك الإفراط في الترغيب دون الترهيب يدفع إلى التمادي والتراخي وعدم الجدية[3].

لذا ينبغي على الداعية أن يعتدل في استخدام الترغيب والترهيب وأن يوائم بينهما، فلا يغلب أحدهما دون الآخر، وأن يستخدم كل واحد منهما بحسب الحاجة وحسبما تقتضيه المواقف.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٢٩٤.

(٢) سورة الحج، الآيتان: ١، ٢.

(٣) التربية في الإسلام، أحمد فؤاد الأهواني، مكتبة الحياة، بيروت، دون ذكر للطبعة والتاريخ ص ١٣٠.

الحديث رقم (١٠٧٠)

١٠٧٠- وعن ابن مسعود ﵁، قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أنْ يَلْقَى اللهَ تَعَالَى غداً مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكم ﷺ سُنَنَ الهُدَى، وَإنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى، وَلَوْ أنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكم كَمَا يُصَلِّي هذا المُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّة نَبِيِّكُم لَضَلَلْتُم[1]،... وَلَقَدْ رَأيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤتَى بِهِ، يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ. رَوَاهُ مُسْلِم[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

سنن الهدى: طرائق الهدى والصواب[3].

المتخلف: المتأخر عن صلاة الجماعة، الذي لا يشهدها[4].

يُهَادى: يمسكه رجلان من جانبيه بعضديه يعتمد عليهما[5].

الشرح الأدبي

التعبير بالسرور من براعة الاستهلال بما يسيطر على النفس الراغبة، ويضمن الانتباه، والإنصات، وقوله (فَلْيُحَافِظْ عَلَى هؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ) أمر بأداء

---

(١) عند مسلم زيادة: (وما من رجل يتطهرُ فيحسن الطهور، ثمَّ يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله بكلّ خَطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحطُّ عنه بها سيِّئة).

(٢) برقم (٦٥٤/٢٥٦). أورده المنذري في ترغيبه (٥٧٥).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٦٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٦٦.

الصلاة على وقتها وقوله (فَإِنَّ اللّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكم) جملة مؤكدة بعدة مؤكدات لأنها جاءت لتحقيق الإقناع، وتقديم لفظ الجلالة لتربية المهابة مع ما يفيده من الاختصاص، أو العناية، والاهتمام، والعبارة تقرر أن الأمور استقرت على ما شرع الله لنبيه فليس لأحد أن يخالف فيها، وإضافة النبي ﷺ لكاف الخطاب، وميم الجمع تشعرهم بالانتماء له مما يجعلهم أكثر طاعة له، وقوله (سُنَنَ الهُدَى) أي طرق الهداية في العبادات والعادات وقوله (وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكم كَمَا يُصَلِّي هذا المُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ) أسلوب شرط يربط الصلاة في البيت بترك سنة النبي ﷺ والتشبيه بالمتخلف يقصد منه التنفير من فعله، ثم إن التعبير بالتخلف في إطار الحديث عن الطاعات فيه لون من الذم، والجناس بين (مُنَافِقٌ، والنِّفَاقِ) يؤكد سر التخلف عن الجماعة في السابق أى أنها لم تكن صفة أحد من المؤمنين، و قوله (يهادى بين رجلين) بناء المَفْعُول أَيْ يُؤْخَذ مِنْ جَانِبَيْهِ يُتَمَشَّى بِهِ إِلَى المَسْجِد مِنْ ضَعْفه وَتَمَايُله، وهو كناية عن شدة الضعف مما يعكس شدة حرصهم على حضور الجماعة.

فقه الحديث

قال النووي: (قوله "رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه أو مريض" هذا دليل ظاهر لصحة ما سبق تأويله في الذين همّ بتحريق بيوتهم أنهم كانوا منافقين)[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من حكمة الداعية: استثارة همم وعزائم المدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الأمر بالمحافظة على الصلاة في المسجد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من التخلف عن صلاة الجماعة في المسجد.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٣/٥/٣ ، وانظر فقه الحديثين ١٠٦٥- ١٠٦٦ من رياض الصالحين.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٠٧٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠٧١).

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من مخالفة سنة النبي ﷺ وترك صلاة الجماعة.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في صلاة الجماعة بلقاء الله على الإسلام، وبيان أن صلاة الجماعة من سنن الهدى التي شرعها الله لنبيه ﷺ، فقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى الله غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ. فَإِنَّ الله شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى))، وأسلوب الترغيب من أعظم الأساليب الدعوية وأشدها تأثيرًا في النفوس في الاستجابة إلى الحق وقبوله والثبات عليه، وهو أشد ما يكون نفعًا مع النفوس التي ترغب في الخير وتهفو إلى الهدى وتشتاق إلى النور[1]، قال تعالى عن المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[2].

أي يدعون ربهم ويعبدونه خائفين وطامعين، أي من غضبه وطمعًا في رضاه وثوابه، أي هاتان صفتان لهم[3]، والترغيب هو التشويق للحمل على فعل أو اعتقاد أو تصور وترك خلافه[4].

ولما كان الإنسان مفطورًا على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة وعازف عن كل ما يسبب له الألم، كان أسلوب الترغيب له تأثير كبير في تربية الإنسان، وتوجيه سلوكه[5].

---

(١) انظر: الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ١٩٩- ٢٠٠.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٢٩/٢١/٨.

(٤) معالم في التربية، عجيل جاسم النشمي ص ٢٠٨.

(٥) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبدالحميد السعيد الزناتي ص ٦٤٦.

ثانيًا- من حكمة الداعية: استثارة همم وعزائم المدعوين:

إن من حكمة الداعية: استثارة همم المدعوين وتقوية عزائمهم وغرس الفضائل في نفوسهم، ويرشدونهم إلى طرق الهدى والرشد بالجد والجهد، فالعلماء والدعاة رعاة الأمة في تصحيح عقائدها وصيانة دينها، وكل راع مسئول عن رعيتها[1]، ولقد ضرب لنا السلف الصالح أروع المثل في الدعوة وحث المدعوين وتحفيزهم على الانصياع لتعاليم السماء، ومن ذلك ما جاء في حث عبدالله بن مسعود الناس على صلاة الجماعة فقال: "من سره أن يلقي الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنة الهدى".

وفي ذلك يبين عبدالله بن مسعود ﷺ أن سبيل السعادة العظمى والسرور الأكبر يوم القيامة والوسيلة إلى حسن الختام هي المحافظة على أداء الصلوات الخمس في جماعة، لأن الجماعة سنة هدى، مخالفتها ضلال وابتعاد عن الطريق القويم، ولقد حافظ الصحابة رضوان الله عليهم على حضور الجماعات رغم كل الظروف حتى إن أحدهم كان يؤتى به وهو مريض مستندًا على ذراعي أخويه من الصحابة[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الأمر بالمحافظة على الصلاة في المسجد:

شرعت الصلاة المفروضة بالجماعة، وهي طبيعة الصلاة المشروعة في الإسلام، ووضعها الصحيح، قال تعالى: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[3]، ولذلك داوم عليها رسول الله ﷺ وأصحابه مداومة شديدة، حتى كأنها جزء من الصلاة، ولم يتركها رسول الله ﷺ حتى في مرضه الذي مات فيه، وكان الصحابة رضوان الله عليهم من أشد الناس التزامًا بالجماعة والدعوة إليها[4]، ومن ذلك ما جاء عن عبدالله بن مسعود ﷺ: "من

---

(١) انظر: هداية المرشدين، الشيخ علي محفوظ ص ٦٦- ٧٠.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٦٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٤) الأركان الأربعة، أبو الحسن على الحسني الندوي ص ٥٤، ٥٥.

سره أن يلقي الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن"، أى في المكان الذي يعلم بهن للاجتماع لصلاتهن من نحو المساجد[1]، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى" أى طرائق الهدى والصواب[2].

إن في المحافظة على أداء الصلاة جماعة في المسجد حِكَمًا دقيقة ومصالح عظيمة للمسلمين، منها ما هي اجتماعية وخلقية كالوحدة والاجتماع، والتعارف والتعاون، منها:

أ- أن لاجتماع المسلمين راغبين في الله راجين راهبين مسلمين وجوههم إليه خاصية عجيبة في نزول البركات وتدلى الرحمات.

ب- التشجيع على العبادة والمحافظة على الصلوات والتنافس في إحسانها وإتقانها والإكثار منها وإصلاح ما قد يطرأ عليها من فساد أو من خلل للإنفراد أو الجهل، وتعلم ما فات من أحكامها وآدابها وأذكارها وقراءتها والتأسي بالعلماء الفقهاء والعباد المخلصين.

ج- أن إخلاص بعض المخلصين وإخباته وخشوعه يؤثر في الجماعة كلها ويوقظ النفوس الخامدة ويحرك الهمم الفاترة، وقد يكون سببًا في قبول عبادة الجميع، والغض عما فيها من ضعف أو خلل أو تقصير وذلك شيء لا يخالف المعقول أو المنقول، فأهل الإخلاص والخشوع قوم لا يشقى بهم جليسهم[3].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من التخلف عن صلاة الجماعة في المسجد:

إن الإسلام يدعو إلى الوحدة ونبذ الفرقة، وينادي بالتوحيد والاعتصام بحبل الله المتين، وتنطلق حناجر المؤذنين مدوية في وقت واحد تجهر بنداء الحق، فيجتمع المسلمون خمس مرات كل يوم وليلة في مسجد حيهم[4]، ولم يرخص النبي ﷺ حتى للأعمى

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٥٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٤٦٦.

(٣) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٥٥،٥٦.

(٤) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٣٢١.

في التخلف عنها، فقال له: "هل تسمع النداء، فقال: نعم، قال فأجب"[(١)]، وجاء في قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه التحذير الشديد من ترك الجماعات، ببيان أن في ذلك إعراض عن سنة الهدى واتصاف بصفات المنافقين، فقال عن أداء الصلوات في الجماعات في المساجد "فإن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم، سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق"، أى منافق قد علم نفاقه[(٢)]، وذلك لأن المنافق لا يرجو ثوابًا ولا يؤمن بالحساب فلا يحضرها وتكون على قلبه ثقلاً لا يستطيع تحمله، خاصة صلاتي العشاء والفجر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أثقل الصلاة على المنافقين العشاء والفجر"، بخلاف المؤمنين الذين مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[(٣)].

أي وإنها مشقة ثقيلة إلا على الخاشعين، وقال الضحاك: (وإنها لكبيرة)، قال: "إنها لثقيلة إلا على الخاضعين لطاعته الخائفين سطواته المصدقين بوعده ووعيده، المتواضعين لله المستكينين لطاعته المتذللين من مخافته"[(٤)].

نعم إن الصلاة ثقيلة الوقع شديدة الوطء إلا على الخاشعين الذين عمرت قلوبهم بالإيمان فخفت جوارحهم إلى الصلاة بنشاط واطمئنان[(٥)].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من مخالفة سنة النبي صلى الله عليه وسلم وترك صلاة الجماعة:

جاء في قول عبدالله بن مسعود التحذير من ترك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيانه أن

---

(١) أخرجه مسلم ٦٥٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٤٦٦.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٤٥- ٤٦.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥٣/١.

(٥) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٣٤/١/١.

ذلك الضلال بعينه، فقال رضي الله عنه: "ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم"، يعني لو أن كل واحد صلى في بيته كما صلى هذا المتخلف لتركنا السنة ولتعطلت المساجد، ولا نقطع الناس بعضهم عن بعض، ولما تعارفوا ولا تآلفوا، ولا حصل هذا المظهر العظيم في الدين الإسلامي"[١]، وكما أمر النبي ﷺ بطاعته حذر من الخروج عن سنته ورهب من تركها والإعراض عنها[٢]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يارسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى"[٣].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «جاءت ملائكة إلى النبيِّ ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إنّ العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، قال: فاضربوا له مثلاً. فقال بعضهم: إنه نائمٌ، وقال بعضهم: إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظان، فقالوا: مثلُهُ كمثل رجلٍ بَنى دارًا وجَعَلَ فيها مأدُبةً وبَعثَ داعيًا، فمن أجاب الداعيَ دخلَ الدارَ وأكلَ من المأدبة، ومن لم يجبِ الداعيَ لم يدخل الدار ولم يأكل منَ المأدبة. فقالوا: أولوها له يَفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم إنَّ العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانٌ، فقالوا: فالدارُ الجنة والداعي محمدٌ ﷺ، فمن أطاعَ محمدًا فقد أطاعَ اللَّه، ومن عصى محمدًا ﷺ فقد عصى اللَّه، ومحمدٌ فرَّق بينَ الناس»[٤].

قال ابن حجر: (قوله: "فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله" أي: لأنه رسول صاحب المأدبة فمن أجابه ودخل في دعوته أكل من المأدبة، وهو كناية عن دخول الجنة)[٥].

ومن أعرض عنه ولم يحبه حُرِم منها وباء بالخيبة والخسران وفوات النعيم.

(١) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ١٣٠١/٢.

(٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرءوف محمد عثمان ص ١١٧.

(٣) أخرجه البخاري ٧٢٨٠.

(٤) أخرجه البخاري ٧٢٨١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٢٧٠/١٣.

الحديث رقم (١٠٧١)

١٠٧١ - وفي رواية لَهُ[١]: قَالَ: إنّ رَسُول اللّهِ ﷺ عَلَّمَنَا سُنَنَ الهُدَى؛ وإنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى الصَّلاَةَ في المَسْجِدِ الّذي يُؤَذَّنُ فيهِ.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

المضامين الدعوية[٢]

(١) برقم (٦٥٤/٢٥٧). أوردها المنذري في ترغيبه (٥٧٥).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٧٢)

١٠٧٢- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: سمعت رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم، يقول: ((مَا مِنْ ثَلاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ، وَلاَ بَدْوٍ، لا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إلاَّ قَد اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِم الشَّيْطَانُ. فَعَلَيْكُمْ[1] بِالجَمَاعَةِ[2]، فَإنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَةَ)) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[3] بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

استحوذ عليهم الشيطان: استولى عليهم وغلبهم[4].

القاصية: البعيدة عن الأغنام[5].

الشرح الأدبي

الحديث يبين قيمة صلاة الجماعة في الحفاظ على الفرد من الشيطان والحديث قائم على أسلوب القصر، وأسلوب الأمر، وأسلوب التشبيه، فالقصر لمعنى وجود الثلاثة في موطن لا يقيمون الصلاة على استحواذ الشيطان عليهم، وهذا الأسلوب يفيد تأكيد سيطرة الشيطان عليهم، وأسلوب القصر بإنما في قوله (فَإنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَةَ) لقصر أكل الذئب للغنم على القاصية لا يتعداها فيصل إلى التي في جماعة، وأسلوب الأمر المرتب على ما سبق (فعليكم بالجماعة) أي الزموا الجماعة ترغيبا في

---

(١) لفظ أبي داود: (فعليك)، والمثبت لفظ النسائي (٨٤٧)، تبع فيه المؤلف المنذري في ترغيبه (٣٤٩/١، رقم ٦٠٦).

(٢) نقل ابن حبان (٤٥٩/٥) عن السائب بن حُبيش الراوي أنه قال: إنما يعني بالجماعة: جماعة الصلاة.

(٣) برقم (٥٤٧)، وصحَّحه ابن خُزيمة (١٤٧٦)، وابن حبان (الإحسان ٢١٠١)، وقال الحاكم (٢١١/١): هذا حديثٌ صدوق روايته شاهد لما تقدمه، متفق على الاحتجاج برواته، إلا السائب بن حُبيش، وقد عرف من مذهب زائدة أنه لا يحدّث إلا عن الثقات. أورده المنذري في ترغيبه (٦٠٦).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح و ز).

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٨٠.

التماس الأمن من الشيطان، وقوله (فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَةَ) أي: المنفردة عن القطيع؛ فإن الشيطان مسلط على مفارق الجماعة. قال الطيبي: هذا من الخطاب العام الذي لا يختص بسامع دون آخر تفخيما للأمر شبه من فارق الجماعة التي يد الله عليهم ثم هلاكه في أودية الضلال المؤدية إلى النار بسبب تسويل الشيطان بشاة منفردة عن القطيع بعيدة عن نظر الراعي ثم تسلط الذئب عليها وجعلها فريسة له مما يوحي بأن الجماعة للمؤمن كالحصن الذي يحتمي به من الشيطان.

فقه الحديث

قال الشوكاني: (الحديث استدل به على وجوب الأذان والإقامة، لأن الترك الذي هو نوع من استحواذ الشيطان، يجب تجنبه.

وإلى وجوبهما ذهب أكثر العترة وعطاء وأحمد بن حنبل ومالك والإصطخري كذا في البحر ومجاهد والأوزاعي وداود كذا في شرح الترمذي وقد حكى الماوردي عنهم تفصيلاً في ذلك ... وعند الشافعي وأبي حنيفة أنهما سنة ... وروى ابن عبدالبر عن مالك وأصحابه أنهما سنة مؤكدة واجبة على الكفاية. وقال الآخرون: الأذان فرض على الكفاية)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث والتأكيد على صلاة الجماعة.

ثانيًا: من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من ترك صلاة الجماعة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه لترسيخ المعنى في نفس المدعوين.

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٤٧- ٢٤٨، وانظر شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٢٤٠/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ١٧٢/١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٢٥/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥٠/١.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث والتأكيد على صلاة الجماعة:

جاء في صريح الحديث الحث والإرشاد الذي يصل إلى درجة الأمر بأداء الصلاة في جماعة، فقال ﷺ: "فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية"، أي الزموا الجماعة، فإن الشيطان بعيد عن الجماعة، ويستولى على من فارقها، ويتسلط على الخارج عن الجماعة وأهل السنة [١] فضلاً عما للجماعة من فوائد وعطايا إذ أن لها من الحِكَمِ الدقيقة والمصالح العظيمة للمسلمين، كالوحدة والاجتماع والتعاون والتعارف ولما في اجتماع المسمين راغبين في الله، راجين، راهبين، مسلمين وجوههم إليه من خاصية عجيبة في نزول البركات وتدلي الرحمات[٢].

إن صلاة الجماعة في المساجد شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام، واتفق المسلمون على أن أداء الصلوات الخمس في المساجد من أعظم الطاعات، فقد شرع الله لهذه الأمة الاجتماع في أوقات معلومة، منها الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة، وصلاة العيدين، وصلاة الكسوف. وأعظم الاجتماعات وأهمها الاجتماع بعرفة، الذي يشير إلى وحدة الأمة الإسلامية في عقائدها وعباداتها وشعائر دينها، وشرعت هذه الاجتماعات العظيمة في الإسلام لأجل مصالح المسلمين؛ ففيها التواصل بينهم، وتفقد بعضهم أحوال بعض، وغير ذلك مما يهم الأمة الإسلامية على اختلاف شعوبها وقبائلها[٣]، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٤].

وقد حث النبي ﷺ عليها، وبين فضلها وعظيم أجرها، فقال ﷺ: «صَلاةُ الجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاةِ الفَذِّ -يُعْنِي الفَرْد- بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»[٥]، وقال ﷺ:

---

(١) عون المعبود، الإمام العظيم آبادي ص ٢٨٠.

(٢) الأركان الأربعة، الشيخ أبو الحسن الندوي ص ٥٥.

(٣) كتاب الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء ص ٧٥.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٥، ومسلم ٦٥٠.

«صلاةُ الرجلِ في الجماعةِ تُضعَّفُ على صلاتهِ في بيتهِ وفي سُوقهِ خمسًا وعشرينَ ضِعْفًا، وذلكَ أنه إذا توضَّأَ فأَحسَنَ الوُضوءَ، ثمَّ خرَجَ إلى المسجدِ لا يُخرِجهُ إلاّ الصلاةُ، لم يَخْطُ خُطوة إلا رُفِعَتْ له بها درجةٌ وَحُطَّ عنه بها خَطيئةٌ. فإذا صلَّى لم تَزَلِ الملائكةُ تُصلِّي عليهِ ما دام في مُصَلاَّه...»[1] ... الحديث.

ثانيًا- من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من ترك صلاة الجماعة:

إن من الواجبات المنوطة بالداعية، تحذير مدعويه من ترك صلاة الجماعة إذ أن تركها من دلائل الافتراق والاختلاف، وسبب من أسباب الهلاك[2]، كما نرى ذلك في تحذير النبي ﷺ في الحديث من ترك الجماعة، فقال ﷺ: "ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان" أى غلبهم وحولهم إليه، فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية". أى يأكل الشاة البعيدة عن الأغنام لبعدها عن راعيها[3]، لذا كان الأمر بالتزام الجماعة "فعليكم بالجماعة" لما فيها من سر لسلامة الإيمان وسلامة الدين، والانخراط في سلك المؤمنين وفي تركها تعريض النفس لهلاك والضياع، وكان كالشاة المفارقة للقطيع والراعي، التي يختطفها الذئب ويفترسها[4].

ولقد دلت الأحاديث دلالة صريحة على الترهيب الشديد لمن يتخلف عن صلاة الجماعة، ويكفي في ذلك أن الرسول ﷺ همَّ بأن يحرق على تاركي الجماعات بيوتهم بمعنى أن يعاقبهم بالنار، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «أَثْقَلَ صَلاَةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلاَةُ الْعِشَاءِ وَصَلاَةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا. وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَتُقَامَ. ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ. ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٧

(٢) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ١٣٠٢/٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٨٠.

(٤) الأركان الأربعة، الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي ص ٢٨- ٢٩.

بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»[١].

ألا فيعلم الذي يتخلف عن أداء الصلاة جماعة في المسجد أنه على خطر عظيم وأنه اقترف ذنبًا كبيرًا لأنه لا يتوعد بالنار إلا لمن ارتكب كبيرة وليعلم أنه أسرف على نفسه بهذه المعصية فكيف سيقابل المولى جل وعلا غدًا يوم القيامة[٢].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه لترسيخ المعنى في نفس المدعوين:

جاء في الحديث ضرب للمثل والتشبيه، حيث شبه النبي ﷺ من فارق الجماعة التي يد الله عليهم أى حفظه وكلاءته، ثم هلاكه في أودية الضلال المؤدية إلى النار بسبب تسويل الشيطان، بالشاة المنفردة عن القطيع البعيدة عن نظر الراعي ثم يسلط الذئب عليها وجعلها فريسة له[٣]، فقال ﷺ: "فعليكم بالجماعة" فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية" فضرب الأمثال من وسائل التربية والدعوة التي اعتبرها الشرع الحنيف، وأكثر القرآن من ذكرها، كما قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤]، [٥]، وكان رسول الله ﷺ يستعين على توضيح المواعظ بضرب المثل مما يشاهد الناس بأم أعينهم، ويقع تحت حواسهم وفي متناول أيديهم، ليكون وقع الموعظة في النفس أشد، وفي الذهن أرسخ[٦].

إن ضرب الأمثال يقرب المعنى إلى الأذهان، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبة، بما قد ألفوه وعرفوه، حيث يتم تقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، أو تصوير المعاني بصورة

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٧، ومسلم ٦٥١.

(٢) من فقه السنة، د. فالح الصغير، ٣٣٠.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣/ ٣٣، ٣٤.

(٤) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٥) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٣٣٤.

(٦) التربية النبوية، عثمان قدري ص ٣١، ٣٢.

الأشخاص، لأنها أثبت في الأذهان، لاستعانة الذهن فيها بالحواس ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد(١).

كما أن للأمثال قدرة على الاستحواذ على المشاعر، وإيقاظ النفوس وتجديد نشاطها، فالإنسان يميل بطبيعته إلى الاستشهاد بالأمثال لما يرى فيها من جمال حكمتها، ولطافة لفظها، وإصابتها المعنى(٢).

ومنها: إن الأمثال وسيلة من وسائل الإقناع، فإن المورد للمثل، إنما هو في الحقيقة يقيس الأمر الذي يدعيه على أمر معروف ومسلم به عند من يخاطبه، ومن ثم لزم التسوية بينهما في الحكم.

وقد استعمل رسول الله ﷺ المثل وسيلة من وسائل التربية بنواحيها المختلفة: الروحية والخلقية والاجتماعية والجسدية والعلمية والإيمانية والنفسية(٣).

والأمثلة على ذلك كثيرة، منها ما روى عن أبي عثمان قال: «كنتُ معَ سَلْمانَ تحتَ شجرةٍ اخذَ غُصنًا مِنها يابسًا فهزَّهُ حتَّى تَحاتَّ وَرَقُهُ ثمَّ قالَ: يا أَبا عُثْمان أَلا تَسأَلُنِي لِمَ أَفْعَلُ هَذا؟ قلتُ: ولِمَ تَفْعَلَهُ؟ قال: هكَذا فَعَلَ رسولُ الله ﷺ وأَنا معَهُ تحتَ شجرةٍ وأَخَذَ مِنْها غُصنًا يابسًا فهزَّهُ حتّى تَحاتَّ ورَقُهُ، فقالَ: يا سَلْمانُ أَلا تَسأَلُنِي لمَ أَفْعَلُ هَذا؟ قلتُ: ولِمَ تَفعَلَهُ؟ قال: «إِنَّ المسلمَ إِذا توضأ فأحْسنَ الوضُوءَ ثمَّ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الخمسَ تَحاتَّتْ خَطاياهُ كما يَتَحاتُّ هَذا الوَرَقُ»، وقالَ: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾(٤)»(٥).

---

(١) المصباح المنير، الرازي ص ٦٢٣.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب صديق بن حسن القنوجي، المطبعة الأميرية الكبرى، القاهرة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، ص ٣٢.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٤٢٣، ٤٢٤.

(٤) سورة هود، الآية: ١١٤.

(٥) أخرجه أحمد ٤٣٧/٥، رقم ٢٣٧٠٧، وقال محققو المسند: حديث حسن لغيره ١١١/٣٩.

والفائدة هنا من ضرب المثل أن رسول الله ﷺ استخدم غصن الشجرة كوسيلة إيضاح لذهاب السيئات عن الإنسان المواظب على الوضوء والصلاة وعدم رجوعها إليه كما تتساقط الأوراق اليابسة من غصن الشجرة ثم لا تعود إليه.

وفي هذا تحريك للعواطف والوجدان وإثارة النفس للتخلص من الذنوب والخطايا بإكثار الوضوء والصلاة مما سيتسبب في تقوية الجانب الروحي لدى الفرد[١].

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٤٢٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: تربية الناشئة على التزام الجماعة:

وهذا مستمد من ترغيب النبي ﷺ في صلاة الجماعة وذلك بذكر فضلها على صلاة الفذ، وفي هذا إشارة لالتزام الجماعة، وقد جاء ذلك صريحًا في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: «مَا مِنْ ثَلاَثَةٍ فِي قَرْيَةٍ، وَلاَ بَدْوٍ لاَ تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إلاَّ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ». فقد ضرب النبي ﷺ مثلاً لمن لا يلتزم بالجماعة، فإنه يكون عرضةً لأن يكسل أو يفتر أو يصل إلى مرحلة خطيرة كترك الواجبات، نظرًا لتغلب الشيطان عليه واستحواذه عليه، فمثله كمثل الغنم عندما تنفصل عن جماعتها فتكون فريسة سهلة لأن يأكلها الذئب، وفي هذا أبلغ الأساليب لالتزام الجماعة وعدم الانفصال عنها، وعلى ذلك ينبغي أن يربي الناشئة ويغرس هذا في فكرهم وأفعالهم. ومنها: في ذلك عدة فوائد تربوية مهمة:

أ- المحافظة على قيم الفرد وأخلاقه وسلوكياته، وذلك لأن الجماعة التي تضم الفئات الصالحة من ذوي الأخلاق العظيمة لها توجيه وتأثير تربوي إيجابي يحمل الإنسان على المحافظة على المبادئ والقيم النبيلة. ولذا تجد الالتزام الأخلاقي والاجتماعي منتشرًا بين الجماعات المتماسكة والمترابطة، والمتخلقة بأخلاق الإسلام، والمتمسكة بمبادئه، ولاشك أن محافظة المسلم على صلاة الجماعة تكسبه تربية إيمانية وأخلاقية عالية تزكو بها نفسه، وتسمو بها روحه.

ب- خلق روح التنافس بين أفراد الجماعة، وذلك لأن الفرد لا يحب أن يقصر في الوقت الذي يجدّ فيه غيره، خاصة في مجال الطاعة، ومن ثم فإن المسلم يتربى على المنافسة الشريفة في الطاعات وتحصيل الفضل، ويحاول جاهدًا أن يسعى إلى التخلص من تقصيره.

ج- من الآثار التربوية لالتزام الجماعة، نشرُ روح الودّ والألفة بين أفرادها، وذلك لأن هؤلاء الأفراد يحاولون قدر الطاقة والجهد أن يسع بعضهم بعضًا، كما يطلّعون على أحوال بعضهم بعضًا، فيشاركون إخوانهم في مناسباتهم ويواسونهم في ظروفهم،

ويقومون بحقوق الإخوة الإسلامية. مما يعمق في النفوس روح المودة والمحبة والمواساة، وغير ذلك من المعاني الإيمانية والاجتماعية والأخلاقية التي ينبغي أن تُربى عليها الأجيال، خاصة في هذا الزمان الذي لاذ الناس فيه بالعزلة، حتى أضحى الإنسان غريبًا في مجتمعه، وهذا ما يرفضه الإسلام.

ثانيًا: التربية على الحرص على صلاة الجماعة:

وهذا مستمد من حديث أبي هريرة ﵁: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ. فَسَأَلَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ ، فَرَخَّصَ لَهُ. فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ؟» فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَأَجِبْ». ولما قال ابن أم مكتوم ﵁: «يَا رسولَ الله إِنَّ المَدِينَةَ كَثِيرَةُ الْهَوَامِّ وَالسِّبَاعِ... ». يريد أن يأذن له النبي ﷺ بسبب ذلك بأن يصلي في بيته، ولا يصلي في المسجد جماعة، لكن النبي ﷺ سأله عن سماعه النداء بالصلاة، وأمره أن يأتي المسجد عندما أخبره أنه يسمعه، وقد ضرب صحابة النبي ﷺ المثل العالي في الحرص على صلاة الجماعة، فقد كان الرجل منهم، وكما يقول ابن مسعود ﵁: يؤتى به، يهادي بين الرجلين من شدة مرضه وتعبه، ليصلي الجماعة مع الناس، وهذا نوع فريد من التربية على الحفاظ على صلاة الجماعة، ومما يؤكد ذلك عدم ترخيص النبي ﷺ لهذا الرجل الأعمى الذي لا يجد قائدًا، بل أمره بالمجيء إلى المسجد ما دام أنه يسمع النداء، وفي هذا توجيه تربوي لحث المتخاذلين عن صلاة الجماعة مع قدرتهم على حضورها، والتعلل بأعذار واهية، لا تضاهي تلك الحالة التي لم يرخص فيها النبي ﷺ لمن لا يبصر، وليس معه قائد، فمن الأولى والأجدر بالمسلم أن يوطن نفسه على المحافظة على صلاة الجماعة، ويجدر بالقائمين على التربية في البيت ومؤسسات التعليم المختلفة لاسيما مراحله الأولى أن يعملوا على تنشئة الناشئة على المحافظة على صلاة الجماعة.

ثالثًا: التربية بالتهديد:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، لقد هَمَمْتُ أن آمُرَ بحطبٍ فيُحتطب، ثمَّ آمرُ بالصلاةِ فيُؤذَّن لها، ثمَّ آمرُ رجلاً فيَؤُمَّ الناسَ، ثمَّ أُخالِفُ إلى رجالٍ

فأُحرِّقُ عليهم بيوتَهم». فالنبي ﷺ قد هدّد المتخلفين عن صلاة الجماعة بأن يحرق عليهم بيوتهم.

قال ابن حجر: "وفي الحديث أيضًا من الفوائد: تقديم الوعيد والتهديد على العقوبة وسرّه أن المفسدة إذا ارتفعت بالأهون من الزجر اكتفى به عن الأعلى من العقوبة نبه عليه ابن دقيق العيد[1] ... وفيه إشعار بأنه تقدم منه زجرهم عن التخلف بالقول حتى استحقوا التهديد بالفعل، وترجم عليه البخاري في كتاب الأحكام: "باب إخراج أهل المعاصي والريب من البيوت بعد المعرفة"[2]. يريد أن من طلب منهم بحق فاختفى أو امتنع في بيته لددًا أو مطلاً أخرج منه بكل طريق يتوصل إليه بها، كما أراد النبي ﷺ إخراج المتخلفين عن الصلاة بإلقاء النار عليهم في بيوتهم... ولا يلزم من التهديد بالتحريق حصول القتل لا دائمًا ولا غالبًا، لأنه يمكن الفرار منه أو الإخماد له بل حصول المقصود منه من الزجر والإرهاب"[3].

ففي هذا الحديث دعوة للمربين أن يستخدموا التهديد في التربية، وذلك عندما يكون مناسبًا يتوقع أن يؤتى بالنتائج المرجوة؛ ونستطيع أن نذكر للتربية بالتهديد عدة فوائد منها:

أ- بيان قبح الفعل المهدّد عليه وتوضيح شناعته للناشئة، ومن ثم يجتنبونه ولا يفعلونه وإنما يفعلون ما هو مقبول وفاضل.

ب- إقلاع أصحاب الأفعال المهدد عليها عن هذه الأفعال، والتخلي عنها، ومن ثمّ يقع الإصلاح دون عقوبة فعلية، وهذا إن حدث يكون نجاحًا للمربي وتقويمًا طيبًا للمخطئين.

ج- زجر غيرهم عن الاقتداء بهم وعدم الوقوع فيما وقعوا وفعل ما فعلوا.

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ١٠٠.

(٢) رقم الحديث ٧٢٢٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٥٦٨/١.

رابعًا: التربية بالمحافظة على السنة في صلاة الجماعة وعدم تركها:

وهذا مستمد من قول ابن مسعود ﷺ: «وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ... وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ»، فقد استخدم عبدالله بن مسعود ﷺ أسلوب الإشارة هذا ليشير إلى من تخلف عن صلاة الجماعة، ليبين لهم خطأه وخطر النتائج المترتبة على ترك صلاة الجماعة[1].

كما ذكر ﷺ أن التخلف عن صلاة الجماعة من أفعال المنافقين وصفاتهم، والمسلم أشد الناس نفورًا عنهم وعن صفاتهم وأفعالهم، والذي جعل ابن مسعود ﷺ يعين هذا المتخلف عن الجماعة، ويشير إليه أمام الناس، خطورة أمر ترك صلاة الجماعة، والتي وضحها بقوله: "لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ"، فالأمر متعلق بالضلال عن طريق الهدى والصلاح، وهذا أمر في غاية الخطورة على المسلم، لذا نبه ابن مسعود ﷺ على هذا الخطأ وعاب من فعله، وفي ذلك استئناس للمربين أن يستحثوا المؤمنين والمؤمنات على المحافظة على السنة في التزام صلاة الجماعة والتحذير من تركها بالتخلف عن الجماعة، نظرًا للفوائد التربوية العظيمة المترتبة على حضور الجماعة في المسجد وما في ذلك من فضائل مكتسبة، واستشعار الالتزام والانسجام مع المسلمين وتفقد أحوالهم والسؤال عنهم إذا غابوا ومشاركتهم، وإن ترك الجماعة يفوت على المسلم تحصيل هذه الفضائل، ويجعله في عزلة ووحشة، مما يؤدي إلى نفوره من إخوانه، ومن هنا جاءت أهمية التربية على المحافظة على السنة في الحرص على صلاة الجماعة، وعدم التخلف عنها.

۞ ۞ ۞

---

(١) ليس في روايات الحديث التي بين أيدينا أن هناك رجلًا قد تخلف عن الجماعة، فقال ابن مسعود قوله هذا، وإنما كتبنا ما كتبناه بناءً على الاستنباط، وهذا ما يؤيده المعنى والسياق، والله أعلم.

١٩٢- باب الحث على حضور الجماعة في الصبح والعشاء

الحديث رقم (١٠٧٣)

١٠٧٣- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول اللهِ ﷺ، يقول: ((مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، فَكَأنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ، فَكَأنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ)) رواه مُسلِم[1].

وفي رواية الترمذيّ[2] عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((مَنْ شَهِدَ العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ قِيَامُ نِصْفَ لَيلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى العِشَاءَ وَالفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، كَانَ لَهُ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ)) قَالَ الترمذيُّ: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

الشرح الأدبي

الحديث يبين فضل صلاة العشاء، والصبح، ويبين عظمة أجرهما، وقوله: (من صلى العشاء في جماعة) أي معهم (فكأنما قام نصف الليل) أي اشتغل بالعبادة إلى نصف الليل، وهو تشبيه لبيان مطلق مقدار الثواب، وتقرير تقارب الأجر (ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله) نزل صلاة كل من طرفي الليل منزلة نوافل نصفه، ولا يلزم منه أن يبلغ ثوابه ثواب من قام الليل كله؛ لأن هذا تشبيه في مطلق مقدار الثواب، ولا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء أخذه بجميع أحكامه، ولو كان قدر الثواب سواء لم يكن لمصلي العشاء، والفجر جماعة منفعة في قيام الليل غير التعب، وعبر بصلى، ولم يعبر بقام في قوله: (فَكَأنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ) على سبيل المشاكلة لقوله (من صلى الصبح) والتشبيه بكأن يفيد شدة الشبه ترغيبا في هاتين الصلاتين وحثا على استحضار نية تحصيل أجر قيام الليل عند صلاتهما.

---

(١) برقم (٦٥٦/٢٦٠). أورده المنذري في ترغيبه (٥٨٩).

(٢) برقم (٢٢١). أوردها المنذري في ترغيبه (٥٨٩).

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: البيان ودلالة الناس على طرق الخير.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل أداء صلاتي العشاء والصبح في جماعة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من مهام الداعية: البيان ودلالة الناس على طرق الخير:

من أهم المهام والواجبات التي أمر الله أن يضطلع بها الأنبياء وأتباعهم التبيين للناس ودلالتهم على طرق الخير والرشاد[١]، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٢]. ومن ذلك بيان فضل صلاتي العشاء والفجر في جماعة، والذي أشار إليه النبي ﷺ في الحديث فقال: "من صلى العشاء في جماعة فكأنما صلى الليل كله"، فينبغي على الدعاة أن يكونوا شديدي الحرص على هداية المدعوين ودلالتهم على طرق الخير، فالدعاة يقومون بأعمال الرسل عليهم السلام، وقد كان النبي ﷺ أكثر الأنبياء شفقة بمن يدعوهم، ولقد كان رسول الله ﷺ وسيظل للمسلمين عمومًا وللدعاة إلى الله خاصة المثل الأعلى والأسوة الحسنة[٣]، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل أداء صلاتي العشاء والصبح في جماعة:

إن لأداء الصلاة في جماعة، واجتماع المسلمين راغبين في الله راجين راهبين، مسلمين وجوههم إليه، خاصية وفضلاً كبيراً في نزول البركات وتدلى الرحمات[٥]، ومن ذلك ما أفاض الله على المسلمين في صلاة الفجر والصبح في جماعة من فضل

---

(١) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٣) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ٨.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٥) الأركان الأربعة، الشيخ أبو الحسن الندوي ص ٥٥.

كبير وثواب جزيل، فقال ﷺ: "من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل"، أي بصلاة التهجد، إذ القيام في عرف الشرع عبارة عن ذلك[١]، "ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله" أي منضمًا لصلاة العشاء جماعة، إذ بصلاة الصبح جماعة كأنما صلى الليل كله وذلك بانضمام ذلك النصف فكأنه أحيا نصف الليل الأخير[٢]. فالعشاء جماعة تساوي ثواب نصف الليل والفجر جماعة يساوي نصف الليل، وهذا فضل عظيم[٣]. ولذلك أشار النبي ﷺ إلى ما ينبغي أن يكون عليه المسلمون من حرص عليهما فقال ﷺ ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا"[٤].

كما أن في المحافظة على أداء صلاتي العشاء والصبح في جماعة اختتام اليوم وافتتاحه بأعظم الأعمال وهي الصلاة في أعظم الأماكن وأطهرها وهي المساجد.

فإن المسلم إذا صلى العشاء وصلى ما كتب الله له "جلس مطرقًا بين يدي ربه تعالى هيبة له وإجلالاً، واستغفره استغفار من قد تيقن أنه هالك إن لم يغفر له ويرحمه. فإذا قضى من الاستغفار وطرًا، وكان عليه بعد ليل، اضطجع على شقه الأيمن مجمًا نفسه، مريحًا لها، مقويًا على أداء وظيفة الفرض، فيستقبله نشيطًا بجده وهمته كأنه لم يزل طول ليلته لم يعمل شيئًا؛ فهو يريد أن يستدرك ما فاته في صلاة الفجر، فيصلي السنة ويبتهل إلى الله بينها وبين الفريضة، فإن لذلك الوقت شأنًا يعرفه من عرفه، ويكثر فيه من قول: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت، فلهذا الذكر في هذا الموطن تأثير عجيب.

ثم ينهض إلى صلاة الصبح قاصدًا الصف الأول عن يمين الإمام أو خلف قفاه، فإن فاته ذلك قصد القرب منه مهما أمكن، فإن للقرب من الإمام تأثيرًا في سر الصلاة، ولهذا القرب تأثير في صلاة الفجر خاصة يعرفه من عرف قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٥٥.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/ ٥٢٠.

(٣) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين ٢/ ١٣٠٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٥٧، ومسلم ٢٥٢.

﴿قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[1]، قيل: يشهده الله عز وجل وملائكته، وقيل: يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، فيتفق نزول هؤلاء البدل عند صعود أولئك فيجتمعون في صلاة الفجر، وذلك لأنها هي أول ديوان النهار وآخر ديوان الليل فيشهده ملائكة الليل والنهار، واحتج لهذا القول بما في الصحيح من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «فَضْلُ صَلاَةِ الْجَمِيعِ عَلَى صَلاَةِ الْوَاحِدِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً، وَتَجْتَمِعُ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ» يقول أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤوا إن شئتم ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[2].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في جلاء ووضوح، حيث رغب النبي ﷺ في أداء صلاتي الصبح والعشاء في جماعة ببيان أن فضل الصلاة منهما ما يضاهي ثواب قيام نصف الليل، فقال ﷺ: "من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله"، ومعنى هذا الحديث محمول على الرواية الأخرى للترمذي"، من شهد العشاء في جماعة كان له قيام نصف ليلة، ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان له كقيام ليلة فحمل الحديث الأول، رواية مسلم، على الحديث الثاني، رواية الترمذي[3]، وفي ذلك الترغيب القوي للمسلم للحرص على أداء صلاتي العشاء والفجر في الجماعة وكذلك باقي الصلوات، فلا ينبغي للمسلم أن يدعها إلا لعذر قوي ولا يشغلنه عنها لعبة أو أكلة ولا يتساهل في حق الله كما لا يقصر في حق نفسه، فإن الإنسان إذا ناداه عظيم لبى نداءه، وهرول نحوه لتنفيذ إشارته، فما بالنا بنداء الله تعالى، ينادي عباده ويثنى النداء حي على الصلاة حي على الفلاح، فأحرى بالمسلم أن يعدو إلى التشرف بلقاء الله والتلذذ بمناجاته واللجوء إليه[4].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم ص ٣٩٠، ٣٩١.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٥٥.

(٤) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٥٤.

وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية ذات الأهمية البالغة في مجال الدعوة إلى الله، فإن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة، أمر مطلوب حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه ورحمته وكرمه[1].

(١) معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، د. عبدالوهاب بن لطف الديلمي ١/٥٤٣.

الحديث رقم (١٠٧٤)

١٠٧٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ، قَالَ: ((وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا)) متفقٌ عَلَيهِ[1]. وقد سبق بطولِهِ.

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

العَتَمة: صلاةُ العشاء[2].

حَبْوًا: زحفًا، كما يزحف الصبيُّ الصغير[3].

الشرح الأدبي

التعبير بالعتمة كناية عن صلاة العشاء لاشتداد الظلمة في وقته وقول الرسول ﷺ (وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ) معناه أنهم لم يعلموا ما فيهما من الفضل فلم يأتوا، وهذا مفهوم من مدلول (لو) وهي شرطية تعلق الإتيان على الصفة المذكورة على العلم، وقوله (لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا) كناية عن عظمة الأجر وشدة الحرص عليه، والتعبير بالحبو مبالغة في اتخاذ الوسائل الموصلة وتحمل المشاق، والافتراض الذي افترضه الرسول ﷺ يرغب في المحافظة على هاتين الصلاتين.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤) واللفظ له، ومسلم (١٢٩/٤٣٧)، وتقدم برقم (١٠٣٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٥٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ت م).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ب و).

(٤) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (١٠٣٤).

الحديث رقم (١٠٧٥)

١٠٧٥- وعنه، قَالَ: قَال رَسُول اللهِ ﷺ: ((لَيْسَ صَلاَةٌ أثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنْ صَلاَةِ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

المنافقون: جمع منافق: الذي يظهر إيمانه ويكتم كُفره[2].

حَبْوًا: زحفًا، كما يزحف الصبيُّ الصغير[3].

الشرح الأدبي

الحديث يبين علاقة المحافظة على صلاة الفجر، والعشاء بالإيمان فكلما كان المؤمن أكثر إيمانا كان أكثر حفاظا عليهما، وكلما ابتعد عن الإيمان كلما قصر فيهما، وقد جعل الرسول ﷺ من المحافظة على صلاة الفجر، والعشاء علامة على الإيمان، والتثاقل عنهما علامة نفاق، وقد جاء هذا المعنى في ثوب النفي (لَيْسَ صَلاَةٌ أثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنْ صَلاَةِ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ) والتعبير بالثقل يوحي بكراهة في نفوسهم منبعها هذا النفاق الذي سكن قلوبهم فتثاقلت عن الصلاة أبدانهم، وقول الرسول ﷺ (وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً) لو حرف امتناع لامتناع ومعناه امتناع الإتيان عل هذه الصفة لامتناع العلم بما فيهما وقوله (لأتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً) كناية عن عظيم الأجر الذي يجعل حتى المنافق يحرص على تحصيله.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧) واللفظ له، ومسلم (٦٥١/٢٥٢). أورده المنذري في ترغيبه (٥٩٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ق).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ب و).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان طبيعة المنافقين واستثقالهم لصلاة العشاء والصبح.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث والترغيب في حضور صلاتي العشاء والصبح..

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الكناية.

أولاً – من موضوعات الدعوة: بيان طبيعة المنافقين واستثقالهم لصلاة العشاء والصبح:

إن المنافق يراءى بعمله ولا يقصد به وجه الله، لذا فليس عنده من الدافع إلى الإتيان بالأعمال الصالحة وإن جاء بها فإنما يأتي بها عن كسل وتثاقل وكما وصف الله المنافقين، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1]. يقومون للصلاة على كسل وهذه صفة ظواهرهم، ثم ذكر صفة بواطنهم الفاسدة فقال: "يراءون الناس"، أى لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله، بل إنما يشهدون الصلاة تقية من الناس ومصانعة لهم، ولهذا يتخلفون كثيرًا عن الصلاة التي لا يرون غالبًا فيها كصلاة العشاء وقت العتمة وصلاة الصبح وفي وقت الغلس[2]. كما جاء في الحديث: "ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء"، قال ابن حجر: "ودل هذا على أن الصلاة كلها ثقيلة على المنافقين، وإنما كانت العشاء والفجر أثقل عليهم من غيرهما لقوة الداعي إلى تركهما، لأن العشاء وقت السكون والراحة والصبح وقت لذة النوم[3].

إن المنافقين لجهلهم، وقلة علمهم، وسوء تقديرهم، يفعلون ما يفعل المخادع حيث يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر والله سبحانه فاعل بهم ما يفعله المخادع حيث أجرى

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٣٨/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٦٦/٢.

عليهم الأحكام العامة التي عصموا بها دماءهم وأموالهم، وأعد لهم في الآخرة الدرك الأسفل من النار، في الحقيقة الله لا يخادع فإنه العالم بالسر وأخفى فقيل إن المراد يخادعون رسول الله والمؤمنين، وإنما آثر القرآن هذا التعبير ليسجل عليهم عظيم جرمهم وليشير إلى أن من يخادعه يخادع الله.

وقال بعضهم إنهم يخادعون الله يوم القيامة حيث يحلفون له أنهم كانوا على الاستقامة وسائرين على الطريق ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾[1]، والله خادعهم حيث يستدرجهم في طغيانهم ويبعدهم عن الحق والنور ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾[2].

ولا غرابة في ذلك فهاهم أولاء المنافقون مع أشرف الأعمال وأفضلها وهي الصلاة إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها لأنه لا نية لهم فيها، ولا إيمان لهم بها ولا خشية، ولا هم يعقلون معناها!.

وأما قلوبهم ففاسدة، ونواياهم سيئة يفعلون بلا إخلاص، ولا يعاملون الله ولكن يعاملون الناس، ألا تراهم يراءون في كل عمل، ويستخفون من الناس والله معهم.

وإذا قاموا إلى الصلاة خشية من الناس بالطبع لا يذكرون الله إلا قليلا، وهم لعنهم الله مضطربون دائمًا بين الإيمان والكفر ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾[3]، وتراهم مرة مع المؤمنين في الظاهر وأخرى مع الكفار في الباطن، فهم لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، وحقيقة مَنِ اللهُ يضله ولا يوفقه، فلن تجد له سبيلاً إلى الخير والسداد[4].

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٨.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠.

(٤) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٧٤/٥/١، ٧٥.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث والترغيب في حضور صلاتي العشاء والصبح:

جاء في صريح الحديث بيان فضل أداء صلاتي العشاء والفجر في جماعة، والحث على حضورهما، فقال ﷺ: ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا" قال القاضي عياض: (وفي ذلك تحضيض على شهود هاتين الصلاتين في الجماعة وعظم الأجر فيهما لشدتهما على النفس وأنهما طرفًا أوان نومها وغلبة سنات أجفانها وراحة بدنها ومخالفة لمن يثقل ذلك عليه من المنافقين وأشباههم من البطلة المتهاونين والمحبين للدعة من المبادرة للنوم والراحة من تعب كدح اليوم الأول ليلهم، واستلذاذ الدفء وإغفاؤه الفجر آخره)[١]. ، قال ابن حجر: (هذا الحديث دال على فضل صلاة العشاء والفجر، ولو يعلم الناس ما فيهما من مزيد الفضل لأتوهما -أي إلى المحل الذي يصليان فيه جماعة وهو المسجد- ولو حبوًا يزحفون إذا منعهم مانع من المشي كما يزحف الصغير)[٢]. وقال النووي: (وفي ذلك الحث العظيم على حضور جماعة هاتين الصلاتين والفضل الكثير في ذلك لما فيهما من المشقة على النفس من تنغيص أول نومها وآخره، ولهذا كانت أثقل الصلاة على المنافقين)[٣]، فإن هاتين ثوابهما المرتب عليهما يخفف عنه ألم معاناتهما[٤] وفي ذلك حث على تحمل المشاق والتعب بغية مضاعفة الثواب ومحو الذنوب ورفع الدرجات[٥].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الكناية:

ورد أسلوب الكناية في قوله ﷺ: "ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا"، وذلك كناية عن الاهتمام بأداء صلاتي العشاء والفجر في الجماعة بالمسجد فقوله: "ولو حبوا" أى لا يمنعه عن الصلاة شيء حتى وإن أعيا عن المشي فيذهب حبوًا يقال: حبا البعير إذا

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ج٢/٣٥٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ج٢/١٦٥- ١٦٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٥٦.

(٥) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٣٢٢.

برك ثم زحف عن الإعياء وحبا الصبي إذا زحف على إليتيه ويطلق على الحيوان يمشي على يديه وركبتيه أو إسته[1]، واستعمال الكناية في الدعوة إلى الله من الدوافع التي تحرك العواطف والوجدان مما ينتج عن ذلك تحريك الإرادة ودفعها إلى عمل الخيرات واجتناب المنكرات[2].

إن الكناية من أساليب الدعوة المجدية، وهي مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته، والسر في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها والقضية وفي طيها برهانها.

كما أن من أسباب بلاغة الكناية: أنها تضع لك المعاني في صورة المحسوسات[3].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢/١٨٥.

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٢٣.

(٣) البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين ص ١٥٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على استدراك ما قد يفوت:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ ليلة. وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ». وفي رواية الترمذي: «مَنْ شَهِدَ الْعِشَاء فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ قِيَامُ نِصْفِ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى العِشَاء والفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ». فإذا كان المسلم يرغب في قيام الليل لما في ذلك من تحصيل الفضل الجزيل الذي أعدّه الله لمن قام بالليل والناس نيام، إذا كان المسلم يرغب في ذلك، فإنه في بعض الأحيان قد لا يتمكن من قيام الليل، مما يفوّت عليه هذا الأجر، فدلّه النبي ﷺ على ما يستطيع به استدراكه وتحصيله، وهو صلاة العشاء والفجر في جماعة، لذا فإنه يحرص أشد الحرص على أدائهما في جماعة، حتى يحصل فضل الجماعة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يستدرك ما قد يفوته من قيام الليل إن لم يفعله.

والخلاصة أنه يمكن الاستئناس بهذا الحديث للتربية على استدراك ما قد يفوت، وفي هذا المقام يمكن ذكر حديث النبي ﷺ كذلك، أنه قال لأصحابه: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ بِثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟» فَشَقَّ ذلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ» «ثُلُثَ الْقُرْآنِ»[1].

وعلى ذلك فإن التربية على استدراك ما قد يفوت فيها عدة فوائد منها:

أ- التربية على فعل الأفضل والأحسن والجمع بين الأفعال الفاضلة إذا تيسر ذلك، وإلا حاول من توجه إليه التربية أن يفعل ما يمكنه من استدراك ما فاته لأي سبب من الأسباب، وفي هذا تحصيل للخير ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[2].

ب- مراعاة الأحوال والطبائع البشرية التي يعرض لها ما يجعلها لا تحصل ما تريده من الخير، فيكون المجال واسعًا أمامها للاستدراك.

---

(١) أخرجه البخاري، ٥٠١٥، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.

ثانيًا: التربية بذكر أفعال المخالفين:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «ليسَ صَلاةٌ أثقلَ على المنافقين من الفَجرِ وَالعِشاء، وَلو يَعلمونَ ما فيهما لأتَوهما ولو حَبْوًا». فقد ذكر النبي ﷺ من صفات المنافقين أن أثقل الصلوات عليهم صلاتا الفجر والعشاء، مع أنهم لو علموا بفضل هاتين الصلاتين في جماعة لأتوا إليهما بكل طريق ممكنة، ولوا اقتضى الأمر أن يكون ذلك حبوًا. ولاشك أن من استمع إلى هذا الحديث من المسلمين فَهِم منه فضل صلاتي الفجر والعشاء في جماعة، كما فَهِم كره المنافقين لحضور هاتين الصلاتين، ومن ثم يستقر في ذهنه أنه ينبغي أن يحافظ عليهما في جماعة قدر جهده وطاقته، حتى لا يفعل فعلاً من أفعال المنافقين، وهو أشد الناس كرهًا لهم، ونفورًا منهم.

والمقصود أن هذا الحديث يستدل به على التربية بذكر أفعال المخالفين، وهذا مستقر عليه بين المربين وشائع فيما بينهم، فنجد الأب والمعلم والداعية والواعظ يستخدمونه استخدامًا ليس بالقليل، فنجد المعلم مثلاً يذكر أن من صفات الطلاب الفاشلين الكسل والتهاون وتأجيل الواجبات عن مواعيدها، وتضييع الأوقات فيما لا يفيد، والانشغال بما يعطل ويعوّق عن التحصيل الدراسي ونحو ذلك، وهو إذ يفعل ذلك يربي طلبته على نقيض هذه الصفات، وهي صفات الطلبة المتفوقين المجدين الممتازين، وهكذا الحال في شتى أحوال التربية ونواحيها.

والتربية بذكر أفعال المخالفين فيه عدة فوائد تربوية منها:

١ - التنفير من هذه الأفعال وجعل سد منيع بينها وبين الناشئة فلا يقتحمونها ولا يحومون حولها.

٢ - دفع الناشئة لأن يفعلوا الصفات الطيبة والأفعال الحميدة التي تركها هؤلاء المخالفون وراء ظهورهم، واتبعوا السيئ من الأفعال والأقوال.

٣ - لفت الانتباه بطريق غير مباشر إلى الاقتداء بأهل الأفعال المحمودة والخصال الطيبة.

ثالثًا: التربية بالتوجيه:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ ليلة.

وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ». فقد وجّه النبي ﷺ أتباعه إلى المحافظة على صلاة العشاء وصلاة الصبح في جماعة، كما أن في ذلك توجيهًا غير مباشر إلى قيام الليل، والترغيب فيه، وعلى ذلك ينبغي أن يوجه المربي من يربيهم إلى ما ينفعهم ويصلح أحوالهم، يقول النووي في ذلك: "وينبغي أن يؤدب المتعلم على التدريج بالآداب السنية، والشيم المرضية، ورياضة نفسه بالآداب والدقائق الخفية، ويعوده الصيانة في جميع أموره الكامنة والجلية، فأول ذلك أن يحرضه بأقواله وأحواله المتكررات على الإخلاص والصدق وحسن النيات، ومراقبة الله تعالى في جميع اللحظات، وأن يكون دائمًا على ذلك حتى الممات، ويعرفه أن بذلك تتفتح عليه أبواب المعارف، وينشرح صدره وتتفجر من قلبه ينابيع الحكم واللطائف، ويبارك له في حاله وعلمه، ويوفق للإصابة في قوله وفعله وحكمه. ويزهده في الدنيا ويصرفه عن التعلق بها، والركون إليها، والاغترار بها، ويذكره أنها فانية، والآخرة آتية باقية، والتأهب للباقي، والإعراض عن الفاني، هو طريق الحازمين ودأب عباد الله الصالحين.

وينبغي أن يرغبه في العلم، ويذكره بفضائله وفضائل العلماء، وأنهم ورثة الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، ولا رتبة في الوجود أعلى من هذه"[١].

رابعًا: التربية على علو الهمة في العبادة:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: "ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا"، فالنبي ﷺ رغب في صلاة العشاء والصبح جماعة، وذلك لفضلهما العميم، ولو اقتضى ذلك أن يأتيهما المصلي حبوًا كالطفل لا يستطيع إلا ذلك، وفي ذلك تربية للأتباع على علو الهمة ومغادرة مواطن الراحة لتحصيل معالي الأمور، قال ابن الجوزي: "من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون دنيء"[٢]، وقال كذلك: " فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للآدمي صعود السماوات لرأيت

---

(١) مقدمة المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، ٧٣/١، وانظر المدرس ومهارات التوجيه، محمد بن عبدالله الدويش ص ٧٥ وما بعدها.

(٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٦٠.

أقبح النقص رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض، غير أنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن، والسيرة الجميلة عند الحكماء خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل" [1].

"وإنما تعلو قيمة المرء وتسمو مكانته بقدر نصيبه من علو الهمة، ذلك أن علو الهمة يستلزم الجدّ والإباء، ونشدان المعالي وتطلاب الكمال، والترفع عن الدنايا والصغائر ومحقرات الأمور.

والهمة العالية لا تزال بصاحبها تضربه بسياط اللوم والتأنيب، وتزجره عن مواقف الذل، واكتساب الرذائل وحرمان الفضائل حتى ترفعه من أدنى دركات الحضيض إلى أعلى مقامات المجد والسؤدد" [2].



---

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٢/٢٢٤.

(٢) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٠٧ ومرجعه.

١٩٣- باب الأمر بالمحافظة عَلَى الصلوات المكتوبات

والنهي الأكيد والوعيد الشديد في تركهنّ

قال الله تَعَالَى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾[البقرة: ٢٣٨]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾[التوبة: ٥].

الحديث رقم (١٠٧٦)

١٠٧٦- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: سألت رَسُول اللهِ ﷺ أيُّ الأعمَالِ أفْضَلُ؟ قَالَ: ((الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا)) قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: ((بِرُّ الوَالِدَيْنِ)) قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: ((الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول أفضل الأعمال، وأحبها إلى الله، وهو ما كان يسعى إليه الصحابة رضي الله عنهم، وقد قام المعنى في الحديث على أسلوب الحوار الذي أداره عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله (أي العمل أفضل؟) وهو استفهام على حقيقته، والسؤال عن أفضل الأعمال مما اختلفت فيه أجوبة الرسول ﷺ لاخْتِلافِ أَحْوَالِ السَّائِلِينَ بِأَنْ أَعْلَمَ كُلَّ قَوْمٍ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، أَوْ بِمَا لَهُمْ فِيهِ رَغْبَة، أَوْ بِمَا هُوَ لائِقٌ بِهِمْ، أَوْ كَانَ الاخْتِلاف بِاخْتِلافِ الأَوْقَاتِ بِأَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَفْضَلَ مِنْهُ فِي غَيْرِهِ، فَقَدْ كَانَ الْجِهَاد فِي اِبْتِدَاءِ الإِسْلامِ أَفْضَل الأَعْمَالِ؛ لأَنَّهُ الْوَسِيلَةُ إِلَى الْقِيَامِ بِهَا وَالتَّمَكُّنِ مِنْ أَدَائِهَا، وَقَدْ تَضَافَرَتْ النُّصُوص عَلَى أَنَّ الصَّلاةَ أَفْضَل مِنْ الصَّدَقَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَفِي وَقْتِ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥/١٣٧) ولفظهما سواء، وتقدم برقم (٣١٢)، وسيكرره المؤلف برقم (١٢٨٨). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٤٧).

مُوَاسَاةِ الْمُضْطَرِّ تَكُونُ الصَّدَقَةُ أَفْضَلَ، أَوْ أَنَّ " أَفْضَلَ " لَيْسَتْ عَلَى بَابِهَا بَلْ الْمُرَاد بِهَا الْفَضْل الْمُطْلَق، أَوْ الْمُرَاد مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ فَحُذِفَتْ (مِنْ) وَهِيَ مُرَادَة، وقوله (الصلاة على وقتها) لأن الله ربطها بزمان محدد، وفي المسارعة إظهار لمعانٍ متعددة، كالطاعة، والشوق للقائه، ومحبته، وقوله: (ثم أي) فيه حذف يستلزمه الشوق إلى المزيد وتقديره: ثم أي الأعمال أفضل؟، فجاء في المرتبة الثانية بر الوالدين لعظيم فضلهما، فقد قدم الصلاة؛ لأنها حق الله، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد؛ لأن الحاجة إليه ليست في كل وقت، كالصلاة، وبر الوالدين.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣١٢).

الحديث رقم (١٠٧٧)

١٠٧٧- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَال رَسُول اللهِ ﷺ: ((بُنِيَ الإسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإقَامِ الصَّلاَةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

أركان الإسلام من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج وسائل تربية، وتقويم للمجتمع تمثل جزءاً من المنهج الإيماني من أعمال المجتمع التي يؤديها المسلم في حياته وبها يبدو في ثوبه القشيب يرتبط بهذا الجزء الذي يؤديه في يومه في الصلاة، وفي ماله بالزكاة، وفي عامه بالصوم، وفي عمره بالحج، يرتبط بذلك بالجزء الأكبر بالكون كله، وبالحياة كلها، ويتكامل ديناً، ودنيا علماً، وعملاً، قولاً، وفعلاً، ويتحول بهذا الامتزاج بين الأجزاء في داخل نفسه، وحسه إلى طاقة تغير الحياة، والأحياء، وإلى ينابيع خير، وحب، وعدل، وإخلاص[2].

وقول الرسول ﷺ (بني الإسلام) جملة خبرية قصد بها بيان أسس الدين التي قام عليها، والتعبير بالبناء على سبيل الاستعارة المكنية التي تصور الإسلام كأنه بناء شامخ قام على خمس دعائم مما يشير إلى أنه حصن، وملاذ، وقد رمز إليه بالبناء وهو من خواص المحسوسات، والإسلام معنوى بدا في هذه الصورة المجسّمة التي تجعل المعنى أكثر وضوحا مع توسيع الدلالة الإيحائية، وذكر العدد خمس إجمال تلاه تفصيل، وهو ما حقق التوكيد، والتشويق للخبر، وأولها: (شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦/٢١) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٠٩٢). وسيكرره المؤلف برقم (١٢٠٨)، و (١٢٧٣).

(٢) منهج القرآن في تربية المجتمع د. عبد الفتاح عاشور ص ١٩٠.

رَسُولُ اللَّهِ،) لأنها بوابة الدخول ولا تقبل فريضة تتجرد عنها في قلب صاحبها، وثانيها: (وَإِقَامِ الصَّلاَةِ) والتعبير بالإقامة عن الأداء يتضمن إتقان كل ما يتعلق بها من أعمال، لأن اللفظ يدل على تعديل المعوج، والإصلاح، والحفظ، وغيرها من معان، والثالث (وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) والتعبير بالإيتاء يشير إلى مشقة في الفعل تأتي من طبيعة شح النفوس، وحبها للمال مع تحري المساكين والفقراء والمستحقين لها والرابع: (وَحَجِّ البَيْتِ) و (ال) في البيت للعهد أي البيت الحرام، والخامس (وَصَوْمِ رَمَضَانَ) أي شهر رمضان، وهذه الأركان كيان متكامل يكمل بعضه بعضا في إعداد النفس لإعمار الدنيا والآخرة.

فقه الحديث

قال ابن رجب الحنبلي: (والمراد من هذا الحديث أن الإسلام مبني على هذه الخمس، فهي كالأركان والدعائم لبنيانه وقد خرّجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة، ولفظه "بني الإسلام على خمس دعائم" فذكره، والمقصود تمثيل الإسلام ببنيان ودعائم البنيان هذه الخمس، فلا ثبت البنيان بدونها، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فقد منها شيء نقص البنيان وهو قائم لا يتنقص بنقص ذلك، بخلاف نقض هذه الدعائم الخمس، فإن الإسلام يزول بفقدها جميعًا بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين، والمراد بالشهادتين الإيمان بالله ورسوله، وقد جاء في رواية ذكرها البخاري تعليقًا "بني الإسلام على خمس: إيمان بالله ورسوله"[١]، وذكر بقية الحديث، وفي رواية لمسلم: "على خمس: على أن يوحِّد الله"[٢] وفي رواية له "على أن يعبد الله ويكفر بما دونه"[٣] وبهذا يعلم أن الإيمان بالله ورسوله داخل في ضمن الإسلام)[٤].

---

(١) صحيح البخاري ٤٥١٤.

(٢) صحيح مسلم ١٦، ١٩.

(٣) صحيح مسلم ١٦، ٢٠.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/١٤٤ - ١٤٥ .

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: المجاز.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان أركان الإسلام الخمسة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الالتزام بأركان الإسلام.

رابعًا: من موضوعات الداعية: أثر الالتزام بأركان الإسلام في اكتساب الأخلاق.

خامسًا: من فقه الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: المجاز:

ورد أسلوب المجاز في الحديث في قوله ﷺ: "بني الإسلام على خمس" قال ابن علان: "واستعمال البناء الموضوع للمحسوسات في المعاني مجاز علاقته المشابهة، شبه الإسلام ببناء عظيم محكم وأركانه الآتية، إقام الصلاة ...، بقواعد ثابتة محكمة حاملة لذلك البناء، وقال الكازروني: وفي الحديث استعارة تمثيلية شبهت حالة الإسلام مع أركانه الخمسة بحالة خباءٍ أقيم على خمسة أعمدة، فقطبها التي تدور عليه الأركان الشهادة، وبقية شعبه بمنزلة الأوتاد، فتكون مغايرته لهذه الأركان كمغايرة الخباء للأعمدة"[1].

فالحديث كسائر أحاديثه ﷺ من جوامع كلمه، وفيه أسلوب التمثيل إذ مثل الإسلام بخباء (خيمة) ذي أعمدة وأطناب، أو ببناء محكم له أركان كما أشار إلى ذلك الإمام المناوي[2]، وهذا التمثيل له أثره التصويري الدعوي والتربوي، إذ أنه يبقى ماثلاً في الذهن محفوظًا، سهل النقل سريع التنبيه والتذكير للخاصة والعامة، ويفعل في الإدراك بأكثر من وسيلة، وذلك من البلاغة، التي ينبغي على الدعاة أن يتذوقوها ويعرفوا أصولها ويتدربوا عليها ويمارسوها في مجالات الدعوة ضمن المأذون لهم شرعًا، ليكون تأثيرهم في جماهير الناس أعمق وأوسع، وذلك من الحكمة والموعظة الحسنة

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٥٧.

(٢) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ١٨٥/٣ - ٢٠٨.

اللتين أمر الله بهما في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[١]، [٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان أركان الإسلام الخمسة:

جاء في الحديث بيان رسول الله ﷺ لأركان الإسلام فقال ﷺ: "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ". والمراد من هذا الحديث أن الإسلام مبني على هذه الخمس، فهي كالأركان والدعائم لبنيانه، والمقصود تمثيل الإسلام ببنيانه، ودعائم البنيان هذه الخمس، فلا يثبت البنيان بدونها، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فقد منها شيء نقص البنيان، وهو قائم لا ينتقص بنقص ذلك، بخلاف نقض هذه الدعائم الخمس فإن الإسلام يزول بفقدها جميعًا بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين[٣].

فنجد أن الرسول ﷺ في هذا الحديث ذكر أركان الإسلام العملية وهي الخمسة المذكورة، وقد أفردها دون غيرها؛ لأنها الأعمال التي تلزم كل مسلم دون استثناء فمنها ما يدخل به الإسلام ويستمر به فيه كالشهادتين دون تحديد وقت، ومنها ما يمارسه يوميًا خمس مرات وهي الصلاة، ومنها ما هو عبادة سنوية وهو صوم رمضان، ومنه ما يجب عند وجود المال المعين كالزكاة، ومنها ما يجب في العمر مرة إذا توفرت الاستطاعة وهو الحج.

قال ابن عبدالبر: (قال الله عز وجل: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا ....الآية﴾[٤]. يعني شبابًا وشيوخًا، وقال: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ...الآية﴾ إلى

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) مبادئ في الأدب والدعوة، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٥ - ٤٦.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/١٤٥.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٤١.

قوله: ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[١]. فثبت فرضه - أي الجهاد - إلا أنه على الكفاية لقول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾[٢]، وعلى هذا جمهور العلماء، ودليل ذلك قوله ﷺ ((بني الإسلام على خمس))ليس فيها ذكر الجهاد؛ لأنها - أي الخمس - متعينة على المرء في خاصته) أ.هـ[٣].

وقال ابن عبدالبر في موضع آخر من التمهيد: (ذكر ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة بن شريح عن بكير بن عمرو المعافري أن بكير بن الأشج حدثه عن نافع أن رجلاً أتى ابن عمر، فقال: يا أبا عبدالرحمن، ما حملك على الحج عامًا وتقيم عامًا، وتترك الجهاد في سبيل الله، وقد علمت ما رغب الله فيه، فقال: يا ابن أخي، بني الإسلام على خمس: إيمان الله ورسله والصلوات الخمس وصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت ... وعلى هذا أكثر العلماء أن أعمدة الدين التي بني عليها خمس على ما في خبر ابن عمر هذا إلا أنه جاء عن حذيفة خبر يخالف ظاهره خبر ابن عمر هذا في الإسلام، رواه شعبة وغيره عن أبي إسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة قال: الإسلام ثمانية أسهم: الشهادة سهم، والصلاة سهم، الزكاة سهم، وحج البيت سهم، وصوم رمضان سهم، والجهاد سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، وقد خاب من لا سهم له). أ هـ[٤].

وقد عبر بالأسهم وليس بالبناء؛ لأنه دخل في المجموع أمور غير الخمس، ثم وضح الفرق ابن عبدالبر، فقال: وقد ذكرنا فرض الجهاد وما يتعين منه على كل مكلف، وما منه فرض على الكفاية، وأنه لا يجري مجرى الصلاة والصوم.

ومؤدى كلام ابن عبدالبر أن هذه الخمس ملازمة للمسلم لازمة الوجوب، أما مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فواجب في أحوال دون أحوال.

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٠٤/١٨.

(٤) المرجع السابق ١٦٠/١٦.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الالتزام بأركان الإسلام:

جاء في الحديث بيان رسول الله ﷺ لأركان الإسلام الذي لا يكتمل إلا بها فقال ﷺ: "بُنِىَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللّهُ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ". فالإسلام بناء قوي محكم، شرعه الله عزوجل لعباده: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]، هذه الدعائم وهذه الأعمدة الخمسة التي أقيم عليها الإسلام والتي بينها رسول الله ﷺ ومعلوم أن الأعمدة أساس البنيان، وأنه إذا فقدت الأعمدة تداعى البنيان وانهدم[2]، لذا وجب على المسلم الالتزام والإذعان الكامل لأركان الإسلام وعدم التهاون في شيء منها خاصة الشهادتين اللتين بهما عصمة الدم والمال، كما قال ﷺ: «أُمِرتُ أن أُقاتِلَ الناسَ حتّى يقولوا لا إله إلاّ اللّهُ، فمن قالها فقد عَصَمَ مني مالَهُ ونَفْسَهُ إلاّ بحقّهِ، وحِسابهُ على اللّه»[3].

رابعًا - من موضوعات الداعية: أثر الالتزام بأركان الإسلام في اكتساب الأخلاق:

هذا الحديث يركز على أسس الإسلام، ومن أبرز ثمارها الأخلاقية أن الشهادتين كلما تكررتا ربطتا المسلم بالله وبرسوله، فذكر الله طرد للغفلة واستشعار لإلهيته وعظمته ورقابته، فينتج عن ذلك الخوف منه ورجاؤه والاستقامة على دينه، وذكر الرسول ﷺ استحضار لمنهجه ومثاليته وسموه، فينتج عن ذلك الاقتداء به والأخذ بهديه والالتزام بسنته والصلاة والسلام عليه، وقياس كل الزعامات بمعيار اتباعه. ومعنى ذلك أن ذكر الشهادتين فيهما إيقاظ للقلوب وتقويم للسلوك، ولذلك اعتبرت الشهادتان أفضل الذكر كما وردت بذلك النصوص. وأما الصلاة فهي الصلة بين العبد وربه، وهي أفعال وأقوال تعني الخضوع والخشوع والمناجاة، ولجوء العبد المحتاج إلى

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٣٠٦.

(٣) أخرجه البخاري، ١٣٩٩، ومسلم، ٢٠.

الخالق الصمد الغني، ونتائج الصلاة الخاشعة ظاهرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴾[٢]. وأما الزكاة، فهي تطهير للنفوس من رذيلتي البخل والشح، وهما من أبرز أسباب الصراع لدى البشرية على حطام الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٣]، والزكاة تطهير وتزكية سنوية، قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[٤].

وأما الصوم فهو تقوية للإرادة، وبناء للصبر، ولذلك سمي رمضان شهر الصبر، وهو تحرر من العادات والشهوات المباحة فضلاً عن المرحمة، وضبط للأعصاب والجوارح وفي الحديث المتفق عليه، الذي روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصِّيامُ جُنَّة، فلا يَرْفُثْ ولا يَجْهَلْ. وإنِ امرُؤٌ قاتَلَهُ أو شاتَمَهُ فلْيَقُلْ: إني صائمٌ - مرَّتين - والذي نفسي بيدِهِ لَخُلُوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عندَ اللهِ مِن رِيحِ المِسْك، يَترُكُ طَعامَهُ وشَرابَهُ وشَهْوتَهُ مِن أجْلي، الصِّيامُ لي وأنا أجْزي به، والحسَنَةُ بعَشْرِ أمثالِها»[٥].

وأما الحج، فهو رحلة إلى الله وتعويد للنفوس لتحمل المشاق والاغتراب وفراق الأهل والوطن مرضاة لله، وهو إلزام للنفس بالاستسلام للفرائض التي فرضها الله، ولو لم تظهر أسرارها للعقل كعدد مرات الطواف وكتكرار رمي الجمار....الخ.

وحَسْبُ العاقل أنه يمارس العبودية استسلامًا لأمر الله بالإضافة إلى الجوانب الأخرى التي يتشابه فيها الحج مع الصوم في بناء الصبر وضبط الأعصاب والتحرر من

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٢) سورة المعارج، الآيات: ١٩ - ٢٢.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٥) أخرجه البخاري ١٨٩٤.

السلبيات، قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾[1]. والجوانب التي يشبه فيها الحج والزكاة، فالحج نفقات وتطهير من الشح، ولذلك كانت أركان الإسلام مدرسة ملازمة للمسلم تبني في نفسه فيما تبني مكارم الأخلاق وتتعاهد باستمرار.

خامسًا - من فقه الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن في بيان رسول الله ﷺ في الحديث لأركانه الإسلام ودعائمه في قوله: "بني الإسلام على خمس شهادة ان لا إله إلا الله ..." أنموذجًا تطبيقيًا ومثلاً حيًا لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من قيامه ببيان الحقائق، وذلك واجب شرعي أوجبه الله على الأنبياء وأتباعهم الدعاة، أن يوضحوا للناس الحقائق ولا يكتمونها[2]، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[3].

قال القاسمي: (أي لتظهرن جميع ما فيه من الأحكام والأخبار التي من جملتها أمر نبوته ﷺ. وفي قوله تعالى: "وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ" من النهي عن الكتمان، بعد الأمر بالبيان، مبالغة في المأمور به.

قال بعض المفسرين: ثمرة الآية وجوب إظهار الحق، وتجنب كتمانه، فيدخل فيه بيان الدين والأحكام والفتاوى والشهادات وغير ذلك مما يجب إظهاره. وقد تقدم هذا، وإن المراد بذلك إذا لم يؤد إلى مفسدة. ويدخل في الكتم منع الكتب المنطوية على علم الدين حيث تعذر الأخذ إلا منها[4].

فكفى بذلك دليلاً على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه، وأن لا يكتموا منه شيئًا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣١٧/٤/٢.

استجلاب لمسارِّهم أو لجر منفعة وحطام دنيا، أو لتلقيه مما لا دليل عليه ولا إمارة، أو لبخل بالعلم وغيره أن يُنْسب إليه غيرهم[1].

(١) الكشاف، الزمخشري ص ٢١٠.

الحديث رقم (١٠٧٨)

١٠٧٨ - وعنه، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإذَا فَعَلُوا ذلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأمْوَالَهُمْ، إلاَّ بِحَقِّ الإسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يبين منزلة أركان الإسلام، وأنها عصمة للإنسان ماله، ودمه، ويبين قيمة الصلاة باعتبارها من أهم أركان الإسلام، وقول الرسول ﷺ (أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ) يؤكد أن قتال الرسول لهؤلاء أمر علوي فوق تقدير الرسول ﷺ من تقدير خالقه، و (ال) في الناس للجنس فتشمل كل من يتصدى للدعوة، ويمنع عن غيره النور بل العدل أن يصل النور إلى الجميع فيختار كل منهم ما يشاء، وقد جعل الله لرسوله في قتاله غاية ينتهي إليه أشار إليها بقوله (حَتَّى يَشْهَدُوا...) وأسلوب الشرط (فَإذَا فَعَلُوا ذلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأمْوَالَهُمْ) يقرر أن عصمتهم مرهونة بدخولهم الإسلام، وتطبيقهم أركانه، وقوله (إلاَّ بِحَقِّ الإسْلاَمِ) احتراس يخرج الأخذ بحد من حدود الله من الحكم السابق، وقوله: (وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ) تكميل بلاغي يفيد أخذه إياهم بما ظهر له منهم، وترك علم الباطن على الله لأنه العالم به.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٢٥)، ومسلم (٢٢/٣٦)، وتقدم برقم (٣٩٠)، وسيأتي برقم (١٢١١).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٩٠).

الحديث رقم (١٠٧٩)

١٠٧٩- وعن معاذ رضي الله عنه، قَالَ: بَعثنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إلى اليَمَنِ، فَقَالَ: ((إنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إلى شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإنْ هُمْ اطاعُوا لِذلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَومٍ وَلَيلَةٍ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذلِكَ، فَإيَّاكَ وَكَرَائِمَ أمْوَالِهِمْ، واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ)) متفقٌ عَلَيهِ[١].

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

كرائم أموالهم: جمع كريمة: نفائسها التي تتعلق بها نفس مالكها ويختصها لها[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يحمل درسا تربويا في فنون التعليم يقوم على فهم طبيعة المتعلم التي تكشف كثيرا من أبعاد شخصيته، ومداخلها، وكيفية التأثير فيها، فبدأ حديثه بالتوكيد لتعظيم الأمر في نفس معاذ رضي الله عنه، وإشعاره بجلال الأمر؛ لأنه صار رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: (إنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ) ثم استخدم الأمر الحقيقي في قوله (فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله) وهو تنقية للعقيدة لما حصل من خلط فيها عندهم، وبناء لها على أساس صحيح بالإيمان بالله، ورسوله، وجملة الشرط التي تكررت بعد كل مرحلة من مراحل التعليم تشير إلى ترتب كل نتيجة على سابقتها

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩/٢٩) واللفظ له، وتقدم برقم (٢٠٨)، وسيأتي برقم ١٢١٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ر م).

كما تشير إلى التدرج في التعليم حتى لا يمل المتعلم، ثُمَّ إن الْحَدِيث لَيْسَ مَسُوقًا لِتَفَاصِيل الشَّرَائِع بَلْ لِكَيْفِيَّةِ الدَّعْوَة إِلَى الشَّرَائِع إِجْمَالاً وَأَمَّا تَفَاصِيلهَا فَذَاكَ أَمْر مُفَوَّض إِلَى مَعْرِفَة مُعَاذ رضي الله عنه فَتَرْك ذِكْر الصَّوْم، وَالْحَجّ لا يَضُرّ كَمَا لا يَضُرّ تَفَاصِيل الصَّلاة، وَالزَّكَاة، والطباق بين الأغنياء، والفقراء (افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ) يوضح العلاقة التبادلية التي أوجدها الإسلام بتعاليمه بين طبقات المجتمع لتحقق التكافل بين الناس، والمحبة، وقوله (فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالهِمْ) إياك أسلوب تحذير يقوم على الإيجاز الخاطف الذي يقذف الخوف من المحذر منه في نفس السامع، وكرائم الأموال كناية عن أفضل أنواع الأموال لديهم، وفيه بعد نفسي برعاية طبيعة النفس المجبولة على حب المال؛ لأن أخذ الأفضل قد يوغر الصدر، ويحمل على عدم إخراج الزكاة، وقوله (واتق دعوة المظلوم) أمر بغرض التحذير وهو من المجاز بإطلاق المسبب، وإرادة السبب أريد بِهِ اِتَّقِ الظُّلْم خَوْفًا مِنْ دَعْوَة الْمَظْلُوم عَلَيْك، والتعبير بالمجاز يريه العاقبة التي يؤل إليها الظلم ليقلع عنه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٠٨).

الحديث رقم (١٠٨٠)

١٠٨٠ - وعن جابرٍ رضي الله عنه، قال: سمعت رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم، يقول: **((إنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ والكفر، تَرْكَ الصَّلاَةِ))** رواه مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

والمتأمل لأسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم البلاغي في هذا الحديث يجد أنه صلى الله عليه وسلم بدأ حديثه بأسلوب خبرى يتسم بالهدوء، والثقة اللذين يشعران المخاطب بأن الخبر مما لا ينكر لذلك ساق الرسول صلى الله عليه وسلم خبره سوق الواثق الذي لا يقابل بإنكار، ذلك أن المعنى واضح وضوح الشمس راسخ رسوخ الجبال لا يقبل الشك تعظيماً لأهمية الصلاة، وأنها عماد الدين تاركها تاركه، ولذلك لم يؤكد خبره بأى مؤكد إشارة إلى أن الخبر من الظهور بحيث لا يتأتى لمنكر أن ينكره، وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) تشبيه ضمنى يجعل الصلاة بمثابة سور حاجز للمسلم عن خطر عظيم مهلك هو الشرك والكفر مما يبين ويؤكد أهمية الصلاة على دين المسلم ويغرس في النفوس أن تارك الصلاة أزال ستار الإيمان وصار وجهاً لوجه في الشرك، والكفر خارجاً عن نطاق الإيمان، والجمع بين الكفر والشرك من مراعاة النظير وهو الجمع بين الشيء ونظيره وقد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبدة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله، والكفر أعم، وعطف الكفر على الشرك من عطف المفردات لوجود الجهة الجامعة بينهما، وهي التماثل مع قصد التشريك في الحكم، والجمع بينهما يوحي بعظم الذنب الذي يترك صاحبه بين خطرين عظيمين كلاهما شر مستطير، والصلاة هي الحاجز عن هذين الخطرين فإذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل بل دخل فيه.

---

(١) برقم (٨٢/١٣٤). أورده المنذري في ترغيبه (٧٩٥).

فقه الحديث

قال النووي: (وأما تارك الصلاة فإن كان منكر لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه.

وإن كان تَرْكُه تكاسلاً مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس، فقد اختلف العلماء فيه:

فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حدًّا كالزاني المحصن، لكنه يقتل بالسيف.

وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر، وهو مروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل، وبه قال عبدالله بن المبارك وإسحاق بن راهويه، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي.

وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي - رحمهما الله - أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلي.

احتج من قال بكفره بظاهر الحديث: "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة". وبالقياس على كلمة التوحيد.

واحتج من قال: لا يقتل، بحديث "لا يحلّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث..."[(١)] وليس فيه الصلاة.

واحتج الجمهور على أنه لا يفكر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[(٢)]، وبقوله ﷺ: ((من قال لا إله إلا الله دخل الجنة))[(٣)] و((ومن

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٧٨، ومسلم ١٦٧٦.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٤٨، ١١٦.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٣٧، ومسلم ٩٤.

مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة))[١] و((لا يلقى الله تعالى عبد بهما غير شاكٍ فيحجب عن الجنة))[٢] و((حرم الله على النار من قال: لا إله إلا الله))[٣] وغير ذلك.

واحتجوا على قتله بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾[٤]، وقوله ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم))[٥] وتأولوا قوله ﷺ: "بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة" على معنى أنه يستحق بترك الصلاة عقوبة الكافر، وهي القتل أو أنه محمول على المستحلّ أو على أنه قد يؤول به إلى الكفر أو أن فعله فعل الكفار، والله أعلم)[٦].

المضامين الدعوية[٧]

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان الرسول ﷺ لما يحقن دماء المنافقين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من ترك الصلاة والتهاون فيها.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً – من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: "إن بين الرجل"، وأسلوب

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦/٤٣.

(٢) أخرج مسلم ٢٧/٤٥ بنحوه.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩/٤٧ بنحوه.

(٤) سورة التوبة، آية: ٥.

(٥) أخرجه البخاري ٢٥، ومسلم ١٦/٢١ بنحوه.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦١/٢/١ - ٦٢، وانظر جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٤٥/١ - ١٤٩، الحديث الثالث، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٠٩ - ٢١١.

(٧) هذه المضامين الدعوية تشمل هذا الحديث - ١٠٨٠- والحديثين التاليين (١٠٨١، ١٠٨٢).

التوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة لما يوحي من تيقن الداعي من دعوته، وزيادة التأكيد والتقرير لما يدعو إليه مما يجعل الدعوة تقع في قلب المدعو موقع القبول والتسليم، وقد استخدم القرآن أسلوب التوكيد في كثير من آياته مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان الرسول ﷺ لما يحقن دماء المنافقين:

صرح النبي ﷺ في الحديث بما يحقن دماء المنافقين، فقال: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة"، أي: أن العهد الذي بيننا وبين المنافقين الصلاة، بمعنى أنها الموجبة لحقن دمائهم كالعهد في حق المعاهدين، فالعمدة في إجراء أحكام الإسلام على المنافقين تشبههم بالمسلمين في حضور صلاتهم ولزوم جماعتهم وانقيادهم للأحكام الظاهرة[2].

وصرح النبي ﷺ في الحديث بكفر من ترك الصلاة، فقال ﷺ: (فمن تركها فقد كفر)، قال ابن عثيمين: (فهذا الحديث فيه تحذير من إضاعة الصلاة ودليل على كفر تارك الصلاة)[3]، وقد ساق ابن القيم في كتابه "كتاب الصلاة وحكم تاركها" أدلة القائلين بتكفير تارك الصلاة والقائلين بنقيض ذلك فلينظر[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التحذير من ترك الصلاة والتهاون فيها:

التحذير من ترك الصلاة وردت فيه نصوص من الكتاب والسنة بلغت حدًا في الكثرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[5].

---

(١) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣ - ١٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٠٦/٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٣١٣/٢.

(٤) انظر: كتاب الصلاة وحكم تاركها، الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: تيسير زعيتر، ص ٢٣ - ٥٤.

(٥) سورة المنافقون، آية: ٩.

قال ابن جريج: "سمعت عطاء بن أبي رباح يقول: هي الصلاة المكتوبة، وقال الحسن: جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله"[١]، ولقد أمر المدعوين بالصلاة وعدم التهاون بها أو تركها، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾[٣]، وبيَّن أن ذلك مورد من موارد التهلكة والعذاب، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[٤].

إن خطورة ترك الصلاة تؤدي إلى التفريط والإهمال في العبادات الأخرى، قال ابن كثير: (وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع، لأنها عماد الدين وخير أعمال العباد، وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون غيًا: أي خسارًا يوم القيامة)[٥].

ومن السنة ما جاء في الحديث من بيان خطورة ترك الصلاة، فقال ﷺ: (إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)، قال النووي: "ومعنى بينه وبين الشرك ترك الصلاة، أن الذي يمنع من كفره كونه لم يترك الصلاة، فإذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل بل دخل فيه"[٦].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٧]، إن القرآن الكريم يصور لنا حال أهل النار، عندما يسألون عن سبب ما هم من عذاب، قال الله تعالى:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢٩/١٨/٩، وكتاب: الصلاة وحكم تاركها، ابن القيم ص ٤٢.

(٢) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٤) سورة مريم، آية: ٥٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٣/٥.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٤.

(٧) سورة الماعون، الآيتان: ٤ - ٥.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۝ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[١].

فالصلاة أول عمل كفر به أولئك المكذبون، وأول ما يندمون على تضييعه يوم القيامة، روي عن يحيى بن يعمر عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عملهِ صَلاتُه...))[٢].

ولما للصلاة من الفضل العظيم بعد الشهادتين، كانت آخر وصية أوصى بها رسول الله ﷺ أمته قبل وفاته، روي عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال وهو في الموت: ((الصَّلاةُ الصَّلاةُ وما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ))[٣].

والصلاة هي آخر ما يفقد من الدين فإن ضاعت ضاع الدين، كما جاء في الحديث: (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)، لذا ينبغي على المسلم أن يحرص على أداء الصلاة في أوقاتها وألا يتكاسل أو يسهو عنها، فقد رهّب القرآن من حال الذين يلهون حتى يضيع الوقت وتفوت الصلاة.

وروي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: ((مَنْ حافَظَ عَلَيْها كانَتْ لَهُ نُورًا وبُرْهَانًا ونَجاةً يومَ القِيامَةِ، ومَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْها لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ ولا بُرْهَانٌ ولاَ نَجاةٌ، وكانَ يومَ القيامَةِ مَعَ فِرْعَوْنَ وهَامَانَ وأُبَيِّ بنِ خَلَفٍ))[٤]، قال ابن القيم: "وإنما خص هؤلاء الأربعة بالذكر لأنهم من رؤوس الكفرة، وفيه نكتة بديعة وهو أن تارك المحافظة على الصلاة إما أن يشغله ماله أو ملكه أو

---

(١) سورة المدثر، الآيات: ٣٨ - ٤٨.

(٢) أخرجه أحمد ٦٥/٤، رقم ١٦٦١٤، والحديث قال عنه محققو المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، انظر: (مسند الإمام أحمد ١٦٠/٢٧).

(٣) أخرجه أحمد ٣٢١/٦، رقم ٢٦٧٢٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح لغيره ٣١٥/٤٤.

(٤) أخرجه أحمد ١٦٩/٢، رقم ٦٥٧٦، وقال محققو المسند: حديث إسناده حسن ١٤٢/١١.

رئاسته أو تجارته، فمن شغله عنها ماله فهو مع قارون، ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون ومن شغله عنها رئاسة أو وزارة فهو مع هامان، ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبيّ بن خلف"[١].

جاء في صريح حديث الباب التحذير من ترك الصلاة والتهاون فيها فقال ﷺ: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر)، قال ابن علان: (لا يخفى ما فيه من تعظيم شأن الصلاة والحث على فضلها والحض على ملازمتها)[٢].

وكذلك ما ورد عن الصحابة من تكفير معظمهم لتارك الصلاة فعن شقيق بن عبدالله التابعي، قال: "كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة"، قال ابن علان والمراد معظمهم وذلك لما ورد من خلاف في حكم تارك الصلاة"[٣]، وظاهر قول شقيق بن عبدالله يدل على أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يعتقدون أن ترك الصلاة كفر، وقال الطيبي: (يفيد ذلك أن ترك الصلاة عندهم كان من أعظم الوزر وأقرب من الكفر)[٤].

إن في الصلاة سرًا لسلامة الإيمان، وسلامة الدين، والاتصال بالله تعالى والبقاء في حظيرة الإسلام والانخراط في سلك المؤمنين، لا يعلمه إلا الله تعالى، وقد ضرب بعض العارفين لذلك مثلاً عظيمًا فقال: "كانت لأحد الأغنياء الحكماء حديقة غنّاء، ولما حضرته الوفاة، دعا ابنه وقال له: أوصيك بالمحافظة على هذه الحديقة، وعلى ما فيها من أشجار وأزهار، ونباتات وحشائش، فلا تُقص منها شيئًا استغناءًا عنه أو زهدًا فيه، فإنها كلها تقوم على حكم غامضة، وفوائد مستورة، ولما مات الرجل وآل الأمر إلى ولده، رأى أن نباتًا قد ذوي وأصبح حشيشًا لا رائحة ولا غناء فيه، ورأى أنه يشغل

---

(١) كتاب الصلاة وحكم تاركها ص ٤٦ - ٤٧.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٦٠.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٠٦.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢/٢١٥.

مكانًا من غير جدوى، ويسيء إلى الحديقة وجمالها ومنظرها، فاقتلع الجرثومة، فما لبث أن دخلتها حية سوداء فلدغت سيدها فمات من ساعته، وعلم الناس أن الجرثومة كانت وقاية عن الحيّات أو الأفاعي والحشرات السامة فلا تدخل حديقة فيها هذه الجرثومة.

كذلك من ترك الصلاة، واستغنى عنها، اعتمادًا على وصوله إلى الغايات، والنتائج التي يعتقد أن الصلاة شرعت لها، وكانت قطرة إليها، أو اعتمادًا على مأثرة من مآثره في خدمة الإسلام والمسلمين، وكثرة عبادته في الماضي، أو طول جهاده وحسن بلائه، أو شدة بلائه، أو شدة اشتغاله بعمل مثمر، يعود على الإسلام والمسلمين بالفائدة والخير الكثير، فقد عرض نفسه للهلاك، وأعماله للحبط، وإيمانه للضياع، وكان كالشاة المفارقة للقطيع والراعي، التي يختطفها الذئب ويفترسها"[1].

ومن ثم فلا يليق بمسلم موحد يخشى ربه، ويرجو ثوابه، أن يضيع الصلاة بحال من الأحوال، بل ينبغي أن يسعى جاهدًا لإقامتها تامة محققًا ما فيها من الخشوع والخضوع لله، متجردًا من كل مغريات الحياة وفتنها، ولا يأتي عملاً ولا يقول قولاً من شأن الصلاة إلا وهو مقبل على الله بقلبه وروحه وجسده، عندئذ هنيئًا له الفلاح، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[2] "[3].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد أسلوب الترهيب في الحديث حيث رهّب النبي ﷺ من ترك الصلاة ببيان أن ذلك إباحة لما عصم بالإسلام من دم وغيره وأن ذلك من مداخل الكفر والإشراك بالله تعالى، فقال ﷺ: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر).

(وفي ذلك لون من أشد ألوان الترهيب ففي الحديث بيّن النبي ﷺ: أن الصلاة

---

(١) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١ - ٢.

(٣) انظر: الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٢٦ - ٢٧.

هي الحد الفاصل بين الإسلام والكفر، فمن اتصف بصفة الإسلام وصلى فقد أوجد الحاجز بينه وبين الكفر، فلا يتطرق إليه الاتصاف به ومن اتصف بها ولم يصل لم يوجد حاجز بينه وبين الاتصاف بالكفر، ولا شك أنه إن استحل تركها كان كافرًا بلا شك، وأن تركها طريق إلى الكفر وابتعاد عن الإسلام)[١].

قال ابن القيم: (جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه: يدعى بطريقة الحكمة.

والقابل الذي عنده غفلة وتأخر: يدعى بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

والمعاند الجاحد: يُجادل بالتي هي أحسن)[٢].

والترهيب أهم الأساليب الدعوية وهو أحد ركني الموعظة الحسنة، يقول ابن القيم: "والعظة: هي الأمر والنهي، المعروف بالترغيب والترهيب"[٣]، وتظهر مكانة الترهيب وأهميته من أمر الله تعالى الصريح بتطبيقه واستعماله في حقه جل ثناؤه، قال تعالى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[٤][٥]، والترهيب سبب في الانتفاع بالعبر والمواعظ لأن من طبع النفس النسيان والغفلة، لذلك فإن الترهيب يصبح نوعًا من التذكير بما آلت إليه النفس من ارتكاس ونكوص، ووقوع في الرذائل والآثام[٦].

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٦٧.

(٢) التفسير القيم ص ٣٤٤.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١/٤٤٤.

(٤) سورة البقرة، آية: ٤٠.

(٥) الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز ص ٧٠.

(٦) نحو تربية إسلامية، د. حسن الشرقاوي ص ٢٠٨.

الحديث رقم (١٠٨١)

١٠٨١- وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((العَهْدُ الَّذي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاَةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)) رواه التِّرمِذِيُّ[1]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح).

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨٦).

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه يبين أهمية الصلاة للفرد، وأنها الحاجز بين الكفر، والإسلام، وقوله (العهد) أي الميثاق، والمقصود الْعَمَل الَّذِي أَخَذَ اللَّه تَعَالَى عَلَيْهِ الْعَهْد، وَالْمِيثَاق مِنْ الْمُسْلِمِين، وَقَدْ بَايَعَهُمْ ﷺ عَلَى الصَّلَوَات، وَذَلِكَ مِنْ عَهْد اللَّه تَعَالَى، والطباق بين الظرفين (بيننا، وبينهم) يقرر افتراق الناس إلى أهل حق، وأهل باطل، وأسلوب الشرط يجعل بين ترك الصلاة، والكفر تلازما عكسيا بحيث إذا وجدت الصلاة انتفى الكفر، وإذا انتفت الصلاة وجد الكفر، والتعبير بالترك يشعر بالإهمال، وعدم المبالاة الذي آل به إلى هذا المصير، وهو ترهيب بليغ من ترك الصلاة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٣٢٥). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ١٤٥٤)، وقال الحاكم (١/٧): هذا حديث صحيح الإسناد ولا تعرف له علةٌ بوجه من الوجوه، أورده المنذري في ترغيبه (٧٩٦).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٨٢)

١٠٨٢- وعن شقيق بن عبدِ الله[١] التَّابعيِّ المتفق عَلَى جَلاَلَتِهِ رَحِمهُ اللَّهُ، قَالَ: كَانَ أصْحَابُ محَمَّدٍ ﷺ لا يَرَوْنَ شَيْئاً مِنَ الأعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاَةِ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ[٢] في كِتابِ الإيمان بإسنادٍ صحيحٍ.

ترجمة الراوي:

هو: عبدالله بن شقيق العقيلي، هكذا ذكره الترمذي ٢٦٢٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ٨١٧، وابن تيمية الجدّ في المنتقى ٤٠٢، وابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم ١٤٧/١ ط الرسالة، وغيرهم.

وقد ترجم له المزي في تهذيب الكمال فذكر من روى عنهم، فذكر جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي ذر الغفاري وأبي هريرة وعائشة أم المؤمنين.

وقد ذكر المزي الأقوال التي قيلت في تعديله وتوثيقه، منها:

قال محمد بن سعد: كان ثقة في الحديث وروى أحاديث صالحة، وقال أحمد بن حنبل: ثقة.

وقال يحيى بن معين: ثقة من خيار المسلمين لا يطعن في حديثه وذكر ابن حجر قول الجريري: كان عبدالله بن شقيق مجاب الدعوة كانت تمرّ به السحابة فيقول: اللهم لا تجوز كذا وكذا حتى تمطر، فلاتجوز ذلك الموضع حتى تمطر

أما وفاته فقيل إنها كانت سنة ١٠٨ وقيل مات بعد المائة[٣].

---

(١) هكذا هنا، والصواب: (عبد الله بن شقيق). وعلى الصواب في الترغيب للمنذري.

(٢) برقم (٢٦٢٢)، وقال الحاكم (٧/١): صحيحٌ على شرطهما. وقال الحافظ ابن حجر في الكافي الشافي (٣٨٣/١): إسناده صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (٧٩٨).

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٦٢/٤، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٥٣/٢- ٢٥٤، وتقريب التقريب ٤٢٢/١، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف.

الشرح الأدبي

الحديث كسابقيه في المضمون، وهو الترهيب من ترك الصلاة مع اختلاف في الأسلوب، وقول التابعي: (كَانَ أصْحَابُ محَمَّدٍ ﷺ) يشير إلى أن ذلك كان حكمهم الغالب على تارك الصلاة، ونسبة الأصحاب إلى الاسم الحبيب الظاهر (محمد) فيه تخصيص، وتشريف، وذكر الاسم الظاهر دون الصفة للتلذذ بذكره الذي يعكس الشوق إليه، وقوله: (لا يَرَوْنَ شَيْئاً مِنَ الأعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاَةِ) الرؤية هنا بمعنى الاعتقاد، والظن أي لا يعتقدون، وتنكير (شيئا) في سياق النفي يفيد العموم وقوله: (تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاَةِ) يؤكد كفر تارك الصلاة بما نقل التابعي من اعتقاد الصحابة في حكم تارك الصلاة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٨٣- مع المضامين الدعوية للحديث (١٠٨٠، ١٠٨١).

الحديث رقم (١٠٨٣)

١٠٨٣ - وعن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((إنَّ أوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاَتُهُ، فَإنْ صَلَحَتْ، فَقَدْ أفْلَحَ وأَنْجَحَ، وَإنْ فَسَدَتْ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُ ﷻ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبدي مِن تطوّعٍ، فَيُكَمَّلُ مِنْهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ؟ ثُمَّ تَكُونُ سَائِرُ أعْمَالِهِ[1] عَلَى هَذَا)) رواه التِّرمِذِيُّ[2]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وأنجح: أي فاز وظفر بمطلوبه[3].

سائر عمله: باقي عمله[4].

الشرح الأدبي

البداية بالخبر المؤكد طرقة على سمع المخاطب تزلزل الغفلة، وتنبه إلى العناية بالخبر، وأفعل التفضيل تحقق التشويق، وتنبه إلى بلوغ المفضل النهاية صعودا في الصفة، أو انخفاضا، وذكر الحساب يوحي بالترقب والرهبة، وارتباطه بالظرف يوم، وإضافته للقيامة تصعِّد الرهبة لما هو معروف من هول اليوم، وأسلوب الشرط في قوله

---

(١) لفظ الترمذي: (عمله).

(٢) برقم (٤١٣). وقال الحاكم (٣٩٤/١): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال القاضي الرباعي في فتح الغفار (١٨٤/١): رواه الخمسة وأبوداود بإسناد لا بأس به، والنسائي بإسناد رجاله رجال الصحيح، وصحّحه ابن القطان.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦١، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٠٩/١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤١١.

(فَإِنْ صَلَحَتْ، فَقَدْ أَفْلَحَ وأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ) أسلوب شرط يربط عاقبة عمل العبد بعاقبة صلاته من حيث قبولها أو عدمه، ويؤكده الطباق بين أفلح، وخاب، والطباق بين أنجح، وخسر، وتوضح الفارق بين العاقبتين حتى ينظر كل عاقل في صلاته ثم رغبه في النوافل يتخذها كرصيد احتياطي يستكمل به نقص ما افترضه الله عليه عن طريق أسلوب الأمر مع الاستفهام المحكي في قوله: (قَالَ الرَّبُّ - عز وجل -: انْظُرُوا هَلْ لِعَبدي من تطوّعٍ) والأمر انظروا بمعنى تأملوا، ودققوا، وابحثوا، وقوله: هل لعبدي من تطوع؟ استفهام إشادة وتكريم؛ لأنه يعكس اهتمام ربه بنجاته، وإضافة العبد لياء المتكلم تشريف لهذا العبد، والتعبير بلفظ تطوع يشير إلى السماحة، والمطاوعة في نفس العبد الذي أتى تلك النوافل دون فرض، ولا إلزام بل محبة لربه، وتقربا فقربه بها من الجنة جزاءً من جنس عمله.

فقه الحديث

قال النووي: (ينبغي لكل أحد المحافظة على النوافل والإكثار منها لحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: "إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته..." الحديث)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان أهمية الصلاة وأنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الإكثار من النوافل.

رابعًا: من أهداف الدعوة: بيان الحقائق والمواقف التي تواجه المؤمن يوم القيامة.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٣٧٨.

القيامة)، وأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من إشعار المدعو بصدق وجدية ما يلقى على مسامعه، مما يجعل الدعوة تحوز في قلب المدعو على القبول والتسليم، ولأهمية التوكيد كثر وروده في القرآن الكريم، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان أهمية الصلاة وأنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة:

إن الصلاة هي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة؛ لأن لها منزلة كبيرة في الإسلام، لا تصل إليها أية عبادة أخرى، فهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، وتأتي منزلتها بعد الشهادتين لتكون دليلاً على صحة الاعتقاد وسلامته، وتتقدم الصلاة على جميع الأركان بعد الشهادتين لمكانتها وعظيم شأنها[3].

ومن دلائل عظمة الصلاة وعلو شأنها، ما جاء في الحديث من بيان أنها أول الأعمال التي يسأل عنها العبد يوم القيامة، فقال ﷺ: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته)، أي: الصلاة المفروضة[4]، لذا جاء التأكيد البالغ على أدائها في القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[5]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[6].

---

(١) سورة الكهف، آية: ١٠٧.

(٢) سورة القمر، آية: ٥٤.

(٣) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ١٩.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٠٨/١.

(٥) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٦) سورة المنافقون، آية: ٩.

"والمعنى: يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالمنافقين، الذين يغترون بالأموال والأولاد، ويشتغلون بتدبيرها ورعايتها عن ذكر الله وعبادته"[1].

إن الصلاة هي الفيصل السلوكي الأساسي بين المؤمن والكافر، كما أن الشهادتين هي الفيصل الاعتقادي بين المسلم وغير المسلم، وليس لأحد - كائنًا من كان - أن يترك عماد الدين تحت أي مقولة من المقولات، فهذا الترك في هذه الحالة المتفلسفة كفر، وكما يقول علامة الهند الشيخ أبو الحسن الندوي: "فإن من ترك الصلاة، واستغنى عنها، اعتمادًا على وصوله إلى الغايات، والنتائج التي يعتقد أن الصلاة شرعت لها، وكانت قنطرة إليها، أو اعتمادًا على مأثرة من مآثره في خدمة الإسلام والمسلمين، وكثرة عبادته في الماضي، أو طول جهاده وحسن بلائه، أو شدة اشتغاله بعمل مثمر، يعود على الإسلام والمسلمين بالفائدة والخير الكثير، فقد عرض نفسه للهلاك، وأعماله للإحباط، وإيمانه للضياع، وكان كالشاة المفارقة للقطيع والراعي، التي يختطفها الذئب ويفترسها.

إن الصلاة استجابة لغريزة البشر النوعية، غريزة الافتقار والضعف والطلب، وغريزة الالتجاء والاعتصام، والدعاء والمناجاة والاطراح على عتبة القوي الغني، الجواد الكريم، الرؤوف الرحيم، الحافظ المانع المعطي الباذل، العليم الخبير، السميع المجيب، واستجابة لغريزة الشكر والوفاء، وغريزة الحب والحنان، وغريزة الخضوع والتواضع، والعبودية والتذلل. فالمسلم في ذلك كالسمك لا يعيش إلا في الماء، وإذا أخرج من الماء لم يزل في حاجة إلى الماء، وفي حنين وفي فرار والتجاء إليه، وذلك معنى قول رسول الله ﷺ: ((وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ))[2]، وقوله لمؤذنه بلال رضي الله عنه: ((يا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا))[3].

---

(١) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٣/٢٨/٤٥.

(٢) أخرجه النسائي، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٦٠٨).

(٣) أخرجه أبو داود ٤٩٨٥، ٤٩٨٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٤١٧١).

وكان هذا شأن الصحابة رضي الله عنهم، وكان حنينهم إلى الصلاة وإيثارهم لها على كل ما حبب إلى النفس البشرية، ومخاطرتهم بأنفسهم وحياتهم في سبيلها معروفة عند المشركين، وقد روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: ((غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قَوْمًا مِنْ جُهَيْنَةَ. فَقَاتَلُونَا قِتَالاً شَدِيدًا (إلى أن قال): وقالوا: إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلاَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الأَوْلاَدِ))[1].

والعجيب في أمر الصلاة أن كلا من الجسم والعقل والقلب ممثل في الصلاة، وذلك لأن الصلاة ليست حركات رياضية، ونظامًا رتيبًا خشبيًا جامدًا، لا روح فيه، ولا حياة، ولا نظامًا عسكريًا، لا إرادة فيه ولا خيار، إنما هو عمل يشترك فيه الجسم والعقل والقلب، ولكل منها نصيب غير منقوص، وكل فيها ممثل تمثيلاً حكيمًا، عادلاً، فللجسم قيام، وركوع وسجود، وانتصاب وانحناء، وللسان تلاوة وتسبيح، وللعقل تفكر وتدبر، وتفهم وتفقه، وللقلب خشوع ورقة والتذاذ.

وقد أعطى الله تعالى في كتابه المحكم كلا نصيبه فقال: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[2]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[3]، وكل ذلك من أعمال الجسد. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾[4]، وقال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾[5]، والخشوع من أعمال القلب. وقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[6]، والخوف والطمع من

---

(١) أخرجه مسلم ٣٠٨.
(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.
(٣) سورة الحج، آية: ٧٧.
(٤) سورة النساء، آية: ٤٣.
(٥) سورة المؤمنون، الآيتان: ١ - ٢.
(٦) سورة السجدة، آية: ١٦.

أعمال القلب"[١].

وهكذا - كما نفهم من كلام الشيخ الندوي - فإن الصلاة هي روح العبادة، وبدونها تتعدم الصلة بالله، بل إن الصلاة هي خلاصة الإسلام كما نفهم من الكلام السابق، ولهذا كانت الفيصل الواضح بين المؤمن والكافر[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الإكثار من النوافل:

تأتي أهمية النوافل والإكثار منها في جبرها ما نقص من الفرائض أو فسد منها كما جاء ذلك في صريح الحديث فقال ﷺ: (فإن انتقص من فريضته شيئًا قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوع)، أي في صحيفته سنة أو نافلة من صلاة على ما هو ظاهر من السياق قبل الفرض أو بعده أو مطلقًا، فإن فضل الله أوسع ووعده أنفذ وعزمه أعم[٣]، فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم تكون سائر أعماله على هذا، أي سائر أعماله من صوم وحج ونحوهما، وفي ذلك حض على إكثار النوافل لتكون جابرة لخلل الفرائض الذي لا يخلو منه إلا الفذ النادر[٤]، وهذه النوافل منها ما هو غير تابع للصلاة المكتوبة، كصلاة الكسوف والخسوف، ومنها ما هو تابع للصلاة المكتوبة كالنوافل القبلية والبعدية كالسنة الراتبة، والتي جاءت في الحديث: ((مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لله كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا، غَيْرَ فَرِيضَةٍ، إِلاَّ بَنَى الله لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ. أَوْ إِلاَّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ))[٥][٦].

لقد كان من فضل الله تعالى أنه سبحانه شرع لكل عبادة أوجبها عبادة تطوعية من جنسها، يكمل بها المؤمن ما قد يقع له من نقص في العبادة الواجبة[٧].

---

(١) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٢٩ - ٣١.

(٢) موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر مجموعة من العلماء ١/٢٥٧ - ٢٥٩.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/٧٠٩.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٦١.

(٥) أخرجه مسلم ٧٢٨.

(٦) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٢٦١ - ٢٦٢.

(٧) فقه السنة الميسر، د. عبدالله المطلق ص ١٧٩.

كما أن التطوع بالنوافل من أهم الطرق الموصلة إلى حب الله سبحانه وتعالى، لذا سن الرسول ﷺ صلاة النوافل لتحقيق الاتصال الأسمى بالله سبحانه وتعالى.

إن العبادات فرائض ونوافل تقوي صلة العبد بره، وبفضل الله تعالى ثم هذه الصلة الطاهرة الهادفة، يشعر العبد في نفسه بقوة روحية عظيمة، فيعيش قوى الإرادة، تقيّ الضمير، متمتعًا بقوة كافية لمواجهة الشدائد وللتغلب على الصعاب.

ومن فوائد النوافل أنها تجبر الفرائض، فمثلاً الصلاة نوافلها تجبر نقص الصلوات المفروضة، وتعين العبد على إتمام الخشوع والخضوع في الصلوات المفروضة، ومن هذه النوافل: السنن التابعة للفرائض، وصلاة الضحى وصلاة الليل والوتر وسنة الوضوء، وتحية المسجد وغير ذلك[1].

رابعًا - من أهداف الدعوة: بيان الحقائق والمواقف التي تواجه المؤمن يوم القيامة:

إن من أهداف الدعوة التي ينبغي أن توجه إليها أفئدة المدعوين، وأن يجعلها الدعاة نصب أعينهم، بيان الحقائق والمواقف التي تواجه المؤمن يوم القيامة، وفي الحديث صورة لتلك الصور، فيقول ﷺ: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئًا قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم تكون سائر أعماله على هذا)، وفي معرفة تلك الصور وهذه الحقائق مدعاة إلى الاجتهاد في فعل الطاعات، التي تقربه إلى رب الأرض والسماوات، ويمتنع عن كل ما يغضب ربه مهما كان، وكلما ازداد المؤمن من فعل الطاعات، ازداد شوقًا إلى الجنات ويحن إليها، وذلك ما يجعله دائمًا حريصًا على الطاعة[2].

وفي القرآن نجد توضيحًا وتحفيزًا متكررًا وعَرْضًا متعدد الوجوه لأحداث القيامة، وربط مباشر وغير مباشر بأحوال الإنسان وأعماله وتوجيهاته واستعداداته لتلك الأحداث

---

(١) انظر: موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر موعة من العلماء ١/٢٧٥ - ٢٧٦.

(٢) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٥٨٥.

والتحولات[١]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾[٢].

إن وقوف الإنسان وعلمه بيوم القيامة وما فيه من مواقف وحقائق ومشاهد، يؤصل ويعمق في قلبه الإيمان بالغيب، ومنه يوم القيامة والاستعداد له.

وإيمان الإنسان بذلك واستحضاره له أكبر الأثر في حياة الأفراد والمجتمعات، ومن أوجه ذلك:

أ - صيانة الطاقة الفكرية المحدودة المجال عن التبدد والتمزق والانشغال بما تخلق له، وما لم توهب القدرة للإحاطة به.

ب - طمأنينة النفس واستقرارها وعدم تعريض النفس والعقل للبلبلة والاضطراب والضلال، عند محاولة تفسير الغيب وأسرار الكون من خلال التصورات المحدودة.

ج - إن في النفس الإنسانية جانبًا لا يملؤه إلا الإيمان مهما بلغ الإنسان تقدمًا في جانب الحضارة المادية، فالسعادة هي في طمأنينة النفس واستقرارها، وليست في حضارتها المادية المجردة.

د - إن الإيمان بالغيب يبعث على العمل والنشاط في جميع أوجه الحياة، فيسعى المؤمن لإقامة موازين العدل في الأرض، ويصبر على متاعب الحياة، طلبًا لما عند الله من الأجر والثواب في الدار الآخرة[٣].

---

(١) علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ١٥٨.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

(٣) انظر: دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي ص ٢٩٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على ترتيب الأعمال:

وهذا مستمد من عدة أحاديث في الباب، منها حديث ابن مسعود ﷺ وسؤاله النبي ﷺ عن أفضل الأعمال، وإخبار النبي ﷺ له بأفضلها ثم أفضلها، كما أن النبي ﷺ رتب الأعمال التي يفعلها معاذ ﷺ مع أهل اليمن، فطلب منه دعوتهم إلى الشهادتين، فإن فعلوا ذلك أخبرهم بالصلوات المفروضة الخمس، فإن أدوها أخبرهم بالزكاة الواجبة عليهم، كما أخبر النبي ﷺ أن أول ما يحاسب عليه العبد من الأعمال الصلاة، فإذا كانت صالحة فاز ونجح وإلا أصابه الخسران والحسرة. وفي هذا بيان لأهمية الصلاة وأولوية المحافظة عليها وتقديمها على غيرها من الأعمال.

وبناء على ما سبق كانت هذه تربية على ترتيب الأعمال حسب فضلها ودرجتها وقيمتها. وعلى ذلك فإنه ينبغي أن يربى الناشئة وغيرهم على ترتيب الأعمال وأدائها حسب رتبتها، فلا يُقَدِّم مهمًا على أهم، ولا مفضولاً على فاضل، ولا يفعل ما هو أشد ضررًا ويترك ما هو أقل ضررًا إذا تحتم فعل أحد الأمرين، "فإن كمية الوقت المتاح لكل فرد ثابتة لا تتغير، وإن اختلاف إنتاج البشر يكمن في الاستعمال الأحكم لأوقاتهم، لكن الأعباء ومتطلبات الحياة قد تتكاثر على الفرد، بحيث يصعب إنجاز كل شيء في ذلك الوقت المتاح، عندها يتوجب العمل حسب الأولويات، ذلك لأنّه عندما تقرر القيام بعمل معيّن خلال وقت ما، فأنت تقرر أيضًا عدم القيام بأعمال أخرى خلال هذا الوقت نفسه، لذلك من الحكمة أن يستثمر الوقت في المهام ذات الأولوية دون غيرها"[1].

ثانيًا: الاهتمام بالأسس التربوية:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ. شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّه،

---

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، ٣٦٩، ٣٧٠.

وَأَنَّ مُحمَّدًا رَسولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ. وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ. وَحَجِّ الْبَيْتِ. وَصَوْمِ رَمَضَانَ». فقد بيّن ﷺ أسس الإسلام وأركانه التي لا يكون هناك إسلام بدونها، ولذا قال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ الناسَ حتَّى يَشْهَدوا أَنْ لا إِلهَ إِلاّ اللّهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللّهِ، ويُقيموا الصلاةَ، ويُؤْتوا الزَّكاةَ. فإذا فَعَلوا ذلكَ عَصَموا مِنِّي دِماءَهُم وأموالَهُم إِلاّ بِحَقِّ الإِسلام، وحسابُهم عَلَى اللّه»، كما اقتصر ﷺ على بيان أسس الإسلام عندما وجه معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن، ولا يعني ذلك أنه ﷺ أهمل الجوانب الأخرى كالأخلاق والمعاملات ونحو ذلك، فهذا لا يكون أبدًا منه ﷺ، بل اقتصر النبي ﷺ على تلك الأسس لأن المقام يقتضي ذلك، فإذا تمكنت هذه الأسس من نفوس الناشئة وغيرهم كانت معدة لاستقبال مكملات الإسلام والتلبس بها كالأخلاق الفاضلة والمعاملات الطيبة، وما شابه ذلك.

والخلاصة أنه على المربين أن يغرسوا في نفوس من يربونهم الأسس والمبادئ التربوية المهمة أولاً، التي بدونها لا تؤتى التربية ثمارها ولا نتائجها المرجوة، فإذا نجحوا في ذلك انتقلوا إلى مرحلة أخرى: مرحلة استكمال الفضائل والآداب الجميلة.

ونستطيع من خلال هذه الأحاديث أن نجمل أسس التربية الإسلامية، وهي:

١ - إفراد الله بالوحدانية والعبادة وإخلاص العمل لوجهه سبحانه وتعالى.

٢ - الإيمان بمحمد ﷺ رسولاً من عند رب العالمين، ووجوب متابعته فيما جاء به والاقتداء به.

٣ - القيام بالواجب من العبادات: الصلاة والزكاة والحج والصوم.

وقالت د. هدى على جواد الشمري عن أسس التربية الإسلامية: "العقيدة هي الأساس الأول لبقية الأسس في الدين الإسلامي ومفهومها يتضمن الإيمان بالله تعالى، وبما جاء به الرسول ﷺ من الغيبيات والإيمان بكتب الله ورسله وأنبيائه والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

أولاً- الأساس الاعتقادي:

ومن الآثار والفوائد التربوية لهذا الأساس:

١- غرس وتنمية العقيدة الإسلامية: "الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره".

٢- التنمية الروحية للمسلم ليزداد تعلقه بالله وتحرره من العبودية لغيره.

٣- تنمية الإرادة وتحرير النفس من سيطرة غير الله.

٤- تقوية النفس واستقرارها: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[(١)].

٥- سلامة العقل فهي تدعو إلى إعمال العقل في كون الله سبحانه، وتجعل العقل مرتبطًا بالله في كل الموازين.

٦- تقوية الوازع الديني وتوجيهه نحو الخير والبعد عن الشر وتنمية مراقبة الله في كل شيء.

٧- ويبين تصور المسلم عن الله سبحانه وتعالى، ثم عن الإنسان والكون والهدف من الحياة.

٨- كما أن نظرة الإسلام للإنسان واضحة فهو الخليفة له في أرضه لعمارتها، ويبين الغاية التي خلق من أجلها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(٢)].

ثانيًا- الأساس التعبدي:

ومن الآثار المترتبة على هذا الأساس:

١- العبادة تربية اعتقاديه إيمانية.

٢- العبادة تنمية وتغذية للروح.

٣- العبادة تقوية للنفس والروح للسير على منهاج الله.

٤- العبادة تربية اجتماعية فالصلاة تربي المسلم على الارتباط بالجماعة والمشاركة لها

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

وتحطيم الفوارق الاجتماعية والطبقية، فالمسلمون يصلون صفًا واحدًا وميزان التفاضل واحد، وكذلك الزكاة مشاركة للجماعة المسلمة بالعطف على الفقراء وتربية على البذل وبعد عن البخل والشح.

٥- العبادة تغذي العقل فهو دائم التفكير في عظمة خالقه وقدرته.

٦- العبادة تحقق الراحة والاستقرار النفسي.

٧- العبادة تربية صحية.

٨- العبادة تربية أخلاقية حث الإسلام فيها على القيم الأخلاقية الراقية.

٩- العبادة تربية سياسية تقوم على التعاون والتناصح وعلى العدل والمساواة، ونبذ الفرقة والتمييز العنصري والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثًا- الأساس التشريعي:

ومن الآثار المترتبة على هذا الأساس:

١- ما حدد من عقوبات الحدود والقصاص كعقوبات القتل والزنا، والسرقة وغيرها.

٢- الحفاظ على العقل وسلامة الجسم (فردًا أو مجتمعًا) كما يظهر في تحريم الخمر والمسكرات والمخدرات وغيرها وتحقيق ما سمي بالضرورات الخمس والتي هي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ المال، وحفظ العرض، وحفظ العقل [١].

ثالثًا: استعانة المربي بأهل الفضل والعلم:

هذا مستمد من قول معاذ ﷺ: "بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقال: ..." الحديث، ودلّه ﷺ على ما يفعله مع أهل الكتاب.

وفي هذا استعانة النبي ﷺ بأصحابه للقيام بالدعوة وما يلزم عن ذلك من تربية وتوجيه وإرشاد، والملاحظ أن النبي ﷺ استعان بمعاذ، وهو من أهل الفضل والعلم من الصحابة، فقد وصفه النبي ﷺ بأنه: "أعلم أمتي بالحلال والحرام" [٢].

---

(١) طرق تدريس التربية الإسلامية، ٣٦ - ٣٨.

(٢) أخرجه الترمذي، ٣٧٩٠، ٣٧٩١ من حديث انس بن مالك >، وقال: حسن صحيح.

وفي ذلك إرشاد للمربين أن يستعينوا بأهل العلم والفضل لا بأهل الثقة الذين يغلب عليهم عدم الكفاءة وعدم الإتقان، ولكون همهم الأول إرضاء مرؤوسيهم فقط، دون الالتفات إلى العمل وواجباته لأن ولاءهم لمن وَلاّهم لا لشيء آخر، وهكذا يضيع الناس وتَضيع حقوقُهم إذا قام بشؤونهم أهل الثقة دون أهل العلم والفضل. والمقصود من ذلك أن يستعين المربون بأهل الفضل والعلم لكي يساعدوهم في القيام بواجبات التربية والتنشئة، وفي ذلك عدة فوائد تربوية مهمة، منها:

أ- تخفيف العبء عن كاهل المربين، فإنهم لا يستطيعون أن يقوموا بكل شيء، فهذا خلاف طبيعة البشر، كما أن في ذلك تفريغًا لهم لأن يقوموا بالأهم فالأهم في التربية.

ب- إعداد صفٍّ من المربين الموثوق بهم، الذين يحملون الراية ويحافظون على المبادئ التربوية الممتازة التي تخرج أجيالاً تؤدي ما هو مأمول منها ومتوقع من تحسين مستوى الحياة وزيادة مساحة الخير فيها، وتقليل نطاق الشر.

ج- ظهور اجتهادات جديدة وطرق مبتكرة مفيدة في مجال التربية، فإن وضع المربي ثقته فيمن ينوب عنه يجعله يبذل قصارى جهده في إنجاح مهمته والتفكير في وسائل جديدة نافعة تؤدي إلى الأهداف المرجوة، وبذلك يتطور العلم ويتقدم.

رابعًا: مراعاة الطبيعة البشرية:

وهذا مستمد من تحذير النبي ﷺ معاذًا رضي الله عنه من أن يأخذ كرائم أموال أهل الزكاة، فقال له: "فإياك وكرائم أموالهم"، وكرائم الأموال: هي الأموال النفسية الغالية، وإنما حذّر النبي ﷺ معاذًا من ذلك، مراعاة للطبيعة البشرية التي تحب أن تحتفظ بالمال الغالي النفيس، فقد جبلت على ذلك، فإن النفس تحب ما غلا وثمن من أموالها، وتحب أن تتملكه، ففي أخذه منها إضرار بها وإيلام لها، وخاصة أنها قد تعبت في تحصيله واقتنائه، كما أن جابي الزكاة وآخذها أمامه أن يأخذ من الأموال الجيدة الأخرى التي يملكها من وجبت عليه الزكاة.

وعلى ذلك فإن على المربي أن يراعي الطبيعة البشرية لمن يربيهم من الناشئة

وغيرهم، فيراعي طبيعتهم وأنهم من روح وجسد، فلا يربيهم على أنهم ملائكة لا تخطأ ولا يداخلها نزعات ورغبات وإنما يعاملهم على أنهم بشر لهم تطلعات وتشوفات، يعبّر ابن القيم عن هذا المضمون بقوله: "العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا، فإنهم لا يقدرون على تركها، ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم، فترك الدنيا فضيلة، وترك الذنوب فريضة، فكيف يؤمر بالفضيلة من لم يُقم الفريضة؟

فإن صعب عليهم ترك الذنوب فاجتهد أن تحبب الله إليهم بذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وصفات كماله ونعوت جلاله، فإن القلوب مفطورة على محبته، فإذا تعلقت بحبه هان عليها ترك الذنوب والإصرار عليها والاستقلال منها.

وقد قال يحيى بن معاذ: "طلب العاقل للدنيا خير من ترك الجاهل لها"، العارف يدعو الناس إلى الله من دنياهم فتسهل عليهم الإجابة، والزاهد يدعوهم إلى الله بترك الدنيا فتشق عليهم الإجابة، فإن الفطام عن الثدي الذي ما غفل الإنسان نفسه إلا وهو يرتضع منه، شديد، ولكن تخيّر من المرضعات أزكاهن وأفضلهن، فإن للبن تأثيرًا في طبيعة المرتضع ورضاع المرأة الحمقى يعود بحمق الولد، وأنفع الرضاعة ما كان من المجاعة، فإن قويت على مرارة الفطام وإلا فارتضع بقدرٍ، فإن من البَشَم[1] ما يقتل"[2].

خامسًا: التربية بالترهيب:

عمد النبي ﷺ إلى التربية بالترهيب، وذلك للتنفير من الوقوع في المعاصي وظلم الآخرين، وفي حديث من أحاديث الباب يرهب النبي ﷺ معاذًا، وذلك في قوله ﷺ: «واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ فإنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وبَيْنَ الله حِجَابٌ». قال ابن حجر: "أي ليس لها صارف يصرفها ولا مانع والمراد أنها مقبولة، وإن كان عاصيًا"[3].

فالنبي ﷺ أمر معاذًا رضي الله عنه بأن يتجنب الظلم الذي يجعل صاحبه يدعو الله ويتوجه إليه، ودعوته يتقبلها الله ولا يردها، فخوّفه من الظلم بأن ذكره بالله وبنصرة

---

(١) البَشَم: محركة: التُّخَمَة، القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، ١٠٨٠.

(٢) الفوائد، ٢٤٣، ٢٤٤.

(٣) فتح الباري، ١/٩٠١.

الله للمظلوم على الظالم، فإذا كان الظالم انتصر على المظلوم، فإن توجه المظلوم إلى الله ودعاءه له، يجعل الظالم مهزومًا مدحورًا، أي أن النبي ﷺ حذّر معاذًا من الظلم، وذلك بذكر نصرة الله للمظلوم وانتصافه سبحانه من الظالم، ولاشك أن هذا أسلوب تربوي مفيد جدًا في المنع من اقتراف ما يغضب الله ويسخط منه، وعلى ذلك ينبغي على المربين أن يفعلوه في تربيتهم للناشئة وغيرهم، فإنه لا فائدة في تربية لا تقوم على الخوف من الله والخشية منه، بل هي تربية عقيمة فاشلة حين لا تغرس في نفوس أهلها مراقبة الله والخوف من عقابه، وذلك لأن الخوف من الله يمنعُ الأمين أن يخون، وقد سهل أمامه طريق الخيانة دون أن يراه أحد، وهو الذي يمنع القوى أن يظلم الضعيف ويعتدي عليه، وهو يأمن أن لا يعاقبه القانون الدنيوي، وهو الذي يمنع الصادق أن يكذب، وقد عرف أن الناس يصدقونه حال كذبه، وهو الذي يمنع الورع أن ينظر إلى العورات والحرمات، وهو يأمن أن لا يراه أحد، وعلى ذلك فَقِسْ، فما أجمل أن يتربى الناس على الخوف من الله والرهبة من عقابه وتجنب الوقوع في ظلم الآخرين لأنه إذا تربت النفس على الرهبة من الظلم ومقارفته، كان ذلك بمثابة السياج المنيع الذي يحول بينها وبين ظلم الآخرين أو مجرد التفكير في ذلك، نظرًا للعواقب الوخيمة للظلم.

سادسًا: بيان العلامات الفارقة بين أهل الإسلام وغيرهم:

وهذا مستمد من قول الرسول ﷺ: "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"، وقوله ﷺ: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر، وقول شقيق بن عبدالله التابعي: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة، فقد جعل النبي ﷺ الصلاة علامة فارقة بين المسلمين وغيرهم، فمن أداها فهو من المسلمين، ومن تركها لم يكن من المسلمين[1]، بل كان من أهل الشرك والكفر، وقد كان الصحابة يفتون بهذا، كما أخبر عنهم التابعي شقيق بن عبدالله.

---

(١) على خلاف في صفة الترك فهناك خلاف في كفر من ترك الصلاة تكاسلاً، انظر: المغنى ٢/٣٥١ وما بعدها.

والمقصود من الحديثين والأثر هو بيان العلامة الفارقة التي يفرق بها بين المسلم وغيره، وقد تربى الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك، كما جاء في أثر شقيق ابن عبدالله.

ومن ثم ينبغي على المربين أن يهتموا ببيان العلامات الفارقة بين التربية الصحيحة المقبولة، وبين غيرها لمن يربونهم، وفي ذلك فوائد جمة، لعل أهمها تعويد وتنشئة الأجيال على معرفة هذه العلامات، ومن ثم فعل ما تقتضيه ويلزم عنها.

سابعًا: التربية على المحافظة على الصلاة والاستكثار من النوافل:

هذا مستمد من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «إنَّ أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عملهِ صَلاتُه، فإن صَلُحَتْ فقد أفلحَ وأنجحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خابَ وخسرَ، فإن انتقصَ من فريضةٍ شيئًا قال الرب عز وجل: انظروا هل لِعَبْديَ مِنْ تطوعٍ؟ فيُكمِلُ بها ما انتقصَ من الفريضةِ، ثم يكونُ سائرُ عملِهِ على هذا»، فقد بين ﷺ أن العبد إذا أدى الفرائض على وجه فيه نقص فإن أداءه للنوافل والتطوع قد يكمل هذا النقص ويسد خلله. وفي هذا لَفتُ نظر المربين أن يربوا الناس على أنهم لا يقتصرون على فعل ما يجب عليهم فقط بل يفعلون كذلك المندوبات والآداب الطيبة التي تجمل فعل الواجب وتزينه، وتجعله يقع على أحسن ما يكون وأفضل، وتجعل الناس تترقى في الدرجات والمقامات، فمن مقام إلى مقام ومن رتبة إلى رتبة، فمن مقام الإسلام إلى مقام الإيمان، ومن مقام الإيمان إلى مقام الإحسان، وهكذا يكون الناس في ترق وصعود، فإن لم يقع هذا فعلى الأقل سد التقصير الذي قد يقع في أداء الواجبات، ولنضرب مثالاً على ذلك، إن من يرغب في فعل الخير سواء أكان واجبًا أم مندوبًا لا ينتظر من أحد أن يبادره بفعل ذلك، بل هو يبادر إلى ذلك ويسابق، فإن من أراد تحصيل أجر السلام على الناس لم ينتظر أن يلقوا عليه السلام بل يبادر هو ليلقي السلام عليهم ويبدأهم به، وهكذا في جميع أحواله وأوقاته ومع مختلف الناس وطبائعهم.



١٩٤- باب فضل الصف الأول

والأمر بإتمام الصفوف الأول وتسويتها والتراص فيها

الحديث رقم (١٠٨٤)

١٠٨٤- عن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنهما، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُول اللّٰهِ ﷺ، فَقَالَ: ((ألاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ المَلائِكَةُ عِندَ رَبِّهَا؟)) فَقُلْنَا: يَا رَسُول اللّٰهِ، وَكَيفَ تُصَفُّ المَلائِكَةُ عِندَ رَبِّهَا؟ قَالَ: ((يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ)) رواه مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن سمرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٨).

غريب الألفاظ:

يتراصون: يتلاصقون حتى لا تكون بينهم فرج[2].

الشرح الأدبي

التشبيه في قوله: (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها) حيث شبه الحالة التي يجب أن يكون عليها المصلون في إقامة الصلاة وتسوية الصفوف بحال الملائكة حين يصفون عند ربهم تعالى ووجه الشبه هو تمام الاستقامة، والمراقبة.

وهذا التشبيه يوحى بعدة دلالات:

أ- الارتقاء بمستوى الموقف البشري لموقف الملائكة.

ب- تحقيق أعلى درجة من الانتظام والخشوع لكمال إيمان الملائكة الذي لا ينقص ولاستشعار جلال الموقف عند الرب فلا شك أن من خدم سيده وهو يعلم أنه ناظر إليه بذل أقصى الجهد في خدمته والرسول ﷺ بذلك يحثهم على بلوغ منزلة اليقين بين يدي الله.

---

(١) برقم (٤٣٠/١١٩). أورده المنذري في ترغيبه (٦٩٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ص ص).

ج- في الربط بين حال المصلين وحال الملائكة بالتشبيه إشارة إلى ما يجب أن يكون عليه المصلى من الانقطاع عن جميع الشواغل الدنيوية والتعلق بالذكر والتسبيح والدعاء كما الحال مع الملائكة فبذلك يؤدى المصلون حق الموقف بين يدي الله ظاهراً باستقامة الصف وسكون الجوارح، وباطناً بالانقطاع عن الشواغل وتفريغ القلب إلا من الله.

ز- الإيضاح بعد الإبهام وهو من وسائل التشويق وإثارة الانتباه وتنشيط الذهن مما يمكِّنُ للمعنى ويمهِّدُ النفوس لتلقى المعنى باستشراف وتطلع يؤدى إلى تأكيده وتثبيته وذلك في قوله: (يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف) وهو توضيح وبيان لما أبهم في قوله: (كما تصف الملائكة عند ربها) لأن المخاطبين لا يعلمون كيفية صفوف الملائكة عند ربها، والحق أن أسلوب الحديث في التشويق بلغ الذروة درجة بعد درجة بالمخاطبين بداية بأسلوب التحضيض في قوله: (ألا تصفون..) ومروراً بالتشبيه في قوله: (كما تصف الملائكة) مع ما يحمله التشبيه من طرافة وجدة وانتهاء بالإيضاح بعد الإبهام حيث جاءت جملة (يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف) تقويماً للخطأ الأول وتحديداً للصواب وما يجب أن يكون عليه المصلون من انتظام في الصفوف وإتمام لها واستحضار لعظمة الموقف بين يدي ذى الجلال والإكرام، وقد استقبلت أسماعهم هذه المعانى وهي في قمة الإطراق وقلوبهم في قمة الشوق وعقولهم في قمة الوعي واليقظة مما يضمن للخبر الرسوخ والثبات وهذا من براعته ﷺ في دقة التبليغ وبراعة التوصيل التي يحتاج إليها كل داع ومصلح في الوصول بالمعنى إلى قلب المخاطب حتى يقوم خطأه ويرشده إلى الحق.

د- ومما تجدر الإشارة إليه في قول الرسول ﷺ: (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها) هذا التحضيض في هذا السياق الذي يوفر على المعنى الإصغاء والمتابعة وتمام اليقظة من المخاطبين واستشرافهم لمعرفة المحضوض عليه، والذي صعَّده بالصورة التشبيهية ثم صعده أكثر بتقييد الصف بالظرف (عند) وإضافته للرب وإضافة الرب للضمير العائد على الملائكة (عند ربها) مما أضفى على الموقف

خصوصية تستوجب الخشوع والخضوع واستشعار الذل في الموقف الجليل بين يدي العزيز، وهذا التصعيد للمعانى مما يتصل بالمنطق الوجدانى والثروة النفسية وهو طرد الكلام حثيثاً في مقدمات يسلم بعضها إلى بعض كأقيسة المنطق، توصل في سرعة وسلامة إلى النتيجة بحيث لا يشعر المخاطب بسرعة التتابع والانقياد للمسلمات بدون جهد دون غايته وتلك خصيصة في البيان الكريم تكسبه قوة الاستيلاء، وشدة الهيمنة على قلوب السامعين، لأنها منطق النفس إلى النفس.[1]

٥- التكرار لمادة (صف) أربع مرات في نهاية الحوار تأكيد لأهمية الاستقامة التي يصورها الصف مصغرة ويريدها في نفس المؤمن حتى تكون سلوكاً يشمل كل مناحى حياة الفرد المسلم يقيه شر الفوضى والتشتت، ويعوِّده النظام حتى يصير سلوكاً ينسحب إلى جميع شئونه وصياغة الفعل (يتراصون) على صيغة التفاعل يقتضى تعاون الجميع في إقامة الصفوف وتدعيم النظام ومعاونة الإمام[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثانيًا: من آداب الداعية: حث المدعوين على أهمية الصف في الصلاة والتراص فيها.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على تسوية الصفوف وإتمامها في الصلاة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من خصائص الأمة الإسلامية: جعلت صفوفها في الصلاة كصفوف الملائكة.

أولاً - من وسائل الدعوة: التعليم:

يظهر ذلك في قول النبي ﷺ: "ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟..." الحديث، حيث علم أصحابه كيفية صف الصفوف في الصلاة، والتعليم وسيلة من وسائل الدعوة المهمة، حيث إن الله حباه قدسية عالية، حيث كلف جبريل عليه السلام بمهمة

---

(١) انظر: الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ٢٥٣.

(٢) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ٢٦٥

التعليم والإبلاغ عنه للمصطفى صلوات الله عليه وسلامه، وحباه كذلك إطارًا من الفخر والاعتزاز قائلاً: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1].

وإن أهمية التعليم تنبع من أنه يكون الوسيلة التي تدرك بها الحقائق، وتنير الطريق إلى الخير والثواب. وسبيل الداعية إلى تعليم المدعوين هو العلم، ولذا فإن من أهم ما يحسن بالداعية أن يتحلى به صفة العلم، فإن العلم زينة للداعية، ووسيلة صحيحة للعمل، ومرافق دائم في مجال الدعوة والأمر والنهي.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾[3]، وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ به خَيرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين»[4][5].

ومن الأمور المعلومة أن التعليم من أهم وسائل الدعوة إلى الله.

ثانيًا - من آداب الداعية: حث المدعوين على أهمية الصف في الصلاة والتراص فيها:

إن من آداب الداعية التي تستنبط من هذا الحديث، حث المدعوين على أهمية الصف في الصلاة والتراص فيها، يظهر ذلك من عموم الحديث، حيث حث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على أهمية الصف والتراص في الصلاة، والداعية يجب عليه أن يقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القدوة والمعلم للأمة بصفة عامة والدعاة بصفة خاصة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[6]. وقال: أبو نصرة: كان عمر إذا أقيمت الصلاة استقبل

---

(١) سورة العلق، الآية: ٥.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٤) أخرجه البخاري٧١.

(٥) انظر: حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. حمد العمار ص ٧٩.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

الناس بوجهه ثم قال: أقيموا صفوفكم، استووا قيامًا، يريد الله بكم هدى الملائكة. ثم يقول: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾[1]. تأخر يافلان، تقدم يافلان، ثم يتقدم فيكبر رضي الله عنه[2].

فينبغي على الداعية أن يتأدب بآداب رسول الله ﷺ: في الصلاة وتعليم المدعوين آدابها.

ثالثًا – من موضوعات الدعوة: الحرص على تسوية الصفوف وإتمامها في الصلاة:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: «أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ. وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ».

قال القاضي عياض: (وما لا يختلف فيه أن من سنن الصلاة وهديها، حسن هيأتهم، وإكمال الصف الأول فالأول والتراص فيه، ليتم استقامته واعتداله، ولئلا يتخلله الشياطين، كما جاء في الحديث، وتشبهًا بالملائكة في صفوفها، ولما في ذلك من جمال هيئة الجماعة للصلاة وحسنها، وتأتي صلاتهم في صفوفهم دون أن يضيق بعضهم على بعض، ولا يتمكن بعضهم من تمام صلاته وسجوده إذا كانوا غير صفوف، ولأن في ذلك مع مراعاة تمكنهم من صلاتهم من تكثير جمعهم أكثر ما يكون مع الاختلاط، ولئلا يشغل بعضهم بعضًا النظر إلى ما يشغله منه إذا كانوا مختلطين، وفي الصفوف غابت وجوه بعضهم عن بعض وكثير من حركاتهم، وإنما يلي بعضهم من بعض صفحات ظهورهم)[3].

وفي قوله ﷺ: "ألا تصفون كما تصف الملائكة". قال ابن عثيمين: الملائكة لها عبادات متنوعة، وهم -عليهم الصلاة والسلام- لا يستكبرون من عبادة الله ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وتأمل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾[4]. وكيف صفوفهم؟ قال النبي ﷺ: يكملون الأول فالأول

(١) سورة الصافات، الآية: ١٦٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٤/٧.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٤٤/٢.

(٤) سورة الصافات، الآيتان: ١٦٥ - ١٦٦.

ويتراصون ، إذن فنحن إذ صففنا بين يدي الله في صلاتنا ينبغي أن نكون كالملائكة: يكملون الأول فالأول ويتراصون[١] ، وتسوية الصفوف والتراص في الصلاة، من الأشياء التي فضلت بها الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في ترغيب النبي ﷺ في تسوية الصفوف، وبين أن التسوية وإتمام الصفوف هو فعل الملائكة، والملائكة يعبدون الله باستمرار، وعلى أفضل الطرق في العبادة ولا يسأمون من عبادتهم، قال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ﴾[٢]. فرغب ﷺ في صف الصفوف وإتمامها اقتداء بفعل الملائكة في العبادة، وأسلوب الترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[٣].

والترغيب في العبادة وحب الفضائل الإنسانية من أساليب الدعوة المهمة، حيث إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتربي على الأخلاق الفاضلة وتبعد عن وساوس الشيطان[٤].

خامسًا- من خصائص الأمة الإسلامية: جعلت صفوفها في الصلاة كصفوف الملائكة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟.....إلخ الحديث".

خص الله عز وجل هذه الأمة إكرامًا لها على سائر الأمم بأن جعل صفوفها في الصلاة كصفوف الملائكة[٥].

---

(١) شرح رياض الصالحين، ١٣١٥/٢.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٨.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٤) انظر: الدعوة على الله، د. توفيق الواعي، ٢٠٥.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٤٩٤/١.

ومما يؤيد هذه الخاصية من السنة المطهرة -ما جاء عن حذيفة- ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ». وَذَكَرَ خَصْلَةً أُخْرَى»[1].

وعن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «فُضِّلْتُ بِأَرْبَعٍ: جُعِلْتُ أَنَا وَأُمَّتِي فِي الصَّلَاةِ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ، وَجُعِلَ الصَّعِيدُ لِي وَضُوءًا، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ»[2].

(١) أخرجه مسلم، ٥٢٢.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، كما في الجامع الصغير للسيوطي، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير، ٤٠٩٥).

الحديث رقم (١٠٨٥)

١٠٨٥- وعن أبي هريرة ﵁: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلاَّ أنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا**)) متفقٌ عَلَيهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

النداء: الأذان[٢].

لاستَّهمُوا: لاقترعوا[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يبين فضل المسارعة إلى النداء، والصف الأول، والبداية الفرضية التي أشارت إليها لو تبين مدى عظمة الخبر بعدها، و (لو) حرف امتناع لامتناع، أي امتناع الاستهام لامتناع العلم بالفضل، مما يشير إلى غفلة الناس عن فضل هذه الأمور، والتعبير بالاستهام فيه إشارة إلى ما ينبغي أن تكون عليه المجتمعات المسلمة من المساواة، والعدل الذي ينزع الأحقاد، ويمنع الفتن، وعبارة (ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ) كناية عن عظمة الثواب وتسابق الناس إليه، ، وتكرار (لو) مع فعل العلم يؤذن بجهل أكثر الناس، وغفلتهم عن فضائل لا تكلف جهدا كبيراً، وتحدث فرقاً كبيراً في ميزان حسنات العبد، ، يدل على ذلك تكرار الاستهام الذي يدل على حرص الجميع على الفوز به، والتعبير بالاستباق يؤكد ذلك، ويكشف اللثام

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣) واللفظ له، ومسلم (١٢٩/٤٣٧). أورده المنذري في ترغيبه (٦٨٤)، وقد تقدم برقم ١٠٢٤، ١٠٧٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١١٥/٢.

(٣) الصحاح ولسان العرب، ابن منظور في (س هـ م).

لكل من له عقل عن عظمة الجزاء ليتنافس فيه المتنافسون، والفرض الذي افترضه للحضور يدل على عظمة الأجر الذي غفل عنه الناس، والحديث يضرب بمطرقة الافتراض (لو) على غفلة الناس عن عظيم الأجر تحت ستار الجهل ليوقظ أهل الفطنة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٠٣٤).

الحديث رقم (١٠٨٦)

١٠٨٦- وعنه، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((خيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أوَّلُهَا)) رواه مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول معنى التسابق إلى الصلاة بالتسابق إلى الصفوف الأولى التي رغّب فيها بصبغها بصفة الخيرية المضافة للصفوف تخصيصاً، وقد استخدم الطباق لتقرير المعنى، وتوكيده بين قوله أولها، وآخرها، الذي يشير أثر المكان الذي يقف فيه العبد في المسجد على الخيرية التي تستلزم الثواب، كما طابق بين الرجال، والنساء في إشارة إلى التساوي في العمل المقرب لله - تعالى - الذي يستلزم التساوي في الأجر، كما طابق بين خير، وشر الذي يؤكد التفاوت في العاقبة التي ترتبت على التبكير إلى المسجد، والسبق إلى أول الصفوف، لأنه لا يحرص عليها إلا محب للصلاة مبكر إليها طموح في عمل الآخرة.

فقه الحديث

اتفق الفقهاء على أن أفضل صفوف الرجال - سواء كانوا يصلون وحدهم أو مع غيرهم من الصبيان والنساء- هو الصف الأول ثم الذي يليه، ثم الأقرب فالأقرب، وكذا أفضل صفوف النساء إذا لم يكن معهن رجال، أما النساء مع الرجال فأفضل صفوفهن آخرها، لأن ذلك أليق وأستر لقوله ﷺ ((خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرّها أولها)) وقوله ﷺ ((لو يعلم الناس ما في

(١) برقم (١٣٢/٤٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (٦٨٥).

النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا))[١])[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعية: بيان الأمور وتوضيحها للمدعوين بالنسبة لصفوف الصلاة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حث المدعوين على المبادرة إلى المسجد لإدراك الصف الأول والتحذير من التأخر عن الصلاة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عدم اختلاط النساء بالرجال في الصلاة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً - من واجبات الداعية: بيان الأمور وتوضيحها للمدعوين بالنسبة لصفوف الصلاة:

إن الصلاة ركن من أركان الإسلام، بل إنها أهم أركان الإسلام، فينبغي للداعية أن يبين الأمور التي تتعلق بها، ومن ذلك صفوف الصلاة. يظهر ذلك في قول النبي ﷺ: "خير صفوف الصلاة أولها، وشرها آخرها....." الحديث.

حيث بيّن ﷺ أن صفوف الرجال على عمومها، خيرها أولها أبدًا وشرها آخرها أبدًا، أما صفوف النساء، فالمراد بالحديث صفوف النساء اللواتي يصلين مع الرجال، وأما إذا صلين متميزات لا مع الرجال فهن كالرجال، خير صفوفهن أولها وشرها آخرها. والمراد بشر الصفوف في الرجال والنساء، أقلها ثوابًا وفضلاً، وأبعدها من مطلوب الشرع وخيرها بعكسه، وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات من

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٣، ومسلم ٤٣٧/١٢٩.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٨/٢٧ ومراجعها ومصادرها ومنها: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٠٠/٤، و الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٤٦/١، والقوانين الفقهية ص ٥٤، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥٩/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤٣٦/١، وشرح السنة ٣٧٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٨/١، ٤٨، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٢٠/٢.

الرجال، لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم، وتعلق القلب بهم، عند رؤية حركاتهم، وسماع كلامهم ونحو ذلك[١].

فبين ووضح ﷺ أفضل صفوف الرجال وأفضل صفوف النساء.

وقد ورد عنه ﷺ الكثير من الأحاديث التي تبين وتوضح الأمور المتعلقة بصفوف الصلاة.

فقد بوّب الإمام البخاري مجموعة أبواب بالنسبة لصفوف الصلاة منها: باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها[٢]، وباب: إقبال الإمام على الناس، عند تسوية الصفوف[٣]، وباب: الصف الأول[٤]، وباب: إقامة الصف من تمام الصلاة[٥]. وباب: إثم من لم يتم الصفوف[٦].

وبوب الإمام مسلم بابًا بعنوان: تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف[٧].

فينبغي على الداعية أن يبين ويوضح للمدعوين الأمور المتعلقة بصفوف الصلاة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حث المدعوين على المبادرة إلى المسجد لإدراك الصف الأول والتحذير من التأخر عن الصلاة:

يظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ: "خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها".

وهو بذلك يحث على المبادرة إلى المسجد لإدراك الصف الأول وثوابه وقد قال ﷺ: «لو يَعلمُ النَّاسُ ما في النِّداءِ والصَّفِّ الأوَّلِ ثمَّ لم يَجدوا إلا أن يَسْتَهِموا عليهِ لاستَهَموا»[٨].

---

(١) انظر: شرح مسلم، النووي ص ٣٦٩.
(٢) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: ٧١.
(٣) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: ٧٢.
(٤) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: ٧٣.
(٥) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: ٧٤.
(٦) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: ٧٥.
(٧) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ٢٨.
(٨) أخرجه البخاري، ٦١٥، ومسلم ٤٣٧.

فالرجال كلما تقدموا فهو أفضل لهم، كما قال النبي ﷺ محذرًا عن التأخر: "لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله"[(١)]، أي: عن الصفوف الأول حتى يؤخرهم الله تعالى عن رحمته، أو عظيم فضله ورفع المنزلة، وعن العلم ونحو ذلك[(٢)]، قال ابن عثيمين: وهذه خطيرة: أن الإنسان- كلما تأخر عن الصف الأول أو الثاني أو الثالث، ألقى الله في قلبه محبة التأخر في كل عمل صالح، والعياذ بالله، ولهذا قال: "لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله" ، فأنت يا أخي تقدم في الصف الأول فالأول[(٣)].

لأن هذا دأب الصالحين وشيمة العباد المتقين لرب العالمين، ولو استقرأت حال السلف الصالح رضوان الله عليهم لوجدت أن تبكيرهم إلى الصلوات وحرصهم على الصف الأول، سمة بارزة في تراجمهم، فهذا سعيد بن المسيب يقول: (ما أذَّن المؤذِّن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد)[(٤)].

إن الذي يكنّ في صدره الحرص على الصف الأول، تجده غالبًا قلبه معلق بالمسجد، وفي ذلك من الفضل مالا يخفى، وهو الاستظلال بظل الله تعالى، يوم لا ظل إلا ظله، رزقنا الله جميعًا ذلك الفضل[(٥)].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: عدم اختلاط النساء بالرجال في الصلاة:

حيث ذكر رسول الله ﷺ أن شر صفوف الرجال آخرها لقربها من النساء، وشر صفوف النساء أولها كذلك لقربها من الرجال. وذلك لأن هدف الدعوة حفظ النفس وتهذيبها، ولا يتم ذلك حتى تتحلى بالفضائل والأخلاق، فالنفس مجبولة على أخلاق مهملة وأخلاق مرسلة، فالمحمود فيها يؤدب، وغير المحمود يهذب، والآداب زينة للشخصية الإسلامية يسمو بها مقادير كبيرة على الناس، فيتعلم آداب المعاملة، وآداب

---

(١) أخرجه مسلم ٤٣٧.

(٢) شرح مسلم، النووي، ٣٦٨.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٣١٧/٢.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢٢١/٤.

(٥) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٣٢٣، ٣٢٤.

المخالطة وآداب العزلة، وآداب المجالس، وآداب العبادة، وآداب عديدة كثيرة[١].

فينبغي على المصلى أن يتحصن من مداخل الشيطان، فإن للشيطان مداخل عديدة يعكر فيها صفو الباطن، ولذلك يجب مواجهة التحديات الشيطانية وإلقاءاته الإبليسية وسد تلك الأبواب حتى لا يفسد الباطن[٢] كالاختلاط في الصلاة وشغل القلب بغير عبادة الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[٣].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها"، حيث رغب ﷺ الرجال في الصف الأول ورهب الرجال من الصف الأخير، ورغب النساء في الصف الأخير، ورهبهم من الأول.

وأسلوب الترغيب: يقصد به الترغيب في العبادة، وحب الفضائل الإنسانية، حيث أن العبادة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتربى على الأخلاق الفاضلة، وتبعد عن وساوس الشيطان[٤].

ويقصد بالترهيب: الترهيب من انشغال القلب في العبادة بغير عبادة الله والإقبال عليه.

---

(١) انظر: الأهداف الرئيسة للدعاة إلى الله، إصدار لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة، بإشراف أحمد عبدالعزيز القطان اسم بن محمد بن مهلهل ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٥٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية : ٢٠١.

(٤) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ٢٠٥.

الحديث رقم (١٠٨٧)

١٠٨٧- وعن أبي سعيد الخدريِّ ﷺ: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ رأى في أصْحَابهِ تَأَخُّرًا، فَقَالَ لَهُمْ: ((تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ الله)) رواه مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

وليأتم بكم من بعدكم: يقتدوا بي مستدلين على أفعالي بأفعالكم[2].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ لا يترك ظاهرة سلبية في المجتمع عامة، أو في أصحابه خاصة إلا قوَّمها، وأرشد إلى الصواب، وهذا الحديث يحكي موقفا من المواقف التي وقعت في المسجد حيث رأى في أصحابه تأخرا أي عن الصفوف الأول، فجاء قوله (تَقَدَّمُوا فَأتَمُّوا بِي) أمر نصح، وإرشاد يصوب الخطأ وقوله فأتموا بي، الفاء للتعليل والفعل يدل على الإقتداء به في الصلاة بالإضافة إلى أن الفعل يوحي بطلب المتابعة له على كل حال، وقوله (وَلْيَأتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ) يشير إلى التتابع المؤذن بقوة الاتصال في هذا التجمع العظيم بين يدي الله تعالى وقوله (لاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ الله) تعريض بمن يتأخرون عن الصفوف، أو عن الصلاة، والجناس بين (يَتَأَخَّرُونَ وبين يُؤَخِّرَهُمُ) يشير إلى أن الجزاء من جنس العمل حيث كانوا يتأخرون في الصفوف أو عن الصلوات، فأخرهم الله في الآخرة عن هؤلاء السابقين.

---

(١) برقم (٤٣٨/١٣٠). أورده المنذري في ترغيبه (٧١٢).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦٨.

فقه الحديث

قال النووي: (قوله "وليأتم بكم من بعدكم" معنى وليأتم بكم من بعدكم: أي يقتدوا بي مستدلين على أفعالي بأفعالكم، ففيه جواز اعتماد المأموم في متابعة الإمام الذي لا يراه ولا يسمعه على مبلّغ عنه أو صفٌ قدامه يراه متابعًا للإمام)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التسابق لتحصيل الفضل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من التأخير عن الصلاة.

أولاً - من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

يظهر ذلك في قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ رأى في أصحابه تأخرًا، فقال لهم: "تقدموا..." فتفقد أحوال المدعوين من المهام التي ينبغي أن يحرص عليها الداعية، ومن الأشياء التي تؤيد أهمية تفقد أحوال المدعوين حرص رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم من بعده على تفقد أحوال المدعوين، ومن ذلك تفقده ﷺ من غاب عن حلقته بسبب حزنه على وفاة ابنه:

كان صحابي يحضر حلقة الرسول الكريم ﷺ مع ابن له، وكان الرجل يحبه حبًا شديدًا، فمات الولد، وامتنع الرجل أن يحضر الحلقة حزنًا على ابنه. ففقده النبي الكريم ﷺ فسأل عنه، فأخبر عن حاله، فلقيه وعزاه، فقد روى الإمام النسائي عن معاوية بن قرة عن أبيه، قال: كان نبي الله ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير، يأتيه من خلف ظهره، فيقعده بين يديه، فهلك، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه، فحزن عليه، ففقده النبي ﷺ فقال:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٣/٤/٢ ، وانظر نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٥٨٦ .

(مالي لا أرى فلانًا؟) قالوا: يارسول الله (بُنيَّه الذي رأيته هلك، فلقيه النبي ﷺ، فسأله عن بُنيّه؟ فأخبره أنه هلك، فعزاه عليه، ثم قال: (يا فلان أيما كان أحب إليك؛ أن تمتع به عمرك؟ أو لا تأتي غدًا إلى باب من أبواب الجنة، إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك؟ قال: يا نبي الله بل يسبقني إلى باب الجنة؛ فيفتحها لي؛ لهو أحب إلي، قال فذاك لك)[1].

ومما نجده في هذا الحديث الشريف أن النبي الكريم ﷺ افتقد الرجل الذي غاب عن حلقته بسبب حزنه على وفاة ابنه، فأخبر عن سبب غيابه، وهذا يدل على حرصه على تفقد أحوال أصحابه[2].

كذلك حرص أصحابه رضي الله عنهم على تفقد أحوال المدعوين ، ومن ذلك ما ورد عن أبي صالح الغفاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتعاهد عجوزًا كبيرة عمياء في حواشي المدينة من الليل، فيستسقى لها ويقوم بأمرها، وكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت. فجاءها غير مرة فلا يسبق إليها، فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي يأتيها وهو خليفة. فقال عمر: أنت لعمري[3].

فإذا تفقد الداعية أحوال المدعو، ووجد تقصيرًا منه، نبهه إلى هذا التقصير، ومن ذلك حديث رسول الله ﷺ الذي نبه فيه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وحثه على عدم التقصير، فقال ﷺ: ((يَا عَبْدَ اللّهِ لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلاَنٍ. كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ))[4].

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: التسابق لتحصيل الفضل

هذا يستنبط من عموم الحديث حيث أمر رسول الله ﷺ المصلين بالتقدم والإئتمام به وحذر من التأخير، فيتضح من ذلك أهمية السعي والتسابق لتحصيل الفضل.

---

(١) أخرجه النسائي ٢٠٨٨، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ١٩٧٤).

(٢) مراعاة أحوال المخاطبين، د. فضل إلهي ص ١١٢.

(٣) حياة الصحابة، الكاندهلوي ص ٣٤٥.

(٤) أخرجه البخاري ١١٥٢، ومسلم ١١٥٩.

قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾(١).

قال القرطبي: أي سارعوا بالأعمال الصالحة التي توجب المغفرة لكم من ربكم. وقيل: سارعوا بالتوبة؛ لأنها تؤدي إلى المغفرة؛ قاله الكلبي. وقيل التكبيرة الأولى مع الإمام؛ قاله مكحول. وقيل الصف الأول(٢).

وقال السعدي: أمر بالمسابقة إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب ومكانها، والمسابقة إلى رضوان الله بالعمل الصالح، والحرص على ما يرضى الله على الدوام، من الإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع(٣).

فالإسلام يربي أتباعه على المسابقة إلى الخيرات، والحرص على الأعمال الصالحة قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾(٥).

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: في الطاعات، كي ينالوا بذلك أعلى الدرجات والغُرُفات ... ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ أحسن ما قيل فيه: أنهم يسبقون إلى أوقاتها. ودل بهذا أن الصلاة في أول الوقت أفضل ... وكل من تقدم في شيء فهو سابق إليه، وكل من تأخر عنه فقد سبقه وفاته(٦).

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٥٦/١٧/٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٨١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٦١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٣٣/١٢/٦.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التحذير من التأخير عن الصلاة:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "... لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله".

قال النووي: أي: عن الصفوف الأولى حتى يؤخرهم الله تعالى عن رحمته أو عظيم فضله ورفع المنزلة وعن العلم ونحو ذلك[١].

وقال ابن علان: (لا يزال قومٌ يتأخرون، أي: عن اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل "حتى يؤخرهم الله" عن رحمته وعظيم ثوابه وفضله ورفيع منزلة أهل قربه، حتى يكون عاقبة أمرهم النار. وفيه آكد حث على التسابق إلى معالي الأمور والأخلاق، وأبلغ زجر عن الميل إلى الدعة والرفاهية، وأبلغ تنبيه إلى أن ذلك يؤدي إلى تجرع غصص البعد والغضب، أعاذنا الله بمنه)[٢].

وعن عبدالله بن الصامت: عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلاَةَ عَنْ وَقْتِهَا، أَوْ يُمِيتُونَ الصَّلاَةَ عَنْ وَقْتِهَا؟» قَالَ قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ «صَلِّ الصَّلاَةَ لِوقْتِهَا. فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ»[٣].

قال النووي: معنى يُمِيتُون الصلاة يؤخرونها فيجعلونها كالميت الذي خرجت روحه، والمراد بتأخيرها عن وقتها المختار لا عن جميع وقتها[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦٨.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٦٣.

(٣) أخرجه مسلم ٦٤٨

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٦٢.

الحديث رقم (١٠٨٨)

١٠٨٨- وعن أبي مسعود ﵁، قال: كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ، يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلاَةِ، وَيَقُولُ: ((اسْتَوُوا ولاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)) رَوَاهُ مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

الأحلام: جمع حِلْمٍ: من الحلم والأناة والتثبت في الأمور، وذلك من شعار العقلاء[2].

النُّهى: جمع نُهْيَة: العقل؛ سمي كذلك لأنه ينهى صاحبه عن القبيح[3].

الشرح الأدبي

قوله: (يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلاَةِ) كناية عن تسويته للصفوف مع ما يعكسه هذا التصرف من محبة، وتواضع، وألفة، وضمير الجمع المضاف إلى المناكب دليل على أنه كان يتعهد أصحابه بالمسح على مناكبهم حتى يطمئن إلى استقامة الصفوف، وقول الرسول لأصحابه (اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ) أسلوب أمر للتوجيه، والإرشاد، عضده بالنهي عن ضده ثم تبعه بجملة تعليلية حملت تهديداً ووعيداً بجزاء من جنس العمل؛ فإنه لما خالفوا بين الصفوف ظاهراً عوقبوا بالمخالفة بين قلوبهم باطناً، ، والمخافة بين القلوب كناية تولد الكراهية، والتفرق بينهم، وقوله: (لِيَلِني مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى) أمر توجيه، وإرشاد ، وتعليم لكل أمته بترتيب الصفوف بين يدي الله على هيئة ترضيه تعالى، وأولو الأحلام والنهى، هم أصحاب الحكمة،

---

(١) برقم (٤٣٢/١٢٢). أورده المنذري في ترغيبه (٧١٥)، وقد تقدم برقم ٣٤٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ل م).

(٣) المرجع السابق في (ن هـ ي).

والعلم، والعقل، وقوله (ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) استخدام حرف العطف ثم للتأخير الرتبي بحيث يقدم العقل فالأعقل، والأعلم فالأعلم، وتكرار العبارة يشير إلى ضرورة رعاية هذا الترتيب، والحرص عليه.

فقه الحديث

قال النووي: (في هذا الحديث تقديم الأفضل فالأفضل إلى الإمام، لأنه أولى بالإكرام، ولأنه ربما احتاج الإمام إلى استخلاف فيكون هو أولى، ولأنه يتفطن لتنبيه الإمام على السهو لما لا يتفطن له غيره، وليضبطوا صفة الصلاة ويحفظوها وينقلوها ويعلموها الناس، وليقتدي بأفعالهم مَنْ وراءهم، ولا يختص هذا التقديم بالصلاة، بل السنة أن يقدم أهل الفضل في كل مجمعٍ إلى الإمام وكبير المجلس كمجلس العلم والقضاء والذكر والمشاهدة ومواقف القتال وإمامة الصلاة والتدريس والإفتاء وإسماع الحديث ونحوها، ويكون الناس فيها على مراتبهم في العلم والدين والعقل والشرف والسن والكفاءة في ذلك الباب، والأحاديث الصحيحة متعاضدة على ذلك)[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) شرح صحيح مسلم، مج٢/٤/١٣٠ .

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٤٩).

الحديث رقم (١٠٨٩)

١٠٨٩- وعن أنس ﷺ، قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلاَةِ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية للبخاري[2]: ((فَإنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إقَامَةِ الصَّلاَةِ)).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

تمام الصلاة: حسن الصلاة وفي لفظ عند البخاري ٧٢٢: "إن إقامة الصف من حسن الصلاة"[3].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول معنى الاستقامة الظاهرية التي تنم عن الاستقامة الباطنية لأن الله - عز وجل - يحب استقامة الصفوف، وقد أمر بإقامتها حتى في أصعب الظروف في وقت لقاء العدو، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف: ٤] لأن فيها دلالة على الاتحاد، والوداد الذي يدل عليه تلامس

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣٣/١٢٤). أورده المنذري في ترغيبه (٦٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٣). أوردها المنذري في ترغيبه (٦٩٠).

تنبيه: مما أوهم المؤلف أن اللفظ الأول متفق عليه، والثاني رواية للبخاري، إيراد المنذري في ترغيبه (٣٨٥/١، رقم ٦٩٠) الحديث أولًا باللفظ الأول، ثم قال: رواه البخاري ومسلم وابن ماجه وغيرهم، وفي رواية للبخاري، ثمَّ ذكر اللفظ الثاني، فتبين مما ذكرنا أن اللفظ الأول هو لمسلم، والثاني للبخاري، وليس الأول متفقًا عليه، والثاني رواية أخرى للبخاري، فلم يخرج البخاري هذا الحديث بهذا اللفظ إلا في موضع واحد.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٢٤٥/٢.

الأكتاف، والأقدام والذي يصهر المجتمع في بوتقة، واحدة الغني، والفقير، والرئيس، والمرؤوس يجمعهم صف واحد في موقف واحد في الذل، والخضوع لله تعالى، وأمر الرسول ﷺ (سووا صفوفكم) أمر يحافظ على تلك المزية التي تتم غرض الصلاة، وقد علل لهذا الأمر بقوله (فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلاَةِ) لتحقيق الإقناع بالفعل، وكون التسوية من تمام الصلاة يعني أن تركها نقص من هذه الصلاة، وفي الرواية الأخرى (فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلاَةِ) والتعبير بالإقامة إشارة إلى الإصلاح، والتعديل، وتركه يشير إلى الميل، والاعوجاج.

فقه الحديث

١- تسوية الصف في صلاة الجماعة:

ذهب الجمهور إلى أنه يستحب تسوية الصفوف في صلاة الجماعة، بحيث لا يتقدم بعض المصلين على البعض الآخر، ويعتدل القائمون في الصف على سمت واحد مع التراص، وهو تلاصق المنكب بالمنكب والقدم بالقدم والكعب بالكعب حتى لا يكون في الصف خلل ولا فرجة.

ويستحب للإمام أن يأمر بذلك، لقوله ﷺ: "سووا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة" وفي رواية ((أقيموا الصف فإن إقامة الصف من حسن الصلاة))[1] ولما رواه أنس رضي الله عنه قال: أقيمت الصلاة فأقبل علينا بوجهه فقال: "أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري"، وفي رواية: "وكان أحدنا يلزق منكبه بمنكب صاحبه وقدمه بقدمه".

وذهب بعض العلماء -منهم ابن حجر وبعض المحدثين- إلى وجوب تسوية الصفوف لقوله ﷺ "لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم" فإن ورود هذا الوعيد دليل على وجوب التسوية، والتفريط فيها حرام، ولأمره ﷺ بذلك، وأمره للوجوب ما

---

(١) أخرجه البخاري ٧٢٢.

لم يصرفه صارف، ولا صارف هنا[1].

قال ابن حجر: (ومع القول بأن تسوية الصف واجبة، فصلاة من خالف ولم يسوّ صحيحة، ويؤيد ذلك: "أن أنس بن مالك رضي الله عنه مع إنكاره عليهم لم يأمرهم بإعادة الصلاة"[2])[3].

ومن تسوية الصفوف إكمال الصف الأول فالأول، وأن لا يشرع في إنشاء الصف الثاني إلا بعد كمال الأول، وهكذا، وهذا موضع اتفاق بين الفقهاء، لقوله ﷺ "أتموا الصفَّ المقدم ثم الذي يليه فما كان من نقص فليكن في الصف المؤخر" وقوله ﷺ: ((من وصل صفًا وصله الله ومن قطع صفًا قطعه الله)) وعليه فلا يقف في صفٍ وأمامه صف آخر ناقص أو فيه فرجة، بل يشق الصفوف لسدّ الخلل أو الفرجة الموجودة في الصفوف التي أمامه؛ للأحاديث السابقة.

فإذا حضر مع الإمام رجلان أو أكثر، أو رجل وصبي اصطفا خلفه. ولو حضر معه رجلان وامرأة اصطف الرجلان خَلْفه والمرأة خلفهما، ولو اجتمع الرجال والنساء والصبيان والصبيات المراهقات وأرادوا أن يصطفوا للجماعة، وقف الرجال في صفٍ أو صفين أو صفوف مما يلي الإمام، ثم الصبيان بعدهم، وفي وجه عند الشافعية يقف بين كل رجلين صبي ليتعلم أفعال الصلاة.

---

(١) مغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٤٨/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥٩/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٨/١، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٤٧/٢، ٢٧٠، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٦٣/٢، ١٢٦٤ - ١٢٦٥، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢١٢/٣، ٥٨٥، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٤٦/١، وفتح الباري، ابن حجر ٢٠٩/٢ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥/٢٧ - ٣٦).

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢١٠/٢ .

ثم يقف النساء ولا فرق عند المالكية والشافعية بين الكبيرة والصبية المراهقة. أما الحنفية والحنابلة فيرون أن الصبيات المراهقات يقفن وراء النساء الكبيرات، ويتقدم هؤلاء جميعًا في الصفوف الأُول الأفضل فالأفضل، لما رواه أبو مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: ((استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم))[(١)].

ولما رواه عبدالرحمن بن غنم من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: ألا أحدثكم بصلاة النبي ﷺ؟ قال: فأقام الصلاة وصفّ الرجال وصفّ خلفهم الغلمان ثم صلّى بهم فذكر صلاته ثم قال: هكذا صلاة. قال عبدالأعلى -راوي الحديث- لا أحسبه إلا قال: صلاة أمتى[(٢)].

وإن لم يحضر مع الإمام إلا جمع النساء صفهن خلفه، وكذا الاثنتان والواحدة.

ومن أدب الصف أن تسدّ الفرج والخلل، وأن لا يشرع في صف حتى يتم الأول، وأن يفسح لمن يريد دخول الصف إذا كانت هناك سعة. ويقف الإمام وسط الصف والمصلون خلفه[(٣)]؛ لقوله ﷺ "وسطوا الإمام وسدُّوا الخلل" ومقابل الإمام أفضل من الجوانب، وجهة يمين الإمام أفضل من جهة يساره، لقوله ﷺ "إن الله وملائكته يصلُّون على ميامن الصفوف"[(٤)].

٢- جواز الكلام بين الإقامة والدخول في الصلاة:

قال النووي: (قوله: "فقام حتى كاد يكبر فرأى رجلاً باديًا صدره من الصفّ فقال: لتسون عباد الله صفوفكم" فيه جواز الكلام بين الإقامة والدخول في الصلاة، وهذا مذهبنا ومذهب جماهير العلماء ومنعه بعض العلماء. والصواب الجواز، وسواء كان الكلام لمصلحة الصلاة أو لغيرها أو لا لمصلحة)[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم ٤٣٢/١٢٢.

(٢) أخرجه أبو داود ٦٧٧، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ١٣٢).

(٣) المصادر السابقة.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥/٢٧ - ٣٨.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١/٤/٢ .

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف في الصلاة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاته وتسوية الصفوف.

رابعًا: من خصوصيات النبي ﷺ ومعجزاته رؤية الصفوف من خلفه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف في الصلاة:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث حرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف في الصلاة، يظهر ذلك في قوله ﷺ: "سووا صفوفكم، ..." وقول أنس رضي الله عنه: إذا أقيمت الصلاة فأقبل رسول الله ﷺ، بوجهه، فقال: "أقيموا صفوفكم وتراصوا ..."، وهذا يدل على حرص رسول الله ﷺ على تسوية صفوف الصلاة، وقد ورد من الأحاديث ما يؤكد هذا الحرص منها، عن النعمان بن بشير قال: " كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا، حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ، حَتَّى رَأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ. ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ، فَرَأَى رَجُلاً بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فَقَالَ: «عِبَادَ اللّهِ! لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ الله بَيْنَ وُجُوهِكُمْ»[٢].

قال النووي: قوله: (يسوي صفوفنا حتى كأنما يسوي بها القداح"، القداح بكسر القاف هى خشب السهام حتى تنحت وتبرى، وأحدهما قدح بكسر القاف، معناه: يبالغ في تسويتها، حتى تصير كأنما يقوم بها السهام لشدة استوائها واعتدالها)[٣].

وتسوية الصفوف من الأعمال العظيمة والتي يصلي الله وملائكته على فاعليها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصِلُونَ الصُّفُوفَ. وَمَنْ سَدَّ فُرْجَةً رَفَعَهُ اللّهُ بِهَا دَرَجَةً»[٤].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٠٨٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠٩٠).

(٢) أخرجه مسلم ٤٣٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦٨.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٩٩٥، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ٨١٤).

ثانيًا – من أساليب الدعوة: الأمر:

ويظهر ذلك في قوله ﷺ: "سووا صفوفكم..." وقوله ﷺ: "أقيموا صفوفكم وتراصوا...." وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في بيان الحقائق للمدعوين وحثهم على ما ينفعهم، وهو من الأساليب التي يكثر استخدامها في الدعوة إلى ذلك، حتى يعلم المدعو بأهمية الدعوة، وضرورة التزامه بأمر الداعية، لأنه يأمره بالخير وينهاه عن الشر.

ثالثًا – من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاته وتسوية الصفوف:

يستنبط هذا من عموم الحديثين[(١)] حيث أمر رسول الله ﷺ بتسوية الصفوف والتراص. قال ابن تيمية: (وطاعة الرسول فيما أمرنا به، هو الأصل الذي على كل مسلم أن يعتمده، وهو سبب السعادة، كما أن ترك ذلك سبب الشقاوة، وطاعته في أمره أولى بنا من موافقته في فعل لم يأمرنا بموافقته فيه باتفاق المسلمين، ولم يتنازع العلماء أن أمره أوكد من فعله، فإن فعله قد يكون مختصًا به، وقد يكون مستحبًا"، أما أمره لنا فهو من دين الله الذي أمرنا به، ومن أفعاله ما قد علم أنه أمرنا أن نفعل مثله، كقوله ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي"[(٢)]، وقوله: لما صلى بهم على المنبر، ((إنما فعلت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي))[(٣)])[(٤)]، ولقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نتشبه بالملائكة في صلاتنا عند الصف، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»[(٥)]، فيجب على المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاته والالتزام بهديه في تسوية الصفوف.

---

(١) حديث رقم (١٠٨٩)، (١٠٩٠)، والمضامين الدعوية واحدة.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣١.

(٣) أخرجه البخاري ١٧، ومسلم ٥٤٤.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٤٨/١١، ط. العبيكان، ٢٢،٣٢١، ط. ابن القاسم.

(٥) أخرجه مسلم ٤٣٠.

رابعًا - من خصوصيات النبي ﷺ ومعجزاته رؤية الصفوف من خلفه:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "فإني أراكم من وراء ظهري ...". قال الطيبي: هذا من معجزاته عليه الصلاة والسلام[١]. وقد ورد عنه ﷺ قوله: (هل ترون قبلتي ها هنا، فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا سجودكم إني لأراكم من وراء ظهري)[٢]. وقال الشافعي في رواية حرمله قوله: إني أراكم من وراء ظهري كرامة من الله تعالى، أبانه بها من خلقه[٣]. وقال ابن حجر: ... والصواب ... إن هذا الإبصار إدراك حقيقي خاص به ﷺ انخرقت له فيه العادة[٤]. فيتضح من ذلك أن رؤيته ﷺ للصفوف من خلفه من معجزاته التي أيده الله بها.

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٢/٤٣.

(٢) أخرجه البخاري ٤١٨، ومسلم ٤٢٤.

(٣) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ٦/٧٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١/٦١٣.

الحديث رقم (١٠٩٠)

١٠٩٠- وعنه، قَالَ: أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَأقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: ((أقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا؛ فَإنِّي أرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي)) رواه البُخَارِيُّ بلفظه، ومسلم بمعناه[١].

وفي رواية للبخاري[٢]: وَكَانَ أَحَدُنَا يُلْزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ وَقَدَمَهُ بِقَدَمِهِ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يلزق منكبه: يلصق منكبه والمراد المبالغة في تعديل الصف وسد خلله[٣].

منكب: المكان الذي يجتمع فيه الكتف مع رأس العضد[٤].

الشرح الأدبي

قوله (أقيمت الصلاة) ومادة (قوم) في اللغة تدور حول معنى التعديل، والرد إلى الاستقامة، والحفظ، قال الزمخشري: "وقوم العود، وأقامه فقام، واستقام، وتقوم ورمح قويم، وقوم المتاع، واستقامه"[٥]. والقَوَّام الحافظ اسم لمن يكون مبالغاً في القيام بالأمر يقال: هذا قيِّم المرأة، وقوامها للذى يقوم بأمرها، ويهتم بحفظها ولذلك عبر به عن أداء الصلاة، وقول الرسول ﷺ (أقيموا الصفوف، وتراصوا) التعبير بإقامة الصف

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٩)، ومسلم (١٢٥/٤٣٤) ولفظه: ((أتموا صفوفكم، فإن تسوية الصف من تمام الصلاة)).

(٢) برقم (٧٢٥).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٦٠، فتح الباري، ابن حجر ٢٤٧/٢.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٣٥.

(٥) أساس البلاغة للزمخشرى، ٢٨٥/٢ مادة (ق و م)، ط/٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

يشير إلى المعاني التي سبق ذكرها من التعديل، والحفظ، وغيره، وجمع الصفوف يلمح إلى تكثيرها بالحرص من الجميع على حضور الجماعات، وإضافتها إليهم خصوصية بهم تستلزم منهم الحرص عليها، والتعبير بالتراص يشير إلى التتابع، والانتظام، وقوله (فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي) العبارة فيها تهديد للمخالف، والرؤية من وراء الظهر خصوص له ﷺ، أعطاه الله من القوة أن يرى من خلفه كما يرى من أمامه لا أنه يخبر عنهم بخبر، ولو كان من طريق الخبر لقال عليه السلام، إني لأعلم بحالكم من وراء ظهري.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٩١)

١٠٩١- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: ((لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أوْ لَيُخَالِفَنَّ اللّٰهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية لمسلم[2]: أنَّ رَسُول اللّٰهِ ﷺ كَانَ يُسَوِّي صُفُوفَنَا[3]، حَتَّى كَأنَّمَا يُسَوِّي بهَا القِدَاحَ حَتَّى رَأى أنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَومًا فَقَامَ حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ، فَرَأى رَجُلاً بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فَقَالَ: ((عِبَادَ اللهِ، لتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أو لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ)).

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٠).

غريب الألفاظ:

أو ليخالفنّ بين وجوهكم: يريد أن كُلاً منهم يصرف وجهه عن الآخر، ويوقع بينهم التباغض؛ فإن إقبال الوجه على أثر المودَّة والألفة[4].

القِداح: جمع قَدْحٍ: السهم[5].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه، وهو بيان فضل تسوية الصفوف، والعناية بها غير أنه سلك بالأسلوب مسلك التهديد، والوعيد في قوله (لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أوْ لَيُخَالِفَنَّ اللّٰهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٧)، ومسلم (٤٣٦/١٢٧) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٧١٥). وتقدم في الرياض برقم ١٦٠.

(٢) لفظ مسلم: (كان رسول الله ﷺ يسوي صفوفنا) والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٣) ٤٣٦/١٢٨). أوردها المنذري في ترغيبه رقم (٧١٥)، وتقدمت في الرياض برقم ١٦٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

(٥) المرجع السابق في (ق د ح).

بَيْنَ وُجُوهِكُمْ) حيث بدأ بأسلوب الأمر المؤكد باللام، ونون التوكيد التي تشير إلى ارتفاع نبرة الكلام، وجنوحه نحو الوعيد، واتصال الصفوف بكاف الخطاب، وميم الجمع يعم الجميع، وقوله (أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ) كناية عن البغضاء، والكراهية، وَاخْتُلِفَ فِي الْوَعِيد الْمَذْكُور فَقِيلَ: هُوَ عَلَى حَقِيقَته، وَالْمُرَاد بِهِ تَشْوِيه الْوَجْه بِتَحْوِيلِ خَلْقه عَنْ وَضْعه بِجَعْلِهِ مَوْضِع الْقَفَا، أَوْ نَحْو ذَلِكَ، وَقِيلَ: كناية كما تقدم، وَمَعْنَاهاُ يُوقِع بَيْنكُمْ الْعَدَاوَة وَالْبَغْضَاء وَاخْتِلَاف الْقُلُوب كَمَا تَقُول تَغَيَّرَ وَجْه فُلَان عَلَيَّ أَيْ ظَهَرَ لِي مِنْ وَجْهه كَرَاهِيَة؛ لِأَنَّ مُخَالَفَتهمْ فِي الصُّفُوف مُخَالَفَة فِي ظَوَاهِرهمْ، وَاخْتِلَاف الظَّوَاهِر سَبَب لِاخْتِلَافِ الْبَوَاطِن، والطباق بين التسوية التي تشير إلى الاتفاق وبين المخالفة يؤكد المعنى ويوضح أثر الاختلاف المنافي لجلال الموقف، وغرض الاجتماع.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٦٠).

الحديث رقم (١٠٩٢)

١٠٩٢- وعن البراء بن عازبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رَسُول اللّٰهِ ﷺ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ نَاحيَةٍ إلى نَاحِيَةٍ، يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا، وَيَقُولُ: ((**لا تَخْتَلِفُوا فتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ**)) وكَانَ يَقُولُ: ((**إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الأُوَلِ**)) رواه أَبُو دَاوُدَ[1] بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

غريب الألفاظ:

يتخلل الصف: يدخل بينهم[2].

مناكبنا: جمع منكب: موضع التقاء الكتف مع رأس العضد[3].

الشرح الأدبي

تعبير الراوي بـ (كان) يشير إلى أن تخلل الرسول ﷺ للصفوف كان عادة له غالبة عند الصلاة، وقوله (مِنْ نَاحِيَةٍ إلى نَاحيَةٍ) يشير إلى دقة تفقده للصفوف، ويصور الفعل المضارع (يتخلل) مع ذكر الناحيتين حركة الرسول ﷺ في ذهاب، ومجيء بين طرفي الصف وقوله (يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا) التعبير بالمسح يصور مع تحقيق التسوية المودة، والمحبة لأصحابه، والعبارة كناية عن حرصه على تمام الاعتدال، وعدم التفاوت بين المصطفين، وقوله (لا تَخْتَلِفُوا) نهي بغرض التحذير، والتهديد دل عليه قوله (فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ) وهو كناية عن الكراهية، والبغضاء، وقوله: (إنَّ اللّٰهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الأُوَلِ) توكيد عبارة الترغيب تربية للمهابة وتعظيما للخبر، ولاة

---

(١) برقم (٦٦٤)، وصحّحه ابن خزيمة (١٥٥٦)، وابن حبان (الإحسان ٢١٦١). أورده المنذري في ترغيبه (٧١٦).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ل ل).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٣٥.

الله مغفرة، ورحمة وعطايا أخرى، وصلاة الملائكة استغفار، ودعاء، والجمع بين الله، وملائكته في الصلاة على هؤلاء يشير إلى أهمية العمل، ويشيد بأهل الصف الأول الحريصين على الجماعات الطامحين إلى المقدمات.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النهي.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الاختلاف في الصفوف واثر ذلك.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من آداب الداعية: الاقتداء بالنبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف:

يتضح هذا من الحديث: "كان رسول الله ﷺ يتخلل الصف من ناحية إلى ناحية يمسح صدورنا ومناكبنا" وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على الإخبار عن هدى النبي ﷺ في أموره كلها، وخاصة هنا في هذا الحديث هديه ﷺ في تسوية الصف، والصحابة رضي الله عنهم يفعلون هذا لأنهم يعلمون أن في طاعة النبي واتباعه في هديه ودله، إنما يحقق لهم الهداية، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾[1]، ويحقق لهم محبة الله، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، ويحقق لهم الفوز بالجنة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[3].

ومن آثار حرص النبي ﷺ على أمته، أنه جعل في طاعته سببًا يحقق لهم الرفقة في

---

(١) سورة النور، الآية : ٥٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٣) سورة النور، الآية: ٥٢.

الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[1].

وفي إخبار البراء ﷺ بحرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف، إنما هذا إرشاد إلى ضرورة متابعة الرسول ﷺ.

(إن التأسي بالنبي ﷺ هو أن نفعل مثلما فعل على الوجه الذي فعله، من وجوب أو ندب، وأن نترك ما تركه، أو نهى عنه من محرم أو مكروه، كما يشمل التأسي به التأدب بآدابه، والتخلق بأخلاقه ﷺ، وعلى ذلك فالتأسي والاقتداء شامل لكافة أمور الدين، فإذا قال الرسول ﷺ قولا قلنا مثل قوله، وإذا فعل فعلاً فعلنا مثل فعله، وإذا ترك شيئًا تركناه فيما لم يكن خاصًا به، وإذا عظم شيئًا عظمناه، وإذا حقر شيئًا حقرناه، وإذا رضى لنا أمرًا رضينا به، وإذا وقف بنا عند حد وقفنا عنده ولم يكن لنا أن نتقدم عليه أو نتأخر عنه، وبالجملة فإن الاقتداء بالرسول ﷺ تجريد متابعته والتلقي عنه وحده)[2].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: النهي:

حيث جاء في الحديث: "لا تختلفوا" حيث نهى النبي ﷺ عن الاختلاف في الصف حتى لا تختلف قلوبهم، ومما لا شك فيه أن أسلوب النهي من أساليب الدعوة النافعة حيث يشعر المدعو بخطورة المنهي عنه، وضرورة الحذر منه، وبهذا أمر الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[3]، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب النهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[4]،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ١٢٤.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

وقوله جل شأنه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُۥ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾[(١)].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من الاختلاف في الصفوف وأثر ذلك:

يظهر هذا من الحديث: "لا تختلفوا فتختلف قلوبكم" ومما هو معلوم أن الاختلاف في الصفوف يؤدي إلى اختلاف القلوب، ولحرص النبي ﷺ أنه كان يتخلل الصف. قال شرف الحق العظيم آبادي"يتخلل الصف: أى يدخل بينهم قوله "لا تختلفوا" أى بالتقدم والتأخر في الصفوف"[(٢)]، وقال د. الحسيني هاشم: (لقد كان الرسول ﷺ يذهب خلل الصفوف بتسويتها بيده الشريفة، ويحذر من أن عدم الانتظام فيها سبيل إلى اختلاف القلوب، وأفضل الصفوف الأول فالذي يليه)[(٣)]. ولاشك أن استواء الصف مظهر من مظاهر الوحدة والاتفاق وعدم التفرق، واختلاف القلوب يؤدي إلى التفرق، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾[(٤)].

قال ابن كثير: (أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والإئتلاف فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويسخط لكم ثلاثًا، يرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»[(٥)]. وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ، وخيف عليهم الافتراق والاختلاف)[(٦)].

وقال د. محمد محمود حجازي: (يأمرنا الله بالاتحاد وعدم الخلاف والشقاق مع

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ٥٧١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

(٥) أخرجه مسلم، ١٧١٥.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٨٩ - ٩٠.

الاعتصام بالعهد والقرآن، وأمرنا بالتمسك بدينه ونهانا عن التفرق والاختلاف، فقد أنعم علينا بالإسلام، وألف بين قلوبنا بالقرآن، والنبي ﷺ، وخاطب المسلمين أن يكونوا أمة لها كيان ونظام، أمة مؤتلفة الأعضاء موحدة الجهات لا ترهب أحدًا، ولا تخاف شيئًا، فعلى المسلمين جميعًا واجب تكوين تلك الأمة، لتكون بهذا الوضع. وحذر الله المسلمين أن يكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا اختلافًا كثيرًا لما حصل لليهود والنصارى من بعد ما جاءتهم البينات الواضحات التي تهديهم إلى السبيل لو اتبعوها)[١].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: "إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعوين في الالتزام بالشرع "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة".[٢]

خامسًا - من آداب الداعية: الاقتداء بالنبي ﷺ:

يتضح هذا من سياق الحديث، ومعلوم أن الرسول الكريم هو القدوة الأولى للمسلمين، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾[٣] ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يقتدون بالنبي ﷺ في هذا الأمر، قال الشيخ ابن عثيمين: "لقد كان ﷺ يتخلل الصف من ناحية إلى ناحية يسوي بيده الكريمة، وكان هذا عادته. ولما كثر الناس في زمن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وفي زمن عثمان رضي الله عنه، صار هناك رجال موكلون من قبل الخليفة يسوون الصفوف، فإذا جاءوا إلى الإمام وقالوا: إن الصفوف قد تمت وكملت، كبر للصلاة"[٤].

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ١١/٤/١.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٤) شرح رياض الصالحين، ١٣١٩/٢.

ومما لاشك فيه أن الاقتداء بالنبي ومتابعته فيه الفوز والسعادة والرضى والفلاح والنجاة من النار. (إن طاعة الرسول ﷺ هى المثال الحي الصادق لمحبته عليه الصلاة والسلام، فكلما ازداد الحب زادت الطاعات، فالطاعة ثمرة المحبة، وفي هذا يقول أحد الشعراء:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ذاك لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته إن المحب لمن أحب مطيع

والتحاكم إلى سنة النبي ﷺ أصل من أصول المحبة والاتباع، فلا إيمان لمن لم يحتكم إلى شريعته ويسلم تسليمًا، ومن علامات الزيغ والنفاق: الإعراض عن سنته وترك التحاكم إليها)[1].

---

(١) محبة النبي ﷺ وتعظيمه، عبداللطيف بن محمد الحسن، ضمن بحوث كتاب: حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ٨٢.

الحديث رقم (١٠٩٣)

١٠٩٣- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((اقيمُوا الصُّفُوفَ، وَحَاذُوا بَيْنَ المَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الخَلَلَ، وَلِينوا بِأيْدِي إخْوانِكُمْ، ولاَ تَذَرُوا فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ)) رواه أبُو دَاوُدَ[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

وحاذوا بين المناكب: اجعلوا بعضها حذاء بعض فيكون كل منكب موازيًا للآخر فتكون المناكب والأعناق والأقدام على سمت واحد[2].

سدوا الخلل: أي الفرجة في الصفوف[3].

ولينوا بأيدي إخوانكم: كونوا لينين هينين منقادين، أي: إذا أخذوا بها ليقدموكم أو يؤخروكم حتى يستوي الصف[4].

فرجات: جمع فرجة وهي: الخلل الذي يكون بين المصلين في الصفوف[5].

الشرح الأدبي

الحديث يدور كسابقه حول تسوية الصف، وقد جاء المعنى في أسلوب الأمر، العام مع النهي، وقد وردت جمل الحديث التي تصدرها الأمر، أو النهي قصيرة سريعة تعمد إلى تقرير المعنى بصورة مباشرة تناسب مقام الشروع في الصلاة، والمتأمل لجملة الأوامر

---

(١) برقم (٦٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (٦٩٢).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٢.

(٣) المرجع السابق ص ٣٢٢.

(٤) المرجع السابق ص ٣٢٢، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٦.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر ج).

(أقيموا - حاذوا - سدوا - ولينوا) يرى أنها متصلة بواو الجماعة التي تعم جميع المخاطبين، كما أنها تصبُّ في اتجاه واحد، وهو تمام الصلاة باستقامة الصف، وتمام الاستعداد للموقف الجليل مع ما يدل عليه من الالتحام، والتوافق، والاتصال، والرفق المحقق للغاية، وهو نموذج للنظام، وقوة الاتصال الوجداني، والجسدي في الصلاة ينسحب على جملة أمور المسلمين التي تجمعهم على الاتفاق، وتمنع أسباب الشقاق، ثم جاء الترغيب النبوي في وصل الصفوف عن طريق الشرط الذي يربط وصل الصف بوصل الله، وقطع الصف بقطع الله، وقد تكون جملتا الشرط خبريتين لفظا إنشائيتين معنى على سبيل الدعاء من الرسول ﷺ بوصل الله لواصل الصف بمعنى اللهم صله، وقطع الله لقاطع الصف، ثم إن النهي الوحيد في الحديث (ولاَ تَذَرُوا فُرُجَاتٍ للشَّيْطَانِ) يشير إلى بُعد آخر من الحديث وهو تصفية هذا الجمع الطاهر من كل نماذج الشر، فهذه الصورة التي تجتمع في الصفوف من التلاحم، والترحم، والتحابب لا يجب أن يخترقها عدو فإقامة الصفوف على هذه الصورة تخرج من بينهم اخطر أعدائهم، وأخفاهم، وهو الشيطان.

المضامين الدعوية [1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على إقامة الصفوف وتسويتها ووصلها.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على وحدة الصف والتراص وعدم الاختلاف.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

إن للدعوة أساليبًا متعددة، والداعية الحصيف هو الذي يستعمل الأسلوب المناسب في موطنه المناسب، ومن هذه الأساليب أسلوب الأمر، ويتضح هذا من الحديثين[2]

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٠٩٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠٩٤).

(٢) حديث رقم (١٠٩١)، (١٠٩٢).

"أقيموا الصفوف" "حاذوا بين المناكب"، "رصوا صفوفكم" وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو أهمية المأمور به، وضرورة تنفيذه، ومن هنا وجب على الداعية أن ينوع في أساليب الدعوة، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الأمر قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[2]، وقوله جل شانه: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً﴾[3].

قال د. نور الدين مختار الخادمي: (إن أوامر الشرع هي أوامر الله تعالى الذي تعالى في كونه وهيمن وحَكم، فهو المتعالي المهيمن الجبار، ولذلك فإن الأمر هو طلب الفعل على سبيل الاستعلاء، فهو طلب من الأعلى إلى الأدنى، وليس طلب الند للند أو النظير لنظيره، وإذا صدر الطلب من شخص يساوي الشخص المطلوب، كطلب الزميل من زميله أو الجار من جاره فيسمى التماسًا ورجاءً، وإذا صدر من الأدنى إلى الأعلى سمى دعاءً وتضرعًا، وهو طلب المخلوق من الخالق كل الخير والمغفرة والعفو في الدنيا والآخرة)[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على إقامة الصفوف وتسويتها ووصلها:

إن الرسول ﷺ يرشد الجماعة المؤمنة إلى إقامة الصف وتسويته ووصله، حتى يتدرب المسلم ويتمرن على الاتحاد والتراص كالبنيان المرصوص، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث "أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل"، وقوله: "من وصل صفًا وصله الله، ومن قطع صفًا قطعه الله"، ولا شك أن إقامة الصفوف وسد الخلل من الأمور المهمة في الصلاة، قال الطيبي: وقوله: "قاربوا بينها"، أى قاربوا بين الصفوف بحيث لا يسع بينهما صف آخر، حتى لا يقدر الشيطان أن يمر بين أيديكم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة المعارج، الآية: ٥.

(٤) تعليم علم الأصول ٣٦١، ٣٦٢.

فيصير تقارب أشباحكم سببًا لتعاضد أرواحكم. وقوله: " وحاذوا بالأعناق " بأن لا يقف أحدكم مكانًا أرفع عن مكان آخر، ولا عبرة بالأعناق أنفسها، إذ ليس للطويل أن ينخس عنقه ليحاذي عنق القصير، وقوله: "إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنها الحذف"، هى الغنم الصغار الحجازية، وقيل: هى صغار جرد ليس لها آذان ولا أذقان، يُجاء بها من جرش اليمن. والضمير في "كأنها" راجع إلى مقدر، أى جعل نفسه شاة أو ماعز، كأنها الحذف[1].

وقال العظيم آبادي: "والمراد بقوله" وحاذوا بين المناكب" أى اجعلوا بعضها حذاء بعض، بحيث يكون منكب كل واحد من المصلين موازيًا لمنكب الآخر ومسامتًا له فتكون المناكب والأعناق والأقدام على سمت واحد. وقوله: "لينو بأيدي إخوانكم" أى كونوا لينين هنيين منقادين إذا أخذوا بأيديكم ليقدموكم"[2].

ولا شك أن تسوية الصفوف، ومحاذاة المناكب في صلاة الجماعة تولد في داخل المؤمن الوحدة والاجتماع والتآزر، ومن ثم كان حرص رسول الله ﷺ على تسوية الصف قال: الشيخ أبو الحسن الندوي: (وفي الجماعة حكم دقيقة، ومصالح عظيمة للمسلمين منها: ما هي اجتماعية وخلقية كالوحدة والاجتماع، والتعاون، وقد كان رسول الله ﷺ شديد الاهتمام بتسوية الصفوف شديد الإنكار على الإخلال بها والتفريط فيها، إذا لا تتحقق فوائد الجماعة ولا تكتمل إلا بالمحافظة عليها، وقيام المسلمين فيها، كالبنيان المرصوص، ولأن الصلاة والجماعة تربية للحياة كلها، فمن لم يحسن القيام بها لم يحسن شيئًا من عمل الدنيا والآخرة)[3].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

حيث جاء في الحديث: "ومن وصل صفًا وصله الله، ومن قطع صفًا قطعه الله"،

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٣/٤٧.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٢.

(٣) الأركان الأربعة، ٥٥، ٥٦.

وأسلوب الترغيب والترهيب من أساليب الدعوة النافعة والناجعة، "والترغيب هو التشويق للعمل على فعل أو اعتقاد أو تصور وترك خلافه، والترهيب هو التخويف للعمل على ترك فعل أو اعتقاد أو تصور، والإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه من خلال الترغيب والترهيب"[١].

رابعًا – من أهداف الدعوة: الحث على وحدة الصف والتراص وعدم الاختلاف:

إن من الأمور المهمة التي يطلبها الله من عباده ان يكونوا أمة واحدة ويدًا واحدة، وتبدأ هذه الوحدة من وحدة الصف في الجماعة في المسجد، ويؤخذ هذا المعنى من الحديث في قوله ﷺ: "أقيموا الصفوف"، "رصوا صفوفكم"، وإن وحدة الصف في الصلاة هى المؤشر لوحدة القلوب والأفئدة، وبداية الوحدة الإسلامية تتحقق من وحدة الصف في الصلاة أولاً، وقد بين الله أنه يحب وحدة الصف، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[٢]، وأمر بالوحدة والاعتصام فقال جل شأنه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[٣]، ونهى الله عن التفرق والاختلاف فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾[٦].

---

(١) أصول التربية إسلامية، د. خالد الحازمي، ٣٩٣.

(٢) سورة الصف، الآية: ٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الروم، الآيتان: ٣١ - ٣٢.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

قال السيد سابق: (والإسلام بطبيعته يجعل من المسلمين كتلة واحدة، ويخلق بينهم تضامنًا، فهو يجمعهم على عقيدة واحدة، وعبادة واحدة، وشريعة واحدة، وقبلة واحدة، وغاية واحدة، وأي صدع في هذه الوحدة، وأي هزة في هذا الكيان، يعتبر جريمة ما بعدها جريمة، فإن الفرقة قاضية على الدين والدنيا معًا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1]، وذهاب الريح هو ذهاب القوة القاضية بالضعف والإذلال ثم الفناء والزوال، وعلى المسلمين أن يسارعوا إلى إصلاح ذات البين وتقوية الروابط إذا تعرضت لوهن أو ضعف، ولا تقل أهمية هذه المسارعة عن أهمية المسارعة إلى الصلاة وغيرها من العبادات)[2].

والطريق لتحقيق وحدة الصف والتراص وعدم الاختلاف، إنما يبدأ من الحرص على عدم ترك خلل أو فرج في الصفوف، وقد قال النبي ﷺ في الحديث:((ولا تذروا فرجات للشيطان ومن وصل صفًا وصله الله ومن قطع صفًا قطعه الله))، قال العظيم آبادي: وقوله: "سدوا الخلل" أى الفرجة في الصفوف، وقوله: "لا تذروا" أى لا تتركوا فرجات للشيطان فإن من وصل صفًا بالحضور فيه وسد الخلل منه وصله الله أى برحمته ومن قطع صفًا بالغيبة أو بعدم السد أو بوضع شيء مانع قطعه الله أى برحمته الشاملة وعنايته الكاملة وقوله "رصوا صفوفكم" أى ضموا بعضها إلى بعض ومنه رص البناء وقاربوا بين الصفوف بحيث لا يسع بين الصفين صف آخر"[3]، ولا شك أن كل هذه النصوص تؤكد على الحذر من ترك خلل أو فرج في الصفوف.

وتدعو إلى وحدة الصف والتراص، لتحقيق هدف الدعوة بعدم اختلاف المسلمين وجعلهم أمة واحدة.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) عناصر القوة في الإسلام ١٧٩، ١٩٠.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٢.

الحديث رقم (١٠٩٤)

١٠٩٤- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((رُصُّوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَحَاذُوا بِالأَعْنَاقِ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنِّي لأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ، كَأَنَّهَا الحَذَفُ)) حديث صحيح رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ[1] بإسنادٍ عَلَى شرط مسلم.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥).

غريب الألفاظ:

وحاذوا بالأعناق: اجعلوا بعضها في محاذاة بعضٍ: مقابلته[2].

خلل الصف: أي فرجته، أو كثرة تباعدها عن بعض[3].

الحَذَفُ: بحاء مهملة وذال معجمة مفتوحتين ثم فاء، وهي غنم سود صغار تكون باليمن[4].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه، ومقارب له في الأسلوب مع اختلاف في بعض الألوان البلاغية، وقد بدأ بأسلوب الأمر برصِّ الصفوف والمقاربة بينها والمحاذاة (رُصُّوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا وحاذوا بالأعناق) فالتراص في الصف ينظم علاقة المصلي بمن على يمينه، ويساره، والمقاربة تنظم علاقة الصف بمن أمامه ومن خلفه، والمحاذاة بالأعناق تشير اعتدال قامة المصلى باعتبار من يقف حوله وقوله (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنِّي لأَرَى) يمثل نقلة وجدانية في طبيعة السياق، لأنه قسم يتزلزل له الوجدان؛ لأن الذي

---

(١) برقم (٦٦٧)، وصحّحه ابن خزيمة (١٥٤٥)، وابن حبان (الإحسان ٢١٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (٦٩٠).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٢، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٧.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٢.

(٤) رياض الصالحين ٤١٠.

يحلف صادق لا يكذب، وهو نبي يوحى إليه مما يحقق اليقظة، والترقب، ويضمن للمعنى الثبات؛ لأنه ارتبط بتعبير له خصوصية في الترهيب وهو قوله: (فوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) وطبيعة تكوين هذا القسم توحي بالرهبة، والجلال المشعرة بحساسية الموقف، وهو في إطلاقه ابتداءً دون مواجهة بالتكذيب يوحي بأهمية المعنى بعده الذي ثم أكد بإن مع اللام المؤكدة لفعل الرؤية وقوله (لأرى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ) يشير إلى سبب كثافة المؤكدات وهو تربص العدو، ودخوله بينهم مع عدم رؤيتهم له، وغفلتهم عنه وقوله (كأنها بنات حذف) تشبيه من بيئة المخاطبين يقرب المعنى عن طريق الصورة التي تشبه الشيطان بين المصلين بالحذف وهو غنم سود صغار وهذا التشبيه يشير إلى أنه يتصاغر حتى يجد فرجة تسعه، ويبحث بين الصفوف ومن يترك فرجة في الصف يعطي فرصة للشيطان يدخل إليه ليفسد بعد ذلك صلاته.

المضامين الدعوية [1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٩٥)

١٠٩٥- وعنه: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ، قَالَ: ((أتِمُّوا الصَّفَّ المُقَدَّمَ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِّ المُؤَخَّرِ)) رواه أَبُو دَاوُدَ[1] بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى ترتيب الوقوف مع الإمام في الصلاة بداية بالصف المقدم الفاضل بصلاة الله عليه، وصلاة ملائكته كما مر في الأحاديث السابقة، حتى إذا وجد نقص يكون في آخر صف، وقوله (أتموا) إشارة أن عدم تمام الصف المقدم في وجود من يتمه نقص يجب أن تخلو منه صورة صفوف المصلين، والطباق بين الصف المقدم، وبين الصف المؤخر يقرر هذا لمعنى الذي يصحح صورة الاستقامة على الوجه الذي يرضاه الله تعالى ورضا الله غرض خرج له كل مؤمن قصد المسجد لأداء الصلاة في الجمع محرزا السبق في الصف الأول، ومتجنبا أقل الصفوف أجرا، والتعبير بالنقص وجعله في آخر صف يقرر الأفضلية للصف الكامل لأن الشيطان يتخلل الصفوف ويبحث عن الفُرج ليقف فيها فلا يجدها في الصف الأول، وربما وجدها في الصف الأخير الذي يكون فيه النقص، وهو مما يؤثر على الصلاة، وينتقصها، وهو من أسباب فضل الصف الأول.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية إتمام الصف الأول وتدريب المسلم على النظام.

ثالثًا: من آداب الداعية: الاقتداء بالنبي ﷺ في إتمامه للصفوف.

---

(١) برقم (٦٧١)، وصحّحه ابن خزيمة (١٥٤٦).

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

حيث جاء في الحديث "أتموا - فليكن" ولاشك أن أسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تؤثر في المدعو وتجعله يقدم على المأمور به لشعوره بأهميته، وخطورته، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الأمر قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[(١)]، وقوله جل شأنه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[(٢)]، ومما يذكر في أسلوب الأمر أنه إذا كان من الأدنى للأعلى فهو طلب ودعاء مثل قوله تعالى: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[(٣)]، وإذا كان الأمر من المساوي للمساوي فهو التماس، وإذا كان من الأعلى للأدنى فهو أمر صريح. والداعية الناجح يستخدم أسلوب الأمر في موطنه، ومع من يناسبه من أصناف المدعوين.

قال محمد أبو زهرة: (والطلب الذي تدل عليه صيغة الأمر هو طلب الفعل، إما على جهة اللزوم، أو على وجه الندب، ولكن بالاستقراء تبين أن العرف الإسلامي في فهم الكتاب والسنة باعتبارهما مبينين للشرع الإسلامي يجعل الأمر فيهما للوجوب، أي للطلب الحتمي اللازم؛ لأن ذلك هو الكثير الغالب، وعلى ذلك فكل أمر يدل على الطلب اللازم، إلا إذا قام الدليل على خلاف ذلك، وذلك هو رأي جمهور الفقهاء)[(٤)].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية إتمام الصف الأول وتدريب المسلم على النظام:

إن أداء العبادات في الإسلام له أثره الرئيس في سلوك المسلم، ومن ذلك إتمام الصف الأول في الصلاة، فهو يُعَوِّد المسلم على الحرص على النظام، ويتضح هذا من الحديث من قوله ﷺ: "أتموا الصف المقدم ثم الذي يليه فما كان من نقص فليكن في الصف

---

(١) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٤) أصول الفقه، أبو زهرة ص ١٧٦.

المؤخر" قال الطيبي: " ولإتمام الصف، لا يُمنع لضيق المكان من يريد الدخول بين الصف لسد الخلل"[١]. وقال شمس الحق العظيم آبادي: وقوله: "أتموا الصف المقدم" أى: الأول ثم الذي يليه، أى ثم أتموا الصف الذي يلي الصف الأول، وقوله "فما كان" أى فما وجد، وقد دل الحديث على جعل النقصان في الصف الأخير، لكن لم يظهر منه موقف الصف الناقص والظاهر أن يقف أهل الصف الناقص خلف الإمام عن يمينه وشماله"[٢]، وفي توجيه النبي ﷺ بإتمام الصف الأول ثم الذي يليه، إنما يعلم المسلمين النظام في الوقوف في الصف، والنظام في الصلاة ولا شك أن هذا يؤثر على سلوك المسلم فيكون مستصحبًا للنظام في جميع أموره.

وقد علّم رسول الله ﷺ المسلمين النظام حتى في إمامة الصلاة، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللّه. فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً . فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ. فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً. فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً. فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا. وَلاَ يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ. وَلاَ يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما جُعِلَ الإمامُ ليُؤتَمَّ به، فلا تَختلفوا عليه، فإذا ركعَ فاركعوا، وإذا قال سمعَ اللّهُ لمن حمِدَه فقولوا ربَّنا لكَ الحمدُ، وإذا سَجدَ فاسجُدُوا، وإذا صلَّى جالسًا فصلُّوا جُلوسًا أجمعونَ، وأقيموا الصفَّ في الصلاةِ، فإنَّ إقامةَ الصفِّ مِن حُسنِ الصلاة»[٤].

"ومن فوائد النظام أنه يحفظ أمر الجماعة ويقيها من الاختلاف والتفرق، وهو يؤدي إلى ألفة الجماعة وعدم اختلافها، ويوطد أركان الأسرة ويدعم العلاقات الاجتماعية

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٣/٤٨.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٣.

(٣) أخرجه مسلم ٦٧٣.

(٤) أخرجه البخاري ٧٢٢ واللفظ له، ومسلم ٤١٤.

ويبعد الشحناء، ومن خلال النظام يمكن القيام بالأعمال الكثيرة في الأوقات القليلة، وهو دليل الالتزام بأحكام الشرع، والالتزام بالنظام يبعد الشيطان ويجلب البركة"[١].

ومن خلال هذا يتضح أن التزام المسلم بإتمام الصف الأول ثم الذي يليه وحرصه على ذلك، يدرب المسلم على التزام النظام في حياته، وفي علاقته مع الآخرين. فعلى الدعاة الهداة تعويد المصلين على النظام من خلال تنبيههم إلى ضرورة إتمام الصف الأول، وأن يكون النقص في الصف المؤخر.

ثالثًا- من آداب الداعية: الاقتداء بالنبي ﷺ في إتمامه للصفوف:

يتضح هذا من سياق الحديث، ويتضح منه اهتمام النبي ﷺ بإتمام الصفوف، والتأكيد عليها، وهذا يجعل من آداب الداعية أن يقتدى بالنبي ﷺ في هذا ويحرص على إتمام الصفوف.

فعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ. وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ»[٢].

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا تُصَفُّونَ كما تُصَفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟ قُلْنَا: وكَيْفَ تُصَفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟ قال: يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْمُقَدَّمَةَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»[٣].

واقتداء بهدي النبي ﷺ كان عمر رضي الله عنه يهتم بتسوية الصف، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾[٤]، قال ابن كثير: (والمراد أي نقف صفوفًا في الطاعة، وعن الوليد بن عبدالله بن أبي مغيث قال: كانوا لا يصفون في الصلاة حتى نزلت هذه

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٥١٤/٨.

(٢) أخرجه مسلم ٥٢٢.

(٣) أخرجه مسلم ٤٣٠.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٦٥.

الآية فصفوا ، وقال أبو نصرة: كان عمر ﷺ إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال: أقيموا صفوفكم استووا قيامًا ، يريد الله بكم هدى الملائكة ، ثم يقول: "وإنا لنحن الصافون" تأخر يافلان، تقدم يافلان، ثم يتقدم فيكبر ﷺ. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾[1] ، أي نصطف فنسبح الرب ونمجده ونقدسه وننزهه عن النقائص، فنحن عبيد له، فقراء إليه خاضعون لديه)[2].

ولقد ثبت من الحديث حرص النبي ﷺ على تسوية الصف وإتمامه، وإذا كان النبي ﷺ قد فعل ذلك وحرص عليه، فإن الرسول الكريم هو الأسوة والقدوة لنا في جميع شئون الدين والدنيا ، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3]، والداعية الذي يحرص على الاقتداء بالنبي ﷺ إنما يؤثر في نفوس المدعوين، ويحقق لهم أيضًا القدوة الحسنة.

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٦٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ، ٤٤/٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

الحديث رقم (١٠٩٦)

١٠٩٦- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((إنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِنِ الصُّفُوفِ)) رواه أبُو دَاوُدَ[١] بإسنادٍ عَلَى شرط مسلم، وفيه رجل مُخْتَلَفٌ فِي تَوثِيقِهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

ميامن: جمع مَيْمَنَةٍ: اليمين[٣]، أي: الصفوف التي في ميمنة الإمام[٤].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يتسم بإيجاز القصر تصدَّره توكيد بـ(إن) مع اسمية الجملة، ولفظ الجلالة (الله)، وتصدير الكلام به تصدير له بذروة سنام القدسية، والطهر في الألفاظ، وأعمقها دلالة على الإطلاق، وتصدر لفظ الجلالة الكلام له وقع خاصة لاسيما في نفوس المؤمنين الذين تلين قلوبهم لذكره؛ لأنه يبث في النفوس الهيبة، والجلال بقدر صفاء هذه النفوس (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) [سورة الحج: ٢٥]. هذا بالإضافة إلى ما يوفره لفظ الجلالة على الحوار من الخضوع، والإذعان، والإنصات المهيأ للقبول، ولهذا اللفظ الأجلّ من الإشعاع ما ليس للفظ غيره في كل ألفاظ كل لغات البشر، ثم إن بداية الخبر بالتوكيد دون مواجهة بالتكذيب تعظيم

---

(١) برقم (٦٧٦)، وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٢١٦٠)، وقال المنذري في ترغيبه (١/٣٨٨)، والحافظ ابن حجر في الفتح (٢/٢١٣): إسناده حسن. أورده المنذري في ترغيبه (٦٩٧).

(٢) الراوي المختلف فيه، هو: أسامة بن زيد الليثي.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ي م ن).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٨.

للخبر، وبث لهذا الإحساس في نفوس المخاطبين حتى إذا ما قرَّ فيها عملت بموجب هذا الخبر، وذكر الملائكة يوحي بالسكينة، والطمأنينة؛ لأن بينهم، وبين المؤمنين اتصال يتمثل في محبة، وإيمان من المؤمنين، ومحبة، واستغفار، وحفظ، ورعاية من جانب الملائكة، وقوله (يصلون) تصور صيغة المضارع تجدد الفعل، واستمراره مع حركة عُمَّار المساجد السبَّاقون للخيرات، وصلاة الله - عز وجل - مغفرة، ورحمة، وصلاة الملائكة استغفار، وقوله (ميامن) جمع ميمنة وهي جهة اليمين في المكان، وجمعها يشير إلى أن هذا الفضل متعلق بيمين كل صف، وليس الصف الأول فقط، ويعضده جمع الصفوف، وهو يجري مع سنة الرسول ﷺ في التيمن في كل شيء.

فقه الحديث

وفي الحديث استحباب أن يكون المصلي في يمين الصف الأول وما بعده من الصفوف[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على الوقوف في ميامن الصفوف.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ والتزام هديه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث "إن الله وملائكته" وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تجعل المدعو يقبل على المؤكد عليه، ويدل على ثقة الداعية فيما يقول ولذا أكده، وأسلوب التوكيد يستخدم عندما يراد إقناع المدعو بشيء ما، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب التوكيد قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[2]، وقوله

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣/٢٣٣.

(٢) سورة النبأ، الآية: ٣١.

سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾[١]، وقوله جل شانه ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾[٢].

قال الأستاذ علي الجارم: (إن للمخاطب ثلاث حالات:

١- أن يكون خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحال يلقى إليه الخبر خاليًا من أدوات التوكيد.

٢- أن يكون مترددًا في الحكم طالبًا أن يصل إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه.

٣- أن يكون منكرًا له، وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفًا)[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على الوقوف في ميامن الصفوف:

إن الإسلام يحب التيامن في كل شيء، ولذا كان من توجيهاته البدء باليمين في كل أعمال الخير، ومن ثم حث الرسول ﷺ على الوقوف في ميامن الصفوف. ويتضح هذا من الحديث: "إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف"، قال العظيم آبادى: والميامن جمع ميمنة، وفيه استحباب الكون في يمين الصف الأول وما بعده من الصفوف"[٤].

وقال ابن علان: (وقوله: "يصلون على ميامن الصفوف" أى الصفوف التي في ميمنة الإمام، ومنه أخذ أئمتنا أفضلية الوقوف عن يمين الإمام، ولو تعارض مع القرب من الإمام على ما استوجهه أئمتنا، والمراد أنه يسن إذا وصل المأموم المسجد ووجد الناس متوسطين الإمام ووجد فرجة على يمينه وأخرى عن يساره أن يسد فرجة اليمين، فلا يلزم من تفضيل التيامن فوات سنة توسيط الإمام المطلوب أيضًا، ومحل طلب التيامن إذا كانت جهته تسع جميع الجاءين، وإلا سن التسابق إليها، والباقون يصلون

---

(١) سورة القمر، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الانفطار، الآية: ١٣.

(٣) البلاغة الواضحة، علي الجارم - مصطفى أمين - ص ١٨٨.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم ابادي ٣٢٤.

في اليسرى، كما أن السنة إتمام الصف الأول ثم الثاني وهكذا)[١].

وقال الراغب: (واليمين أصله الجارحة، وقوله تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾[٢]، أي منعناه ودفعناه، فَعُبِّر عن ذلك الأخذ باليمين كقولك خذ بيمين فلان عن تعاطي الهجاء وقيل معناه بأشرف جوارحه وأشرف أحواله، وقوله جل شأنه ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾[٣]، أي أصحاب السعادات والميامن، وذلك على حسب تعارف الناس في العبارة عن الميامن باليمين، وعن المشائم بالشمال، واستعير اليمين للتيمن والسعادة. ومن اليمين تُوولَ اليمن، يقال ميمون النقيبة أي مبارك، والميمنة: ناحية اليمين)[٤].

وقال الفيروز آبادي: (واليمن البركة كالميمنة، واليمين الجارحة، وضد اليسار أيضًا البركة، واليمين المنزلة الجليلة، وتيامن ذهب به ذات اليمين، وكان ﷺ يحب التيامن في كل شيء حتى في تنعله وترجله وفي شأنه كله)[٥].

وقال ابن الأثير: (التيمن: الابتداء في الأفعال باليد اليمنى والرجل اليمنى والجانب الأيمن)[٦]، وإذا كان النبي ﷺ يرغب في ميامن الصفوف، فلقد كان هديه ﷺ البداءة باليمين في كل أحواله، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ لَيُحِبُّ التَّيَمُّنَ فِي طُهُورِهِ إِذَا تَطَهَّرَ. وَفِي تَرَجُّلِهِ إِذَا تَرَجَّلَ. وَفِي انْتِعَالِهِ إِذَا انْتَعَلَ»[٧].

قال النووي: (قاعدة الشرع المستمرة استحباب البداءة باليمين في كل ما كان من باب التكريم والتشريف، وأما ما كان بضده فيستحب التياسر فيه، وذلك كله

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٨.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ٤٥.

(٣) سورة الواقعة، الآية٢٧.

(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٥٥٣.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٤٠٦/٥، ٤٠٧.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٠٢٧.

(٧) أخرجه البخاري ٥٣٨٠، ومسلم ٢٦٨ واللفظ له.

بكرامة اليمين وشرفها)[١].

ثالثًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ والتزام هديه:

يتضح هذا من سياق الحديث، ولا شك أن من أهم آداب المدعو الالتزام بهدى النبي ﷺ والاقتداء به في كل الأمور، وذلك تصديقًا لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢]، قال السعدي: "والأسوة نوعان: أسوة حسنة وأسوة سيئة، فالأسوة الحسنة، في الرسول ﷺ فإن المتأسي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم، وأما الأسوة بغيره إذا خالفه فهو الأسوة السيئة. والأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان وخوف الله ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول ﷺ"[٣].

وقال د. صالح بن حميد عن نفس الآية: (ومن دقيق المعنى في هذه الآية الكريمة، أن الله سبحانه جعل الأسوة في رسول الله ﷺ، ولم يحصره في وصف خاص من أوصافه، أو خلق من أخلاقه، أو عمل من أعماله الكريمة، وما ذلك إلا من أجل أن يشمل الاقتداء أقواله عليه الصلاة والسلام وأفعاله وسيرته كلها، فيقتدى به ﷺ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويقتدى بأفعاله وسلوكه من الصبر والشجاعة والثبات والأدب وسائر أخلاقه، كما يشمل الاقتداء بأنواع درجات الاقتداء من الواجب والمستحب وغير ذلك مما هو محل الاقتداء)[٤].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يتضح هذا من الحديث: (إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف"، وأسلوب

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٧٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٦٠٩.

(٤) معالم في منهج الدعوة ٦١.

الترغيب يحبب المدعو في الإقدام على الطاعات وفعل الخيرات انتظارًا لثواب الله عز وجل، "لقد جبل الله النفس البشرية على حب الخير، فالإنسان تواق دائمًا لكل ما يحقق لذاته الخير والفلاح والسعادة، وفي الوقت ذاته حريص على تجنيب نفسه وحفظها من كل مكروه، وأسلوب الترغيب محبب إلى هذه النفس، فأول ما يبدأ الداعية يكون بهذا الأسلوب)[١].

وإذا كان الداعية يجب عليه أن يبدأ بالترغيب، فإنه مطالب كذلك بالموازنة بين الترغيب والترهيب في الدعوة، حتى لا يركز على أسلوب دون الآخر، وقد قال الله عن وظيفة النبي الكريم ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[٢].

وفي الحديث رغب النبي ﷺ في الوقوف على يمين الصف، ببيان أن الملائكة تصلي على ميامن الصفوف، وفي هذا تحفيز للمدعو إلى الحرص على الصلاة، والوقوف في ميامن الصفوف لنيل صلاة الملائكة.

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجارى، ٥١٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

الحديث رقم (١٠٩٧)

١٠٩٧- وعن البراء رضي الله عنه ، قَالَ: كُنَّا إذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُول اللهِ ﷺ أحْبَبْنَا أنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينهِ، يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ((رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ – (أو تَجْمَعُ) – عِبَادَكَ)) رواه مُسلِمٌ[1].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

الشرح الأدبي

تعبير الراوي بـ(كان) إشارة أن هذا الحدث عادة غالبة في الفعل المذكور، واتصال الفعل بـ(نا) الدالة على الجماعة يشير إلى أن الخبر مشهود، وهو ما يُضفي عليه لونا من التأكيد، والظرف المضاف إلى الرسول ﷺ (خَلْفَ رَسُول اللهِ ﷺ) يوحي بشرف المكان وقوله (أحْبَبْنَا أنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينهِ) التعبير بالمحبة يشير إلى أن هواهم صار تبعا لما جاء به الرسول ﷺ وهو ما يجب أن يكون عليه المؤمن، وقوله: (يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ) يصور الفعل المضارع حركة وجه الرسول ﷺ في انتقال من اتجاه القبلة دائرا جهة الصحابة رضي الله عنهم وعيونهم متعلقة بالمطلع المهيب للنور البشري الأعظم، وقوله (رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ – أو تَجْمَعُ – عِبَادَكَ) نداء حذفت منه أداة النداء، وأصله (يا رب) ولعله استشعر قربه لدرجة لم يحتج فيها إلى مد الصوت فلم يذكر أداة النداء، وقد يكون العبد في موقف آخر مستشعرا بعده عن منزلة الزلفى فيمد صوته بـ(يا) أو حتى لمجرد الرغبة في إطالة أمد الكلام، والاستلذاذ بحالة القرب الإلهي، وقوله (قني) أمر من الوقاية قصد به الدعاء وفي الجملتين الأخيرتين سجع بديع يجذب السمع، ويثبت اللفظ، ويؤكد المعنى.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على الوقوف عن يمين رسول الله ﷺ.

---

(١) برقم (٦٢/٧٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٦٩٨).

ثانيًا: من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على الوقوف عن يمين رسول الله ﷺ:

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحرصون على ملازمة رسول الله ﷺ ويتضح هذا من حرصهم على الوقوف عن يمين رسول الله ﷺ، وذلك حيث جاء في الحديث: "كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ أحببنا أن نكون عن يمينه"، قال أبو العباس القرطبي في المفهم: "وقوله: أحببنا أن نكون عن يمينه يقبل علينا بوجهه" يحتمل أن يكون هذا الإقبال منه ﷺ في حال سلامه من الصلاة، فإنه كان يبدأ السلام بيمينه، والأظهر: أنه كان حين انصرافه من الصلاة. ويكون هذا حين كان يكثر أن ينصرف عن يمينه والله أعلم"[(١)].

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون أن يكونوا عن يمين رسول الله ﷺ لأنه ﷺ كان ينصرف عن يمينه، فعن أنس رضي الله عنه قال: «أَكْثَرُ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْصَرِفُ عَنْ يَمِينِهِ»[(٢)]. وقد جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه ما يخالف هذا فعنه رضي الله عنه قال: «لاَ يَجْعَلَنَّ أَحَدُكُمْ لِلشَّيْطَانِ مِنْ نَفْسِهِ جُزْءًا، لاَ يَرَى إِلاَّ أَنَّ حَقًّا عَلَيْهِ، أَنْ لاَ يَنْصَرِفَ إِلاَّ عَنْ يَمِينِهِ. أَكْثَرُ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَنْصَرِفُ عَنْ شِمَالِهِ»[(٣)].

قال النووي في الجمع بينهما: "وجه الجمع بينهما أن النبي ﷺ كان يفعل تارة هذا وتارة هذا، فأخبر كل واحد بما اعتقد أنه الأكثر فيما يعلمه فدل على جوازهما، ولا كراهة في واحد منهما، وأما الكراهة التي اقتضاها كلام ابن مسعود فليست بسبب أصل الانصراف عن اليمين أو الشمال، وإنما هي في حق من يرى أن ذلك لابد منه، فإن من اعتقد وجوب واحد من الأمرين مخطيء، ولهذا قال: يرى أن حقًا عليه، فإنما ذم من

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٣٤٩.

(٢) أخرجه مسلم ٧٠٨.

(٣) أخرجه البخاري ٨٥٢، ومسلم ٧٠٧.

رآه حقًا عليه، ومذهبنا أنه لا كراهة في واحد من الأمرين، لكن يستحب أن ينصرف في جهة حاجته سواء كانت عن يمينه أو شماله، فإن استوت الجهتان في الحاجة وعدمها فاليمين أفضل لعموم الأحاديث المصرحة بفضل اليمين في باب المكارم ونحوها. هذا صواب الكلام في هذين الحديثين، وقد يقال فيهما خلاف الصواب والله أعلم"[١].

وقال ابن حجر معقبًا على ما ذكره النووي: "... ثم ظهر لي أنه يمكن الجمع بين الحديثين بوجه آخر، وهو أن من قال: كان أكثر انصرافه عن يساره نظر إلى هيئته في حال الصلاة، ومن قال كان أكثر انصرافه عن يمينه نظر إلى هيئته في حال استقباله القوم بعد سلامه من الصلاة، فعلى هذا لا يختص الانصراف بجهة معينة، ومن ثم قال العلماء: يستحب الانصراف إلى جهة حاجته. قال ابن المنير: فيه أن المندوبات قد تنقلب مكروهات إذا رفعت عن رتبتها، لأن التيامن مستحب في كل شيء أي من أمور العبادة، لكن لما خشي ابن مسعود أن يعتقدوا وجوبه أشار إلى كراهته، والله أعلم"[٢].

وقال ابن علان: "وفي الحديث الندب إلى تأخر المأموم عن الإمام، وإن كانت المساواة له في الموقف لا تبطل الصلاة، وقوله: "أحببنا أن نكون عن يمينه" أى واقفين بجهة يمناه، وعلل حبهم ذلك على طريق الاستئناف البياني بقوله: "ويقبل علينا بوجهه" وفيه الحث على التيامن وتعمير جهة اليمين"[٣].

ثانيًا - من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ:

إن النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وسمته ودله وهديه قدوة للمسلمين جميعًا، وواجب الداعية التأسي بالنبي ﷺ حتى يضمن لدعوته النجاح والقبول، ويستنبط هذا من الحديث من قول البراء رضي الله عنه : "يقبل علينا بوجهه"، قال القاضي عياض: "وإقبال النبي ﷺ يحتمل أن يكون بعد قيامه من مصلاه، أو يكون ينفتل دون قيام، وفيه أن الإمام لا

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٩٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢/٣٩٤.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٩.

يبقى على حالته في مصلاه، فإما أن يقوم، أو ينحرف عن موضعه، وينفتل بوجهه لئلا يخلط على الناس، ويظن الداخل أنه في الصلاة بعد، ولأنه بتقدمه عُلم بأن الصلاة انقضت، ومقامه هناك من باب التمييز بمكانه عن غيره، وليس فيه شيء من العجب والكبر، كما كره له الصلاة أرفع مما عليه أصحابه، وإن أمن ذلك في حق النبي ﷺ، ونُزِّه عنه، فهو يشير بما يقتدي به بعده"[1].

وقال الشافعي: "فإذا قام المصلي من صلاته إمامًا أو غير إمام فلينصرف حيث أراد إن كان، حيث يريد يمينًا أو يسارًا أو مواجهة وجهه أو من ورائه، انصرف كيف أراد لا اختيار في ذلك أعلمه، لما روى أن النبي ﷺ كان ينصرف عن يمينه وعن يساره وإن لم يكن له حاجة في ناحية، وكان يتوجه ما شاء، أحببت له أن يكون توجهه عن يمينه لما كان النبي ﷺ يحب التيامن غير مضيق عليه في شيء من ذلك"[2].

وقال شبير أحمد العثماني: "وفي قوله: يقبل علينا بوجهه" قال الحافظ: قيل الحكمة في استقبال المأمومين أن يعلمهم ما يحتاجون إليه، فعلى هذا يختص بمن كان في مثل حاله ﷺ من قصد التعليم والموعظة، وقيل: الحكمة فيه تعريف الداخل بأن الصلاة انقضت، إذ لو استمر الإمام على حاله لأوهم أنه في التشهد مثلاً. وقال الزين بن المنير: استدبار الإمام المأمومين إنما هو لحق الإمامة، فإذا انقضت الصلاة زال السبب، فاستقبالهم حينئذٍ يرفع الخيلاء والترفع على المأمومين، والله أعلم"[3].

وينبغي على الداعي أن يتأسي برسول الله ﷺ في ذلك، حتى يحبه المدعوون ويقبلوا عليه كما يقبل هو عليهم، والداعية الناجح هو الذي يدرب نفسه على التأسي برسول الله ﷺ لأنه هو الداعية الأول وإمام الدعاة، وبذا يضمن الداعي لدعوته النجاح والفلاح. "فإذا ربى الداعية نفسه على حب الرسول ﷺ واتباعه، توجه إلى أهله

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٢/٣.

(٢) الأم، الإمام الشافعي ص ٩٨.

(٣) فتح الملهم ٤٤٣/٤.

وأبنائه وعشيرته الأقربين فدعاهم لما يحييهم ويضمن لهم الفوز في الدنيا والآخرة، ثم توجه بالدعوة بعد ذلك لكل من يستطيع دعوتهم. وهذا هو عين الخير وحسن الخلق وكمال الإيمان، وثمرة ذلك كله هو القرب من رسول الله ﷺ في جنة النعيم"[١]. وقد جعل الله الهداية في طاعة الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[٢]، وجعل اتباعه والتأسي به سبب لمحبة الله، قال عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

ثالثًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

حيث جاء في الحديث فسمعته يقول: "رب قني عذابك يوم تبعث أو تجمع عبادك"، ولا شك أن هذا تعليم للصحابة رضي الله عنهم ويعتبر التعليم من وسائل الدعوة المهمة "إن حاجة البشر إلى العلم الكثير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، ولابد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ كي ينصفوا الحق، ويوصلوه إلى الخلق، وإذا كان الاهتداء إلى الحق نعمة جزيلة، وانشراح الصدر به خيرًا غزيرًا فإن أول ما يجب على أصحاب الحق - وقد عرفوه - أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به"[٤].

إن المدعوين قد يخفى عليهم الكثير، ولا يتحقق لهم معرفة ما جهلوا إلا من خلال التعليم لهم، وهذا ما حرص عليه رسول الله ﷺ، فعن أبي رفاعة رضي الله عنه قال: «انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ. قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ. جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ. لاَ يَدْرِي مَا دِينُهُ. قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللّهِ. وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ. فَأُتِيَ بِكُرْسِيَ،

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١/ك و - من مقدمة الناشر.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٤) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة - الشيخ محمد الغزالي، ٣٠٢.

حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا. قَالَ فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ. وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ الله. ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا»[١].

قال النووي: (وفي الحديث استحباب تلطف السائل في عبارته وسؤاله العالم، وفيه تواضع النبي ﷺ، ورفقه بالمسلمين وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم، وفيه المبادرة إلى جواب المستفتي وتقديم أهم الأمور فأهمها، ولعله كان سأل عن الإيمان وقواعده المهمة، وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام وجب إجابته وتعليمه على الفور)[٢].

---

(١) أخرجه مسلم ٨٧٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٧٠.

الحديث رقم (١٠٩٨)

١٠٩٨- وعن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قال رَسُول اللّهِ ﷺ: ((وَسِّطُوا الإمَامَ، وَسُدُّوا الخَلَلَ)) رواه أبُو دَاوُد[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وسِّطوا الإمام: اجعلوه في الوسط، والصفوف وراؤه[2].

الخلل: الفُرجَة والفراغ يكون في الصف، قبل تمامه[3].

الشرح الأدبي

اقتضت طبيعة المقام عند إقامة الصلاة أن يكون الكلام موجز شديد التركيز على المطلوب لشروعهم في الصلاة، ولذلك جاء الحديث كلافتة قصيرة تعجل بالحكم وقوله: (وسطوا الإمام) :أمر توجيه، و'رشاد أي اجعلوه وسط الصف لينال كل أحد عن يمينه وشماله حظه من نحو سماع، وقرب كما أن الكعبة وسط الأرض لينال كل منها حظه من البركة، أو المراد اجعلوه من واسطة قومه أي من خيارهم (وسدوا الخلل) أمر نصح، وإرشاد لتتبع المسافات الخالية بين المصلي، والمصلي، والخلل ما يكون بين الاثنين من الاتساع عند عدم التراص، ونلاحظ أن الفعلين متصلان بواو الجماعة لتشمل جميع المخاطبين لأنها صلاة جماعة، والمأمور به لا يتحقق إلا من خلال تعاون الجماعة عليه.

---

(١) برقم (٦٨١)، أعلّه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٣/٣٥٠) ببشير بن خلاد، وأمه، وهي الجهل بحاله وبحال أمه، وقال الذهبي في المهذب (١٠٣٥/٢): سنده لين.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و س ط).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ل ل).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حث وتوجيه النبي ﷺ للمأمومين بتوسيط الإمام.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على سدّ الخلل في الصفوف وفضل ذلك.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

حيث جاء في الحديث: "وسطوا الإمام" "وسدو الخلل"، وأسلوب الأمر يشعر المدعو بأهمية المأمور به مما يستلزم معه ضرورة تنفيذه وعدم إهماله وتجاهله، وقد أمر الله في القرآن بفعل ما أمر به رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الأمر، قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2]، وقوله تعالى على لسان لقمان الحكيم لابنه: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[3].

"إن الأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء، وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام، كالإرشاد والدعاء والالتماس والتمني والتخيير والتسوية والتعجيز والتهديد والإباحة والامتنان والإهانة والتحقير والاعتبار. وهذه ليست على سبيل الحصر، وإنما هناك صيغ كثيرة تستفاد من السياق"[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حث وتوجيه النبي ﷺ للمأمومين بتوسيط الإمام:

ويتضح هذا من الحديث من قوله: "وسطوا الإمام" قال شرف الحق العظيم آبادي:

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٩.

(٤) البلاغة الواضحة، علي الجارم - مصطفى أمين، ٢١٤.

وسطو الإمام أى اجعلوا إمامكم متوسطًا بأن تقفوا في الصفوف خلفه وعن يمينه وعن شماله"[1]. وقال ابن علان: "أى اجعلوا موقف الإمام وسط المصلى ليقف المأموم عن يمينه وعن يساره"[2]. وقال الشيخ ابن عثيمين: "وقد أمر النبي ﷺ أن يوسط الإمام، فقال: "وسطو الإمام" يعني اجعلوه وسطًا، وهذا هو العدل، ولهذا لما كان في أول الهجرة وكان الناس يصفون إذا كانوا ثلاثة صفًا واحدًا، كان مشروعًا أن يكون الإمام بينهم، لا يكون متطرفًا من حيث اليسار بل يكون بينهم، فدل ذلك على أن توسيط الإمام له أهمية ومن يقف ناحية اليمين في الصف واليسار ليس فيه إلا القليل، فهذا خلاف السنة، لأنه ليس فيه توسيط الإمام والسنة أن يكون اليمين واليسار متقاربين فإذا تساويا فهنا نقول: "الأيمن أفضل فإن زاد رجل أو رجلان في الأيمن فلا بأس"[3].

قال د. الحسيني هاشم: "وفي الحديث الأمر بأن يكون موقف الإمام وسط المصلى ليقف المأموم عن يمينه ويساره، ولا تتركوا خللاً في صفوف الصلاة ليكمل لكم ثواب الجماعة، وليحصل لكم الأجر بالتمام والكمال"[4].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على سدِّ الخلل في الصفوف وفضل ذلك:

يتضح هذا من الحديث "وسدوا الخلل"، قال ابن علان: وقوله: "وسدوا الخلل" أى بأن لا يبقى ثمة ما يسع مصلٍ سدًا لمداخل الشيطان"[5]، ولاشك أنه قد تكاثرت النصوص النبوية في بيان أهمية سد الخلل وفضله. فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((رُصُّوا صُفُوفَكُمْ وَقَارِبُوا بَيْنَهُمَا وَحَاذُوا بِالأَعْنَاقِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ كَأَنَّهَا الْحَذَفُ))[6].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٥.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٩.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٢٠.

(٤) شرح رياض الصالحين، ٥٧٢.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٩.

(٦) أخرجه أبو داود ٦٦٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٦٢١).

إن الحرص على سد الخلل في الصف هو دليل انتظام الجماعة المسلمة، قال الشيخ أبو الحسن الندوي: "وقد كان رسول الله ﷺ شديد الاهتمام بتسوية الصفوف، شديد الإنكار على الإخلال بها، والتفريط فيها، إذ لا تتحقق فوائد الجماعة ولا تكتمل إلا بالمحافظة عليها، وقيام المسلمين فيها كالبنيان المرصوص، ولأن الصلاة والجماعة تربية للحياة كلها، فمن لم يحسن القيام بها لم يحسن شيئًا من عمل الدنيا والآخرة"[1]، وإن في تحقيق النظام في الصلاة من خلال سد الخلل وتوسيط الإمام مظهرًا من مظاهر المساواة في الإسلام.

"إن الصلاة وسيلة لتعارف المؤمنين، وهدم للفوارق الاجتماعية فيما بينهم، فالمسلمون يقفون جميعًا في الصلاة جنبًا إلى جنب متلاصقين، رئيس الدولة يقف إلى جانب أي فرد من أفراد الشعب، والغني يقف ملاصقًا للفقير، وأبيض البشرة إلى جانب أسودها، كل هؤلاء يتقربون إلى الله لا بأموالهم وجاههم، وإنما بطاعة ربهم، وإن الدعوة إلى المساواة والإخاء البشري لا تخرج عن كونها نظريات إذا لم تطبق عمليًا في حياة المرء وفي تفكيره، وقد كان التشريع الإسلامي موفقًا في جعله "الصلاة جماعة" التي كانت من أهم الوسائل لتحطيم الفوارق الاجتماعية، والتعصب للجنس واللون، فوحدت بين المسلمين من كافة الأجناس والألوان، ونفخت فيهم روح الإخاء"[2].

---

(١) الأركان الأربعة ٥٦.

(٢) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ١٧٧، ١٧٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من أساليب التربية: التشويق:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ لأصحابه: «أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟»، فكان هذا السؤال من النبي ﷺ تشويقًا لصحابته الكرام أن يكونوا مثل الملائكة في اصطفافها عند ربها، وهذا أدعى للامتثال من الأمر مباشرة، لأن في التشويق إثارة وجذبًا لانتباه السامعين وترغيبًا لهم في الامتثال والإذعان، فإن "التشويق نوع من التحفيز، وله علاقة بالترغيب لكنه يأتي بعده، فعند حصول الرغبة في الشيء والقناعة به، والتطلع إلى نيله، يمكن أن يحصل الشوق إلى رؤياه، والإسراع في كسبه وتحصيله، وقد كان الرسول ﷺ يقصّ على أصحابه من أخبار الجنة واليوم الآخر، ما يشوّقهم به لحصول المرغوب فيه، فيثير في نفوسهم حب التطلع إلى أخبار الجنة وأحوال أهلها، مما كان له أكبر الأثر في زيادة رغبتهم فيها والسعي نحو تحصيلها، وينتج عن ذلك، استقامةٌ في السلوك وثمارٌ في العادات الجيدة والأخلاق الفاضلة، ونتائج تربوية إيجابية ناجحة"[1].

ثانيًا: التربية الوقائية:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا». وهذا الوصفّ يكون عندما تصلّي النساء مع الرجال دون أن يكن متميزات عنهم، أما إذا كان هناك تميّز أو يصلين معًا دون الرجال، فإن حكمهن يكون حكم الرجال، فيكون خير صفوفهن الصف الأول أما آخرها فيكون شرها، وإنما اختلف حكمهن مع الرجال عن حكمهن إذا تميزن، وذلك بسبب ما قد يعرض للرجال من تعلق وانشغال بهن، فيذهب مقصود الصلاة وهدفها، وهذا يكون منتفيًا إذا كان هناك تميز بين الرجال والنساء، وهذا ما

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية ص ٢٢٣، ٢٢٤.

يوضحه النووي فيقول: "المراد بالحديث صفوف النساء اللواتي يصلين مع الرجال، وأما إذا صلين متميزات لا مع الرجال، فهن كالرجال، خير صفوفهن أولها وشرها آخرها، والمراد بشر الصفوف في الرجال والنساء أقلها ثوابًا وفضلاً وأبعدها من مطلوب الشرع وخيرها بعكسه، وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك، وذم أول صفوفهن لعكس ذلك، والله أعلم"(١).

أي يمكن القول: إن الحديث الشريف يقصد إلى التربية الوقائية، وذلك بمنعه ما يؤدي إلى بعض المفسدة التي قد تعيق تحقيق المصلحة المبتغاة من الصلاة، وهكذا الشأن فيما يتشابه مع ذلك أو يكون قريبًا منه، لذا كانت الوقاية أصلاً من أصول التربية الإسلامية، سواء في الأمور الجسدية أم الأخلاقية، إن الوقاية هي المرادف لـ "درء المفاسد"، وهي المرادف لقاعدة: كل ما أدى إلى الحرام فهو حرام، والوقاية في المحصلة النهائية ليست إلا الحذر مما يؤدي إلى الضرر، وهذه المحصلة نفسها هي ما تنتهي إليه في المجالات الفكرية والعقدية والأخلاقية والتشريعية، كل القواعد التي تنهى عما يقرب من الحرام أو المفاسد أو أهل الحرام أو أهل الفساد(٢).

ثالثًا: التربية على المبادرة والسبق إلى الخيرات:

وهذا مستمد من ترغيب النبي ﷺ في الصلاة في الصف الأول، وهذا يلزم عنه في الأغلب الأعم المبادرة إلى المسجد قبل إقامة الصلاة بوقت كافٍ، ومما قد يلزم عنه بدوره الإتيان بالسنة القبلية للصلاة، وما زاد عن ذلك يُشغل بقراءة القرآن والذكر والدعاء ونحو ذلك من وجوه الخير.

فكان في هذا تربية على المبادرة والمسابقة إلى الخيرات، وعلى أهل التربية أن يربوا أتباعهم على ذلك، لأن في ذلك تحقيق الخير لهم في الدنيا والآخرة، وتحصيلُ أفضل الأعمال وأحسنها وأرغبها، كما أن ذلك يجعل في المجتمع اتجاهًا عامًا إلى المنافسة والمبادرة في فعل

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٣٦٩ الدولية.

(٢) موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، ٣١٠/١ بتصرف، وانظر: أصول التربية الإسلامية ص ٦٠ - ٧٠.

الخيرات، ومما يلزم عنه المنافسة في ترك الشرور والسيئات والأفعال القبيحة.

وإن مجتمعًا يتربى أفراده على هذه الروح لمجتمع سعيد حقًا، فيه تظهر آثار التربية الحقة وثمارها اليانعة.

"إن مما يدفع المؤمن إلى المبادرة أنه يشعر كأن كل يوم تبزُغ شمسه أو ينشق فجره، يناديه بصوت جهير: أيها الإنسان أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد فتزود مني واغتنمني بعمل الصالحات، فإني إذا مضيت لا أعود أبدًا.

وهو الذي يخشى أن تنفلت الأيام من يديه خاوية من العمل والإنتاج، فلا يؤخر عمل اليوم إلى غدٍ، لأن للغد عمله الذي يزحمه، فلا يتسع لعمل غيره من الأيام.

وهو كذلك حريص على أن يكون يومُه خيرًا من أمسه، وغدُه خيرًا من يومه، وأن يطيل حياته -بعد موته- بطول أعماله، ويمد عمره بامتداد الجميل من آثاره، إنه يحرص أن يخلف وراءه علمًا نافعًا أو عملاً طيبًا أو مشروعًا مثمرًا أو صدقة جارية أو ذرية صالحة، وعلى قدر ما يمتد ويبقى الأثر الذي يخلفه وعلى قدر ما ينتفع الناس به، تكون مثوبته عند الله"[1].

رابعًا: التربية على النظام:

وهذا مستمد من ترغيب النبي ﷺ في الاصطفاف كما تصطف الملائكة عند ربها عز وجل، فأخبر ﷺ أن الملائكة "يتمون الصفوف الأول، ويتراصون في الصف"، وكان النبي ﷺ يمسح مناكب أصحابه رضي الله عنهم ويقول: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم»، وكان ﷺ ويقول: «سووا صفوفكم، فإن تسوية الصف من تمام الصلاة»، وأقبل النبي ﷺ على أصحابه رضي الله عنهم وقال لهم: «أقيموا صفوفكم وتراصُّوا»، وأكد النبي ﷺ أمر تسوية الصفوف فقال: «لتُسَوُّنَّ صفوفَكم، أَو ليُخالفَنَّ اللهُ بينَ وُجوهِكم». وكان ﷺ يسوِّي صفوف الصلاة حتى كأنما يسوِّي بها القداح، ونحو ذلك، وكان ﷺ حريصًا على إتمام الصف الأول فالأول، فقال ﷺ:

---

(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٣٠٥.

«أَتِمُّوا الصَّفَّ الْمُقَدَّمَ ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِّ الْمُؤَخَّرِ». ونحو هذا. مما يلزم عنه الانتظام في الصفوف وفي ترتيب الصفوف وفي رصّها، وإذا كان هذا مطلوبًا في الصلاة، وهي أفضل العبادات وأشرفها وأجلّها، فمن باب أولى يكون مطلوبًا في كل مناحى الحياة التي تتطلب النظام والترتيب والهيكلة، فعلى المربين أن يربوا الناشئة على ذلك، حتى ينشأوا منظمين مرتبين، تسير حياتهم وفق خطوات منظمة ومراحل مرتبة، وفي ذلك فوائد تربوية مهمة، منها:

أ - إظهار الناشئة وغيرهم بمظهر جمالي ترتاح له النفس وتقرّ به العين، وفي هذا تربية جمالية تجمل الحياة والمعيشة وتزينها.

ب - تعويد الناشئة وغيرهم على الانتظام في الجماعة والعمل في إطارها، ومن ثم الالتزام بها والعمل على تحقيق أهدافها العامة التي تفيد جميع أفرادها.

ج - تربية الناشئة على التزام النظام في حياتهم وأعمالهم وأفعالهم، فلا يضيع كثير من الوقت أو الجهد في التخطيط لها أو إنجازها وفعلها.

خامسًا: التربية على الإقدام وعدم التراجع والتأخر:

وهذا مستمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا، فَقَالَ لَهُمْ: «تَقَدَّمُوا فَائْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّه»، فالنبي ﷺ لما رأى في أصحابه تأخرا عن الصفوف الأولى[1] بادر ﷺ بأن يتقدموا إلى الصف الأول، ليقتدوا به في أفعاله في الصلاة، ويقتدي بهم من بعدهم، وحذّرهم من التأخير، لأن ذلك يؤدي إلى أن يؤخرهم الله عن رحمته أو عظيم فضله، ورفع المنزلة ونحو ذلك[2].

إن من الدروس التربوية المستفادة من أمر النبي ﷺ لأصحابه بالتقدم وعدم التأخر والإتمام: دفع المسلم إلى الإقدام على تحصيل الفضل والثواب، من خلال القيام بالأعمال

---

(١) انظر: شرح مسلم، النووي ص ٣٦٨.

(٢) المرجع السابق، ٣٦٨.

النافعة، وهذا لون من ألوان التربية الإسلامية التي تجعل الكيفية التي يكون عليها المسلم في صلاته - من التقدم للصفوف الأولى والإتمام وعدم التأخر- نقطة انطلاق في الحياة العملية مما يجعل المسلم يغتنم الفرص بسبب الإقدام المدروس، ولذا فإننا نلحظ في حياتنا أناسًا تفوتهم الفرص الثمينة بسبب ترددهم وتراجعهم وعدم قدرتهم على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، لأنه لا يملك الشجاعة التي تؤهله للتعامل مع المواقف الحاسمة نظرًا لأنه يعاني التردد والوسوسة ويحتاج إلى من يقوده، ولذا فإن النبي ﷺ أكد على أهمية التقدم في الصفوف وإتمامها وعدم التأخر، مما يُعد نوعًا من أنواع التربية الجادة، وقد عمل على تعزيز هذا التوجيه بالتحذير من مغبة التأخر بقوله: «لاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّه».

سادسًا: التربية بالاقتداء:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «تقدموا فأْتَمُّوا بي، ولْيَأْتم بكم من بعدكم» فالنبي ﷺ أمرهم بأن يقتدوا به ﷺ في صلاته، كما أمر من خلفهم بالاقتداء بهم رضوان الله عليهم، وفي ذلك تربية بالاقتداء، وإذا كان هذا في الصلاة، فإنه يكون كذلك في التربية والتوجيه والإرشاد، وهذا واقع في حياة الناس بلا ريب ولاشك، فالابن يقلّد أباه، وعندما يشبّ ويكبر يقلده ابنه وهكذا تنتقل الأخلاق والآداب، وهذا معمول به في الإسلام لكن منضبط بقواعد الإسلام وآدابه.

ولا شك أن القدوة لها فائدة مهمة جدًا، يقول الأستاذ عبدالرحمن النحلاوي: "مهما يكن من أمر إيجاد منهج تربوي متكامل ورسم خطة محكمة لنمو الإنسان وتنظيم مواهبه وحياته النفسية والانفعالية والوجدانية والسلوكية واستنفاذ طاقاته على أكمل وجه مهما يكن من ذلك كله، فإنه لا يغني عن وجود واقع تربوي يمثله إنسان مُربٍّ يحقق بسلوكه وأسلوبه التربوي، كل الأسس والأساليب والأهداف التي يراد إقامة المنهج التربوي عليها، لذلك بعث الله محمدًا ﷺ عبده ورسوله ليكون قدوة للناس يحقق المنهج التربوي الإسلامي، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]".

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

ولقد سُئِلَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»[١]، وحقًا كان رسول الله ﷺ بشخصه وشمائله وسلوكه وتعامله مع الناس، ترجمة عملية بشرية حية لحقائق القرآن وتعاليمه وآدابه وتشريعاته ولما فيه من أسس تربوية إسلامية وأساليب تربوية قرآنية"[٢].

سابعًا: التربية على النُّفور من الاختلاف المذموم:

وهذا مستمد من عدة أحاديث في الباب، منها: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم»، وقوله ﷺ: «لتُسَوُّنَّ صفوفَكم، أَو ليُخالفَنَّ اللّهُ بينَ وُجوهِكم». وقوله ﷺ: «عباد الله: لتُسَوُّنَّ صفوفَكم، أَو ليُخالفَنَّ اللّهُ بينَ وُجوهِكم»، قال النووي: "والأظهر والله أعلم أن معناه يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب، كما يقال تغير وجه فلان عَلَيّ. أي ظهر من وجهه كراهة لي، وتغير قلبه علي؛ لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم، واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن"[٣]. أي أن النبي ﷺ حذر من الاختلاف في الظاهر الذي يسبب الاختلاف في الباطن، أي أن النبي ﷺ ينفر من الاختلاف المذموم الذي تختلف فيه القلوب والأهواء والرغبات والنزعات بحيث يؤدي إلى الضعف والقلة وطمع الأعداء وذهاب القوى والقدرات سدى دون فائدة، وإنك "لو أُجلت النظر في حال المسلمين اليوم لوجدتهم متفرقين مختلفين عن اليمين وعن الشمال عزين، وكل حزب بما لديهم فرحون إلا من رحم ربك وقليل ما هم.

فالفرقة والاختلاف من أسباب الهزيمة والضعف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[٤]. وبسبب ذلك ينال العدو نيله من الأمة ويتمكن من التغلغل فيها، والإيضاع خلالها، ابتغاء فتنتها وصدها عن دينها وتوهين قواها. وبسبب الخلاف تتفرق

---

(١) أخرجه مسلم، ٧٤٦، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها ص ٢٠٥ ومرجعه.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٦٧، ٣٦٨.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

الكلمة وتبدد الجهود، وتتقبض الأيدي عن التعاون. وإن المصيبة لتعظم وإن الخطب ليجل عندما يقع الخلاف بين خاصة المسلمين وبين أهل العلم والفضل.

ولن يغرق المرء في المثالية فيحلم بألا يوجد خلاف البتة، فذلك غير ممكن فسنة الله اقتضت وجود الخلاف، فليست المشكلة أن نختلف، وإنما هي ألا نعرف كيف نختلف وليس الحل بألا نختلف أبدًا، وإنما هو بألا نصعد الخلاف، وألا نسعى في إذكائه، وبأن نعرف كيف نختلف كما نعرف كيف نتفق، كما كان الصحابة رضي الله عنهم.

فهم خير الناس حال الوفاق وحال الخلاف فمع أن الخلاف وقع بينهم في العديد من المسائل إلا أن قلوبهم كانت متوادة متراحمة متقاربة متآلفة، بل لقد كانوا رضي الله عنهم مثالاً يحتذي ونهجًا يقتفى حتى في حال الفتنة والقتال، فبرغم ما حصل بينهم من قتال وفتنة إلا أن منار العدل والتقوى كان قائمًا فيهم، فلم يكفر بعضهم بعضًا ولم يبدع بعضهم بعضًا. بل لقد كانوا يأخذون العلم من بعض، ويلتمسون المعاذير لبعض، بل كانوا يثنون على بعض، ويترحمون على بعض.

ولهذا كان حريًا بمن له جاه، أو منزلة أو قدرة أن يسعى سعيه، وأن يبذل قصارى جهده لرأب الصدع، وإصلاح ذات البين، وجمع كلمة المسلمين على الحق المبين، فهذا من أعظم الجهاد، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها[1]، وقال تعالى ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[2]، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

ثامنًا: التربية على تقديم أهل الفضل والعلم:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «لِيَلِيَنِّي مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلَامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». قال النووي: "في هذا الحديث تقديم الأفضل فالأفضل إلى الإمام لأنه أولى

---

(١) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٩٠، ٩١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٤.

بالإكرام، ولأنه ربما احتاج الإمام إلى استخلاف فيكون هو أولى، ... وليضبطوا صفة الصلاة ويحفظوها وينقلوها ويعلموها الناس، وليقتدي بأفعالهم من وراءهم، ولا يختص هذا التقديم بالصلاة، بل السنة أن يقدم أهل الفضل في كل مجمع إلى الإمام وكبير المجلس، كمجالس العلم والقضاء والذكر والمشاورة ومواقف القتال وإمامة الصلاة والتدريس والإفتاء وإسماع الحديث ونحوها، ويكون الناس فيها على مراتبهم في العلم والدين والعقل والشرف والسن والكفاءة"[١].

إن "مما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: محبة العلماء العاملين، والأئمة المجتهدين والاعتراف بفضلهم وحبهم في الله عز وجل، والاحتجاج بإجماعهم، واعتقاد أن اجتهادهم لنا خير من اجتهادنا لأنفسنا"[٢]، ولاشك أن في تربية الناشئة على تقديم أهل الفضل والعلم عدة فوائد تربوية منها:

أ - الدعوة للناشئة وغيرهم لأن يكونوا من أهل العلم والفضل، أو على الأقل الاقتداء بهم وفعل أفعالهم.

ب - إعلاء قيم التبجيل والاحترام والتقدير في نفوس الناشئة.

ج - الاستفادة من أهل العلم وأهل الفضل وإنزالهم المنزلة اللائقة بهم.

تاسعًا: التربية بالممارسة العملية:

المنهج التربوي النبوي منهج عملي مؤثر يعتمد الممارسة العملية أساسًا من أسس التغيير الإيجابي، والتوجيه للسلوك الأفضل، حيث يرى النبي ﷺ أن التطبيق العملي له تأثير عظيم في النفوس، يستنبط ذلك من قيام النبي ﷺ بتسوية الصفوف، من ذلك: أن رسول الله ﷺ كان يسوِّي صفوفنا حتى كأنما يسوي القداح حتى رأى أنا قد عقلنا عنه. ومن ذلك أيضًا قول البراء بن عازب رضي الله عنهما: «كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ ناحِيَةٍ إِلَى نَاحِيَةٍ، يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا»، فقد كان النبي ﷺ

---

(١) شرح صحيح مسلم، ٣٦٦، ٣٦٧.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص ١٠٥.

لا يكتفي بأمر أصحابه بتسوية الصفوف فقط، بل كان يقوم أيضًا بتسوية صفوف المصلين من أصحابه يعتني بذلك أشد الاعتناء، فكان يربيهم بالفعل والممارسة، كما يربيهم بالقول، "لقد كان من أسلوب النبي ﷺ أن يعلم أصحابه بالممارسة العملية، لذا فإن على المربي دائمًا أن يربي طلابه على أن يعتزموا أن يحققوا في حياتهم ما يدرسهم إياه، وأن يلقى إليهم بأسئلة من واقع الحياة، ليتأكد كيف سيطبقون علمهم في مواقف معينة من حياتهم الفردية والاجتماعية، ويكرر هذا في كل درس جديد يلقيه عليهم. وقد حكى عن بعض علماء السلف أن العلم ينقص أو ينسى بترك العمل به أو الدعوة إليه أو نشره، ويزداد متانة بالعمل به والدعوة إليه وتعليم الناس، وهذه حقيقة من حقائق التربية وعلم النفس التي أثبتتها تجربة هذه العلوم، وقد سبق إليها الإسلام بعدة قرون. فمن البدهى أن التعليم بالأسلوب العملي أو بقصد التطبيق أوقع للنفس وأدعى إلى ثبات العلم واستقراره في القلب والذاكرة"[1].



(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢١٢، ٢١٣.

١٩٥ - باب فضل السنن الراتبة مع الفرائض
وبيان أقلها وأكملها وما بينهما

الحديث رقم (١٠٩٩)

١٠٩٩ - عن أُمِّ المُؤْمِنِينَ أُمِّ حَبِيبَةَ رملة بِنْتِ أبي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي للهِ تَعَالى كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيرَ الفَرِيضَةِ، إلاَّ بَنَى الله لَهُ بَيْتًا في الجَنَّةِ، أو إلاَّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الجَنَّةِ)) رواه مُسلِمٌ[1].

ترجمة الراوي:

أم حبيبة: هي رَملةُ بنت أبي سفيان بن حرب، "أم المؤمنين".

من أزواج النبي ﷺ، وهي أخت معاوية رضي الله عنه، ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عامًا، وكانت من فصيحات قريش، ومن ذوات الرأي والحصافة، تزوجها أولاً عبيد الله بن جحش، فأسلما، ثم هاجرا إلى الحبشة (في الهجرة الثانية) فولدت له حبيبة، وبها كانت تكنى، ثم ارتدَّ متنصرًا، فأعرضت عنه حتى مات.

فأرسل إليها رسول الله ﷺ يخطبها وعهد للنجاشي "ملك الحبشة" بعقد نكاحه عليها، ووكلت هي خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، وأمهرها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار، وأولم عليها عثمان بن عفان لحمًا، وقيل أولم عليها النجاشي، وبعث إليها رسول الله ﷺ شُرحْبيل ابن حَسَنَةَ، فجاء بها، وذلك سنة ٧هـ وقيل ٦هـ.

ولما بلغ الخبر إلى أبي سفيان -وكان ما زالَ على دين الجاهلية- أن رسول الله ﷺ نكح أم حبيبة ابنته عجب له وقال "ذلك الفحل، لا يُقْدَعُ[2] أنفه".

---

(١) برقم (١٠٣/٧٢٨). أورده المنذري في ترغيبه (٨٢٧).

(٢) فحل لا يُقْدَعُ انفه: قَدَعَ الفحل: ضرب أنفه بشيء ليرتد، وفحل لا يقدع أنفه: اي كريم. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية مادة قدع.

وهـي الـتي منعـت أباهـا - أبوسـفيان - مـن أن يجلـس علـى فـراش رسـول الله ﷺ عندما دخل عليهـا بعـد أن قـدم المدينـة مـن أجل أن يؤكّـد عقـد الهدنـة، وقالـت لـه: أنـت امرؤ نجسٌ مشرك.

وعند وفاتها دعت عائشة رضي الله عنها: وقالت لها: قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فتحلّليني من ذلك فحلّلَتْها، واستغفرت لها، ثم قالت لها: سررتني سرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة بمثل ذلك.

وقد روت عن النبي ﷺ جُلة أحاديث بلغت ٦٥ حديثًا.

وتوفيت بالمدينة سنة ٤٤هـ، وقيل ٤٢هـ، وقيل ٥٩هـ وهو بعيد، ودفنت بالبقيع[١].

الشرح الأدبي

يدور معنى الحديث حول الترغيب في صلاة النافلة التي تمثل يوم القيامة مخزون العبد الاحتياطي عندما يحاسب على صلاة الفريضة تكون مصدر مدد يكمل منه ما نقص في الفريضة، أو يرفع بها الدرجات، وينال بها عظيم الأجر، وقد جاء المعنى في ثوب القصر بطريق النفي، والاستثناء وقد قصر معنى صلاة العبد ثنتي عشر ركعة بالشرط المذكور على بناء الله له بيتا في الجنة، ونلاحظ أن النفي جاء عاما مستغرقا للجنس من حيث دخول النفي على النكرة التي تسبقها من، وقوله (تطوعا) تكميل بلاغي يخرج الفريضة، ويشير إلى خصوصية الطواعية التي توحي بالرضا، والمحبة، وقوله من غير الفريضة توكيد لمعنى التطوع، والتعبير بالبيت مع أن ما في الجنة قصور

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٩٦/٨ - ١٠٠)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي (١٦٨٨)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٩٠١ - ٩٠٢)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١١٦/٧ - ١١٨)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٣٤/٨)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٧٣/٤)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٣٣/٣)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٢١٨/٢ - ٢٢٣)، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٨٤/١ - ١٩٢).

ليستصحب مدلول اللفظ المكنون في النفوس تجاهه من الشعور بالراحة، والسكن، والطمأنينة، والإحساس بالملك، والتعبير بالقصر لا يستصحب كثيرا من هذه المعاني لأنهم لم يعيشوا فيها، وتنكير البيت للتعظيم، وتعلق الجار والمجرور (في الجنة) بالفعل (بنى) يوحي بشرف البيت وحسنه، وبهائه ويقرر أنه قصر شامخ، والتعبير بالماضي (بنى) يفيد أنه سابق التجهيز، ونسبته لله تعالى تؤكد تحقق البناء مع عظمة المبنى لارتباط الأثر بالمؤثر.

فقه الحديث

١ - عدد ركعات السنن الرواتب:

قال النووي: (في حديث أم حبيبة: "من صلّى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بنى له بهن بيت في الجنة" وفي رواية: "ما من عبدٍ مسلمٍ يصلّي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير الفريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة"[(١)] وفي حديث ابن عمر: "قبل الظهر سجد سجدتين وكذا بعدها وبعد المغرب والعشاء والجمعة"[(٢)] وزاد في صحيح البخاري قبل الصبح ركعتين[(٣)] وهذه اثنتا عشرة ركعة. وفي حديث عائشة هنا: "أربعًا قبل الظهر وركعتين بعدها وبعد المغرب وبعد العشاء وإذا طلع الفجر صلّى ركعتين"[(٤)] وهذه اثنتا عشرة أيضًا، وليس للعصر ذكر في الصحيحين، وجاء في سنن أبي داود وإسناده صحيح عن علي ﵁ أن النبي ﷺ كان يصلّي قبل العصر ركعتين[(٥)]، وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: رحم الله امرأً صلّى قبل العصر أربعًا، رواه أبو داود والترمذي

---

(١) أخرجه مسلم ٧٢٨، ١٠١.

(٢) أخرجه البخاري ١١٧٢، ومسلم ٧٢٩، ١٠٤.

(٣) أخرجه البخاري ١١٧٣ من حديث ابن عمر عن أخته حفصة }.

(٤) أخرجه مسلم ٧٣٠ مطولًا.

(٥) أخرجه أبو داود ١٢٧٢.

وقال: حديث حسن[(١)]. وجاء في أربع بعد الظهر حديث صحيح عن أم حبيبة قالت: قال رسول الله ﷺ: "من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار" رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[(٢)].

وفي صحيح البخاري عن ابن مغفل أن النبي ﷺ قال: "صلُّوا قبل المغرب" قال في الثالثة لمن شاء[(٣)].

وفي الصحيحين عن ابن مغفل أيضًا عن النبي ﷺ "بين كل أذانين صلاة" المراد بين الأذان والإقامة. فهذه جملة من الأحاديث الصحيحة في السنن الراتبة مع الفرائض، قال أصحابنا وجمهور العلماء بهذه الأحاديث كلها واستحبوا جميع هذه النوافل المذكورة في الأحاديث السابقة، ولا خلاف في شيء منها عند أصحابنا إلا في الركعتين قبل المغرب، ففيهما وجهان لأصحابنا أشهرهما: لا يستحب. والصحيح عند المحققين استحبابهما بحديثي ابن مغفل، وبحديث ابتدارهم السوارى بها وهو في الصحيحين[(٤)].

قال أصحابنا وغيرهم: اختلاف الأحاديث في أعدادها محمول على توسعة الأمر فيها وأن لها أقل وأكمل، فيحصل أصل السنة بالأقل، ولكن الاختيار فعل الأكثر الأكمل)[(٥)].

٢ - استحباب المواظبة على السنن الرواتب:

قال ابن حجر عن حديث ابن عمر: (فيه حجة لمن ذهب إلى أن الفرائض رواتب تستحب المواظبة عليها وهو قول الجمهور. وذهب مالك في المشهور عنه إلى أنه لا توقيت

---

(١) أخرجه أبو داود ١٢٧١، والترمذي ٤٣٠.

(٢) أخرجه أبو داود ١٢٦٩، والترمذي ٤٢٨.

(٣) أخرجه البخاري ١١٨٣.

(٤) أخرجه البخاري ٥٠٣، ومسلم ٨٣٧، ٣٠٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧/٦/٣ - ٨، وانظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧٧/٢٥ - ٢٧٨.

في ذلك؛ حماية للفرائض، لكن لا يمنع من تطوع بما شاء إذا أمن ذلك، وذهب العراقيون من أصحابه إلى موافقة الجمهور)[١].

٣ - التطوع بين الأذان والإقامة:

قال ابن حجر: (ولم يختلف العلماء في التطوع بين الأذان والإقامة إلا في المغرب ... ومجموع الأدلة يرشد إلى استحباب تخفيفهما [أي تخفيف الركعتين قبل صلاة المغرب] كما في ركعتي الفجر)[٢].

المضامين الدعوية [٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الحرص على صلاة النوافل وفضلها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل المواظبة على صلاة ثنتي عشرة ركعة تطوعًا كل يوم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: مكانة ابن عمر رضي الله عنه.

خامسًا: من واجبات الداعية: بيان السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدها.

أولاً - من موضوعات الدعوة: أهمية الحرص على صلاة النوافل وفضلها:

هذا ما يستفاد من نص الحديث: (والنفل لغة: الزيادة)[٤]، "والنافلة ما يفعله الإنسان مما لا يجب عليه، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[٥]"[٦]، وقد كان من نعم الله عز وجل أن شرع لعباده نوافل زائدة عن الفريضة لتكمل بها

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣/٥١ .

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢/١٠٦، ١٠٧ ، وانظر شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٦/١٠٣ - ١٠٤ . وانظر كذلك فتح الباري.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٠٩٩ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٠٠).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٩٤٣.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤١/١٠٠.

الفرائض، لأن الفرائض لا تخلو من نقص"(١)، وهذا فضلاً عما دلت عليه السنة النبوية "من أن إدامة النوافل بعد الفرائض تفضي إلى محبة الله تعالى للعبد وصيرورته من جملة أوليائه الذين يحبهم ويحبونه"(٢)، فقد قال النبي ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأعِيذَنَّهُ))(٣)، قال ابن حجر: "في قوله: (بالنوافل حتى أحبه)، ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة التقرب بالنوافل، وقد استشكل بما تقدم أولاً أن الفرائض أحب العبادات المتقرب بها إلى الله فكيف لا تنتج المحبة؟ والجواب أن المراد من النوافل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها.. وقد جرت العادة أن التقرب يكون غالبًا بغير ما وجب على المتقرب كالهدية والتحفة بخلاف من يؤدي ما عليه(٤)، وهذا ما أكده ابن رجب في قوله: "إن أولياء الله على درجتين: إحداهما: المتقربون إليه بأداء الفرائض، وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين، وأداء الفرائض أفضلُ الأعمال كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أفضل الأعمال أداءُ ما افترض الله، والورع عما حرّم الله، وصدق النية فيما عند الله عز وجل)، وقال عمر بن عبدالعزيز في خطبته: (أفضل العبادة أداء الفرائض، واجتنابُ المحارم، وذلك لأن الله عز وجل إنما افترض على عباده هذه الفرائض ليقربهم منه، ويوجب لهم رضوانه ورحمته ...).

الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين، وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع، وذلك يوجب

---

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٣٢١.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٢٢٥.

(٣) أخرجه البخاري ٧٥٠٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١١/٣٥١.

للعبد محبة الله، كما قال: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)، فمن أحبه الله رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته، فأوجب له ذلك القرب منه، والزلفى لديه، والحظوة عنده"[١]، وفي ذلك بيان على فضل صلاة النوافل وأهمية المحافظة عليها.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل المواظبة على صلاة ثنتي عشرة ركعة تطوعًا كل يوم:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: (ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير الفريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة)، ففضلاً عن عِظم الأجر في المحافظة على ثنتي عشرة ركعة في اليوم من بناء بيت في الجنة لمن قام بذلك، إلا أن من أهم الفضائل المترتبة على المحافظة على أداء النوافل هي إكمال ما نقص للعبد من صلاة الفرض، وقد بيّن النبي ﷺ ذلك فقال: ((إنَّ أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عملِهِ صَلاتُه، فإن صَلُحَتْ فقد أفلحَ وأنجحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خابَ وخسرَ، فإن انتقصَ من فريضته شيئًا قال الرب تبارك وتعالى: أنظروا هل لعَبْدِيَ منْ تطوعٍ؟ فيُكمِلُ بها ما انتقصَ من الفريضةِ، ثم يكونُ سائرُ عملِهِ على ذلك))[٢].

قال المباركفوري: "وقوله ﷺ: (ما انتقص من الفريضة) قال العراقي في شرح الترمذي: يحتمل أن يراد به ما انتقصه من السنن والهيئات المشروعة فيها من الخشوع والأذكار والأدعية، وأنه يحصل له ثواب ذلك في الفريضة وإن لم يفعله فيها وإنما فعله في التطوع، ويحتمل أن يراد به ما انتقص أيضًا من فروضها وشروطها، ويحتمل أن يراد ما ترك من الفرائض رأسًا فلم يصله فيعوض عنه من التطوع. والله سبحانه وتعالى يقبل من التطوعات الصحيح عوضًا من الصلوات المفروضة انتهى. وقال ابن العربي: يحتمل أن يكون يكمل له ما نقص من فرض الصلاة وأعدادها بفضل التطوع، ويحتمل ما نقصه

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٣٣٦ - ٣٣٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٤١٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٣٣٧).

من الخشوع عندي أظهر لقوله ثم الزكاة كذلك وسائر الأعمال، وليس في الزكاة إلا فرض أو فضل، فكما يكمل فرض الزكاة بفضلها، كذلك الصلاة، وفضل الله أوسع ووعده أنفذ وعزمه أعم انتهى (ثم يكون سائر عمله على ذلك) أي إن انتقص فريضة من سائر الأعمال تكمل من التطوع"[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترغيبه ﷺ في المحافظة على صلاة ثنتي عشرة ركعة تطوعًا في اليوم، وذلك ببناء بيتٍ في الجنة لمن كان ذلك فعله، "والترغيب من الأساليب الدعوية المهمة التي يستعين بها الداعية على حمل المدعو إلى فعل ما فيه خير وصلاح له، وذلك بعد أن شوّق نفسه إلى فعل المرغب فيه"[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: مكانة ابن عمر رضي الله عنه:

يستفاد ذلك في الحديث من قوله رضي الله عنه: (صليت مع رسول الله ﷺ)، فهو الذي قال فيه النبي ﷺ: ((نعمَ الرجلُ عبدُاللهِ لو كانَ يُصلّي منَ الليلِ. فكان بعدُ لا يَنامُ مِنَ الليلِ إلاَّ قَليلاً))[٣]، وقال فيه ابن مسعود رضي الله عنه: (إن أملك شباب قريش لنفسه في الدنيا عبدالله بن عمر)، وقال فيه سعيد بن المسيب: "لو شهدت لأحدٍ من أهل الجنة لشهدت لابن عمر"[٤]، وقال فيه ابن المبارك: "أنبأنا عمر بن محمد بن زيد أن أباه أخبره أن عبدالله بن عمر كان له مهراس فيه ماء فيصلي ما قدر له، ثم يصير إلى الفراش فيغفي إغفاء الطائر، ثم يقوم فيتوضأ ثم يصلي فيرجع إلى فراشه فيغفى إغفاء الطائر، ثم يثب فيتوضأ، ثم يصلي يفعل ذلك في الليل أربع مرات أو خمسًا"[٥].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٠٧/١.

(٢) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧٣٨.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١٢/٣.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ص ٩٠٨.

وقيل لنافع: "ما كان يضع ابن عمر في منزله؟ قال: لا تطيقونه: الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما"[١].

"وقد كان ﵁ من أحرص الصحابة ﵃ في التحري عن أفعال النبي ﷺ، حتى في أدق التفاصيل، وقد حفظت لنا الوثائق الحديثة نماذج كثيرة من ذلك، تكشف لنا عن دوافع نفسية عميقة التأثير بحب النبي ﷺ، وقد كان هذا هو المعنى في مفتاح فقه ابن عمر ﵄، والسمة الرئيسة لما ينقل عنه من الآراء التشريعية"[٢] "وخير دليل على ذلك قول ابن وهب عن مالك، عمن حدثه: "إن ابن عمر كان يتبع أمر رسول الله ﷺ، وآثاره وحاله، ويهتم به، حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك"[٣]، وعن عائشة ﵂ قالت: (ما رأيت أحدًا ألزم للأمر الأول من ابن عمر)[٤]، وقال أبو جعفر الباقر: "كان ابن عمر إذا سمع من رسول الله ﷺ حديثًا لا يزيد ولا ينقص، ولم يكن أحد في ذلك مثله"[٥]، وقال نافع عن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَوْ تَرَكْنَا هذَا الْبَابَ لِلنِّسَاءِ))، قال: نافع فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات"[٦]. وفي ذلك بيان على حرصه ﵁ على متابعة أحوال النبي ﷺ وأفعاله والاقتداء بها، وفي ذلك عظيم منزلته ﵁ وعلو فضله.

خامسًا- من واجبات الداعية: بيان السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدها:

هذا ما بيّنه ابن عمر ﵄ في الحديث من قوله: (صليت مع رسول الله ﷺ

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣/٢١٣.

(٢) انظر: أفعال الرسول ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر ص ٧٤.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣/٢١٣.

(٤) المرجع السابق ٣/٢١١.

(٥) المرجع السابق ٣/٢١٣.

(٦) قال محققو السير: أخرجه ابن سعد في الطبقات ٤/١٦٢ من طريق أبي الوليد الطيالسي عن أبي عوانة، عن أبي بشر، عن يوسف بن ماهك، ورجاله ثقات.

ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد الجمعة، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء)، وزاد في صحيح البخاري: "قبل الصبح ركعتين"[١]، وهذه اثنتا عشرة ركعة. وفي حديث عائشة رضي الله عنها عندما سألت عن صلاة رسول الله ﷺ، عن تطوعه؟ فقالت: ((كَانَ يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا. ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ. ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ. ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ. وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ))[٢]، وهذه اثنتا عشرة أيضًا.

قال ابن حجر: "في بيان ما ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن قبل الظهر ركعتين، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: أربعًا، أن الأولى أن يحمل على الحالين: فكان تارة يصلي ثنتين وتارة يصلي أربعا، وقيل: هو محمول على أنه كان في المسجد يقتصر على ركعتين، وفي بيته يصلي أربعًا ويحتمل أن يكون يصلي إذا كان في بيته ركعتين ثم يخرج إلى المسجد فيصلي ركعتين، فرأى ابن عمر ما في المسجد دون ما في البيت، واطلعت عائشة على الأمرين"[٣].

وقال النووي: "وليس للعصر ذكر في الصحيحين، وجاء في سنن أبي داود أن النبي ﷺ قال: ((رَحِمَ اللهُ امْرأً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا))[٤]، وفي حديث علي رضي الله عنه: ((ركعتين))[٥]، وجاء في أربع بعد الظهر حديث صحيح عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: ((مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرُمَ عَلَى النَّارِ))[٦]، وورد في صلاة المغرب قوله ﷺ: ((صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ

---

(١) أخرجه البخاري ١١٨٠.

(٢) أخرجه مسلم ٧٣٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٣/٧٠.

(٤) أبو داود ١٢٧١، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١١٣١).

(٥) أخرجه النسائي ٨٧٤، وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي ٨٤٢).

(٦) أخرجه أبو داود ١٢٦٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١١٣٠).

رَكْعَتَيْنِ لِمَنْ شَاء))[١]، وقال ﷺ أيضًا: ((وَبَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ))[٢]، "المراد بين الأذان والإقامة"[٣]، "واختلف العلماء في الاختيار في الأخذ بهذه الأحاديث، فرأى جُلُّهم الأخذ بها والعمل بفعل النبي ﷺ وأمره بذلك، وكونها سنة مع صلوات الفرائض، قال بعضهم: ولأن تلك الأوقات أوقات تفتح فيها أبواب السماء، ويستجاب فيها الدعاء ويرغب في تكثير العمل الصالح فيها، واختلاف الأحاديث باختلاف فعله عليه السلام ليُرى سعة الأمر، وأنه ليس فيه حدٌّ لازم والله أعلم"[٤]، وهذا ما أكده النووي في قوله: "واختلاف الأحاديث في أعدادها محمول على توسعة الأمر فيها، وأن لها أقل وأكمل فيحصل أصل السنة بالأقل ولكن الاختيار فعل الأكثر والأكمل"[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود ١٢٨١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١١٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود ١٢٨٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١١٤٢).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ٥٠٢.

(٤) إكمال المعلم، القاضي عياض، ٦٩/٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٠٢.

الحديث رقم (١١٠٠)

١١٠٠ - وعن ابن عمر ﵄، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمُعَةِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعدَ المَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعدَ العِشَاءِ. متفقٌ عَلَيهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث من باب تعليم السنن، وتقريرها، وقوله (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم) يشير إلى تقرير الحدث بالفعل بالصلاة مع الرسول ﷺ أو في حضرته، وإقراره، وبـ(كلا) الوجهين تثبت، وفي الكلام إيجاز بالحذف يقتضيه مقام البلاغة في قوله (قبل الظهر) أي قبل صلاة الظهر، وكذلك الجمعة، والمغرب، والعشاء، وفائدة النافلة إذا سبقت الفرض أنها تمهد النفس للفريضة بالدخول بين يدي الله مع تمام الخشوع بعد أن خرجت من أعباء الحياة بهاتين الركعتين، ثم إن لها بعدا آخر وهو أنها تشعر بالانتماء للسنة باتباع النبي ﷺ، وتربطنا وجدانا به ﷺ كلما تبعناه في سنة من السنن.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم النوافل من الصلاة في يوم الجمعة وغيرها، وقد اتفق الفقهاء[٢] على أنه يسن صلاة النافلة عقب صلاة الجمعة، وإن اختلفوا في عدد ركعات

---

(١) أخرجه البخاري (١١٦٥) واللفظ له، ومسلم (٧٢٩/١٠٤).

(٢) المبسوط، السرخسي ١٥٧/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٥/١، شرح معاني الآثار ٣٣٦/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٩٧/١، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٦٧/٢، الأم، الإمام الشافعي ١٦٤/١، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٠٣/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن ٤١/٣، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٥٧/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٤٠٥/٢، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٠٩/٢.

هذه السنة لاختلاف الروايات فيها، فقيل ركعتان، وقيل أربع، وقيل ست جمعًا بين الروايات فيها، وأفضلها القول بأن المرء مخير بين ركعتين وست ركعات حسبما يطلب من الخير ويقدر على التطوع.

أما السنن الراتبة في غير يوم الجمعة فقد ذكر الفقهاء كما سبق القول في الحديث الفائت[1] أن السنن الراتبة من النوافل غير صلاة التهجد اثنتا عشرة ركعة بالليل والنهار وقيل عشر ركعات بالليل والنهار، ومنها صلاة أربع ركعات في وقت الظهر اثنتان قبله واثنتان بعده، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء اقتداء بفعله ﷺ كما يروى في هذا الحديث.

المضامين الدعوية[2]

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٥١/٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٤/١، شرح منح الجليل، الشيخ عليش ٣٣٩/١، مواهب الجليل، الحطاب ٦٦/٢، نهاية المحتاج، الرملي ١٠٥/٢ وما بعدها، مغني المحتاج، الشربيني ٤٤٩/١ وما بعدها، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٢٢/١ وما بعدها، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٣٧/١ وما بعدها.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٠١)

١١٠١ - وعن عبد الله بن مُغَفَّلٍ ﵁، قَالَ: قَال رَسُول اللهِ ﷺ: ((بَيْنَ كُلِّ أذَانَيْنِ صَلاَةٌ، بَيْنَ كُلِّ أذَانَيْنِ صَلاَةٌ، بَيْنَ كل أذانين صلاة)) قال في الثَّالِثَةِ: ((لِمَنْ شَاءَ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مُغفَّل المزني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٦).

غريب الألفاظ:

أذانين: المراد بالأذانين: الأذان والإقامة؛ عند التغليب[2].

الشرح الأدبي

قوله (بين كل أذانين) أي: الأذان، والإقامة فهو من باب التغليب كقولهم الأسودان للتمر، والماء، والأسود إنما هو أحدهما، وقد تكون من باب المشاكلة وهي تسمية أحد الاسمين باسم الآخر لوقوعه في صحبته شائع وقيل: يحتمل أن يكون الاسم لكل واحد منهما حقيقة، لأن الأذان في اللغة الإعلام، والأذان إعلام بحضور الوقت، والإقامة إعلام بفعل الصلاة (قال الإمام العيني: الأذان إعلام الغائبين، والإقامة إعلام الحاضرين، وقوله (لمن شاء) تتميم بلاغي أفاد التخيير، وهذا الاستثناء يخص صلاة النافلة دون الفريضة؛ لأنها فريضة ليس فيها تخيير، قوله (صلاة) فيه إيجاز بالحذف: أي وقت صلاة، وموضعها، وتكرار العبارة يملأ النفس إحساسا بها (والتكرار وسيلة بيانية، وأداة فنية تستند إلى أساس مكين في فطرة النفس، وتعبر عن طابع نفسي، ومزاج عقلي عند أصحاب اللسان العربي كما تقتضيها مقامات، ومواقف لا بديل منها فيها، والمقام هنا مقام ترغيب، والموقف يستدعي ذلك لأنه بصدد تقرير حقيقة لا غنى

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٧)، ومسلم (٨٣٨/٣٠٤).

تنبيه: قوله: (بين كل أذانين صلاة) تكررت عند البخاري مرتين، وعند مسلم مرّة، وقال: (قالها ثلاثا).

(٢) رياض الصالحين ٤١٢.

لمؤمن عنها في علاقته بربه، وأثرها على مغفرة الخطايا، ونجاة العبد، وتكرير العبارة يؤكد المعنى، ويرفع درجة التشويق والإثارة التي تهز الوجدان، وتملك على المخاطب أقطار نفسه، ويصير درجة بعد درجة في قمة الحرص على أداء الصلاة بين كل أذانين، أضف إلى ذلك أن هذا الذي يكرر العبارة في قمة الوعي لمدلولها مع قمة الصدق فيها.

فقه الحديث

وقد اتفق الفقهاء[(١)] على أن المقصود بالأذانين هنا الأذان والإقامة، وأنه يستحب الفصل بينهما، وأن ما يفصل به بين الأذان والإقامة صلاة ركعتين أو أكثر، وذلك في كل الفرائض ما عدا المغرب لأنها مبنية على التعجيل فيكون الفصل بين الأذان والإقامة فيها قليلاً، وقد حدده الحنفية[(٢)] والمالكية[(٣)] بقدر قراءة ثلاث آيات، وحدده الشافعية[(٤)] والحنابلة[(٥)] بقدر صلاة ركعتين خفيفتين.

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١/ ١٥٠، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١/ ٩٢، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢/ ٦٦، شرح الخرشي ٢/ ٣، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣/ ٥٠٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١/ ٢٠٢، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن ٢/ ٦٠، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢/ ٢٥٧، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/ ٤٣٧، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١/ ٤٢٢.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١/ ١٥٠، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١/ ٩٢.

(٣) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢/ ٦٦، شرح الخرشي ٢/ ٣.

(٤) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣/ ٥٠٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١/ ٢٠٢، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن ٢/ ٦٠.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢/ ٢٥٧، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/ ٤٣٧، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١/ ٤٢٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التكرار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على الصلاة بين الأذان والإقامة وبيان فضلها.

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما فيه الخير لهم.

أولاً - من أساليب الدعوة: التكرار:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من تكرار النبي ﷺ لقوله: إن بين كل أذانين صلاة، ((وقد كان النبي ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه))[1]، والتكرار من الأساليب الدعوية المهمة في لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم، لفهم الأمر المدعو إليه والتأكيد على أهميته. وهذا ما أفاده التكرار كأسلوب دعوي في الحديث، من بيان أهمية الصلاة بين الأذان والإقامة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على الصلاة بين الأذان والإقامة وبيان فضلها:

هذا ما يستفاد في الحديث من تكرار قوله ﷺ: "بين كل أذانين صلاة، والمراد بالأذانين: الأذان والإقامة"[2]، قال أبو العباس القرطبي: (وقوله: "بين كل أذانين صلاة"، يعني: الأذان والإقامة، وغلب عليهما اسم الأذان؛ لأن فيهما إعلامًا بالشروع في الصلاة)[3].

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يحرصون على الصلاة بين الأذان والإقامة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان المؤذن إذا أذن قام ناس من أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السواري حتى يخرج النبي ﷺ وهم كذلك يصلون ركعتين قبل المغرب، ولم يكن بين الأذان والإقامة شيء"[4]، قال ابن حجر: (في قوله ﷺ: (يبتدرون) أى

---

(١) أخرجه البخاري ٩٥.

(٢) رياض الصالحين، النووي، ٤١٢.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٤٦٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٢٥.

يستبقون و"السواري" جمع سارية، وكأن غرضهم بالاستباق إليها الاستتار بها ممن يمر بين أيديهم لكونهم يصلون فرادى)[١].

وقد بين ابن حجر: فضل الحرص على الصلاة بين الأذان والإقامة. فقال: "والحكمة من الندب إليها رجاء إجابة الدعاء"[٢]، وفي ذلك قال ﷺ: "الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة"[٣]، وقوله ﷺ: "لا يرد" أى يقبل ويستجاب...، وذلك بعد جمع شروط الدعاء وأركانه وآدابه، فإن تخلف شيء منها فلا يلوم إلا نفسه"[٤].

- الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة من ذلك اليوم، وآخر ساعة بعد صلاة العصر.
- وصادف خشوعًا في القلب، وانكسارًا بين يدي الرب، وذلة له وتضرعًا ورقة.
- واستقبل الداعي القبلة.
- وكان على طهارة.
- ورفع يديه إلى الله.
- وبدأ بحمد الله والثناء عليه.
- ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ.
- ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار.
- ثم دخل على الله، وألحَّ عليه في المسألة، وتملَّقه ودعاه رغبةً ورهبةً. وتوسَّل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده.
- وقدَّم بين يدي دعائه صدقة، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبداً)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٢٧/٢.

(٢) المرجع السابق ١٢٧/٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٢١٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٧٥).

(٤) انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٥٢٢.

(٥) الداء والدواء ١٤، ١٥.

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما فيه الخير لهم

هذا ما يستفاد من الحديث في إرشاده ﷺ إلى الصلاة بين كل أذانين لما في ذلك من عظيم الأجر، كما أسلفنا، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾[1]، ثم بين ﷺ عظم أجر الداعية إلى الخير فقال: "ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله"[2]. وقال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا"[3]، فعلى الداعية أن ينتهج ما أمر الله ورسوله به لما في ذلك من عظيم الخير والفلاح في الدنيا والآخرة.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الاستزادة من الخير:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إلاَّ بَنَى اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، أَوْ إلاَّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ».

فقد رغب النبي ﷺ في الاستزادة من الخير، فإذا كانت الصلوات المفروضة تكفر صغائر الذنوب وهي واجبة وجوبًا عينيًا على المكلفين، فإن السنن الرواتب مع الفرائض ليست بواجبه، فقد لا يفعلها المكلف في بعض الأحيان، ولكنه يحرم نفسه من خير كثير، إلا وهو بناء بيت في الجنة كما أخبر بذلك النبي ﷺ. وفي هذا الحديث يربي النبي ﷺ كل مسلم على الاستزادة من الخير والتطلع إلى معالي الأمور، وذلك من خلال استنهاض الهمم وتنشيط العزائم، وتفعيل الطاقات الداخلية في الإنسان، وتوظيفها التوظيف السليم النافع حتى يتسنى للمسلم أن يكون مؤهلاً للدرجات الرفيعة من الجنة، وهذا مما تميزت به التربية الإسلامية في تحفيز المسلم لنيل رضوان الله تعالى.

ولاشك أن هذا السلوك له أثر محمود في حياة الإنسان، فإذا كان المسلم يسعى للاستزادة من الطاعات لبلوغ المنازل الرفيعة في الآخرة، فإن هذا مما يعمل على ترسيخ هذه الروح ليصبح ذلك النشاط هو السمت العام الذي يمثل عوامل دفع للنجاح في الحياة، وبذل أسباب التفوق للوصول إلى الغايات النبيلة، ولاشك أن مثل هذه التربية الهادفة تجعل المسلم إيجابيًا يتفاعل مع مشكلات الحياة ويسعى للتغلب عليها، ويستشعر المعاني العظيمة للتوجيه النبوي بالأخذ بأسباب القوة الهادفة وليست العصبية أو التهور، حيث يقول النبي ﷺ «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»[1]، ولاشك أن القوة لا تتأتى إلا بتحصيل أسبابها من خلال التأهيل العلمي

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٦٤.

والخلقي والأخذ بأسباب التقدم مع عدم حرمان النفس من فضل الله تعالى.

يقول عائض القرني: "من عرف قصر العمر وبعد الطريق، وهول المصير اجتهد في جمع الحسنات كل يوم وليلة والعبد الصالح حريص على الأعمال الصالحة أشد من حرص التاجر على التجارة الرابحة، وهناك قائمة بأعمال تمر بالعبد كل يوم وليلة لو أنه أحضر نيته عند القيام بها لملأ ديوانه حسنات: كالتبسم في وجه المسلم، والكلمة الطيبة والمصافحة، وإماطة الأذى عن طريق المسلمين، والمشي إلى الصلاة، والصدقة ولو بالقليل، والتسبيحة والتحميدة والتكبيرة والتهليلة وأمثال تلك الأعمال اليسيرة على العبد الثقيلة في ميزانه، وله الحمد سبحانه ما أرحمه أدخل امرأة بغيا الجنة لأنها سقت كلبًا كاد يهلك من العطش، وأدخل رجلاً الجنة لأنه أزال غصنًا كان يؤذي الناس في طريقهم فيا من آمن بلقاء الله لن يشفق عليك أحد غيرك فارحم نفسك بجمع الحسنات وحفظ الأوقات ورفع الدرجات [1]، ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [2].

ثانيًا: التربية على محبة الإتيان بالنوافل:

وهذا مستمد من أحاديث الباب ففي حديث أم حبيبة رضي الله عنها ذكر النبي ﷺ: اثنتي عشرة ركعة، وذكر ابن عمر: أنه حفظ من النبي ﷺ عشر ركعات.

قال أحمد فريد: "ومما ينبغي الاهتمام به في تربية الإيمان: الإكثار من النوافل بعد استكمال الفرائض، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مما افْتَرَضتُ عَلَيهِ، وما يزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّه» [3].

فأول ما يقرب إلي الله عز وجل أداء الفرائض، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرم الله، وحسن النية فيما عند الله عز وجل.

فالفرائض هي رأس المال، فإذا استكمل العبد فرائضه وأراد أن يترقى في درجات الإيمان وولاية الرحمن عز وجل يفتح على نفسه أبواب النوافل، والنوافل هي ماعدا

---

(١) هكذا حدث الزمان، ٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٣٧.

(٣) أخرجه البخاري، ٦٥٠٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الفرائض من أجناس الطاعات.

قال العلماء: ما بال النوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله عز وجل دون الفرائض؟ وأجاب بعضهم: بأن العبد يفعل الفريضة خوف العقوبة ورجاء الأجر، أما النوافل فلا عقوبة في تركها، فيفعلها العبد بإخلاص نية التقرب والتحبب إلى الله عز وجل، فلما خلصت النية في النوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله عز وجل دون الفرائض، فينبغي على المربي أن يهتم بتحبيب العبادات إلى الشباب، بترغيبهم في قيام الليل، وتلاوة القرآن والأذكار الموظفة وغير الموظفة، والصيام وقضاء حوائج الناس وطلب العلم النافع حتى يكون ذلك شغلهم الشاغل، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، فاللسان إذا لم يتحرك بذكر الله عز وجل تحرك بالغيبة والنميمة والبذاءة واللغو وغير ذلك. وإذا لم تشغل الجوارح والأوقات بالطاعات شغلت بالمعاصي والعثرات، فلاشك أن شجرة الإيمان في قلب العبد تروي بالصيام والقيام وتلاوة القرآن، وتتفرع فروعها في أرجاء قلبه وتثمر الثمرات اليانعة الطيبة، فيجد العبد حلاوة الإيمان ومحبة الرحمن [١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [٢].

ثالثًا: التربية على المداومة على فعل الخير:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ ...» فلفظة "كل يوم" ترغب في المداومة على هذه الاثنتي عشرة ركعة بحيث تفعل كل يوم، وهذا هو معنى المداومة، وإذا كان النبي ﷺ رغب في ذلك بالقول فإنه ﷺ رغّب بالفعل، فهذا ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «صلَّيتُ معَ رسولِ اللّهِ ﷺ رَكعتَين قبلَ الظُّهرِ وركعتَين بعدَ الظُّهرِ وركعتَين بعدَ الجمعةِ وركعتَين بعدَ المغربِ وركعتَين بعدَ العِشاء». وفي رواية عند البخاري: «حَفِظتُ منَ النبيِّ ﷺ عشرَ ركعاتٍ: ركعتَينِ قبلَ الظُّهرِ، وركعتينِ بعدَها، وركعتَينِ بعدَ المغربِ في بيتِه، وركعتَينِ بعدَ

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص ١٥٦، ١٥٧.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

العِشاء في بيتِهِ، ورَكعتَينِ قبلَ صلاةِ الصبحِ وكانت ساعةً لا يُدخَلُ على النبيِّ ﷺ فيها»[١].

ولا شك أن الترغيب على المداومة بالقول والفعل يدفع إلى أن يلتزم المخاطبون هذا، وذلك ما يوضحه الحديث الذي أخرجه مسلم بإسناده عن النعمان بن سالم عن عمرو بن أوس قال: «حَدَّثَنِي عَنْبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، بِحَدِيثٍ يَتَسَارُّ إِلَيْهِ. قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ حَبِيبَةَ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ».

قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَقَالَ عَنْبَسَةُ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ أُمِّ حَبِيبَةَ.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ: مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَنْبَسَةَ.

وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ سَالِمٍ: مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ»[٢].

والخلاصة أن على المربي أن يربِّي أتباعه على أن يداوموا على فعل الخير، وإذا كانت هذه الأحاديث في السنن الرواتب، فإنه من الأجدر والأحسن أن تكون هذه العادة موجودة في جميع خصال الخير، بحيث يتربى الناشئة وغيرهم على ذلك، ولقد عمّم النبي ﷺ المداومة على الأعمال، فقال ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ الله مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ». وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ الذي يدوم عليه صاحبه»[٣].

كما أخبرت عائشة رضي الله عنها عن عمله ﷺ: فقالت: «كان عمله ديمة»[٤]، قال النووي: "أي يدوم عليه ولا يقطعه"[٥].

---

(١) أخرجه البخاري، ١١٨٠.

(٢) أخرجه مسلم، ٧٢٨، ١٠١

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري، ٦٤٦٢، ومسلم، ٧٤١.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري، ١٩٨٧، ومسلم، ٧٨٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٣٠.

وقد انعكس ذلك على عائشة رضي الله عنها، فكانت إذا عملت عملاً لزمته[١]، ولم يقتصر ذلك عليها رضي الله عنها فحسب، بل امتد ذلك إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا: فقد: "كان آل محمد صلى الله عليه وسلم إذا عملوا عملاً أثبتوه"[٢]، قال النووي: "أي لازموه وداوموا عليه، والظاهر أن المراد بالآل هنا أهل بيته وخواصه صلى الله عليه وسلم من أزواجه وقرابته ونحوهم"[٣].

إن مبدأ المداومة مبدأ عظيم في تأثيره وفعاليته الإنتاجية في الحياة، وذلك على مستوى الشعائر التعبدية، وكذلك الأعمال المعيشية المختلفة، لقد أصبحت الحياة اليوم أكثر تعقيدًا مما مضى، فنرى تزاحم الأعباء وكثرة الواجبات التي لا تستطيع إنجازها جميعًا خلال الأوقات المتاحة، لذا ينبغي أن يقسم الوقت بين تلك الأعمال المختلفة حسب أولوية كل عمل وبشكل مستمر.

وإن المداومة على القليل الدائم له تأثير عجيب على المدى الطويل، مثال ذلك: مفتي بغداد الإمام المفسر الآلوسي حيث يروي حفيده محمود شكري الآلوسي أنه كان يدرس أيام اشتغاله بالتفسير ثلاث عشرة حلقة علمية في المسجد، وهنا نتساءل: كيف استطاع الإمام الآلوسي الذي كان منشغلاً بالإفتاء والتدريس طوال يومه أن ينتج تفسيره الفريد الضخم الذي قيل فيه بأنه أعجوبة فريدة لدى العلماء من بين التفاسير؟ والجواب هو: أن الإمام الآلوسي كان يكتب بأواخر الليل ورقات قليلة من تفسيره كل ليلة، وداوم على ذلك حتى أنتج ذلك التفسير فألفه بالمداومة على العطاء، وضم القليل إلى القليل في كل يوم وبشكل مستمر، مما أكسبه الإمامة في التفسير، وقيل عنه: هو خاتمة المفسرين[٤].

---

(١) أخرجه مسلم، ٧٨٣، ٢١٨.

(٢) أخرجه مسلم، ٧٨٢، ٢١٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٥٣٠ .

(٤) انظر: قيمة الزمن عند العلماء: عبدالفتاح أبو غدة ص ٥٧، وإدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة ص ٤١٢.

رابعًا: من أساليب التربية: التكرار:

وهذا مستمد من حديث عبدالله بن مغفَّل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "بين كل أذانين (أي: الأذان والإقامة) صلاة، بين كل أذانين صلاة، بين كل أذانين صلاة"، فقد كرر ﷺ الجملة ثلاث مرات، وذلك لزيادة إفهام المخاطبين، يقول الأستاذ أبو لبابة حسين[1]: "كان الرسول ﷺ يكرر المسائل مرارًا لصحابته حتى يفهموا، فهذه امرأة تسأله عن غسلها من المحيض، فبيّن لها ذلك بالتعريض للحرج الذي يسببه الوضوح في مثل هذه الحالة، ولا تفهم المرأة فيعيد لها، إلا أنها مع ذلك لم تفهم الأمر الذي جعل عائشة ﷺ تجتذبها إليها وتشرح لها قائلة: "تتبعي بها أثر الدم"[2].

وقد يكرر ﷺ الكلمة ثلاث مرات تمكينًا لسامعيه من فهمها واستيعابها، جاء عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا سلّم سلّم ثلاثًا وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا"[3]، وقال يومًا منذرًا أولئك الذين لا يحسنون وضوءهم: "ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثًا"[4].

ونظرًا لكون التكرار صار منهجًا متبعًا لدى الرسول ﷺ في تعليمه لصحابته، فإن البخاري عقد بابًا كرّسه لتأكيد هذا المعنى ترجم له بقوله: باب من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم[5]، وهنا يلاحظ ابن حجر أن الثلاث ليست شرطًا بل المراد التفهيم فإذا حصل بدونها أجزأ"[6]، كما شرح ابن المنيّر مراد البخاري فقال: "نبّه البخاري بهذه الترجمة على الرد على من كره إعادة الحديث، وأنكر على الطالب الاستعادة وعدّه

---

(١) التربية في السنة النبوية ص ٧٠ - ٧٢.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة: أخرجه البخاري، ٣١٤، ومسلم، ٣٣٢.

(٣) أخرجه البخاري، ٩٤، ٩٥.

(٤) متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ، أخرجه البخاري ٦٠، ومسلم، ٢٤١، واللفظ للبخاري.

(٥) وذلك في كتاب العلم، الباب رقم ٣٠، فوق الحديثين، ٩٤، ٩٥.

(٦) فتح الباري، ١/٢٣٦.

من البلادة"، وأضاف: "الحق أن هذا يختلف باختلاف القرائح، فلا عيب على المستفيد الذي لا يحفظ من مرة (واحدة) إذا استعاد، ولا عذر للمفيد إذا لم يعد"[١].



(١) السابق، الموضع نفسه.

١٩٦ - باب تأكيد ركعتي سنة الصبح

الحديث رقم (١١٠٢)

١١٠٢ - عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ لا يَدَعُ أرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس والمراد الصلاة التي تقع في هذا الوقت وهي صلاة الصبح[2].

الشرح الأدبي

تنقل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سنة من سنن الصلاة عن النبي ﷺ في أسلوب خبري بدأته بالتوكيد تعظيما للخبر، ولمن تخبر عنه وتعبيرها بالماضي يدل على أن صلاة الركعات المذكورة في أوقاتها المحددة عادة اعتادها رسول الله ﷺ، وقولها (لا يَدَعُ أرْبَعاً قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ) أسلوب نفي يقرر عدم تركه لها، وقوله (الغداة) كناية عن صلاة الصبح، وهي صلاة يفتح المسلم بها يومه فيكون فتحا، بخير يغفر الله له ما بعده، ويحفظه في دينه، ودنياه.

فقه الحديث

قال النووي: (قولها "لم يكن على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين

---

(١) برقم (١١٨٢).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ د و)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٧٣.

قبل صلاة الصبح"[١] فيه دليل على عظم فضلهما وأنهما سنة ليستا واجبتين، وبه قال جمهور العلماء، وحكى القاضي عياض عن الحسن البصري - رحمهما الله - وجوبهما، والصواب عدم الوجوب لقولها "على شيء من النوافل، مع قوله ﷺ للرجل الذي يسأل عن الإسلام: خمس صلوات قال: هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع)[٢].

وقد يستدل به لأحد القولين عندنا في ترجيح سنة الصبح على الوتر لكن لا دلالة فيه، لأن الوتر كان واجبًا على رسول الله ﷺ فلا يتناوله هذا الحديث[٣].

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على صلاة أربع ركعات قبل الظهر وبيان فضلها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: شدة حرص النبي ﷺ على ركعتي الفجر وبيان فضلهما.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في الحرص على سنتي الظهر والفجر.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على صلاة أربع ركعات قبل الظهر وبيان فضلها:

هذا ما أشارت إليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من أنه ﷺ كان لا يدع أربعًا قبل الظهر، "أي: لا يترك أربعًا قبل الظهر وهي سنة الظهر"[٥]، وفي بيان عظم فضلها قالت

---

(١) هذا لفظ مسلم ٧٢٤، ٩٤.

(٢) أخرجه البخاري ٤٦، ومسلم ١١ من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥/٦/٣ ، وانظر فتح الباري، ابن حجر ٤٢/٢ - ٤٣، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٤٠/٢ .

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٠٢ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٠٣)، (١١٠٤).

(٥) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد شرف الحق العظيم آبادي ص ٥٩٧.

أم حبيبة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ إنه قال: ((مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرُمَ عَلَى النَّارِ))[1]، قال صاحب عون المعبود في بيان قوله ﷺ: "من حافظ: أي: داوم وواظب، وفي قوله ﷺ: (حرم على النار)، أي: حرمه الله على النار، وفي رواية: (لم تمسه النار)[2]، وفي رواية: (حرم الله عز وجل لحمه على النار)[3]، وقد اختلف في معنى ذلك، هل المراد أنه لا يدخل النار أصلاً، أو أنه وإن قدر عليه دخولها لا تأكله النار، أو أنه يحرم على النار أن تستوعب أجزاءه، وإن مست بعضه، كما في بعض طرق الحديث عند النسائي بلفظ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بَعْدَ الظُّهْرِ فَتَمَسُّ وَجْهَهُ النَّارُ أَبَدًا إنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ))[4]، فيكون قد أطلق الكل وأريد البعض مجازًا، والحمل على الحقيقة أولى، وأن الله تعالى يحرم جميعه على النار وفضل الله تعالى أوسع ورحمته أعم. والحديث يدل على تأكيد استحباب أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعده -ركعتان منهما مؤكدة، وركعتان مستحبة- وكفى بهذا الترغيب باعثًا على ذلك. وظاهر قوله "من صلى" أن التحريم على النار يحصل مرة واحدة ولكنه قد أخرجه الترمذي وأبو داود وغيرهما بلفظ: (من حافظ) فلا يحرم على النار إلا المحافظ"[5].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: شدة حرص النبي ﷺ على ركعتي الفجر وبيان فضلهما:

هذا ما ظهر جليًا في الأحاديث الواردة من قول عائشة رضي الله عنها (إن النبي ﷺ كان لا يدع.. ركعتين قبل الغداة، وإنه ﷺ لم يكن على شيء من النوافل أشد تعاهدًا منه

---

(١) أخرجه أبو داود ١٢٦٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١١٣٠).

(٢) أخرجه النسائي ١٨١٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٧١٣).

(٣) أخرجه النسائي ١٨١٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٧٠٨).

(٤) أخرجه النسائي ١٨١٣، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ١٧٠٩).

(٥) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد شمس الحق بن أمير العظيم آبادي ص ٦٠٢.

على ركعتي الفجر، وأنهما خير من الدنيا وما فيها)، وفي رواية: (لهما أحب إليّ -أي النبي ﷺ- من الدنيا جميعًا"، وفي بيان ذلك قال ابن القيم: "وكان تعاهدُه ﷺ ومحافظته على سنة الفجر أشدَّ مِن جميع النوافل، ولذلك لم يكن يدعُها هي والوترَ سفرًا وحضرًا، وكان في السفر يُواظب على سنة الفجر والوتر أشدَّ مِن جميع النوافل دون سائر السنن، ولم يُنقل عنه في السفر أنه ﷺ صَلَّى سنة راتبة غيرَهما، ولذلك كان ابن عمر لا يزيد على ركعتين ويقول: سافرتُ مع رسول الله ﷺ، ومع أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، فكانوا لا يزيدون في السفر على ركعتين"[1]، وفي تأكيد ذلك قال ابن عثيمين: "فالنبي ﷺ لم يكن على شيء من النوافل -يعني رواتب الصلوات- أشد تعاهدًا منه على ركعتي الفجر، تعاهدهما ﷺ، وأخبر ﷺ أنهما خير من الدنيا وما فيها، وأحب إليه من الدنيا وما فيها ولم يكن ﷺ يدعهما حضرًا ولا سفرًا، كل هذا تتميز به سنة الفجر، فينبغي للإنسان أن يحافظ عليها وأن يحرص عليها حضرًا وسفرا، وإذا فاتته قبل الصلاة فليصلها بعدها إما في نفس الوقت وإما بعد ارتفاع الشمس قيد رمح"[2].

وقال صاحب عون المعبود نقلاً عن القاري: "والحديث فيه دليل على عظم فضلهما، وأنهما أقوى وأوكد السنن الرواتب والمحافظة عليهما أشد من غيرهما"[3]، وقال ابن حجر: "إنه قد استدل به بعض الشافعية للقديم في أن ركعتي الفجر أفضل التطوعات"[4]، "ومن عظم فضلهما حكى القاضي عياض عن الحسن البصري بوجوبهما"[5]، ونقل ابن حجر قول القاضي عياض، بلفظ منقول عن الحسن البصري

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣١٥/١.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٣٢٣/٢.

(٣) عون المعبود على سنن ابي داود، محمد شرف الحق العظيم آبادي ص ٥٩٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٥٢/٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠١.

قال فيه: "كان الحسن يرى الركعتين قبل الفجر واجبتين"[١]، وقال النووي: "بعد بيان عظيم فضلهما إنهما ليستا بواجبتين وبه قال جمهور العلماء واستدل بقول عائشة رضي الله عنها من الحديث الوارد بقولها: ((على شيءٍ منَ النوافلِ))[٢]"[٣]. وفي ذلك بيان على فضل ركعتي الفجر وحرصه ﷺ عليهما.

ثالثا- من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في الحرص على سنتي الظهر والفجر:

لقد كان اقتداء الأمة الإسلامية بنبيها ﷺ بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم - النابع من أحكام دينها، وتأثرها بشخصيته وأخلاقه الكريمة - دافعًا كبيرًا لها إلى الاستقامة على أمر الدين على بصيرة من أمرها.

ولم تزل سيرة نبيها ﷺ تمثل لها أنبل الصفات والأعمال والأخلاق، وتجسّم المثل والمبادئ الإسلامية أمام أنظارها، فتعمل بدينها حق العمل، اقتداء بتلك السيرة العطرة"[٤].

"... فينبغي لنا أن نحرص على ما كان النبي ﷺ يحرص عليه، وأن نقتدي بسنته ﷺ ما استطعنا، فإن الله يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٥][٦]، والنبي ﷺ هو المبلغ عن ربه عز وجل شرعه قولاً وعملاً وتقريرًا، وهو المبين والمفسر للوحي كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٧]"[٨]، فعلى المدعو أن يقتدي بالنبي ﷺ في حرصه على سنتي

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٥٢/٣.

(٢) أخرجه البخاري ١١٦٣، ومسلم ٧٢٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ٥٠١.

(٤) أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر ٧٥/١.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٢.

(٦) شرح رياض الصالحين ١٣٢٢/٢.

(٧) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٨) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٦٣.

الظهر والفجر، لما في ذلك من عظيم الأجر والفضل في الدنيا والآخرة.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

قد ورد الترغيب جليًا في المحافظة على ركعتي الفجر من الحديث في قوله ﷺ: (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها)، وفي رواية: (لهما أحب إليّ من الدنيا جميعًا)، "أي: من متاع الدنيا"[١]، "ومما لا ريب فيه أن غريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير، وأن يحميها من كل شر...، ومن هنا تحرص النفوس الموفقة على وعي هداية القرآن وهدي الرسول ﷺ، وتعمل جاهدة على أن تحفظ منهما ما وسعها الإمكان"[٢]، فكان الترغيب بابًا في ذلك لحمل الأنفس على فعل ما فيه خير لهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٠٢.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، ط/٣ البابي الحلبي، مصر، ٢٠٨/١.

الحديث رقم (١١٠٣)

١١٠٣- وعنها، قالت: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ تَعَاهُدًا مِنْهُ[1] عَلَى رَكْعَتَي الفَجْرِ. متفقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

تعاهدًا: محافظة[3].

الشرح الأدبي

في هذا الحديث بيان لما لركعتي الفجر من الأهمية، والتأكيد، فقد ذكرت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ أكدهما، وعظم شأنهما، بفعله. وقوله، حيث قالت: (لم يكن على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر)، وهو أسلوب نفي عام يقرر أنه لم يحرص على نافلة كما حرص على ركعتي الفجر، والتعبير بأفعل التفضيل يشير إلى بلوغ قمة الحرص على هذه النافلة، ومعنى النافلة أي الزيادة، وهي تشمل ما دون الواجب من السنن، والمستحبات، والمندوبات، والتعبير بالتعاهد يشير إلى قوة المتابعة مع الأيام دون ترك، وكون النبي صلى الله عليه وسلم يتعاهدهما أكثر من غيرهما، يعني أن إهمال من أهملهما -على سهولتهما، وعظم أجرهما، وحث الشارع عليهما- يدل على ضعف دينه، وحرمانه من الخير العظيم.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) لفظ البخاري: (أشدّ منه تعاهدًا)، ولفظ مسلم: (أشدّ معاهدة منه)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٤/١٦٠، رقم ٣٢٨٠)، وكذا عند المنذري.

(٢) أخرجه البخاري (١١٦٩)، ومسلم (٩٤/٧٢٤). أورده المنذري في ترغيبه (٨٣٠).

(٣) الصحاح والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع هـ د).

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٠٤)

١١٠٤- وعنها، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدنْيَا وَمَا فِيهَا)) رواه مُسلِمٌ[١].

وفي رواية[٢]: ((لَهُمَا أحَبُّ إليَّ مِنَ الدنْيَا جَمِيعًا)).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث خبري خال من المؤكدات لا يقابل بإنكار ولا شك لأنه من العلم النبوي الذي لم يسبق للمخاطب العلم به فهو خال الذهن منه، ويدور معنى الحديث كسابقه على بيان فضل ركعتي الفجر، وقول الرسول ﷺ (رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدنْيَا وَمَا فِيهَا) عبارة قصيرة، وجيزة تبين قيمة هاتين الركعتين، وعظمة العمل للآخرة، وبالمفهوم ضمنا حقارة الدنيا؛ لأن الدنيا بجوار الآخرة لا تساوي ساعة في ملايين السنين، لأن البقاء في الآخرة سرمدي خلود بلا موت لذلك فضلت عليها ركعتي الفجر لما تسفر عنه الآخرة من بيان الأجر العظيم لهذه النافلة.

المضامين الدعوية [٣]

---

(١) برقم (٩٦/٧٢٥). أورده المنذري في ترغيبه (٨٢٩).

(٢) برقم (٩٧/٧٢٥). أورده المنذري في ترغيبه بعد رقم (٨٢٩).

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١١٠٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٠٢)، (١١٠٣).

الحديث رقم (١١٠٥)

١١٠٥ - وعن أبي عبد الله بلالِ بن رَبَاح رضي الله عنه ، مُؤَذِّن رَسُولِ اللهِ ﷺ : أنَّهُ أتَى رَسُول اللهِ ﷺ ، لِيُؤْذِنَه بِصَلاةِ الغَدَاةِ، فَشَغَلَتْ عَائِشَةُ بِلالاً بِأَمْرٍ سَأَلَتْهُ عَنْهُ، حَتَّى أصْبَحَ جِدًّا ، فَقَامَ بِلالٌ فَآذَنَهُ بالصَّلاَةِ، وَتَابَعَ أذَانَهُ، فَلَمْ يَخْرُجْ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَلَمَّا خَرَجَ صَلَّى بِالنَّاسِ، فَأخْبَرَهُ أنَّ عَائِشَةَ شَغَلَتْهُ بِأمْرٍ سَأَلَتْهُ عَنْهُ حَتَّى أصْبَحَ جِدًّا ، وَأنَّهُ أبْطَأَ عَلَيْهِ بِالخُرُوجِ، فَقَالَ (-يَعْنِي النَّبيَّ ﷺ-)[1] : ((**إنِّي كُنْتُ رَكَعْتُ رَكْعَتَي الفَجْرِ**)) فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إنَّكَ أصْبَحْتَ جِدًّا؟ فقَالَ: ((**لَوْ أصْبَحْتُ أكْثَرَ مِمَّا أصْبَحْتُ، لَرَكَعْتُهُمَا، وَأحْسَنْتُهُمَا وَأجْمَلْتُهُمَا**)) رواه أبُو دَاوُدَ[2] بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

بلال بن رباح: هو بلال بن رباح الحبشي، أبو عبدالله.

مؤذن النبي ﷺ ، وخازنه على بيت ماله، ومولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، وأحد السابقين الأولين الذين أوذوا وعُذِّبوا في الله، شهد بدرًا ، والمشاهد كلها، وشهد له النبي ﷺ على التعيين بالجنة، وكان شديد السُّمرة، نحيفًا طوالاً رآه أبوبكر رضي الله عنه يُعذب في رمضاء مكة وهو مدفون في الحجارة فاشتراه بخمس أواق من ذهب فقالوا لأبي بكر رضي الله عنه لو أبيت إلا أوقية لبعناكه، فقال الصديق رضي الله عنه : لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته.

وقال فيه مجاهد: إن أول من أظهر الإسلام بمكة سبعةٌ: رسول الله ﷺ ، وأبوبكر، وخباب، وصهيب، وعمار، وبلال، وسمية أم عمار. فأمّا بلال فهانت عليه نفسُهُ في الله عز وجل، وهان على قومه، فأخذوه فكتفوه ثم جعلوا في عنقه حبلاً من ليف فدفَعُوهُ إلى صبيانهم، فجعلوا يلعبون به بين أخشبي مكة -جبلي مكة- فجعل يقول: أحد أحد.

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) برقم (١٢٥٧).

وقد قال له النبي ﷺ يومًا ((حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني قد سمعت الليلة خَشْفَ نعليك بين يديَّ في الجنة)) فقال: ما عملت عملاً أرجى من أنِّي لم أتطهر طهورًا تامًا في ساعة من ليل ولا نهار إلا صلَّيت لربي ما كُتِبَ لي أنْ أصلي[1].

وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما، فلما تُوفي رسول الله ﷺ لم يؤذِّن لأحد، وأراد الجهاد، فأراد أبوبكر رضي الله عنه منعه، فقال بلال رضي الله عنه: إن كنت أعتقتني لله فخلِّ سبيلي فأذن له أبوبكر رضي الله عنه في الغزو، فذهب إلى الشام حتى قَدِمَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية، فسأل المسلمون عمر أن يسأل لهم بلالاً فيؤذِّن لهم فسأله، فأذَّن يومًا، فلم يُر يومًا كان أكثر باكيًا من يومئذ، ذكرًا منهم للنبي ﷺ.

وقيل: إنه لم يؤذِّن لأحد بعد النبي ﷺ إلا مرة واحد في قَدَمةٍ قدمها المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ، وطلب إليه الصحابة ذلك فأذَّن، ولم يتمّ الأذان.

وكان يقول عندما يذكر الناس فضله وما قسم الله له من خير: إنما أنا حبشي كنت بالأمس عبدًا، وقال عند احتضاره: غدًا نلقى الأحبَّة محمد ﷺ وحزبه، وكانت امرأته تقول: واويلاه ولكنه كان يقول وافرحاه.

وقد روى عن النبي ﷺ ٤٤ حديثًا. وتوفي في سنة ٢٠هـ وهو ابن بضع وستين سنة(٢).

غريب الألفاظ:

ليُؤْذِنَه: ليُعلمه[3].

صلاة الغداة: صلاة الصبح[4].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٤٩، ومسلم ٢٤٥٨ واللفظ لمسلم.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٨٥/٧ - ٢٨٦) (١٦٥/٣) و(٢٣٢/٣)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٨١ - ٨٣)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤١٥/١ - ٤١٨)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ١٣٨، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٣٤٧/١ - ٣٦٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢٨٩/١)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٥٢/١، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٥٢٦/١ - ٥٣٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ذ ن).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٧٣.

أجْمَلْهما: جعلتهما جميلتين حسنتين[١].

الشرح الأدبي

الحديث يبين فضل ركعتي الفجر، وحرص الرسول ﷺ عليهما، وقد ورد المعنى في سياق القصة المبنية على الحوار الذي خلص إلى تقرير هذه الحقيقة ببيان قيمة هاتين الركعتين، وقول الراوي (: أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، لِيُؤْذِنَه بِصَلَاةِ الغَدَاةِ) أكد الخبر لإحساسه بغرابة الخبر لأنه يقصُّ أمرا غير معتاد، وهو تأخره عن الأذان، والتعبير بالإتيان يشير إلى ما يتضمنه من مشقة السير في الظلام، وملاقاة الهوام، وترك النوم، وقوله (ليؤذنه) اللام للتعليل ومعناه ليعلمه بدخول وقت الصلاة، وصلاة الغداة هي الصبح، وقوله (فَشَغَلَتْ عَائِشَةُ بِلالاً بِأَمْرٍ سَأَلَتْهُ عَنْهُ) أي أخرته عن الإعلام بوقت الصلاة، وقول الرسول ﷺ (إنِّي كُنْتُ رَكَعْتُ رَكْعَتَي الفَجْرِ) يقرر أنه أدى ركعتي الفجر رغم أنه أدرك الصباح والجناس في قوله: رَكَعْتُ رَكْعَتَي يؤكد هذا المعنى ويشير إلى مدى عنايته بهما كما أكده قوله ﷺ ردا على بلال رضي الله عنه (لَوْ أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ مِمَّا أَصْبَحْتُ، لَرَكَعْتُهُمَا، وَأَحْسَنْتُهُمَا وَأَجْمَلْتُهُمَا) فالتعبير بالإحسان، والإجمال مع تأخره يؤكد حرصه الشديد على أداء هاتين الركعتين، بل وتحسينهما وتجميلهما إشارة إلى إعطائهما وقتهما اللازم وتوفيتهما حقهما من الخشوع، والسكينة، وإن تأخر الوقت.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم ركعتي الفجر وأنهما سنة مؤكدة عن النبي ﷺ حتى إنه لم يكن يتركهما ولو بعد مضي وقتهما.

وقد اتفق الفقهاء[٢] على أن ركعتي الفجر من أفضل السنن الرواتب لما لهما من

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج م ل).

(٢) المبسوط، السرخسي ١/١٦١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١/٢٨٤، ٢٨٧، المدونة الكبرى، رواية سحنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ١/٢١١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١/٢٢٨، الأم، الإمام الشافعي ١/٨٧، ١٦٨، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣/٥٢٢، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ١/٢٤٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٤٣١، المحلى، ابن حزم ٢/١٩.

عظيم الأجر، كما بينت الأحاديث الشريفة الواردة في هذا المقام، وأن وقت صلاتهما قبل صلاة الفريضة فإن دخل المسجد ووجد الصلاة للفريضة فليصلها، وهل تقضى ركعتا الفجر؟ خلاف بين الفقهاء بناء على خلافهم في حكم قضاء النوافل، فذهب جمهور الفقهاء محمد بن الحسن من الحنفية[١]، وجمهور المالكية[٢]، والشافعية[٣]، والحنابلة[٤] إلى أن من فاتته ركعتا الفجر قضاهما وإن اختلفوا في وقت القضاء، وذهب الإمام أبو حنيفة وأبو يوسف[٥] والإمام مالك[٦] إلى أن ركعتي الفجر لا يقضيان إن فاتتا المصلي وإنما يصلي الصبح فقط.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل بلال بن رباح رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان منزلة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند الصحابة رضي الله عنهم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأذان.

رابعًا: من واجبات المدعو: الحرص على ركعتي الفجر ومراعاة تحسينهما.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل بلال بن رباح رضي الله عنه:

قد ظهر ذلك في الحديث من أنه رضي الله عنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليؤذنه بصلاة الغداة،

---

(١) المبسوط، السرخسي ١٦١/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٤/١، ٢٨٧.

(٢) المدونة الكبرى، رواية سحسنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ٢١١/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٢٨/١.

(٣) الأم، الإمام الشافعي ٨٧/١، ١٦٨، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٢٢/٣.

(٤) شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٤٣/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣١/١.

(٥) المبسوط، السرخسي ١٦١/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٤/١، ٢٨٧.

(٦) المدونة الكبرى، رواية سحسنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ٢١١/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٢٨/١.

"فهو مؤذن النبي ﷺ، وخازنه على بيت ماله، ومولى أبو بكر رضي الله عنهما، وأحد السابقين الأولين الذين أوذوا وعذبوا في الله، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وشهد له النبي ﷺ على التعيين بالجنة"[1]، فقال له: ((حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ، عِنْدَكَ، فِي الإِسْلاَمِ مَنْفَعَةً. فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشْفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ)). فقَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً فِي الإِسْلاَمِ أَرْجَى عِنْدِي مَنْفَعَةً، مِنْ أَنِّي لاَ أَتَطَهَّرُ طُهُورًا تَامًّا، فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلاَ نَهَارٍ، إِلاَّ صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ، مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ))[2]، وقال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أبوبكرٍ سيِّدُنا، وأعتَقَ سيِّدَنا. يعني بلالاً)[3]، وفي ذلك بيان على عظم فضله رضي الله عنه ومكانته.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان منزلة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند الصحابة رضي الله عنهم:

هذا ما ظهر جليا في الحديث "من تعظيم بلال رضي الله عنه لحرمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في عدم إنكاره عليها وإعلامها أنها شغلته عما جاء بسببه، وأن المصلين ينتظرون حضور رسول الله ﷺ ليصلي بهم"[4].

وقد عَظُمت منزلة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قلوب الصحابة رضي الله عنهم، "فهي الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، زوج النبي ﷺ الحبيب، وأليفة القريب سيد المرسلين، المبرأة من العيوب.. المعراة من ارتياب القلوب"[5].

قال فيها حسان بن ثابت رضي الله عنه يذكر طهرها وشرفها:

رأيْتُكِ، ولْيَغْفِرْ لكِ اللَّهُ، حُرَّةً ... مِنَ المُحصنَاتِ غيرَ ذاتِ غوَائِلِ

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ١٦٥/٣، ٢٣٢/٣، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٤٧/١ - ٣٦٠، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ص ١٣٨.

(٢) أخرجه البخاري ١١٤٩، ومسلم ٢٤٥٨ واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧٥٤.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٧٣.

(٥) انظر: موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٢٠/١.

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ ... وتُصْبِحُ غرثي مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ

وإنَّ الذي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بلائقٍ ... بِكِ الدهرَ بل قيلُ امْرِىءٍ متماحلِ

فإن كُنْتُ أهجُوكُم كما بلَّغوكُمُ ... فلا رَفَعَتْ سَوْطِي إليَّ أَنامِلِي

وكَيْفَ وودِّي ما حَيِيتُ وَنُصْرَتي ... لآلِ رَسُولِ اللهِ زَيْنِ المَحَافِلِ

وإنَّ لَهُمْ عِزًّا يُرى النَّاسُ دُوْنَهُ ... قِصَارًا وَطَالَ العِزُّ كُلَّ التَّطَاوُلِ

عَقيلة حَيٍّ مِن لُؤيِّ بنِ غَالبٍ ... كرام المَسَاعي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائلِ

مهذَّبة قد طَيَّبَ اللهُ خيمَهَا ... وطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوْءٍ وبَاطِلِ[1]

وقد علم الصحابة رضي الله عنهم شرف مكانتها رضي الله عنها وعظيم منزلتها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا يتحرون بهداياهم يومها، فعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: كان الناسُ يَتحرَّون بهَداياهم يومَ عائشة. قالت عائشةُ: فاجتمعَ صَواحِبي إلى أمِّ سلمةَ فقُلنَ: يا أمَّ سلمةَ، واللهِ إنَّ الناسَ يَتحرَّونَ بهداياهم يومَ عائشةَ، وإنَّا نريدُ الخيرَ كما تريدُهُ عائشة، فمري رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أن يأمُرَ الناسَ أن يُهدوا إليه حيثُ كان، أو حيثُ ما دار. قالت: فذكرَتْ ذلكَ أمُّ سلمةَ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، قالت: فأعرَضَ عني. فلما عادَ إليَّ ذكَرْتُ له ذلك، فأعرضَ عني. فلما كان في الثالثة ذكرتُ له فقال: ((يا أمَّ سلمةَ، لا تؤذيني في عائشةَ، فإنه واللهِ ما نزلَ عليَّ الوحيُ وأنا في لحاف امرأةٍ منكن غيرها))[2].

وقد استفاضت النصوص في بيان عظم فضلها وشرف مكانتها بما لا يتسع المقام لذكرها، وفي ذلك بيان على عظيم مكانة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند الصحابة رضي الله عنهم.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الأذان:

قد ورد الأذان كأحد أساليب الدعوة إلى الله في الحديث من قول الراوي: "فقام بلال فآذنه بالصلاة، وتابع أذانه".

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢٥٢/٣ - ٢٥٣.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٧٥.

وقد شرع للدعوة إلى الصلاة والجمع عليها نداءٌ، لم تتجلّ فيه مقاصد الصلاة ومعانيها فحسب، بل تجلّت فيه كذلك مقاصد الإسلام وشعار التوحيد، وروح الدين، بوضوح وبلاغة وإيجاز، وجمال ونغمة، أصبح بها هذا النداءُ الذي يرفع به المؤذن صوته من مكان عال خمس مرات في كل يوم، دعوة مركّزة إلى الإسلام، تعريفًا بمقاصده وتعليماته، قد يؤثر في نفوس كثير من غير المسلمين، فيشرح الله صدورهم للإسلام، وليس لهذا النداء - الذي يجمع بين الجمال والبساطة - نظير في أساليب الدعوة والإعلام بالعبادات في الديانات الأخرى، إنه هو النداء الديني الوحيد الذي ابتعد عن كل مظهر خارجي، وعن استعانة بالآلات والإغراءات، وجاء فيه لباب الدين، وخلاصته.

إنه يضم الإعلان بعظمة الله وكبريائه، وأنه أكبر من كل كبير، ويضم الشهادتين، شهادة: (أن لا إله إلا الله)، وشهادة: (أن محمدًا رسول الله) ثم الدعوة إلى الصلاة وحضورها في جماعة في المسجد، ثم الإخبار بأنها وسيلة الفلاح في الدنيا والآخرة، وأن لا فلاح بدونها، فأصبح بذلك كلمة جامعة، ودعوة كاملة، ونداءًا بليغًا يخاطب القلب والعقل، ويلفت المسلم وغير المسلم، وينشّط الكسلان، وينبه الغافل، يقول حكيم الإسلام الشيخ أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي: "واقتضت الحكمة الإلهية أن لا يكون الأذان وسيلة إعلام وتنبيه فحسب، بل يضم مع ذلك أن يكون من شعائر الدين بحيث يكون النداء به على رؤوس الخامل والنبيه، تنويهًا بالدين، ويكون قبوله من القوم آية انقيادهم لدين الله، فوجب أن يكون مركبًا من ذكر الله، ومن الشهادتين والدعوة إلى الصلاة ليكون مصرحًا بما أريد به"[1].

رابعًا- من واجبات المدعو: الحرص على ركعتي الفجر ومراعاة تحسينهما:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: (إني كنت ركعت ركعتي الفجر، فقال: يا رسول الله! إنك أصبحت جدًا! قال: لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتها وأحسنتها وأجملتها)، وفي ذلك بيان على حرصه ﷺ على ركعتي الفجر، وفي بيان

---

(١) الأركان الأربعة "الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج"، أبو الحسن الندوي ص ٥٠ - ٥١.

قوله ﷺ: (لو أصبحت أكثر مما أصبحت)، قال ابن علان: "أي: ولم أكن ركعتهما (لركعتهما وأحسنتهما)، بالإتيان بالسنن والهيئات (وأجملتهما)، بالآداب والتطوعات"[١]، وفي ذلك بيان على أهمية الحرص على ركعتي الفجر ومراعاة تحسينهما وتجميلهما، فعلى المدعو أن يحرص عليهما لما في ذلك من فضل عظيم وخير عميم فهما: ((خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا))[٢]، "أي: من متاع الدنيا"[٣]، ((ولَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ تَعَاهُدًا مِنْهُ عَلَى رَكْعَتَي الْفَجْرِ))[٤]. وما ذلك إلا لعظيم فضلهما.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٧٣.

(٢) أخرجه مسلم ٧٢٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠٢.

(٤) أخرجه البخاري ١١٦٩، ومسلم ٧٢٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالقدوة:

للتربية بالقدوة تأثير عظيم في نفوس الناس، خاصة الناشئة والشباب.

ولقد ربّى النبي ﷺ أصحابه على التمسك بأداء سنة الصبح، فقال: "ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها"، كما تحدث ﷺ عن نفسه، فقال: "لهما أحبُّ إليّ من الدنيا جميعًا"، ولم يكتف ﷺ بالقول فقط ﷺ بل التزم أيضًا بما ربىّ عليه أصحابه رضوان الله عليهم، فهذه زوجته عائشة رضي الله عنها وأقرب الناس إليه وأكثرهم اطلاعًا على أحواله، تذكر عنه ﷺ أنه كان لا يدع أربعًا قبل الظهر، وركعتين قبل الغداة، وأنه ﷺ لم يكن على شيء من النوافل أشد تعاهدًا منه على ركعتي الفجر، وهذا النبي ﷺ نفسه يخبر مؤذنه بلالاً رضي الله عنه بأنه حريص على فعلهما ولو في وقت الإسفار، فقال ﷺ: "لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتهما وأحسنتهما وأجملتهما"، ولم يقتصر الأمر على الصلاة فحسب بل كان ﷺ كذلك في جميع شؤونه يفعل ما يدعو أصحابه إليه ويكون أول الفاعلين وأسبق الممتثلين، فإذا أمر الناس بالشجاعة كان أول السابقين إلى ميدان القتال، وإذا دعا الناس إلى الإنفاق والبذل كان أسبقهم وأكثرهم عطاءً وبذلاً، وإذا رغّب الناس في حسن الخلق، كان أحسنهم أخلاقًا وصفاتٍ وشمائل، ولذا كان النبي ﷺ هو القدوة والمثل الذي يحتذى لكل المربين والمعلمين والدعاة والوعاظ وغيرهم.

يقول ابن الجوزي عن أهمية العمل بالعلم: "لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته: العامل منهم بعلمه، وإن كان غيره أعلم منه.

ولقيت جماعة من علماء الحديث يحفظون ويعرفون، ولكنهم كانوا يتسامحون بغيبةٍ، يخرجونها مخرج جرح وتعديل، ويأخذون على قراءة الحديث أجرة، ويسرعون بالجواب لئلا ينكسر الجاه وإن وقع خطأ.

ولقيت عبدالوهاب الأنماطي فكان على قانون السلف، لم يسمع في مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجرًا على سماع الحديث، وكنت إذا قرأت عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكاؤه، فكان - وأنا صغير السن حينئذٍ يعمل بكاؤه في قلبي ويبني قواعد، وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النقل. ولقيت الشيخ أبا منصور الجواليقي، فكان كثير الصمت شديد التحرّي فيما يقول متقنًا محققًا.

وربما سئل المسألة الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه، فيتوقف فيها حتى يتيقن وكان كثير الصوم والصمت، فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما. ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول.

ورأيت مشايخ كانت لهم خلوات في انبساط ومزاح، فراحوا عن القلوب، وبدّد تفريطهم ما جمعوا من العلم، فقلّ الانتفاع بهم في حياتهم، ونُسُوا بعد مماتهم، فلا يكاد أحد أن يلتفت إلى مصنفاتهم. فالله الله في العلم بالعمل، فإنه الأصل الأكبر، والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة، فَقَدِمَ مفلسًا، مع قوة الحجة عليه"[1].

ثانيًا- التربية على تقديم اللذة الدائمة على اللذة الوقتية الآنية:

هذا مستمد من قوله ﷺ: "ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها"، وفي رواية: "لهما أحب إليّ من الدنيا جميعًا"، فوقت صلاة الصبح يمتد من طلوع الفجر الثاني إلى شروق الشمس، والناس في هذا الوقت الأغلب عليهم أنهم مستغرقون في النوم، ويجدون لذة في هذا النوم ومتعة، فتجد القيام منه فيه صعوبة كبيرة، وثقلاً شديدًا على النفس حتى إن بعضهم قد يريد القيام لكن يغلبُ عليه طلبُ الراحة وتحصيل اللذة فيعود إلى نومه مستغرقًا فيه، والمقصود أن النوم في هذا الوقت محبب إلى النفس لذيذ إليها، لكن النبي ﷺ أخبر أن القيام لصلاة التطوع قبل صلاة الصبح الفريضة خير من الدنيا وما فيها جميعًا، فهما خير من لذات الدنيا ومتعها، فلا يساوي تحصيلها والتمتع

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٢١٧، ٢١٨.

بها هاتين الركعتين من التطوع فكيف بصلاة الصبح الفريضة نفسها؟

إن النبي ﷺ يعلمنا أن نقدم دائمًا اللذة الدائمة على اللذة الوقتية الآنية، فيعلمنا أن نعمل على تحصيل لذة ثواب الصلاة الذي يكون في الآخرة الدائمة، على التمتع بلذة الدنيا الفانية الزائلة التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ومن ثمّ كان على المربين ان يربوا أتباعهم على ذلك فلا ينخدعوا بالزائل الوقتي على حساب الدائم الباقي، أي تربيتهم على أن يكون همهم الأول هو العمل للآخرة، وليس للدنيا، وليس معنى ذلك ترك الدنيا والزهد فيها والرغبة عنها، وإنما يكون إعمار الدنيا طريقًا لإعمار الآخرة لا للإعراض عنها وإهمالها. قال ابن القيم: "اللذة من حيث هي مطلوبة للإنسان، بل ولكل حيٍّ، فلا تذمُّ من جهة كونها لذة، وإنما تذمّ ويكون تركها خيرًا من نيلها، وأنفع إذا تضمنت فوات لذة أعظم منها وأكمل، أو أعقبت ألما حصوله أعظم من ألم فواتها.

فههنا يظهر الفرق بين العاقل الفطن والأحمق الجاهل، فمتى عرف العقل التفاوت بين اللذتين والألمين، وأنه لا نسبة لأحدهما على الآخر، هان عليه ترك أدنى اللذتين لتحصيل أعلاهما، واحتمال أيسر الألمين لدفع أعلاهما.

وإذا تقررت هذه القاعدة، فلذة الآخرة أعظم وأدوم، ولذة الدنيا أصغر وأقصر، وكذلك ألم الآخرة وألم الدنيا.

والمعوّل في ذلك على الإيمان واليقين، فإذا قوي اليقين وباشر القلب آثر الأعلى على الأدنى في جانب اللذة واحتمل الألم الأسهل على الأصعب والله المستعان"[1].

ثالثًا: من آداب المربي: سعة الصدر والإجابة على الأسئلة:

وهذا مستمد من موقف النبي ﷺ وإجابته على استفسار بلال رضي الله عنه، عن إبطائه ﷺ في الخروج إلى الصلاة، وقد أعلمه بأنه آذنه بها، فأخبره النبي ﷺ أنه كان يصلي ركعتي سنة الصبح: "إني كنت ركعت ركعتي الفجر" فعجب وسأل عن تأدية هاتين

---

(١) الفوائد، ٢٨٣، ٢٨٤.

الركعتين في وقت إسفار الصبح جدًا، فأخبره النبي ﷺ أنه كان سيصليهما ولو أسفر الصبح أكثر من ذلك: "لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتهما وأحسنتهما وأجملتهما"، ففي هذا الحديث إجابة النبي ﷺ بلالاً عما سأل، واحترم سؤاله الثاني وإن كان يحمل التعجب الذي هدفه العلم النافع، مع أنه قد يُعتقد أن بلالاً ليس له الحق في توجيه السؤال الثاني، لأن النبي ﷺ ما ينطق عن الهوى، وهو المشرع لهذه الأمة يفعل ما يراه صالحًا لها، لكنه ﷺ وهو المعلم الأكمل والمربي الأرشد، أجاب عن سؤال بلال، ولعل ذكر حديث آخر يوضح المراد ويبين المقصود.

قال عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر وهو صائم، فلما غابت الشمس، قال لبعض القوم يافلان قم فاجْدح لنا[1]، فقال: يا رسول الله لو أمسيت؟ قال: انزل فاجْدح لنا. قال: إن عليك نهارًا، قال: انزل فاجْدح لنا. فنزل فجدح لهم، فشرب النبي ﷺ ثم قال: إذا رأيتم الليل قد أقبل من ههنا فقد أفطر الصائم"[2].

قال ابن حجر: "وأما قول الراوي: (وغربت الشمس)، فإخبار منه بما في الأمر نفسه، وإلا فلو تحقق الصحابي أن الشمس غربت ما توقف، لأنه حينئذٍ يكون معاندًا، وإنما توقف احتياطًا واستكشافًا عن حكم المسألة، قال الزين بن المنير: يؤخذ من هذا جواز الاستفسار عن الظواهر لاحتمال أن يكون المراد إمرارها على ظاهرها، وكأنه أخذ ذلك من تقريره ﷺ الصحابي على ترك المبادرة إلى الامتثال... وفي الحديث تذكير العالم بما يخشى أن يكون نسيه وترك المراجعة له بعد ثلاث"[3].

والمقصود بيان أن في ذلك دعوة للمربين أن يتسع صدرهم ويحترموا أسئلة الناشئة وغيرهم ويجيبوا عنها بما يقنع السائل ويفيده، ولا يهملون الإجابة عن ذلك ولو كانت الأسئلة في غير موضعها وقتًا وعلمًا ومكانًا وزمانًا، لما في ذلك من فوائد تربوية مهمة

---

(١) الجدح: تحريك السويق (وهو طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير) ونحوه بالماء بعود يقال له: المجدح مجنح الرأس. فتح الباري، ابن حجر ١/١٠٩٠، وانظر المعجم الوسيط، ٤٦٥.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، ١٩٥٥، ومسلم، ١١٠١، واللفظ للبخاري.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١/١٠٩٠ الدولية.

جدًا تعود على المربين ومن يربونهم، فإنه تنمو عند الناشئة الرغبة في المشاركة وإبداء الآراء والاقتراحات. كما توجد عندهم الدوافع لمزيد من التساؤلات والاستفسارات، وقد يكون بعض المربين أوقاتهم مزدحمة وظروفهم لا تسمح لهم، فيكون الحل الأسهل لديه أن ينعزل عن التجاوب مع الناشئة بحجة أنه مشغول ولا وقت لديه للبحث في مثل هذه الأمور، أو ما يظهر على هذه المقترحات من سطحية وعدم اكتمال ونحو ذلك: وهذا من الأخطاء الكبيرة، فإن الناشئ ينظر إلى مربيه نظرة مملوءة بالتقدير، وأنه هو القادر على أن يحلّ له هذه المعضلات، فإذا صدّه عن ذلك لجأ إلى غيره يبحث عنده عمّا لم يجده عند مربيه، إضافة إلى ما يترتب على ذلك من قطيعة فكرية، أو ضعف التواصل الفكري بين الصبي وبين مربيه، بل ينبغي على المربي أن يتسع صدره لذلك، وأن يقصر نفسه قصرًا على توفير وقت من أوقاته يلبي فيه هذه الاحتياجات، إذ هي أولى من كثير مما يظن من الأمور، ولا يستعجل بل يسمع منه ويصغى إليه، ويناقشه فيما يقول ويوضح له، لأن ذلك هو طريق بناء الإنسان الذي يمكن أن ينفع نفسه ومجتمعه ودينه"[1].



(١) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ١١٩، ١٢٠.

١٩٧- باب تخفيف ركعتي الفجر

وبيان مَا يقرأ فيهما وبيان وقتهما

الحديث رقم (١١٠٦)

١١٠٦ - عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يُصلّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ بَيْنَ النِّدَاءِ وَالإِقَامَةِ مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ. متفقٌ عَلَيهِ[١].

وفي روايةٍ لَهُمَا[٢]: يُصَلِّي رَكْعَتَي الفَجْرِ، فَيُخَفِّفُهُمَا حَتَّى أقُولَ: هَلْ قَرأَ فِيهما بِأُمِّ القُرآنِ.

وفي رواية لمسلم[٣]: كَانَ يُصلِّي رَكْعَتَي الفَجْرِ إذَا سَمِعَ الأذَانَ وَيُخَفِّفُهُمَا.

وفي رواية[٤]: إذَا طَلَعَ الفَجْرُ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

النداء: الأذان[٥].

أم القرآن: سورة الفاتحة[٦].

الشرح الأدبي

الحديث مع تقريره لصلاة ركعتي الفجر يشير إلى خصيصة في هاتين الركعتين

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٩) واللفظ له، ومسلم (٧٢٤/٩١).

(٢) أخرجها البخاري (١١٧١)، ومسلم (٧٢٤/٩٢) واللفظ له، من حديث أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن، عن أمه.

(٣) برقم (٧٢٤/٩٠) من حديث هشام بن عروة، عن أبيه.

(٤) بعد حديث (٧٢٣/٨٨، بدون رقم) من حديث أبي أسامة.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١١٥/٢، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٦٨.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٥٧/٣.

وهي أنهما خفيفتان، وتأكيد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الخبر الذي ترويه عن الرسول ﷺ في قولها: (أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ) لاعتقاد كثير من الناس أنه ﷺ يطيل في النوافل، وأنه أولى هاتين الركعتين عناية كما دلت بعض أحاديث الباب، واستخدامها الماضي (كان) يشير إلى العادة الغالبة في صلاته تلك أن يخففها، والتعبير بالخفة يشير إلى قصر وقت القراءة يدل على ذلك قول عائشة رضي الله عنها في الرواية الأخرى (فَيُخَفِّفُهُمَا حَتَّى أقُولَ: هَلْ قَرَأَ فِيهما بِأُمِّ القُرْآنِ) كناية عن تقصير القراءة فيها مع الوفاء بجميع الأركان، وهي قصيرة بالنسبة لصلاته لغيرها لنه كان يطيل في أكثر النوافل.

فقه الحديث

١ - قال النووي: (قوله: "كان رسول الله ﷺ يصلّي ركعتي الفجر إذا سمع الأذان ويخففهما[١] وفي رواية "إذا طلع الفجر"[٢] فيه أن سنة الصبح لا يدخل وقتها إلا بطلوع الفجر. واستحباب تقديمها في أول طلوع الفجر وتخفيفها، وهو مذهب مالك والشافعي والجمهور، وقال بعض السلف: لا بأس بإطالتهما، ولعله أراد أنها ليست محرمة، ولم يخالف في استحباب التخفيف. وقد بالغ قوم فقالوا: لا قراءة فيهما أصلاً حكاه الطحاوي والقاضي عياض)[٣] وهو غلط بيّن، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة التي ذكرها مسلم بعد هذا أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فيهما بعد الفاتحة بـ "قل يا أيها الكافرون" و"قل هو الله أحد" وفي رواية "قولوا آمنا بالله" و"قل يا أهل الكتاب تعالوا" وثبت في الأحاديث الصحيحة: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"[٤] و"لا تجزيء صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب"[٥] [٦].

---

(١) هذه رواية عند مسلم ٧٢٤، ٩٠.

(٢) هذه رواية عند مسلم بعد الحديث ٧٢٤، ٩٠.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦٤/٣.

(٤) أخرجه البخاري ٧٥٦، ومسلم ٣٩٤ من حديث عبادة بن الصامت >.

(٥) أخرجه الدارقطني ٣٢٢/١،وقال: إسناده صحيح.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤/٦/٣ .

٢ - قال النووي: (قوله ﷺ "كان إذا طلع الفجر لا يصلّي إلا ركعتين خفيفتين" قد يستدل به من يقول تكره الصلاة من طلوع الفجر إلا سنة الصبح وما له سبب، ولأصحابنا في المسألة ثلاثة أوجه:

أحدها: هذا ونقله القاضي عياض عن مالك والجمهور[١].

والثاني: لا تدخل الكراهة حتى يصلي سنة الصبح.

الثالث: لا تدخل الكراهة حتى يصلّي فريضة الصبح.

وهذا هو الصحيح عند أصحابنا، وليس في هذا دليل ظاهر على الكراهة، إنما فيه الإخبار بأنه ﷺ كان لا يصلّي غير ركعتي السنة ولم ينه عن غيرها)[٢].

المضامين الدعوية [٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: تخفيف النبي ﷺ في ركعتي الفجر.

ثانيًا: من فقه الداعية: بيان الحكمة من تخفيف النبي ﷺ لركعتي الفجر.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في تخفيف ركعتي الفجر.

أولاً - من موضوعات الدعوة: تخفيف النبي ﷺ في ركعتي الفجر:

قد ورد ذلك في الأحاديث الواردة من قول عائشة رضي الله عنها: (إن رسول الله ﷺ كان يصلي ركعتين خفيفتين... إلخ)، ومن قول حفصة رضي الله عنها: "إن رسول الله ﷺ كان إذا أذن المؤذن للصبح وبدا الصبح صلى ركعتين خفيفتين"، وفي بيان ذلك قال النووي: "هذا الحديث دليل المبالغة في التخفيف، والمراد المبالغة بالنسبة إلى عادته ﷺ من إطالة صلاة الليل وغيرها من نوافله"[٤]، ((فقد كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيَقُومُ أو لِيُصَلِّيَ حَتَّى تَرِمُ

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦٦/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٦/٣ .

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٠٦ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٠٧).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٠١.

قَدَمَاهُ، أَوْ سَاقَاهُ))[(١)]، (أما في ركعتي الفجر فكان ﷺ يخفف أركانها بالاقتصار على المجزئ منها، حتى تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: هل قرأ فيهما بأم القرآن)[(٢)]، قال القرطبي: (وليس معنى هذا أنها شكّت في قراءته ﷺ فيها بأم القرآن، لأنه قد ثبت عنه ﷺ أنه قال: ((لا صلاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِأُمِّ الْقُرْآنِ))[(٣)]، وإنما معنى ذلك: أنه ﷺ كان في غيرها من النوافل يقرأ بالسورة، ويرتلها حتى تكون أطول منها[(٤)]، بخلاف فعله في هذه فإنه كان يخفف أفعالها وقراءتها، حتى إذا نسبت إلى قراءته في غيرها كانت كأنها لم يقرأ فيها. وقد دلّ على صحة هذا ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ كان يقرأ فيهما بـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[(٥)]، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[(٦)(٧)]، وهذا بعد قراءة الفاتحة في الركعتين قبل السورتين، على ما قد تبيَّن اشتراطه في الصلاة كما تقدم، وعلى هذا يحمل حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (أنه كان يقرأ فيهما بقوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾[(٨)]، وبقوله تعالى: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾[(٩)(١٠)]، إنه كان يقرأ ذلك بعد الفاتحة، وما ذكرناه هو الظاهر من مجموع الأحاديث، وهو اختيار جمهور أصحاب مالك، استحبوا: أن يقرأ فيهما بأم القرآن في كل ركعة منهما، و"قل يا أيها الكافرون" في الأولى، و"قل هو الله أحد" في الآخرة، وهو قول الشافعي،

---

(١) أخرجه البخاري ١١٣٠.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٢٧٤.

(٣) أخرجه البخاري ٧٥٦، ومسلم ٢٩٥.

(٤) هذا مضمون الحديث رقم ٧٣٣، ١١٨ في صحيح مسلم.

(٥) سورة الكافرون، آية: ١.

(٦) سورة الإخلاص، آية: ١.

(٧) أخرجه مسلم ٧٢٦.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٣٦.

(٩) سورة آل عمران، آية: ٦٤.

(١٠) أخرجه مسلم ٧٢٧.

وأحمد، واستحب مالك الاقتصار على أم القرآن، على ظاهر حديث عائشة ﵂، وذهب قومٌ إلى أنه لا يقرأ فيهما بالجملة الكافية. حكاه الطحاوي، وذهب النخعي إلى جواز إطالة القراءة فيهما. واختاره الطحاوي، وذهب الثوري والحسن وأبو حنيفة إلى أنه يجوز لمن فاته حزبه من الليل أن يقرأه فيهما[(١)].

ثانيًا - من فقه الداعية: بيان الحكمة من تخفيف النبي ﷺ لركعتي الفجر:

قد أشار نص الحديث إلى تخفيف النبي ﷺ لركعتي الفجر، وفي بيان الحكمة من ذلك قال ابن حجر: "واختلف في حكمه تخفيفهما فقيل: ليبادر إلى صلاة الصبح في أول الوقت وبه جزم القرطبي، وقيل: ليستفتح صلاة النهار بركعتين خفيفتين كما كان يصنع في صلاة الليل، ليدخل في الفرض أو ما شابهه في الفضل بنشاط واستعداد تام"[(٢)]، فعن زيد بن خالد الجُهني ﵁ أنه قال: ((لأَرْمُقَنَّ صَلاَةَ رَسُولِ اللّهِ اللَّيْلَةَ. فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ. طَوِيلَتَيْنِ.... إلخ))[(٣)]، وقال ابن علان: "إن الحكمة من تخفيفه ﷺ للركعتين هو المسارعة لأداء الفرض الذي كان يطيل قراءته فيه"[(٤)]، فعلى الداعية أن يبين الحكمة من تخفيف النبي ﷺ لركعتي الفجر ممتثلاً في ذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[(٥)].

ثالثًا - من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في تخفيف ركعتي الفجر:

إن التأسي بالنبي ﷺ يعني: "تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في كل دقيق وجليل من أمور الدين، والنبي ﷺ هو المبلغ عن ربه عز وجل شرعه، قولاً وعملاً

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٣٦٢ - ٣٦٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣/٥٦، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٣٦٢.

(٣) أخرجه البخاري ٧٦٥.

(٤) دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين ص ٢٧٤.

(٥) سورة النحل، آية: ٤٤.

وتقريرًا ، وهو المبين والمفسر للوحي كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1] ، قال السعدي: "أي: ليس نطقه صادرًا عن هوى نفسه، لا يتبع إلا ما أوحي إليه، من الهدي والتقوى في نفسه وفي غيره، ودلّ هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله ﷺ"[2] ، فعلى المدعو أن يتأسى ويقتدي بالنبي ﷺ في كل أمره، ومن ذلك تخفيف ركعتي الفجر.

---

(١) سورة النجم الآيتان: ٣ - ٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٦٠.

الحديث رقم (١١٠٧)

١١٠٧ - وعن حفصة رضي الله عنها: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إذَا أذَّنَ المُؤَذِّنُ لِلْصُّبْحِ وَبَدَا الصُّبْحُ، صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. متفقٌ عَلَيهِ[١].

وفي رواية لمسلم[٢]: كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ، إذَا طَلَعَ الفَجْرُ لا يُصَلِّي إلاَّ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ.

ترجمة الراوي:

حفصة بنت عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٧٢٥).

الشرح الأدبي

يدور معنى هذا الحديث على بيان صفة ركعتي الفجر، وهو في معنى سابق، وقريب منه في الأسلوب مع اختلاف الراوي حيث إن هذا الحديث ترويه حفصة رضي الله عنها والحديث السابق روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وتعدد الروايات في المعنى الواحد يقرر المعنى، ويؤكده وقولها (كَانَ إذَا أذَّنَ المُؤَذِّنُ لِلْصُّبْحِ) التعبير بفعل الكينونة الماضي يشير إلى أنه متكرر معتاد غالبا كما مرَّ في الحديث السابق، وقوله أذَّنَ المُؤَذِّنُ فيه جناس يؤكد المقصود وقولها (وَبَدَا الصُّبْحُ) كناية عن دخول وقته، وقولها (صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ) التعبير بالماضي يفيد التحقق، والخفة تشير إلى تقصير زمن صلاتهما بتقصير القراءة.

المضامين الدعوية[٣]

(١) أخرجه البخاري (١١٨١)، ومسلم (٧٢٣/٨٧)، والسياق للحميدي في جمعه (٢٤١/٤، رقم ٣٤٦٩).

(٢) برقم (٧٢٣/٨٨) من حديث زيد بن محمد، عن نافع.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٠٨)

١١٠٨ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، وَيُصَلِّي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صلاةِ الغَدَاةِ، وَكَأَنَّ الأَذَانَ بِأُذُنَيْهِ. متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

مثنى مثنى: اثنتين اثنتين، وإعادة مثنى للمبالغة في التأكيد[2].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر بعض السنن، ويبين صفة بعضها، وقول الراوي (كَانَ رسول الله ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ) يشير إلى أن عادته في صلاة القيام أن يصلي ركعتيتن ثم يسلم ثم يصلي ركعتين حتى يصلي ما شاء على هذه الهيئة، ثم يوتر أي يصلي ركعة منفردة، وقوله (وَيُصَلِّي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صلاةِ الغَدَاةِ) (ال) في الركعتين للعهد أي المعهودتان، وقوله (قَبْلَ صلاةِ الغَدَاةِ) قوله قبل يشير إلى سنة الفجر، وصلاة الغداة هي صلاة الفجر، وقوله (وَكَأَنَّ الأَذَانَ بِأُذُنَيْهِ) المراد هنا بالأذان الإقامة، وهي إشارة إلى شدة تخفيفها بالنسبة إلى باقي صلاته ﷺ، والتشبيه يفيد أنه كان يسرع بركعتي الفجر إسراع من يسمع إقامة الصلاة خشية فوات أول الوقت، ومقتضى ذلك تخفيف القراءة فيهما، واستخدام كأن يفيد المبالغة في شدة الشبه، والغرض منه بيان حاله في أداء هاتين الركعتين.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩٥)، ومسلم (٧٤٩/١٥٧) واللفظ له. وسيكرره المؤلف برقم (١١٧٠).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥٥٦/٢.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (قوله: "كان النبي ﷺ يصلّي من الليل مثنى مثنى" استدلّ به على فضل الفصل لكونه أمر بذلك وفعله، وأما الوصل فورد من فعله فقط)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على قيام الليل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان كيفية صلاة النبي ﷺ بالليل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على صلاة الوتر.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: تخفيف النبي ﷺ في ركعتي الفجر.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على قيام الليل:

هذا ما يستفاد من نص الحديث في قول ابن عمر رضي الله عنهما: (كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل... إلخ)، وقيام الليل من أعظم دلائل حب الله، فهو دأب الصالحين، وقربة إلى رب العالمين، وقد أثنى الله تعالى على أهله، فقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٢]، "وقد تلا رسول الله ﷺ هاتين الآيتين لمعاذ رضي الله عنه في مَعرِض جوابه عن سؤاله"[٣]، يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عنِ النَّارِ، قَالَ: ((لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ: تَعْبُدُ الله وَلاَ تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوفِ اللَّيْلِ))، قَالَ: ثُمَّ تَلاَ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٤٨٦/٢ .

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٣) انظر: شرح الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله كما عدّها ابن القيم، إعداد: عبدالعزيز مصطفى ص ١٢٩.

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾[١][٢].

وقد جعله الله - أي قيام الليل - صفة للمتقين فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[٣].

قال ابن كثير: "اختلف المفسرون في ذلك على قولين:

أحدهما: أن (ما) نافية، تقديره: كانوا قليلاً من الليل لا يهجعونه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئًا، وقال قتادة، عن مطرف ابن عبدالله: قلَّ ليلة تأتي عليهم لا يصلون فيها لله عز وجل، إما من أولها وإما من أوسطها. وقال مجاهد: قلَّ ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون. وكذا قال قتادة. وقال أنس ابن مالك رضي الله عنه، وأبو العالية: كانوا يصلون بين المغرب والعشاء. وقال أبو جعفر الباقر: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة.

والقول الثاني: أن (ما) مصدرية، تقديره: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم ونومهم. واختاره ابن جرير. وقال الحسن البصري: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون): كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله، ونشطوا فمدّوا إلى السحر، حتى كان الاستغفار بسحر. وقال قتادة: قال الأحنف بن قيس: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون): كانوا لا ينامون إلا قليلاً"[٤].

وقد حثّ النبي ﷺ على قيام الليل فقال: ((أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ. وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلاَةُ اللَّيْلِ))[٥].

وقال ﷺ: ((عليكم بقيامِ الليلِ؛ فإنَّه دأبُ الصالحينَ قبلَكم، وهوَ قُربةٌ لكم

---

(١) سورة السجدة، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

(٣) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ - ١٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١٦/٧ - ٤١٩.

(٥) أخرجه مسلم ١١٦٣.

إلى ربِّكم، ومَكْفَرَةٌ للسَّيِّئاتِ، ومَنهاةٌ عنِ الإثمِ))[١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ رَجُلَيْنِ، رَجُلٍ ثَارَ عَنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ، وَحَيِّهِ إِلَى صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ رَبُّنَا: أَيَا مَلَائِكَتِي، انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، ثَارَ مِنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ، وَمِنْ بَيْنِ حَيِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، وَرَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَانْهَزَمُوا، فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْفِرَارِ، وَمَالَهُ فِي الرُّجُوعِ، فَرَجَعَ حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، فَيَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَرَهْبَةً مِمَّا عِنْدِي، حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ))[٢].

وقد دعا النبي ﷺ بالرحمة لمن حرص على ذلك فقال: ((رَحِمَ الله رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا المَاءَ. رَحِمَ الله امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ المَاءَ))[٣].

قال صاحب عون المعبود: "(قام من الليل): أي بعضه (فصلى): أي التهجد (وأيقظ امرأته): بالتنبيه أو الموعظة وفي معناها محارمه (فإن أبت): أي امتنعت لغلبة النوم وكثرة الكسل (نضح): أي رش (في وجهها الماء): والمراد التلطف معها والسعي في قيامها لطاعة ربها مهما أمكن، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[٤] وقال ابن الملك: وهذا يدل على أن إكراه أحد على الخير يجوز بل يستحب (رحم الله امرأة قامت من الليل): أي وفقت بالسبق (فصلت وأيقظت زوجها): والواو لمطلق الجمع، وفي الترتيب الذكرى إشارة لطيفة لا تخفى، وفيه بيان حسن المعاشرة وكمال الملاطفة والموافقة"[٥].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٠٧/١، رقم ١١٩٧، وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وقال محقق المستدرك: هو حديث صحيح بمجموع شواهده.

(٢) أخرجه أحمد ٤١٦/١، رقم ٣٩٤٩، وقال محققو المسند: إسناده حسن إلا أن الدار قطني صحح وقفه ٦٢/٧.

(٣) أخرجه أبو داود ١٣٠٨، وقال الألباني: حديث حسن صحيح، (صحيح سنن أبي داود ١١٦٠).

(٤) سورة المائدة، آية: ٢.

(٥) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد شرف الحق العظيم آبادي ص ٦١٩.

وقد كان للسلف الصالح أقوال مضيئة في ذلك، منها ما قاله الحسن البصري: "لم أجد من العبادة شيئًا أشد من الصلاة في جوف الليل، فقيل له: ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهًا؟ فقال: لأنهم خلو بالرحمن فألبسهم من نوره"(١).

وقد بيّن ابن قدامة المقدسي أن لقيام الليل أسبابًا ميسرة له فقال: "اعلم أن قيام الليل صعب إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له. فمن الأسباب ظاهر، ومنها باطن، فأما الظاهر: فأن لا يكثر الأكل، كان بعضهم يقول: يا معشر المريدين، لا تأكلوا كثيرًا، فتشربوا كثيرًا، فتناموا كثيرًا، فتخسروا كثيرًا.

ومنها: أن لا يتعب نفسه بالنهار بالأعمال الشاقة.

ومنها: أن لا يترك القيلولة بالنهار.

ومنها: أن يجتنب الأوزار. قال الثوري: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته.

وأما الميسرات الباطنة: فمنها: سلامة القلب للمسلمين، وخلوه من البدع، وإعراضه عن فضول الدنيا.

ومنها: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل.

ومنها: أن يعرف فضل قيام الليل.

ومن أشرف البواعث على ذلك الحب لله تعالى، وقوة الإيمان بأنه إذا قام ناجى ربه، وأنه حاضره ومشاهده، فتحمله المناجاة على طول القيام.

قال أبو سليمان: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا "(٢).

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان كيفية صلاة النبي ﷺ بالليل:

قد ورد ذلك في الحديث من قول ابن عمر ﷺ: (كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل مثنى مثنى)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن صلاة الليل فقال

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة ص ٧٠.

(٢) المرجع السابق ص ٧٠ - ٧١.

رسول الله ﷺ: ((صلاةُ الليلِ مَثنى مثنى))[١]. قال ابن حجر: "أي: اثنتين اثنتين...، وإعادة مثنى للمبالغة في التأكيد، وقد فسره ابن عمر رضي الله عنهما راوي الحديث من طريق عقبة بن حريث، قال: قلت لابن عمر: ما معنى مثنى مثنى؟ قال: تسلم من كل ركعتين، وما فسره به هو المتبادر إلى الفهم...، قال ابن دقيق العيد: وهو ظاهر السياق، وحمله الجمهور على أنه لبيان الأفضل لما صحّ من فعله ﷺ بخلافه، ولم يتعين أيضًا كونه لذلك، بل يحتمل أن يكون للإرشاد إلى الأخف، إذ السلام بين كل ركعتين أخف على المصلي من الأربع فما فوقها، لما فيه من الراحة غالبًا، وقضاء ما يعرض من أمر مهم"[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على صلاة الوتر:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قول ابن عمر رضي الله عنهما: (ويوتر بركعة من آخر الليل)، وفي بيان حرصه ﷺ على صلاة الوتر قال أبو هريرة رضي الله عنه: ((أوصاني خليلي بثلاثٍ لا أدعهنَّ حتى أموت: صومِ ثلاثةِ أيَّامٍ من كل شهر، وصلاةِ الضُّحى، ونوم على وِتر))[٣]، وقال ﷺ: ((مَنْ نَامَ عَنْ وِتْرِهِ أَوْ نَسِيَهُ فَلْيُصَلِّهِ إذَا ذَكَرَهُ))[٤]، قال صاحب عون المعبود: "قال الشوكاني: الحديث يدل على مشروعية قضاء الوتر إذا فات، وقد استدل بالأمر بقضاء الوتر على وجوبه، وحمله الجمهور على الندب"[٥]، وقد رغّب النبي ﷺ في الحرص على صلاة الوتر فقال: ((مَنْ خافَ أنْ لا يقومَ منْ آخرِ الليلِ فلْيُوترْ أوَّلَه، ومَنْ طمعَ أنْ يقومَ آخرَه فلْيوترْ آخرَ الليلِ، فإنَّ صلاةَ آخرِ الليْلِ مشهودةٌ، وذلكَ أفضلُ))[٦]،

---

(١) أخرجه البخاري ٩٩٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢/٥٥٦.

(٣) أخرجه البخاري ١١٧٨.

(٤) أخرجه أبو داود ١٤٣١، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٢٦٨).

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٦١.

(٦) أخرجه مسلم ٧٥٥.

"أي: أفضل أن يشهدها ملائكة الرحمة"[١]، وقال ﷺ: ((يا أَهْلَ القرآنِ أَوْتِرُوا، فإنَّ اللَّه تَعَالَى وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ))[٢]، "أي: يثيب عليه ويقبله من عامله"[٣]. وفي ذلك بيان على حرصه ﷺ على صلاة الوتر.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: تخفيف النبي ﷺ في ركعتي الفجر:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول ابن عمر رضي الله عنهما، ويصلي الركعتين قبل صلاة الغداة، وكأن الأذان بأذنيه، قال النووي: "قال القاضي: المراد بالأذان هنا: الإقامة، وهو إشارة إلى شدة تخفيفها بالسنة إلى باقي صلاته ﷺ"[٤]، وقال ابن حجر في قوله ﷺ: "بأذنيه، أي لقرب صلاته من الأذان، والمراد هنا الإقامة فالمعنى أنه كان يسرع بركعتي الفجر إسراع من يسمع إقامة الصلاة خشية فوات أول الوقت، ومقتضى ذلك تخفيف القراءة فيهما"[٥]، وهذا ما بينته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قولها: ((كانَ النبيُّ ﷺ لَيُصلِّي رَكْعَتَيِ الفَجْرِ، فَيُخَفِّفُهُمَا حَتَّى إني لأَقُولُ هَلْ قرأ فِيهِمَا بِأُمِّ القُرآنِ؟))[٦]، فهذا الحديث دليل على المبالغة في التخفيف، والمراد بالمبالغة بالنسبة إلى عادته ﷺ من إطالة صلاة الليل وغيرها من نوافله[٧]، وفي ذلك بيان على تخفيفه ﷺ لركعتي الفجر.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥١٥.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤١٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٢٥٦).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٥٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥١٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٢/٥٦٥.

(٦) أخرجه البخاري ١١٧١، ومسلم ٧٢٤.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠١.

الحديث رقم (١١٠٩)

١١٠٩ - وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقْرأُ فِي رَكْعَتَي الفَجْرِ فِي الأُولَى مِنْهُمَا: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] الآية الَّتي في البقرة، وفي الآخِرَةِ مِنْهُمَا: ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢] [١].

وفي رواية: وفي الآخِرَةِ الَّتي في آل عِمْران: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] رواهما مسلم.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

الروايات فيما كان يقرؤه صلى الله عليه وآله وسلم في الركعتين قبل الفجر متعددة متنوعة، فمنها ما هذا الحديث، وسيأتي في بعض الأحاديث أنه كان يقرأ بغيرهما على ما سيأتي شرحه، وقول ابن عباس رضي الله عنه (أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ) خبر مؤكد ببعض المؤكدات التي تشير إلى أن في المسألة تنوع، واختلاف في الروايات، فكل منهم سمع من الرسول ﷺ شيئا نقله عنه، وأكد هذا النقل الذي يحقق إقناع المخاطب دون تعارض (كَانَ يَقْرأُ فِي رَكْعَتَي الفَجْرِ فِي الأُولَى مِنْهُمَا: {قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا} الآية الَّتي في البقرة، وفي الآخِرَةِ مِنْهُمَا: {آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأنَّا مُسْلِمُونَ) والطباق بين الأولى، والآخرة يؤكد المعنى، ويقرر ما كان يقرأ في كل ركعة على جهة الوضوح الذي ليس فيه أي لبث كما أن اختيار الآيات له خصوصية من حيث اختيار الموضوع، وهو تجديد الإيمان الفارق بين الحق، والباطل، ونفي الشركاء عن الله تعالى.

---

(١) برقم (٧٢٧/٩٩) و (٧٢٧/١٠٠).

المضامين الدعوية (١)

أولاً: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

ثانيًا: من واجبات الداعية: بيان ما يستحب قراءته من القرآن في ركعتي الفجر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل سورتي البقرة وآل عمران.

رابعًا: من فقه الداعية: بيان الحكمة من قراءة النبي ﷺ لسورتي الإخلاص في ركعتي الفجر.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حرص ابن عمر رضي الله عنهما على متابعة النبي ﷺ والتأسي به.

سادسًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ فيما ورد عنه من القراءة في ركعتي الفجر.

أولاً - من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

وهذا ما يستفاد من سياق الأحاديث في قراءته ﷺ لآيات من القرآن في الصلاة: (والقرآن الكريم كتاب الله أنزله الله على خاتم الأنبياء والمرسلين، دستورًا للأمة، ومنهجًا قويمًا للبشرية جمعاء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هو كتاب هداية وإرشاد وتوجيه، من أجل صلاح البشر في الدنيا والفوز بالجنة والنعيم المقيم في الآخرة، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢)).

ويقول تعالى مقررًا لدور القرآن في الهداية: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٣).

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٠٩ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١١٠)، (١١١١).

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ - ١٦.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ٩ - ١٠.

(والقرآن هو كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، أنزل الله فيه كل علم وبيّن فيه كل شيء، وما نزلت بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله تعالى الدليل على سبيل الهدى فيها، فقد كان ولا يزال هو المرجع الأول لجميع مصادر التشريع في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1][2].

وهو بين الكتب والتشريعات التي سبقته أكملها وأحكمها وأعدلها وأقومها كما وصفه الله جل وعلا بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[3])[4].

"وقد ظلت الأمة الإسلامية حقبًا طويلة من الزمن؛ عزيزة الجانب، صلبة العود، مرفوعة الرأس، قوية الشكيمة، قد كتب الله لها العز والتمكين والنصر، فكانت بحق خير أمة أخرجت للناس؛ وما ذاك إلا لأنها أقبلت على هذا الكتاب العزيز، واهتدت بهديه واستضاءت بنوره، وسارت على دربه، وعُنيت به حفظًا، وفهمًا وتدبرًا، وتعليمًا، وتعلمًا، وعملت بما فيه، ونفذت أحكامه، وجعلته مصدر شريعتها، وسبيل هدايتها وعصمتها من الأهواء، وشفائها من الأدواء"[5].

---

(١) سورة النحل، آية: ٨٩.

(٢) حفظ القرآن الكريم وتعليمه في جميع مراحل التعليم، د. سليمان صالح القرعاوي ص ٩، ضمن بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه.

(٣) سورة المائدة، آية: ٤٨.

(٤) اتخاذ القرآن الكريم أساسًا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، د. صالح بن غانم السدلان ص ٢ -٣، ضمن بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه.

(٥) المرجع السابق ص ٣.

فعلى الأمة جمعاء أفرادًا وشعوبًا وحكامًا أن يحتكموا إلى كتاب الله، فهو شرع الله المحكم، وكتابه المنزل، وهديه المستقيم، فضلاً عن أنه المصدر الأصيل والنبع العظيم في الدعوة إلى الله.

ثانيًا - من واجبات الداعية: بيان ما يستحب قراءته من القرآن في ركعتي الفجر:

قد ورد في الأحاديث بيان ما يستحب قراءته من القرآن في ركعتي الفجر، وفي ذلك يقول النووي: "قوله: قرأ في ركعتي الفجر: (قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد)، وفي الرواية الأخرى قرأ الآيتين: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، وقل: يا أهل الكتاب تعالوا)، هذا دليل لمذهبنا، ومذهب الجمهور، أنه يستحب أن يقرأ فيهما بعد الفاتحة سورة، ويستحب أن تكون هاتان السورتان أو الآيتان كلاهما سنة، وقال مالك وجمهور أصحابه: لا يقرأ غير الفاتحة، وقال بعض السلف: لا يقرأ شيئًا وكلاهما خلاف هذه السنة الصحيحة التي لا معارض لها"[1]، فعلى الداعية أن يبين ما يستحب قراءته من القرآن في ركعتي الفجر، متأسيًا في ذلك بما ورد عن النبي ﷺ في ذلك.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل سورتي البقرة وآل عمران:

يستفاد ذلك مما ورد في الحديث من قراءته ﷺ لآيات منهما في ركعتي الفجر، وقد بين النبي ﷺ عظم فضل سورتي البقرة وآل عمران، فقال: ((اقْرَأُوا الْقُرآنَ. فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ. اقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ. فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ. أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ. أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ. تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ. فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ. وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ. وَلاَ يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ))[2]. قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ)).

قال النووي: "في قوله ﷺ: (اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، قالوا: سميت الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما...، وفي قوله ﷺ: (فإنهما يأتيان

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٠٢.

(٢) أخرجه مسلم ٨٠٤.

يوم القيامة كأنهما غيايتان)، قال أهل اللغة: الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما، قال العلماء المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين. وقوله ﷺ: (أو كأنهما فرقان من طير صواف)، أي: قطيعان، وجماعتان"[١]، وقال النواس بن سمعان رضي الله عنهما: سمعت النبي ﷺ يقول: ((يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ. تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ)) وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ، مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ. قَالَ: ((كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ. بَيْنَهُمَا شَرْقٌ. أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا))[٢]، قال القاضي عياض: "وقوله: (أو ظلتان بينهما شرق)): قيل: معناه: ضياء ونور، رويناه بسكون الراء وفتحها، قيل: معناه: قد يكون يخلق الله خلقًا من قراءته يوم القيامة على صفة الغمامة، أو جماعة الطير يحاج عن القارئ"[٣]، وفي ذلك بيان عظيم على فضل سورتي البقرة وآل عمران.

رابعًا - من فقه الداعية: بيان الحكمة من قراءة النبي ﷺ لسورتي الإخلاص في ركعتى الفجر:

هذا ما يستفاد من نص الحديث في قول أبي هريرة رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: (قل يا أيها الكافرون)، وقرأ: (قل هو الله أحد)، وأيضًا من قول ابن عمر رضي الله عنهما: (رمقت النبي ﷺ شهرًا فكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر: (قل يا أيها الكافرون)، و(قل هو الله أحد)، وفي بيان الحكمة من ذلك قال ابن القيم: "سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: سنة الفجر تجري مجرى بداية العمل، والوتر خاتمته. ولذلك كان النبي ﷺ يُصلي سنة الفجر والوتر بسورتي الإخلاص، وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل، وتوحيد المعرفة والإرادة، وتوحيد الاعتقاد والقصد. انتهى.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٣٨.

(٢) أخرجه مسلم ٨٠٥.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٧٤/٣.

فسورة ﴿قل هو الله أحد﴾[1]: متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة، وما يجب إثباته للرَّب تعالى من الأَحَدِيَّةِ المنافية لمطلق المشاركة بوجه من الوجوه، والصمديَّة المثبتة له جميعَ صفات الكمال التي لا يلحقها نقصٌ بوجه من الوجوه، ونفي الولد والوالد الذي هو من لوازم الصمدية، وغناه وأَحَديَّته ونفي الكفء المتضمِّن لنفي التشبيه والتمثيل والتنظير، فتضمنت هذه السورةُ إثباتَ كل كمال له، ونفي كل نقص عنه، ونفيَ إثبات شبيه أو مثيل له في كماله، ونفي مطلق الشريك عنه، وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي الذي يُباين صاحبُه جميعَ فرق الضلال والشرك، ولذلك كانت ((تَعْدِل ثلثَ القرآن))[2]، فإن القرآن مدارُه على الخبر والإنشاء، والإنشاء ثلاثة: أمر، ونهي، وإباحة. والخبر نوعان: خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه، وخبر عن خلقه. فأخلصت سورةُ ﴿قل هو الله أحد﴾ الخبرَ عنه، وعن أسمائه، وصفاته، فعدلت ثلثَ القرآن، وخلَّصت قارئها المؤمنَ بها من الشرك العلمي، كما خلَّصت سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ من الشرك العملي الإرادي القصدي. ولما كان العلم قبل العمل وهو إمامُه وقائدُه وسائقُه، والحاكُم عليه ومنزله منازِله، كانت سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلثَ القرآن. والأحاديث بذلك تكاد تبلغ مبلغ التواتر، و﴿قل يا أيها الكافرون﴾[3]، تعدل ربع القرآن، والحديث بذلك في الترمذي من رواية ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه: "إذا زلزلت" تعدل نصف القرآن، و"قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن، و"قل يا أيها الكافرون" تعدل ربع القرآن[4].

ولما كان الشرك العملي الإرادي أغلبَ على النفوس لأجل متابعتها هواها، وكثيرٌ منها ترتكبه مع علمها بمضرَّته وبطلانه، لِمَا لَهَا فيه من نيل الأغراض، وإزالتُه، وقلعُه

(١) سورة الإخلاص.

(٢) أخرجه مسلم ٨١١.

(٣) سورة الكافرون، آية: ١..

(٤) أخرجه الترمذي ٢٨٩٣، وقال الألباني: صحيح دون فضل زلزلت، (صحيح سنن الترمذي ٢٣١٨).

منها أصعبُ، وأشدُّ من قلع الشرك العلمي وإزالته، لأن هذا يزول بالعلم والحُجَّة، ولا يمكن صاحبُه أن يعلم الشيء على غير ما هو عليه، بخلاف شرك الإرادة والقصد، فإن صاحبه يرتكِب ما يدله العلم على بطلانه وضرره لأجل غلبة هواه، واستيلاء سُلطان الشهوة والغضب على نفسه، فجاء من التأكيد والتكرار في سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ المتضمنة لإزالة الشرك العملي، ما لم يجيء مثلُه في سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

ولما كان القرآن شطرين: شطرًا في الدنيا وأحكامِها، ومتعلقاتها، والأمورِ الواقعة فيها من أفعال المكلفين وغيرها، وشطرًا في الآخرة وما يقع فيها، وكانت سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ قد أُخْلِصَتْ من أولها وآخرها لهذا الشطر، فلم يذكر فيها إلا الآخرة، وما يكون فيها من أحوال الأرض وسُكَّانها، كانت تَعدِلُ نصفَ القرآن، فأحرى بهذا الحديث أن يكون صحيحًا ـ والله أعلم ـ ((ولهذا كان يقرأ بهاتين السورتين في ركعتي الطواف))[1]، ولأنهما سورتا الإخلاص والتوحيد، ((كان يفتتِح بهما عمل النهار، ويختمه بهما))[2]، ويقرأ بهما في الحج الذي هو شعار التوحيد"[3].

وفي ذلك بيان على الحكمة من قراءة النبي ﷺ لسورتي الإخلاص "قل هو الله أحد" و"قل يا أيها الكافرون" في ركعتي الفجر.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: حرص ابن عمر رضي الله عنهما على متابعة النبي ﷺ والتأسي به:

هذا ما ظهر جليًا في الحديث من قوله رضي الله عنه: (رمقت النبي ﷺ شهرًا)، قال المباركفوري: (أي: نظرت إليه)[4]، وقد كان حرصه رضي الله عنه على متابعة النبي ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم ١٢١٨.

(٢) أخرجه مسلم ٧٢٦.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣١٦/١ - ٣١٨.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧١٢/١.

والتأسي به سنة له، فعن نافع (أن ابن عمر كان يتّبع آثار رسول الله ﷺ في كل مكان صلى فيه، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس، وعن مالك عمن حدثه أن ابن عمر كان يتبع أمر رسول الله ﷺ، وآثاره وحاله، ويهتم به، حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك)(١)، وقالت عائشة رضي الله عنها: (ما رأيت أحدًا ألزم للأمر الأول من ابن عمر)(٢).

سادسًا- من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ فيما ورد عنه من القراءة في ركعتي الفجر:

"إن مبعث الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ هو حبه حبًا يستحوذ على القلوب، ويلامس شغافها، ويأخذ بمجامعها، وذلك لأنه رسول الله، اصطفاه الله للهداية وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا الحب الصادق يستوجب اتباعه، والتأسي به، واقتفاء آثاره، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣)"(٤)، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٥)، قال السعدي: "وقد استدل الأصوليون في هذه الآية على الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ وأن الأصل أن أمته أسوته في الأحكام إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به"(٦)، "والتأسي بالنبي ﷺ يعني: تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣/٢١٣.

(٢) المرجع السابق ٣/٢١١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٤) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٥٩ - ٦٠.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٠٩.

كل دقيق وجليل من أمور الدين...، والله عز وجل جعل نبيه ﷺ للناس كافة الهادي والمبلّغ، والسراج المنير"[1]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[2]، فعلى المدعو أن يقتدي ويتأسى بالنبي ﷺ فيما ورد عنه ﷺ من قراءته في ركعتي الفجر.

(١) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

الحديث رقم (١١١٠)

١١١٠ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قرأ في رَكْعَتَي الفَجْرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ رَوَاهُ مُسلِمٌ[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث والذي بعده يقرران ما كان يقرأ الرسول ﷺ في صلاة الركعتين قبل الفجر وكلاهما جاء بأسلوب خبري أكد في الأول، في قوله: (أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قرأ في رَكْعَتَي الفَجْرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ لأنه كان يطيل في أكثر النوافل، وجاءت القراءة في هذه النافلة بقصار السور التي حددها الحديث أما في الحديث الثاني فإنه لم يؤكد لكنه بدأ بلفظ (رمقت) الذي يوح مع دلالته على النظر بالتأمل وتوحي بالقصد والتتبع بالنظر، وقوله (شهرا) يؤكد ذلك لأن طول الفترة يوحي بملاحظته، وهو ما يؤكد الخبر وأنه رضي الله عنه كان يقرأ بهما في ركعتي الفجر، وذكر الظرف (قبل) في الحديث الثاني يؤكد أن المقصود النافلة وليس الفرض، ومن يتأمل فضل السورتين اللتين عينهما الراوي في صلاة الرسول ﷺ يدرك سر الاختيار من ناحية موضوع السورتين في الإخلاص المطلق الخالي من شائبة الشرك، ومن ناحية الأجر المترتب عليهما فسورة (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن، و(قل يا أيها الكافرون) تعدل ربع القرآن كما ثبت في باب فضائل السور؛ لأن القرآن يشتمل على تقرير التوحيد، والنبوات، وبيان أحكام المعاش، وأحوال المعاد و(قل هو الله أحد) مشتملة على التوحيد، وبعض صفات الله تعالى، و(قل يا أيها الكافرون) محتوية على توحيد الله؛ لأن البراءة عن الشرك إثبات للتوحيد.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٧٢٦/٩٨).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١١١)

١١١١- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: رَمَقْتُ النَّبيَّ ﷺ، شَهْرًا فَكَانَ يَقْرأُ في الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الفَجْرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ[1]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

رمقت النبي: أطلت النظر إليه وراقبتُه[2].

الشرح الأدبي[3]

المضامين الدعوية [4]

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى حكم ركعتي الفجر وأنهما سنة عن النبي ﷺ وما يستحب فيهما من القراءة.

وقد اتفق الفقهاء[5] على أن ركعتي الفجر من أفضل السنن الراتبة التي واظب

---

(١) برقم (٤١٧)، وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٢٤٥٩).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر م ق).

(٣) الشرح الأدبي في هذا الحديث تم دمجه مع الحديث الذي سبقه.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١١ – مع المضامين الدعوية (١١٠٩)، (١١١٠).

(٥) المبسوط، السرخسي ١٦١/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٤/١، ٢٨٧، المدونة الكبرى، رواية سحنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ٢١١/١، المنتقى شرح الموطأ، ابو الوليد سليمان الباجي ٢٢٨/١، الأم، الإمام الشافعي ٨٧/١، ١٦٨، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٢٢/٣، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٤٣/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣١/١، المحلى، ابن حزم ١٩/٢.

عليها النبي ﷺ وأن وقت صلاتهما بعد الأذان وقبل الإقامة للفريضة، وأنه يستحب التخفيف في القراءة في هاتين الركعتين، وقراءة ما كان يقرؤه رسول الله ﷺ فيهما مما ورد في هذا الحديث اتباعًا لهديه ﷺ فيهما.

المضامين الدعوية [1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١١١– مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٠٩)، (١١١٠).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالفعل والممارسة:

وهذا مستمد من أحاديث الباب:

أ - حديث عائشة ﵂: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ بَيْنَ النِّدَاءِ وَالإِقَامَةِ مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ». وفي رواية: «فَيُخَفِّفُهُمَا حتَّى أقولَ: هَلْ قَرأَ فِيهِمَا بِأُمِّ القُرآنِ».

ب - حديث حفصة ﵂: «أن رَسُول اللَّهِ ﷺ كان إذا أذن المؤذن للصبح وبدا الصبح صلى ركعتين خفيفتين». وفي رواية: «كان رَسُول اللَّهِ ﷺ إذا طلع الفجر لا يصلي إلا ركعتين خفيفتين».

ج - حديث ابن عمر ﵄: «ويُصلِّي الرَّكعتَينِ قبلَ صلاةِ الغداةِ وكأَنَّ الأذانَ بأُذنَيهِ».

فهؤلاء الصحابة الكرام ﵃، حكوا عن النبي ﷺ فعله في تخفيف ركعتي الفجر، وقد بيّن ابن عمر قدر هذا التخفيف، وإسراعه بذلك. فقال: «وكأَنَّ الأذانَ بأُذنَيهِ». وهكذا شأن المربين يربون أتباعهم عن طريق الفعل وليس شرطًا أن يتكلموا ويوجهوا خطابًا مباشرًا لهم، ومن ثم يفعلون ما يفعل، ويعملون ما يعمل، وهذا قد يصلح في مجالات كثيرة في الصلاة وغيرها من العبادات والطاعات، "فعندما يرى الطفل مربيه وهو يعطف على المسكين ويساعد الضعيف، فإن ذلك - ولاشك - سوف يدفعه إلى تقليده والاقتداء به، وهو أجدى من الحديث عن فضل الصدقة وأهميتها في الوقت الذي لا يظهر فيه القيام بها، بل على المربي أن يدفع الطفل إلى ذلك دفعًا كأن يخرج من جيبه ما يريد دفعه للفقير، ثم يقول للطفل اذهب وأعطه هذا الفقير، فهو في هذا يحقق أكثر من هدف تربوي: فقوله "الفقير" يبيّن للطفل السبب في الدفع لذلك الإنسان، وهو مساعدة المسكين والفقير، ويعوّده على سخاء النفس ببذل ماله للغير المحتاج، كما يعلمه هذا السلوك الشجاعة والتعامل مع الآخرين، ولعل في مسلك عبدالله بن عمر ﵄ ما يشهد لذلك فقد جاء سائل إلى ابن عمر فقال لابنه: أعطه

دينارًا، وقد يحدث أن الطفل نفسه بعدما رأى من صنيع والده ما رأى، أن يأتي فيطلب منه ما يعطيه للفقير، ولا ينبغي للمربي في هذه الحالة أن يمنع ذلك، حتى لو كان المربي لا يرى أحقية ذلك الفقير، لأننا - الآن - في مرحلة بناء هذا الخلق عند الطفل، وليس الحكم على هذا السائل أنه يستحق أو لا يستحق، فمن الأمور المهمة في تربية الطفل أن يتعامل مع القيم التي تريد له أن يتخلق بها، على أنها سلوك عملي وليست مجرد أفكار نظرية، والقدوة تؤكد ذلك المعنى وترسخه"[1].

ثانيًا: من وسائل التربية: مجالسة العلماء الربانيين:

هذا مستمد من قول ابن عمر رضي الله عنهما: «رمَقْتُ النبيَّ شهرًا فكانَ يقرأُ في الركعَتَيْنِ قبلَ الفجرِ بـ {قلْ يا أيها الكافرونَ} و{قلْ هو الله أحدُ}». فقوله رضي الله عنهما: «رمقت النبي ﷺ» يلزم عنه مجالسة النبي ﷺ ومراقبة أحواله والجلوس بين يديه للتعلم منه والاقتداء به، وعلى ذلك يجب أن يربى على مجالسة العلماء الربانيين الجامعين بين العلم والعمل، "فالعلماء هم ورثة الأنبياء، وهم حملة هدي النبي ﷺ وشمائله، ومن ثم كان لا غنى لطالب العلم عن صحبتهم ومجالستهم والتأدب بأدبهم، وقد اعتنى السلف بذلك وأكدوا على أن مهمة العالم لا تقف عند مجرد التحديث وسماع المرويات، بل تتجاوز ذلك إلى تعلم السمت والأدب والهدي، قال ابن المبارك:

أيها الطالب علمًا ائت حماد بن زيد

فاكتسب حلمًا وعلمًا ثم قيده بقيد

ودع الفتنة من آثار عمرو بن عبيد

قال أبو العالية: "كنا إذا أتينا الرجل لنأخذ عنه نظرنا إلى صلاته، فإن أحسن الصلاة أخذنا عنه، وإن أساء لم نأخذ عنه".

وقال إبراهيم: كنا نأتي مسروقًا فنتعلم منه هديه ودلّه.

وأوصى حبيب الشهيد وهو من الفقهاء ابنه فقال: يا بني.. اصحب الفقهاء وتعلم منهم، وخذ من أدبهم، فإنه أحب إليّ من كثير من الحديث.

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة: محمد بن شاكر الشريف ص ٥٢، ٥٤.

وقال ابن وهب: ما استفدت من أدب مالك أكثر مما استفدت من علمه - ومن ثم فلا غنى للشباب عن مجالسة أهل العلم الربانيين والاستفادة من علمهم وسمتهم وخلقهم، وحرى بالمربي أن يسعى لتعزيز هذا الجانب، ومن وسائله:

أ - الالتزام بحضور دروسهم ومجالسهم.

ب - زيارتهم واللقاء بهم بين آونة وأخرى.

ج - استقبالهم ودعوتهم لزيارة أنشطة الطلاب وبرامجهم.

وحرى بالذين منّ الله عليهم بقدر من العلم أن يعطوا الناشئة من أوقاتهم ويحتسبوا ذلك في صالح ما يقدمون"[1].

ولذا كان من الخطأ أن يحجب الناشئة عن مجالسة العلماء، "فكثير من الناس لا ينظرون إلى الصبيان في هذه المرحلة إلا كما ينظرون إلى الأطفال غير المميزين، فيمنعونهم من مجالسة الكبار، ويحرمونهم من حضور مجالس العلم، خوفًا من عدم انضباطهم وإذا جاء الضيف أخرج الصبيان المميزون من المجلس وحرموا من المقابلة، وبعضهم ربما بالغ في ذلك فحبسهم في غرفة وأغلق عليهم لحين خروج الضيف، كل ذلك مبالغة في الحرص على الهدوء ويعدون ذلك من الأدب. والأدب الحقيقي والتصرف الصحيح أن يمكن المربي الصبيان من حضور هذه المجالس، فمنها يتعلمون أدب الحديث وأدب المجالسة وأدب الاستماع ويسمعون من الكلام ما يستفيدون منه، وكذلك يفعل بالفتيات عند زيارة النساء، كما أن حضور هذه المجالس له تأثير حسن على نفوسهم، إذ يشعرهم بأنهم قد فارقوا مرحلة الطفولة الأولى، مما يسهم في سرعة تأهيلهم للمرحلة التي تليها ولا يستثنى من ذلك إلا المجالس الخاصة التي لا يحسن حضورها إلا ممن هو مخصوص بها، كأن يكون في الأمر سر أو نحو ذلك"[2]، كما حدث في حديث الهجرة عندما ذهب الرسول ﷺ إلى أبي بكر رضي الله عنه في ساعة لم

---

(١) تربية الشباب: الأهداف والوسائل، محمد بن عبدالله الدويش ص ١٤٥، ١٤٦.

(٢) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف ص ١١٣، ١١٤.

يكن يذهب إليها قال له: «أخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ»، فقالَ أبو بكر: يا رسولَ الله إنَّما هُما ابْنَتَايَ - يَعني عائشةَ وأسماءَ - فقالَ: «أَشَعَرْتَ أنهُ قَدْ أُذِنَ لي في الخُرُوجِ»؟...الحديث[1].



(١) أخرجه البخاري، ٢١٣٨، من حديث عائشة رضي الله عنها.

١٩٨- باب استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر على جنبه الأيمن والحث عليه سواء كان تَهَجَّد بالليل أم لا

الحديث رقم (١١١٢)

١١١٢ - عن عائشة رضي الله عنها ، قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ إذَا صَلَّى ركعتي الفجر، اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَن. رَوَاهُ البُخَارِي[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث من باب استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر عَلَى الجنب الأيمن، والحث عليه تبين فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عادة الرسول ﷺ بعد صلاة ركعتي الفجر وأنه كان يضطجع على شقه الأيمن على عادته في التيمن في كل خير، وقد روت الحديث بأسلوب خبري خال من المؤكدات لأنه يقرر أمور لا خلاف فيها، وهي من فضائل الأعمال، وقد جاء في أسلوب الشرط لما له من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى لأنها تعطي الخبر حكم العموم في الفعل الذي يصير كالعادة، المتكررة.

فقه الحديث

قال ابن قدامة في المغني: (ويستحب أن يضطجع بعد ركعتي الفجر على جنبه الأيمن، وكان أبو موسى ورافع بن خديج وأنس بن مالك يفعلونه، وأنكره ابن مسعود وكان القاسم وسالم ونافع لا يفعلونه، واختلف فيه عن ابن عمر، وروى عن أحمد أنه

---

(١) برقم (١١٦٠).

ليس بسنة، لأن ابن مسعود أنكره. ولنا ما روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا صلّى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه" وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا صلّى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الأيمن. واتباع النبي ﷺ في قوله وفعله أولى من اتباع من خالفه كائنًا من كان)[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاضطجاع بعد سنة الفجر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التيمن في الأمور كلها.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان هدي النبي ﷺ في قيام الليل.

خامسًا: من واجبات المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في تخفيف ركعتي الفجر.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديث من إخبار أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن هدي النبي ﷺ في صلاته من العشاء إلى الفجر، وبيان حرصه ﷺ على ركعتي الفجر واضطجاعه على شقه الأيمن، والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين، وبيان ما خفي عليهم من الأمور والأحكام، وإرشادهم إلى ما فيه الخير والفلاح لهم في الدنيا والآخرة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الاضطجاع بعد سنة الفجر:

كان ﷺ يضطجع بعد سنة الفجر على شقه الأيمن، وهذا ما ورد في الأحاديث

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٤٢/٢، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧/٦/٣-١٨، وفتح الباري، ابن حجر ٤٣/٢-٤٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٤٨٠-٤٨٢.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١١٢ - مع المضامين الدعوية للحديث (١١١٣)، (١١١٤).

من قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ إذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الأيمن)، وقولها: (... فإذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر وجاءه المؤذن، قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن)، ومن قوله ﷺ: (إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه).

قال القاضي عياض: "وفيه الترغيب على كون الاضطجاع على الشق الأيمن، وفائدته لئلا يستغرق في النوم، لتعلق القلب الذي هو في جهة اليسار حينئذ إلى الأيمن، وقلق النفس من ذلك بخلاف قراره في النوم اليسار ودعة النفس لذلك"(١).

وقال ابن حجر: "وفائدة ذلك الراحة والنشاط لصلاة الصبح...، وقيل: إن فائدتها الفصل بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح"(٢)، وقال ابن علان: "ليتذكر بذلك ضجعته في القبر فيحمله ذلك على الخشوع الذي هو لب العبادة، فإن تعذر الأيمن فالأيسر، لأن الميسور لا يسقط بالمعسور"(٣).

وقد أكد العلم الحديث على عظم فوائد الاقتداء بهدي النبي ﷺ في الاضطجاع أو النوم على الشق الأيمن فقال: (إن الكبد أكبر من المعدة وهي تقع في الطرف الأيمن فعندما ننام على الطرف الأيمن، تستريح المعدة فوق الكبد، وأما العكس فتتأثر المعدة من ثقل الكبد وبخاصة في أول النوم، وذلك فضلاً عن أن النوم على الجانب الأيسر يضر بالقلب ويعيق التنفس"(٤).

وفي ذلك بيان على فضل اتباع هديه ﷺ من حصول خيري الدنيا والآخرة.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٨٣/٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥٣/٣٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٧٧.

(٤) مجلة النفس المطمئنة، السنة الثامنة، العدد: ٣٩، يوليو ص ٤١، نقلًا عن: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح أحمد رضا ص ١٠٤.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على التيمن في الأمور كلها:

"إن التيمن هو الابتداء في الأفعال باليد اليُمنى والرجل اليمنى والجانب الأيمن"[١]. وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من اضطجاعه ﷺ على شقه الأيمن، وحثه على ذلك في قوله ﷺ: (فليضطجع على يمينه)، "والتيمن في الأمور مخالفة لأهل الشرك، إذ أن شعارهم استعمال الشمال، وكذا مخالفة للشيطان، وفيه مرضاة الرب ومحبة النبي ﷺ"[٢]، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان النبيُّ ﷺ يُعجِبهُ التَّيمُّنُ في تَنَعُّلِهِ وتَرَجُّلِهِ وطُهورِه وفي شأنِهِ كلِّه))[٣]، وعنها رضي الله عنها أنها قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ. فِي نَعْلَيْهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ))[٤]، قال القاضي عياض: "وقوله: (كان يحب التيمن في شأنه كله): تبركًا باسم اليمين، وإضافة الخير إليها، قال الله تعالى: ﴿وَنَـٰدَيۡنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾[٥]، وقال: ﴿وَأَصۡحَـٰبُ ٱلۡيَمِينِ﴾[٦]، ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾[٧]، ولما في معناه من اليُمن"[٨].

وقال ابن حجر: "(كان يعجبه التيمن): قيل لأنه كان يحب الفأل الحسن، إذ أصحاب اليمين أهل الجنة، وتأكيده (الشأن) بقوله (كله) يدل على التعميم...، أي: لا يترك ذلك سفرًا ولا حضرًا ولا في فراغه ولا شغله ونحو ذلك"، وقال الطيبي: .. وكأنه ذكر التنعل لتعلقه بالرجل والترجل لتعلقه بالرأس، والطهور لكونه مفتاح

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ي م ن).

(٢) نضرة النعيم ٤/١٤٣٦.

(٣) أخرجه البخاري ١٦٨.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٨.

(٥) سورة مريم، آية: ٥٢.

(٦) سورة الواقعة، آية: ٢٧.

(٧) سورة الحاقة، آية: ١٩، والإنشقاق، آية: ٧.

(٨) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/٧٥.

أبواب العبادة، فكأنه نبه على جميع الأعضاء فيكون كبدل الكل من الكل"[١].

وقد استفاضت النصوص في حث النبي ﷺ على التيمن في الأمور كلها، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((إذا أتيت مَضجعَك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثمَّ اضْطَجع على شِقِّكَ الأيمن وقل: اللهمَّ أسلمتُ نفسي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبة ورهبةً إليك، لا مَلجأ ولا مَنْجَى منك إلا إليك. آمنتُ بكتابك الذي أنزلت، وبنبيِّكَ الذي أرسلت. فإن مُتَّ متَّ على الفِطرة، فاجعلْهُنَّ آخرَ ما تقول)). فقلتُ: أستَذْكرهنَّ: وبرسولكَ الذي أرسلت. قال: ((لا، وبنبيِّكَ الذي أرسلت))[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ. وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ. فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ)).

وفي رواية: ((لا يأكلَنَّ أحدُكم بشمالِه ولا يشربنَّ بها؛ فإنَّ الشيطانَ يأكلُ بشماله ويشربُ بها))[٣].

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: للسدي لما سأله كَيْفَ أَنْصَرِفُ إِذَا صَلَّيْتُ؟ عَنْ يَمِينِي أَوْ عَنْ يَسَارِي؟ قَالَ: ((أَمَّا أَنَا فَأَكْثَرُ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَنْصَرِفُ عَنْ يَمِينِهِ))[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا انتعلَ أحدُكم فليَبدأ باليمين، وإذا نَزَعَ فليبدأ بالشمال، لِتكنِ اليمنى أولهما تُنعل، وآخِرَهما تُنزَع))[٥].

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لاَ يُمْسِكَنَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ. وَلاَ يَتَمَسَّحْ مِنَ الْخَلاَءِ بِيَمِينِهِ. وَلاَ يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ))[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١/٣٢٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣١١، ومسلم ٢٧١٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٢٠.

(٤) أخرجه مسلم ٧٠٨.

(٥) أخرجه البخاري ٥٨٥٦، ومسلم ٢٠٩٧.

(٦) أخرجه البخاري ١٥٣، ومسلم ٢٦٧.

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قَالَ لَنَا الْمُشْرِكُونَ: إِنِّي أَرَى صَاحِبَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ. حَتَّى يُعَلِّمَكُمُ الْخِرَاءَةَ[1]. فَقَالَ: أَجَلْ. إِنَّهُ نَهَانَا أَنْ يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِيَمِينِهِ. أَوْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ. وَنَهَى عَنِ الرَّوْثِ وَالْعِظَامِ. وَقَالَ: ((لاَ يَسْتَنْجِي أَحَدُكُمْ بِدُونِ ثَلاَثَةِ أَحْجَارٍ))[2].

قال ابن حجر: (قال النووي: قاعدة الشرع المستمرة استحباب البداءة باليمين في كل ما كان من باب التكريم والتزيين، وما كان بضدهما استحب فيه التياسر)[3].

فعلى المرء أن يستجلب هذه القاعدة في أفعاله أحواله.

رابعًا - من واجبات الداعية: بيان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل:

قد ورد ذلك في الحديث من قول عائشة رضي الله عنها: ((كانَ النبيُّ يُصلِّي فيما بينَ أنْ يَفْرُغَ من صلاةِ العشاءِ إلى الفَجْرِ إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعةً، يُسلِّمُ من كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، ويوتِرُ بواحِدَةٍ)).

وفي بيان ذلك قال ابن القيم: "وكان قيامُه صلى الله عليه وسلم بالليل إحدى عشرة ركعة، أو ثلاثَ عشرة، كما قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما، فإنه ثبت عنهما هذا وهذا، ففي «الصحيحين» عنها: ((ما كان رسولُ اللّهِ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة))[4]. وفي «الصحيحين» عنها أيضًا: ((كان رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم يُصلي من الليل ثلاثَ عشرة ركعة، يُوتر من ذلك بخمس، لا يجلس في شيء إلا في آخِرِهِن))[5].

والصحيح عن عائشة الأول، والركعتان فوق الإحدى عشرة هما ركعتا الفجر، جاء ذلك مبينًا عنها في هذا الحديث بعينه: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلي ثلاث عشرة

---

(١) الخراءة: بالكسر والمد: التخلي والقعود للحاجة. قال الخطابي: وأكثر الرواة يفتحون الخاء، وقال الجوهري: إنها الخراءة بالفتح والمد. يقال: خَرِءَ خراءة مثل كره كراهة، ويحتمل أن يكون بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ر ء).

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٣٢٥/١.

(٤) أخرجه البخاري ١١٤٧، ومسلم ٧٣٨.

(٥) أخرجه البخاري ١١٣٨، ومسلم ٧٣٧.

ركعة بركعتي الفجر))، ذكره مسلم في «صحيحه»[1].

وقال البخاري: ((كان رسول الله ﷺ يُصلي بالليل ثلاثَ عشرة ركعة، ثم يُصلي إذا سمع النداء بالفجر ركعتين خفيفتين))[2]. وفي «الصحيحين» عن القاسم بن محمد قال: سمعتُ عائشة ﷺ تقول: ((كانت صلاةُ رسول الله ﷺ من الليل عشرَ ركعات، ويُوتر بسجدة، ويركع ركعتي الفجر، وذلك ثلاثَ عشرة ركعة))[3]، فهذا مفسر مبين.

وأما ابنُ عباس رضي الله عنهما، فقد اختلف عليه، ففي «الصحيحين» عن أبي جمرة عنه: ((كانت صلاةُ رسولِ الله ثلاثَ عشرة ركعةً يعني بالليل))(٤). لكن قد جاء عنه هذا مفسرًا أنها بركعتي الفجر. قال الشعبي: سألتُ عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن صلاةِ رسول الله ﷺ بالليل، فقالا: ((ثلاثَ عشرة ركعة، منها ثمان، ويُوتر بثلاث، وركعتين قبل صلاة الفجر)). وفي «الصحيحين» عن كُريب عنه، في قصة مبيته عند خالته ميمونة بنت الحارث: ((أنه ﷺ صلَّى ثلاث عشرة ركعة، ثم نام حتى نفخ، فلما تبيَّن له الفجرُ، صلَّى ركعتين خفيفتينِ. وفي لفظ: فصلَّى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذِّنُ. فقام فصلَّى ركعتين خفيفتين، ثم خرج يُصلي الصبح))[5]. فقد حصل الاتفاقُ على إحدى عشرة ركعة واختلف في الركعتين الأخيرتين: هل هما ركعتا الفجر أو هما غيرُهما؟"[6].

---

(١) أخرجه مسلم ٧٣٧.

(٢) أخرجه البخاري ١١٧٠.

(٣) أخرجه البخاري ١١٤٠، ومسلم ٧٣٨.

(٤) أخرجه البخاري ١١٣٨، ومسلم ٧٦٤.

(٥) أخرجه البخاري ١١٩٨، ومسلم ٧٦٣.

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٢٥ - ٣٢٧.

وقد بيّن القاضي عياض: "أن هدي النبي ﷺ في قيام الليل كان أكثره خمس عشرة ركعة - وقصد في ذلك حديث عائشة رضي الله عنها: ((كان رسولُ اللّهِ ﷺ يُصلّي بالليلِ ثلاثَ عشرةَ رَكعةً، ثمَّ يُصلي إذا سمعَ النِّداءَ بالصبحِ رَكعتَين خفيفتَين))[1]، وأقله سبع، وذلك لما كان يتفق من اتساع الوقت له أو ضيقه، إما بتطويل قراءته في بعضها كما جاء، أو طول نومه أو لعذر من مرض أو كبر سن، كما بينته عائشة رضي الله عنها بقوله: ((فلما أسن، صلى سبع ركعات))[2]"[3].

وهذا ما بيّنه مسروق في قوله: سألتُ عائشةَ رضي الله عنها عن صلاةِ رسولِ اللّهِ ﷺ بالليلِ فقالت: ((سَبعٌ وتِسعٌ وإحدى عشرةَ، سوى رَكعتيِ الفجرِ))[4].

قال القاضي عياض: "ولا خلاف أنه ليس في ذلك حدٌّ لا يزاد عليه ولا ينقص منه، وأن صلاة الليل من الفضائل والرغائب التي كلما زيد فيها زيد في الأجر والفضل، وإنما الخلاف في فعل النبي ﷺ وما اختاره لنفسه"[5].

خامسًا - من واجبات المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في تخفيف ركعتي الفجر:

أشار الحديث إلى ذلك من قول عائشة رضي الله عنها أخبرته: (... قام فركع ركعتين خفيفتين)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها أخبرته: ((أن رسولَ اللّهِ ﷺ كَانَ، إِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ مِنَ الأَذَانِ لِصَلاَةِ الصُّبْحِ، وَبَدَا الصُّبْحُ، صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، قَبْلَ أَنْ تُقَامَ الصَّلاَةُ))[6]، قال النووي: "فيه أنه يسن تخفيف سنة الصبح وأنهما ركعتان"[7]، وهذا ما بينته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قولها: ((كانَ النبيُّ ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري ١١٧٠.

(٢) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٨١.

(٤) أخرجه البخاري ١١٣٩.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٨٢.

(٦) أخرجه البخاري ٦١٨، ومسلم ٧٢٣.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٠٠.

لَيُصَلِّي رَكْعَتَي الفَجْرِ، فَيُخَفِّفُهُمَا حَتَّى إني لأَقُولُ هَلْ قرأ فِيهِمَا بِأُمِّ القُرْآنِ؟))[١]، وعن حفصة رضي الله عنها قالت: ((إن رسولَ اللهِ ﷺ كان إذا أذن المؤذِّنُ للصُّبحِ وبدا الصبحُ صلَّى رَكعتينِ خَفيفَتينِ))[٢]، "فعلى المدعو أن يتأسى بالنبي ﷺ، ولا يقف التأسي به ﷺ عند حد معين...، بل يشمل كل مشروع متعبد به"[٣]، وهذا ما أكده الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[٤].

سادسًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ: (فليضطجع)، والأمر من الأساليب الدعوية المهمة في حمل المدعو وإرشاده إلى فعل ما فيه خير له، وهذا ما أراده النبي ﷺ من قوله فليضطجع، لما في ذلك من خير وفائدة للمدعو كما أسلفنا في أول الحديث.

---

(١) أخرج البخاري ١١٧١، ومسلم ٧٢٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٨، ومسلم ٧٢٣.

(٣) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٧٠.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الحديث رقم (١١١٣)

١١١٣ - وعنها، قالت: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُصَلِّي فيمَا بَيْنَ أنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلاَةِ العِشَاءِ[١] إلَى الفَجْرِ إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ، فَإذَا سَكَتَ المُؤَذِّنُ مِنْ صَلاَةِ الفَجْرِ، وَتَبَيَّنَ لَهُ الفَجْرُ، وَجَاءهُ المُؤَذِّنُ، قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفيفَتَيْنِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأيْمَنِ، (هكَذَا)[٢] حَتَّى يأتِيَهُ المُؤَذِّنُ لِلإقَامَةِ. رَوَاهُ مُسلِم[٣].

قَوْلُهَا: ((يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ)) هكَذَا هو في مسلمٍ ومعناه: بَعْدَ كُلِّ رَكْعَتَيْن.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

نقل تفاصيل عبادة الرسول ﷺ أو عادته هو نقل للدين، ولذلك توفرت على هذا الغرض همم الصحابة رضي الله عنهم، ونقلوا عنه كل كبيرة، وصغيرة متلبسة بما يخالجه أو يخالجهم من مشاعر، وبما يحيط بها من ملابسات، وقيام الليل مضمار المتنافسين ورياض الصالحين الذي يتسابقون فيه إلى ربهم، وقد ساروا في ذلك على هدي نبيهم ﷺ وهذا الحديث من جملة الأحاديث التي كشفت عن جانب من عبادته في الليل، وطريقته، وتتبعت أجزاء الليل من حيث العمل فيها، والسكون، وقد وضح الراوي نوع العبادة في قوله (يصلي) وبيَّن وقتها في قوله (بَيْنَ أنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلاَةِ العِشَاءِ إلَى الفَجْرِ) كما بيَّن عدد الركعات التي كان يصليها بعد صلاة الفريضة في قوله (إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً) ثم بيَّن طريقة الأداء في قوله: (يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ) والذي

---

(١) عند مسلم زيادة: (وهي التي يدعو الناس العتمة).

(٢) (هكذا) لا توجد عند مسلم.

(٣) برقم (٧٣٦/١٢٢).

يتأمل الأفعال التي تحرك الصورة يجد أنه وردت في صيغة الماضي (يصلي - يفرغ - يسلم- يوتر) والفعل يصلي يطوي أفعال الصلاة من ركوع، وسجود، وقيام، وقعود مع حركة اللسان، والقلب كلها تتسق في طاعة الله تعالى وقوله (قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ) في العبارة جناس يؤكد المعنى، والتعبير عن الصلاة بالركوع من المجاز بالتعبير عن الكل بالجزء إشارة إلى شرفه بالإضافة إلى أن الركوع يوحي بالخضوع، والاستسلام، وقوله :(ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ، هكَذَا حَتَّى يأْتِيَهُ المُؤَذِّنُ لِلإِقَامَةِ) يشير إلى عادته في الاضطجاع على شقه الأيمن في اتصال ذكر من عبادة إلى عبادة ﷺ.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى الأحكام الآتية:

أولاً: حكم قيام الليل، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن التطوع في صلاة الليل غير محدد بوقت ولا عدد ركعات معين، ولكن يأتي الإنسان قدر طاقته دون مغالاة، وأفضل الصلاة أن يصلي إحدى عشرة ركعة.

ثانيًا: كيفية صلاة الليل وقد اتفق الفقهاء[2] على أن صلاة الليل تختم بالوتر، وإن

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٤١/٢ وما بعدها، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٠/١ وما بعدها، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٦٦/٢ وما بعدها، شرح منح الجليل ٣٩٩/١ وما بعدا، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ١٠٥/٢ وما بعدها، مغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤٥٨/١ وما بعدها، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٤٧/١ وما بعدها، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٥/١ وما بعدها.

(٢) المبسوط، السرخسي ١٥٠/١، ١٦٤، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٢/١، المدونة الكبرى، رواية سحسنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ١٨٩/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢١٣/١، الأم، الإمام الشافعي ١٦٥/١، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥١١/٣، ٥٥٠، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣١٦/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣٢/١، الفروع، ابن مفلح ٥٦٢/١، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٨٦/١.

اختلفوا في عد ركعاته، فقيل ركعة واحدة وقيل ثلاث، واتفقوا على أن صلاة النفل تصح مثنى ورباعًا سواء أكانت بالليل أم بالنهار، وإن اختلفوا في الأفضل، فذهب جمهور أهل العلم[(١)] إلى أن الأفضل أن تصلى مثنى مثنى، وذهب أبو حنيفة[(٢)] إلى أن الأفضل أن تصلى رباعًا.

ثالثًا: كيفية أداء ركعتي الفجر وقد سبق القول في الحديث رقم (١١٠٥) أنه قد اتفق الفقهاء[(٣)] على أن ركعتي الفجر من أفضل السنن الراتبة التي واظب عليها النبي ﷺ وأن وقت صلاتهما بعد الأذان وقبل الإقامة للفريضة، وأنه يستحب التخفيف في القراءة في هاتين الركعتين، وقراءة ما كان يقرأه رسول الله ﷺ فيهما مما ورد في الحديث اتباعًا لهديه ﷺ فيهما.

رابعًا: حكم الاضطجاع بعد صلاة الفجر وحتى صلاة الصبح، وقد سبق بيان هذا الحكم في الحديث رقم (١١١١).

المضامين الدعوية[(٤)]

---

(١) المراجع السابقة.

(٢) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٢/١.

(٣) المبسوط، السرخسي ١٦١/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٤/١، ٢٨٧، المدونة الكبرى، رواية سحنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ٢١١/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٢٨/١، الأم، الإمام الشافعي ٨٧/١، ١٦٨، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٢٢/٣، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٤٣/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣١/١، المحلى، ابن حزم ١٩/٢.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١١٤)

١١١٤-وعن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَال رَسُول اللَّهِ ﷺ: ((إذا صَلَّى أحَدُكُمْ رَكْعَتَي الفَجْرِ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى يَمِينِهِ)) رواه أبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ[1] بأسانيد صحيحة، قال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

مرَّ الحديث في هذا المعنى نقلا عن الرسول ﷺ في عادته في الاضطجاع على شقه الأيمن في بيان للسنة الفعلية للنبي ﷺ، وهذا الحديث يشير إلى السنة القولية في ذلك، وقد جاء المعنى في ثوب الشرط الذي يربط صلاة ركعتي الفجر بالاضطجاع، وقوله (فليضطجع على يمينه) أي ليستريح من تعب قيام الليل ثم يصلي الفريضة على نشاطه، وانبساطه، وهو أمر استحباب في حق من تهجد بالليل فينبغي اخفاؤه، وفعله - كما ذكر بعض العلماء -.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه أبو داود (١٢٦١)، والترمذي (٤٢٠) واللفظ له، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ. فيه عبد الواحد بن زياد، قال الذهبي في الميزان (٦٧٢/٢): احتجا به في الصحيحين، وتجنبا تلك المناكير التي نقمت عليه، فيحدث عن الأعمش بصيغة السماع، عن أبي صالح، ثمّ ذكر فيه هذا الحديث عند أبي داود، قلتُ: تابع الأعمش فيه محمد بن إبراهيم، وهو ثقة عند الجرجاني في أماليه (٢٣٤)، فانتفى الإشكال، وصحّحه ابن خزيمة (١١٢٠)، وابن حبان (الإحسان ٢٤٦٨).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١١٤ - مع المضامين الدعوية للحديث (١١١٢)، (١١١٣).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الاستعداد الجيد للعبادة:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ: «إذا صلَّى أحدكم ركعتي الفجر، فليضطجع عن يمينه» هذا من قوله ﷺ، ومن ناحية أخرى كان هذا من فعله ﷺ كما أخبرت عن ذلك زوجه عائشة رضي الله عنها: «كان إذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الأيمن». فلاشك أن الاضطجاع راحة للجسم ولكنها راحة من أجل الإقبال على صلاة الفجر بنشاط وتدبر، وقد كان النبي ﷺ يضطجع بعد قيام الليل قبيل صلاة الفجر، فعن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً. يُوتِرُ مِنْهَا بِوَاحِدَةٍ. فَإِذَا فَرَغَ مِنْهَا اضْطَجَعَ عَلَىٰ شِقِّهِ الأَيْمَنِ. حَتَّىٰ يَأْتِيَهُ الْمُؤَذِّنُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ»[1].

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن النبي ﷺ قد اتخذ مؤذنًا يُؤْذِنُه بدخوله وقت الصلاة وإقامتها، وهذا يعين - بلا شك - على أن يستعدّ الإمام للصلاة جيدًا، فضلاً عن أن يتهاون في أدائها، قال النووي: "دليل على استحباب اتخاذ مؤذن راتب للمسجد، وفيه جواز إعلام المؤذن الإمام بحضور الصلاة، وإقامتها واستدعائه لها"[2].

والخلاصة أن النبي ﷺ اضطجع قبيل صلاة الفجر، واضطجع بعد أدائه ركعتي سنة الفجر، وذلك حتى يأخذ -كما يظهر لنا- قسطًا بسيطًا من الراحة يعينه على أداء صلاة الفجر بإقبال وخشوع وتدبر، كما أنه ﷺ قد اتخذ مؤذنًا يؤذنه بدخول الوقت وإقامة الصلاة، وكل ذلك يستفاد منه - في رأينا- أنه استعداد لأداء العبادة كما ينبغي، وعلى ذلك يجب على المربين أن يربوا أتباعهم على هذا، فيرشدونهم إلى الطرق والوسائل المعينة على أداء العبادة على أحسن وجه وأكمل أداء، بل لا يقتصر هذا على العبادة فقط بل يمتد أيضًا إلى جميع مناحي الحياة ومختلف الأنشطة والفعاليات.

إن المقصود من العبادة خصوصًا -ومن العمل عمومًا- أن يؤدي ثمرته المرجوة منه

---

(١) أخرجه مسلم، ٧٣٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٥٠٧.

ونتيجته المبتغاة من ورائه، وهذا لا يتأتى إلا بأن يستعد الاستعداد الطيب للأداء الفعّال، وأخذ الوسائل المتاحة المفضية لذلك.

إن صلاة الفجر لها فضل عميم وخير عظيم، ولكن نجد كثيرًا من المسلمين مقصرين في أدائها في الجماعة بل تجدهم يؤدونها بعد خروج وقتها بعد شروق الشمس، مع أن أغلبهم يوّد لو أن الله منّ عليه أن يصليها في جماعة أو على الأقل في وقتها قبل شروق الشمس، والسبب الرئيسي -في رأينا- في ذلك أنهم لم يستعدوا استعدادًا جيدًا لأداء صلاة الفجر جماعة، فلم يناموا مبكرًا بل أشبعوا الليل سهرًا وسمرًا، ولم يلتمسوا الأسباب التي تساعدهم على القيام لأداء الصلاة بشكل مناسب، فأدى ذلك إلى تفريطهم في أداء هذه الصلاة العظيمة وتضييعهم لها.

لننظر إلى النبي ﷺ كيف كان يستعد لقيام الليل، تقول عائشة رضي الله عنها: «كنّا نعدّ لرسول الله ﷺ سواكه وطهوره، فيبعثه الله (أي: يوقظه) ما شاء الله أن يبعثه من الليل، فيتسوك ويتوضأ ويصلي»[1].

فإنه بالنظر في هذا الحديث يمكن ذكر ما يلي:

١- استعانة النبي ﷺ بأهل بيته في إعداد العدة لقيام الليل، وفي هذا تخفيف للأعباء وتفريغ للاهتمام بالأهم فالأهم.

٢- لم يكن النبي ﷺ يستعين بمن يوقظه، لأنه ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه، كما أخبر بذلك ﷺ في الحديث المتفق عليه[2].

٣- حرصه ﷺ على التسوك لما في ذلك من رضا الله تعالى وتطهيرٍ للفم.

والخلاصة أن على المربين أن يربوا أتباعهم على أخذهم الاستعداد الجيد لأداء العمل، سواء كان عملاً دينيًا أو دنيويًا[3].

---

(١) أخرجه مسلم، ٧٤٦.

(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها: أخرجه البخاري ١١٤٧، ومسلم ٧٣٨.

(٣) وانظر: نحو تربية إسلامية راشدة ص ٦٦ وما بعدها.

ثانيًا-التربية على عدم الاستغراق في النوم قبيل وقت الصلاة:

هذا مستمد من اضطجاع النبي ﷺ على شقه الأيمن بعد أدائه ركعتي سنة الفجر، فقد ذكر العلماء لذلك حكمة وهو عدم الاستغراق في النوم، ومن ثمّ تفوت الصلاة في جماعة أو يفوت وقتها[1].

وقد كان من هَدْي النبي ﷺ الحرص على عدم الاستغراق في النوم حتى لا تفوته الصلاة، ولو كان ذلك في السفر، قال أبو قتادة رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ، فَعَرَّسَ بِلَيْلٍ، اضْطَجَعَ عَلَى يَمِينِهِ. وَإِذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ، نَصَبَ ذِرَاعَهُ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ»[2].

قال النووي: "قال العلماء: إنما نصب ذراعه لئلا يستغرق في النوم، فتفوت صلاة الصبح عن وقتها أو عن أوّل وقتها"[3].

وعلى ذلك ينبغي أن يعود الناشئة وغيرهم، فلا يضيعون أوقاتهم فيما لا يفيد ولا يضيعون ما يفيدهم وينفعهم، إن "صرف جزء كبير من الوقت في مواطن الراحة ضياع له، بينما صرفه في العمل على الأهداف الهامة في حياته يحتاج الخروج من تلك المواطن والعمل الجاد ولو كرهته النفس، أقول هذا لأن الأعمال الهامة معظمها ليست بالضرورة ممتعة للنفس البشرية بل تحتاج لتطويع وترويض تلك النفس عليها، لاشك أن النوم في الثلث الأخير من الليل موطن راحة أي إنسان، لكن الذي يسمو إلى العلا قد يأبى نوم هذا الوقت، بل يفضّل إجبار نفسه وجسده على قيام ذلك الوقت تعبدًا لله وتزكية لنفسه، وفي ذلك نيله لموطن يصبو إليه كل مسلم، وهو الجنة ونعيمها"[4].

لكن الواقع يشهد أن هناك أوقاتًا هائلة تُهدر كان يمكن أن تستغل في المفيد من

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٠٧.

(٢) أخرجه مسلم، ٦٨٣.

(٣) رياض الصالحين، ٣٧٦.

(٤) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، ٤٠٧.

الأعمال، "ففي المنازل آلاف الآلاف من طلبة المدارس يقضون أربعة أشهر أو خمسة أشهر، إجازة صيفية فهل تساءل الآباء كيف يقضي هذا الوقت الطويل فيما يعود بالنفع على جسمهم وعقلهم وخلقهم وبلادهم، وفي البيوت نصف عدد الأمة من النساء فكيف يقضين أوقات فراغهن؟ إذا كان الزمن هو المادة (الخامة) لاستغلال المال، وتحصيل العلم وكسب الصحة، فكم أضعنا من كل ذلك؟ وكم أعمار تضيع في عبث؟ لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة.

ومن نتائج ضياع الزمن ضياع كثير من منابع الثروة، كان يمكن أن تستغل لولا إهمال الزمان والجهل باستعماله، فكم من الأراضي البور كان يمكن أن تُصلح ومن الشركات يمكن أن تؤسس، ومن المؤسسات المختلفة يمكن أن تنشأ وتدار بجزء من الزمان الفارغ، وإن من نتيجة ضياع الزمن في عالمنا كساد الكتب وعدم قراءتها والرضا بالجهل، فليس هناك نفوس تألم من الجهل، ولكن أجساد تخلد إلى الراحة، والشأن في عالم المال كالشأن في عالم الكتب، فهناك القناعة بالقليل والرضا بالميسور والنوم على الوظيفة والعمل الراتب الذي لا يدعو إلى جهد ولا يبعث على تفكير، ثم هناك الفكر المضني وإفساح الطريق للأجنبي النشيط الذي يعرف كيف يستغل زمنه.

ولست أريد من المحافظة على الزمن أن يُمْلأ كله بالعمل، وأن تكون الحياة كلها جدًا ودأبًا، لا راحة فيها ولا مَرَح، وأن تكون عابسة لا ضحك فيها ولا بشر، وإنما أريد ألا تكون أوقات الفراغ طاغية على أوقات العمل، وألا تكون أوقات الفراغ هي صميم الحياة، وأوقات العمل على حاشيتها وطرفها.

بل أريد أكثر من ذلك: أن تكون أوقات الفراغ خاضعة لحكم العقل كأوقات العمل، فإننا في العمل نعمل لغاية، فيجب أن تصرف أوقات الفراغ لغاية ذلك، إما لفائدة صحية كالألعاب الرياضية المشروعة، وإما للذة نفسية كالمطالعات العلمية، وإما لغذاء روحي كالقيام بقراءة القرآن والحديث الشريف ونوافل الطاعات والعبادات[1].

۞ ۞ ۞

---

(١) فيض الخاطر: أحمد أمين ٦٧/٣، نقلًا عن قيمة الزمن عند العلماء، عبدالفتاح أبو غدة، ٨٠- ٨٢، وقد تصرف فيه أبو غدة تصرفًا يسيرًا، وزاد فيه زيادة يسيرة.

فهرس المحتويات



فهرس المحتويات

الموضـــــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــــوع	الصفحة